الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الحاج لخضر باتنة
كلية الآداب و العلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية و آدابها

الخطاب الحجاجي السياسي

في كتاب "الإمامة والسياسة" لابن قتيـــبة

- دراسة تداولية -

بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في اللـــغة

إعداد الطالبة
ابتسام بن خراف

إشراف الدكتور
السعيد بن براهيم

السنة الجامعية 2009- 2010

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الحاج لخضر باتنة
كلية الآداب و العلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية و آدابها

الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب "الإمامة والسياسة" لابن قتيـــبة

– دراسة تداولية –

بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في اللـــغة

إعداد الطالبة
ابتسام بن خراف

إشراف الدكتور
السعيد بن براهيم

لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة	الصفة	المؤسسة
فرحات عياش	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة باتنة
السعيد بن براهيم	أستاذ محاضر	مقررا	جامعة باتنة
بشير إبرير	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة عنابة
صالح خديش	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	المركز الجامعي خنشلة
صلاح الدين زرال	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	جامعة سطيف

السنة الجامعية 2009– 2010

قائمة الرموز المستعملة

الرمز	دلالته
حو	حوار
خ	خطبة
س	رسالة
ث	وثيقة
م	ملفوظ
ح	حجة
¬	نفي
ن	نتيجة
سا	سؤال
جا	جواب
v	أو
٨	و
E	يوجد


مقدمة

يعد موضوع الحجاج عامة و الحجاج السياسي على الخصوص من الموضـــوعات الـــتي لقيت اهتماما كبيرا من لدن الدارسين في العالم الغربي، حيث غدت المؤتمرات تعقـــد خصيصـــا لبحث إشكالات الحجاج ، و الكتب تؤلف حصرا في تأمل قضاياه، إلا أن هذا العلم مازال مـــن الاختصاصات النادرة في الوطن العربي.

و تعود أهمية الخطاب الحجاجي السياسي في كونه أكثر الخطابـــات اللغويـــة التصـــاقا بالجمهور باعتباره خطابا ينشد التأثير والاستمالة؛ في المتلقي قصد الانخراط أو الفعل. هذا مـــن ناحية، و من ناحية أخرى هو أكثر خطورة؛ لأنه الأكثر قدرة على التلاعب بالعقول و مـــن ثم كسب الرهان.

هذه الخصوصية الجوهرية (التأثير و الإقناع و الاستمالة) توفّر عليها الخطاب السياســـي في التراث العربي، حيث قصد المخاطِب السياسي الـــتأثير في متلقيه، إما بدفعه إلى تبني رأي مـــا، أو الاستجابة لطلب معين ، و إما لتدعيم موقفه و إما لتغيير رأيه كي يبني موقفا جديدا، سواء أكان هذا الموقف يقتصر على الاقتناع الذاتي أم يقتضي فعلا ما.

لذا يطمح هذا البحث إلى فحص الوظيفة الحجاجية للخطاب السياسي في مدونة تراثـــية، مستفيدا من المنهج اللساني التداولي في اكتشاف القواعد الداخلية له، و أن يمهد لبعض المعطيات النظرية التي قاربت مبحث الحجاج، و عليه جاءت الدراسة موسومة بـــ:

الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب "الإمامة و السياسة" لابن قـــتيبة

دراسة تداولية

تسعى الدراسة إلى النظر في طرائق الخطاب الحجاجي السياســـي الـــتي توفِّرهـــا اللغـــة، و البحث في الآليات التي تجعل العقول المتوجه إليها الخطاب تنخرط في الدعوى المقدمة.

إن الدراسة تبحث عن المعنى الحجاجي في الخطاب السياسي في الكتاب، و تحاول الكشف عـــن قوة الكلمات و العبارات في توجيه المخاطَب (بفتح الطاء) و حثه على القيام بفعل ما أو ثنيه عنه، و عن أهم الحجج المغالطة المستعملة قصد التمويه و التضليل.

كما تحاول تجلية الاحتراف المتمرس للمسلم بأمور الدولة و تفننه في خوض المعترك السياســـي، و تبرز درايته بسلطة الكلام بوصفه « سلطانا ما بعده سلطان، و قوة عظيمة لا تخفـــى و تـــأثيرا قـــويا لا ينكر»، و تنشد بذلك الإجابة عن التساؤليين الآتيين:

1. ما هي أهم الوظائف الحجاجية في الخطاب السياسي في كتاب الإمامة و السياسة ؟
2. كيف تمظهرت الحجج التي قدَّمها المخاطِب السياسي قصد الظفر بالنتيجة المرغوب فيها ؟

و قد دفعتني أسباب عدة لولوج هذه الدراسة، و لعل أهمها:

- جدة موضوع الحجاج و أهميته، و الرغبة في التعرف على أهم مفاهيمه، و الحقول المعرفية التي تناولته.
- البحث عن آليات الحجاج و تقنيات إجرائه في الخطاب السياسي في تراثنا العربي الإسلامي بكل أشكاله (حوار، خطابة، رسالة، وثيقة)، ذلك أن الدراسات السابقة لم تهتم إلا بجنس الخطبة، أذكر منها في بلاغة الخطاب الإقناعي لمحمد العمري، و استراتيجيات الخطاب لعبد الهادي بن ظافر الشهري.
- قلة الدراسات ذات الصلة بموضوع الحجاج و المنهج التداولي بشكل عام في الدراسات العربية.

و لكي تبلغ الدراسة الغاية المنشودة، و يُوَفى الموضوع حقّه – قدر المستطاع- كان لا بد من الاستعانة ببعض مناهج البحث العلمي، أولها المنهج الاستقرائي و الذي يمكن من جمع المادة العلمية المتعلقة بموضوع الحجاج و رصد أهم مفاهيمه في النظريات الحجاجية الحديثة، مع تتبع تاريخي لنشأة هذه النظريات، يعضُد هذا المنهج الأول منهج ثان هو المنهج الوصفي الذي يسهل الوقوف على الأشكال الخطابية السياسية في كتاب "الإمامة و السياسة" و تصنيفها حسب طبيعتها، فضلا عن وصف الظواهر الحجاجية الكامنة في بنية الخطاب السياسي.

و حتى تُجلِّي الدراسة طرائق اشتغال الحجاج و تُظهِر وجوه استعماله في الخطاب السياسي،توجّب الاستفادة من منهج آخر هو المنهج اللساني التداولي بوصفه أنجع أداة إجرائية في مقاربة الخطاب الحجاجي السياسي، ذلك أنه يكشف عن جوانب مقام الخطاب، مما يسمح بالكشف عن المعنى الحجاجي الموجود بالقوة في المقتضيات و الأقوال المضمرة، و من ثم إبراز مقاصد المتكلم و أثرها في متلقي الخطاب.

فضلا على أن هذا المنهج يسمح برصد الأفعال الكلامية في الخطاب السياسي و إبراز الذوات المتكلمة و علاقتها بمتلقي الخطاب، و يكشف عن الوظيفة الحجاجية في بنية الجملة ذاتها.

كما قد تم استثمار ما قدمته النظريات الحجاجية الحديثة من مفاهيم و مصطلحات في التحليل، مما أعان على إبراز القيمة الحجاجية للخطاب السياسي.

إن مبتغى هذه الدراسة هو الكشف عن المعنى الحجاجي، و من ثم فهي تسعى إلى تحقيق مجموعة من الأهداف أبرزها:

- الكشف عن الآليات اللغوية و البلاغية الحجاجية التي تحكم بناء الخطاب السياسي في كتاب "الإمامة و السياسة" .
- محاولة صوغ نموذج للخطاب الحجاجي السياسي في التراث العربي، خاصة و أنه قد صوّر تصارع الأنظمة السياسية و التنافس على السلطة و حوى الكثير من نماذج الخطاب في المجال السياسي.
- التعريف بأهم النظريات الحجاجية الحديثة التي اهتمت بالكيفية التي يشتغل بها الخطاب الحجاجي في مجالات ثلاثة: المنطق، البلاغة، اللسانيات، مع إقصاء للكتابات التعليمية التي تنحو منحى ديداكتيكيا لكونها لا تشتغل بالكيفية التي يتبنين بها الخطاب الحجاجي.
- لفت الانتباه إلى جذور الدرس الحجاجي في التراث العربي، خاصة في البلاغة التقليدية، و التأكيد على أن الثقافة العربية الإسلامية قد قاربت الظواهر الحجاجية في تمظهراتها اللغوية و غير اللغوية، و انشغلت بكل الوسائل المؤدية إلى الإقناع و التأثير حتى عن طريق الغلط و التمويه.
- التعريف بأهم رواد الدرس الحجاجي العربي المعاصر، و التأكيد على أن هذا المبحث قد نال من الاهتمام في بلاد المغرب العربي ما لم يلقه في المشرق العربي.

و لتحقيق الأهداف المرجوة من البحث، تم تقسيمه إلى بابين اثنين يتفاوتان نسبيا في الطول؛ إلا أنهما يتكاملان فيما بينهما ليؤسسا رؤية خاصة حول موضوع الحجاج، أرجو أن تكون واضحة مفيدة، يسبقهما (البابين) مقدمة و مدخل و تتلوهما خاتمة.

فأما المدخل فهو حيز لمجموعة من المفاهيم ذات علاقة وطيدة بالبحث، و التي تهيء القارئ إلى الولوج إلى الدراسة، إذ تمده ببعض المعطيات النظرية الأساسية كالتعريف بمصطلح الخطاب عموما و الخطاب السياسي على الخصوص، و الدلالة اللغوية و الاصطلاحية لمصطلح الحجاج في المعاجم اللغوية و الفلسفية، و بيان لأهمية التحليل اللساني التداولي للخطاب الحجاجي السياسي في كتاب "الإمامة و السياسة"، فضلا عن تقديم قراءة لهذا الأخير بوصفه مدونة الدراسة.

أما الباب الأول فتناول ملامح الحجاج في التراثين الغربي و العربي و أهم النظريات الحجاجية الحديثة، و ذلك في ستة فصول تفصيلها في الآتي:

الفصل الأول: يبحث عن الحجاج في الفكر اليوناني القديم، باعتبار الفترة اليونانية تمثل من الزاوية التاريخية جذور هذا المبحث، و ذلك في خمسة مباحث هي على التوالي:الجدل عند زينون الإيلي، الجدل و الخطابة عند السفسطائيين، آليات الحجاج عند سقراط، الخطابة و الجدل عند أفلاطون، و الدرس الحجاجي الأرسطي.
ويقف المبحث الأخير بشيء من التأني عند الفيلسوف أرسطو لأنه تناول الكثير من الظواهر المرتبطة بالممارسة الحجاجية بدرجة عالية من الدقة والشمول، و يظهر ذلك واضحا في الأجزاء المتعلقة بالتدليل اللاصوري من مدونته المنطقية الأورغانون.

الفصل الثاني: تناول الحجاج في الثقافة العربية الإسلامية التي عرفت ازدهارا كبيرا للدرس الحجاجي في سياق انفتاحها على الثقافة اليونانية بدءا من القرن الثامن و التاسع الميلادي، حيث ترجمت كتب أرسطو في هذا الباب (الجدل والخطابة والسفسطة) وشرحت شروحا وافية من طرف المناطقة والفلاسفة المسلمين، مما ساهم في شيوع الأساليب الحجاجية في المدارس الإسلامية بمختلف توجهاتها واختصاصاتها، كعلم التفسير و علوم القرآن و علم الكلام و أصول الفقه و الفلسفة .
و إن كانت العلوم المذكورة أعلاه تنظر إلى الحجاج على أنه مرادف للجدل و أن غايته هي التأثير العقلي المجرد، فإن البلاغة العربية قد استفادت من الخطابة الأرسطية و تناولت أهم الوسائل اللغوية و غير اللغوية التي تعمل على استمالة متلقي الخطاب و التأثير فيه، و إثارة عواطفه و انفعالاته.
فجاء الفصل في قسمين هما: الحجاج الجدلي، و الحجاج في البلاغة العربية القديمة؛ فأما الأول فتناول حد الحجاج من خلال العلوم التالية: علم التفسير، علوم القرآن، أصول الفقه، الفلسفة و علم الكلام.
و أما الثاني فتناول أهم الآليات التي اهتمت بها البلاغة العربية باعتبارها وسائل إجرائية تؤدي إلى التأثير و الاستمالة و الإقناع، و حددته المباحث الآتية: البلاغة العربية، مفومها و وظيفتها، نصوص البلاغة العربية، منتج الخطاب و دوره في بناء الخطاب الحجاجي، المقومات النصية و دورها في إنتاج الخطاب الحجاجي، المخاطب و دوره في إنتاج الخطاب الحجاجي، و المقام و دوره في إنتاج الخطاب الحجاجي.

و يكشف الفصل الثالث عن الحجاج في الدرس البلاغي الغربي المعاصر، باعتباره أهم حقل معرفي تناول الحجاج من زاوية بلاغية، و وجدت من الضروري أن أقدمه في شقين هما : نظرية الخطابة الجديدة لـــ"شايم بيرلمان" و نظرية المساءلة لـــ"ميشال مايير"، باعتبارهما يمثلان أوّج مـــا أنتجت المدرسة البلجيكية و أهم نظريتين حجاجيتين قاربتا الحجاج بلاغيا.
تناول الشق الأول نظرية الخطابة الجديدة باعتبارها إحياء و بعثا للدرس الحجاجي من جديـــد في العالم الغربي؛ خاصة بعد أن عرف (الحجاج) خفوتا و عانى حالة من الركود على امتداد خمـــس عشرة قرنا، ويُفصِّل في محاولة "بيرلمان" في جعل النظرية البلاغية أداة لتفسير و تحليل الظـــواهر الفكرية و الفلسفية و القانونية بالخصوص، و من ثم إخراجه الحجاج من الدائرة الضـــيقة الـــتي حصرته فيها الدراسات التقليدية. و يكشف أن الحجاج ممارسة ذاتية اجتماعية، و أنـــه يتحـــرك داخل بنية حوارية، يتعدد فيها المخاطَب كميا و يتنوع كيفيا. و أنه قائم أساسا علـــى طـــريقتين حجاجيتين هما الوصل و الفصل.
و يتناول الشق الثاني نظرية المساءلة، حيث يقف عنـــد مفهـــوم الحجـــاج في هـــذه النظريـــة و علاقته بالبلاغة، و من ثم يعرض لآراء الفيلسوف البلجيكي "ميشال مايير" الذي انطلق مـــن الحقل الفلسفي الإبستيمولوجي في دراسته للحجاج، فضلا عن أفكار نظرية برلمان.

أما الفصل الرابع فيقارب الحجاج منطقيا، حيث يعرض لنظريتين مهمتين هما: نموذج المقطع الحجاجي لـــ "تولمين" و نظرية المنطق الطبيعي لـــ"جون بليز غريز". و هما نظريتان حاولتا تحقيق الهدف نفسه ، بإعطاء الحجاج سمة عقلانية، و إكسابه مظهرا منطقيا، لكنهما اختلفتا في الرؤيـــة و المرجعية.

و يتناول الفصل الخامس نظرية "الحجاج في اللغة" لـــ "أوزفالد ديكرو" التي تعتبر الحجاج ظاهرة لسانية تخضع للوصف الدلالي بالتركيز على المحتوى، و تربط التداولي بالبنيـــة التركيبيـــة مباشرة . و يُفصِّل هذا الفصل في المقاربة اللِّسانية للحجاج، بوقوفه عند الجهاز المفاهيمي لكل من التداولية المدمجة و نظرية "الحجاج في اللغة"، و يعرض بشيء من التفصيل لنظريـــة الســـلم الحجاجي و الروابط و العوامل و المواضع الحجاجية.

و أما الفصل السادس و الأخير من هذا الباب، فيُحاول أن يكشف عن الحجاج في الفكر العربي المعاصر من خلال عرض لأهم ما قدَّمه الباحثون العرب في هذا المجال من دراسات تنظيرية و أخرى تطبيقية، و رأيت أن أصنفهم حسب مقاربتهم لهذا المبحث، و أن أختار منهم ما يمثـــل

اتجاها واضح المعالم. و اعتمدت في هذا على مؤلفات أصحابها أنفسهم ، فجاء في مقدمة هؤلاء الدكتور طه عبد الرحمن و الدكتور محمد العمري و الدكتور أبو بكر العزاوي ، و وحدة البحث التونسي في تحليل الخطاب.

و يأتي الباب الثاني ؛ ليبين أهمية الدراسة اللسانية التداولية في مقاربتها للخطاب الحجاجي السياسي في كتاب "الإمامة و السياسة" و ليستثمر أهم النظريات الحجاجية في التحليل، و ليكشف عن أهم الآليات اللغوية و البلاغية المعتمدة في الإقناع و الاستمالة و التأثير.
و يحتوي هذا الباب على خمسة فصول موسومة كما يلي : البناء الاستدلالي لأشكال الخطاب السياسي، الموجهات الحجاجية في الخطاب السياسي، المقتضى و وظيفته الحجاجي في الخطاب السياسي، القول المضمر و وظيفته الحجاجية في الخطاب السياسي و الحجاج المغالط و أساليبه في الخطاب السياسي.

فأما الفصل الأول فتناول آليات الاستدلال الحجاجي في الخطاب السياسي من خلال تمظهراته في المدونة، و أقصد بذلك الخطابة السياسية، الحوار السياسي، الرسالة السياسية، و الوثيقة السياسية، و يكشف عن بنية الفعل الحجاجي، و أهم الحجج المعتمدة في الإقناع و التأثير.

و أما الفصل الثاني فتناول أهم الموجهات الحجاجية في الخطاب السياسي، و التي اعتمدها المخاطِب السياسي قصد توجيه المتلقي إلى فعل عمل ما أو تركه، أو الإذعان لفكرة معينة. و تحددت في الموجهات اليقينية ممثلة في القسم و القصر و أفعال اليقين، و الموجهات الشكية أو التقريبية ممثلة في الموجهين الشكيين "زعم، ظن"، و الموجه التقريبي "لعل".

و يبرز الفصل الثالث و الرابع أهمية الضمني المعطى في المقتضيات و الأقوال المضمرة في صنع بعد الخطاب الحجاجي، و تتجلى الوظيفة الحجاجية للمقتضى من خلال المستوى المعجمي و التركيب الاستفهامي للخطاب السياسي ، في حين تتجلى وظيفة القول المضمر الحجاجية من خلال المجاز و البلاغات غير اللفظية ممثلة في الحركات الجسمية و الإشاريات.

و أما الفصل الخامس فكشف عن الأساليب الحجاجية التي اعتمدها المخاطِب السياسي قصد التضليل و التمويه؛ لأجل الوصول إلى النتيجة المتوخاة، و قبل هذا وقف عند التعريف بالحجاج المغالط و مواضعه و جذوره في التراث العربي.

و أما الخاتمة فهي خلاصة جامعة لأهم نتائج الفصول النظرية و التطبيقية.

هذا هو موضوع و منهج الدراسة موجزا و ملخصا، و أما تفصيل كل ذلك و تعميقه فسوف يأتي في تضاعيف البحث و في ثنايا مدخله و بابيه.

و إن كانت هذه الدراسة قد حاولت أن تظفر بمكانة في الدراسات التطبيقية في مجال الحجاج السياسي في التراث العربي، فإنها تنوِّه بالدراسات السابقة في مجال الحجاج عموما و تعترف بما وفرته لها من معلومات و بما أظهرته من طرائق في التحليل الحجاجي. أذكر على سبيل المثال لا الحصر الأعمال الجادة : "**الحجاج في القرآن**" لعبد الله صولة، و "**الخطاب و الحجاج**" لأبي بكر العزاوي، و " **في بلاغة الخطاب الإقناعي**" لمحمد العمري.

كما تشيد الدراسة بما أمدته لها الكتب: «" أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم" لفريق البحث التونسي ، و "في أصول الحوار و تجديد علم الكلام" لطه عبد الرحمن و "اللغة و الحجاج" لأبي بكر العزاوي، و "النظرية الحجاجية" لمحمد طروس » من أسس نظرية و مفاهيم و مصطلحات تتعلق بالدرس الحجاجي في مجالاته الثلاثة: (المنطق و البلاغة و الحجاج)، مما سمح لي من وضع الباب الأول من الدراسة.

و قد تناولت الدراسة لثلة من هذه الكتب بالوصف و المناقشة في الفصل السادس من الباب الأول.

كما استفادت الدراسة من الأبحاث المنشورة في مجلة "فكر و نقد" المغربية خاصة العدد الواحد و الستين منها الخاص بموضوع الحجاج، و دراسات الدكتور "رشيد الراضي" أذكر العدد الأول من المجلد الرابع و الثلاثين و العدد الرابع من المجلد السادس و الثلاثين من مجلة عالم الفكر.حيث فصَّل في المقال الأول في المقاربة اللسانية للحجاج و وضَّح بالأمثلة أهم المفاهيم التي قامت عليها نظرية "الحجاج في اللغة"، و بحث في المقال الثاني في السفسطات في المنطقيات المعاصرة، مركزا على نموذج التوجه التداولي الجدلي.

لم يهتم الباحثون و الدارسون العرب كثيرا بالخطاب السياسي في التراث العربي، بل اتجهوا إلى الخطاب السياسي المعاصر درسا و تحليلا ، فكانت الدراسات الآتية: دراسة الدكتور "محمود عكاشة" للغة الخطاب السياسي في مصر من خلال خطابات الرئيسين جمال عبد الناصر و أنـور السادات، دراسة لغوية في ضوء نظرية الاتصال، حيث قام المؤلف بتحليل الخطاب السياسـي في ضوء اللسانيات المعاصرة، جاعلا من اللغة هدفه الأساس. و دراسة الدكتور "بشير إبريـر" مـن جامعة عنابة (الجزائر) لسمات التداول في الخطاب السياسي، خطاب الرئيس بوتفليقة بمناسـبة جائزة البابطين الثقافية نموذجا، حيث تناول مفهوم الخطاب السياسي باعتبـاره إنتاجـا لغويـا و فكريا أساسيا في المجتمع، و بحث في سمات التداول الكامنة في خطاب الرئيس بوتفليقـة مـن حيث شكله و محتواه و الأطراف المشاركة فيه . و دراسة الدكتور "عبـد الـرحمن شحشـي" الموسومة " قراءة في الخطاب عند الحسن الثاني، تحليل آليـات الاشـتغال في الحقلـين الـديني و السياسي"؛ و قد قام الباحث بتحليل الآليات التي تختفي وراءها السلطة و تحـاول بوسـاطتها الاستحواذ على النص باعتباره الخطاب الأكثر رواجا و الأقل إلزامية ، معتمدا في ذلك على منهج موضوعاتي .

و لإن شكلت المراجع المتعلقة بالدرس الحجاجي أهم لبنة في بناء هذه الدراسة، فإنها قـد استفادت من الكتب و الدراسات التي اهتمت بالنظم الإسلامية، و عالجت موضـوع الفتنـة الكبرى، يأتي في مقدمة هذه الكتب كتاب " المؤرخون العرب و الفتنة الكبرى (القـرن الأول و القرن الرابع الهجري)، دراسة تاريخية منهجية" للدكتور عدنان محمد مِلحِم، و هي دراسة ألقت الضوء على قيمة المصادر التاريخية الأولى في فترة هامة من التاريخ الإسلامي، و أوضحت صورة الفتنة و مفهومها عند المؤرخين الأربعة البلاذري، اليعقـوبي، الطـبري، و صـاحب الإمامـة و السياسة، و أبرزت موقف هذا الأخير منها .

فضلا عن كتاب "الفتنة الكبرى" لطه حسين ، و "التاريخ الإسلامي ، تاريخ الخلافة الراشـدة" لنجيب بن خيرة، و "تطور الفكر السياسي عند أهل السنة، فترة التكون من بدايته حتى الثلـث الأول من القرن الرابع الهجري" لخير الدين يوجه سوي،و غيرها.

هذا، و لقد و اجهت الدراسة مجموعة من الصعوبات أذكر منها:

- حداثة الدرس الحجاجي في العالم العربي ، و قلة المراجع المختصـة بـه باللغـة العربيـة وندرة الأساتذة المختصين في هذا المجال.

- بلاغة لغة المدونة و جزالتها، وغموض معظم المفردات و التراكيب، مما جعل الاستعانة بالمعاجم العربية اللغوية أمرا محتوما للوصول إلى المعنى المراد.
- اختلاف المصطلحات الخاصة بالدرس الحجاجي و المنهج التداولي من باحث لآخر.
- تداخل الحجاج مع علوم معرفية عدة ، منها التاريخي و السياسي و الاجتماعي و الفلسفي و النفسي و الإعلامي و التجاري و الاقتصادي و الديداكتيكي فضلا عن اللساني، مما أدى إلى تعدد الدلالات و الاستعمالات التي تتباين تباين كل هذه الأطر النظرية و المجالات المعرفية .
- حساسية التعامل مع أحداث الفتنة الكبرى، و هي مرحلة من التاريخ الإسلامي أضفى عليها البعض لونا من القداسة، مما جعل الباحثين يتهيبون النقد الصريح لشخصياتها و يحذرون البحث في تحقيق حوادثها و بيان أسبابها و عللها؛ لأنها تتناول في أكثر جوانبها سيرة رجال تخرجوا في مدرسة النبوة و نالوا شرف الصحبة لرسول الله صلى الله عليه و سلم، و جاهدوا بأموالهم و أنفسهم في سبيل إقامة دولة الإسلام.

و مع كل ذلك، فإنني آمل أنني قد حققت بعض ما كنت أصبو إليه، خاصة و أنني ارتدت فضاء جديدا، و أتمنى أن يكون في عملي بعض النفع و الإفادة. و أعتذر عما ورد فيه من هفوات نتيجة قصور علم أو ضعف معرفة. و حسبي أني اجتهدت.

و أخيرا فإن الدراسة فخورة بالمشرف عليها الأستاذ الدكتور السعيد هادف الذي كان وراء كل كلمة صائبة فيها، و الذي تابعها حتى استوت على سوقها، شكورة له على مدِّه يد العون لصاحبتها في مواقع لا تأمن من الزلل.

مدخل

1.الخطاب مفهومه و أنواعه

احتلف الدارسون و النقاد و المتخصصون في وضع تعريف محدد للخطاب كما اختلفوا في تحديد أنواعه، و يرجع ذلك إلى صعوبة هذه العملية و هو دليل على ما في اللغة من تعقيد و تداخل بين مختلف ظواهرها، فضلا على تعدد الوحدات الوظيفية، إذ تتراوح بين السرد و الوصف و الشرح و الاستدلال فهي في معظم الأحيان لا تخضع لانسجام تام.

1.1المفهوم اللغوي للخطاب Discours

يقابل الخطاب في الثقافة الغربية اللفظ الفرنسي "Discours" المأخوذ من أصل لاتـــيني و هو الاسم "Discursus" المشتق من الفعل "Dscurrere" الذي يعني الجري هنا و هناك أو الجري ذهابا و إيابا ،وهو فعل يتضمن معنى التدافع الذي يقترن بـــالتلفظ العفـــوي و إرســـال الكلام، و المحادثة الحرة و الارتحال[1].

أما في الثقافة العربية فإن "الخطابَ" مشتق من الفعل خطَب"، جاء في لســـان العـــرب لابن منظور في مادة (خطب) :«... و الخطاب و المخاطبة: مراجعة الكلام، و قد خاطبه بالكلام مخاطبة و خطابا و هما يتخاطبان... و المخاطبة مفاعلة من الخطاب و المشاورة »[2]، و في العين الخطاب « مراجعة الكلام»[3] .

إن الخطاب في اللغة العربية يعني المكالمة أو الحديث أو اللغة المستعملة بين اثنين أي لغـــة التفاعل، فهو بذلك نشاط تواصلي يتم من جانب واحد و هو المرسل نحو طرف آخر هو المرسل إليه.

و جاء في المعجم العربي الأساسي: «الخطاب كلام يوجه إلى الجماهير في مناســـبة مـــن المناسبات، و مثّل لذلك بخطاب العرش في الدولة الملكية ، و الخطاب الجمهوري أو الرئاســـي في الدول الجمهورية»[4]

---

[1] ينظر عبد الرحمن حجازي، الخطاب السياسي، دراسة أسلوبية، المجلس الأعلى للثقافة ، القـــاهرة ، ط1، 2005، ص19.

[2] ابن منظور،لسان العرب المحيط، إعداد و تصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، دط، دت، مادة (خطب) .

[3] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001، ص252 .

[4] المعجم العربي الأساسي للناطقين باللغة العربية و متعلميها، إعداد مجموعة من كبار العلماء اللغويين العرب، بتكليف من المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، ص 404.

إن مفهوم الخطاب في اللغتين العربية و الأجنبية يقوم على أساس التلفظ ، و يعني الكـــلام أو الحديث أو اللغة المستعملة بين الطرفين أي لغة التفاعل.

2.1 المفهوم الاصطلاحي للخطاب

1.2.1 المفهوم الاصطلاحي للخطاب عند القدماء

لقد نال مصطلح الخطاب اهتماما كبيرا في الثقافة الغربية ، و أول محاولة جادة تهدف إلى ضبط حدود المفهوم الفلسفي للخطاب ، و شحنه بدلالته الخاصة ترجع إلى أفلاطون ، و ذلـــك استنادا إلى قواعد عقلية محددة الجذر "لوغوس" ، الأمر الذي يمكن معه القول بأن تلك المحاولـــة الأولى كانت بادرة إلى بلورة ملامح الخطاب الفلسفي الحقيقي في الثقافة اليونانية[1].

أما في الثقافة العربية، فقد اهتم كل من علماء اللغة و البلاغة و الفقه و التفسير العـــرب بتقديم مفهوم للخطاب، نظرا لاهتمامهم بدراسة الخطاب القـــرآني، و اختلـــف هـــذا المفهـــوم باختلاف مجال الدراسة.

فأما "ابن جني" في كتابه الخصائص، فيقدم مفهوما للكلام يحيل إلى مفهوم الخطـــاب، إذ يعرف الكلام بأنه «كل لفظ مستقل بنفسه ، مفيد لمعناه »[2] و يضيف في موضع آخر بأنـــه « الجمل المستقلة بأنفسها الغانية عن غيرها»[3].

و هذا يعني أن دلالة الكلام ترتبط بنظم الألفاظ التي ركبت فيما بينها وفق سياق معين ، و الذي استوفى المعنى المراد، فاستغنت بنفسها دلاليا عن غيرها لأنها انطوت على شبكة دلالية خاصة و تامة .

أما الأصوليون فيدل لفظ الخطاب في عرفهم على ما خوطب به و هو الكلام، وقد عرّف الآمدي الخطاب مراعيا فيه خصوصية قصد الإفهام بقوله: « إنه اللفظ المتواضع عليه ، المقصـــود به إفهام من هو متهيئ لفهمه »[4].

و يرى إدريس حمادي أن هذا التعريف يبين بأن الحركات و الإشارات المفهمـــة ليســـت مـــن الخطاب لأنها غير متواضع عليها ، كما أن الكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع ، أو الكـــلام

---

[1] ينظر عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة، تداخل الأنســـاق و المفـــاهيم و رهانـــات العولمة،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، ط1، 1999 ص103.

[2] ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي،لبنان، ج1، دط، 2000، ص17.

[3] المرجع نفسه، ص 19.

[4] الأحكام في أصول الأحكام،دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1980، ج1، ص136.

الذي يوجه لمن ليس متهيئا للفهم كالنائم و نحوه ليس كذلك من الخطاب، إذ أن المتكلم له قصديتان من الخطاب، قصدية السامع الذي يتلقى خطابه و قصدية المعنى الخاص الذي يقصده بكلامه[1].

أما علماء التفسير[2] فقد اهتموا بشرح مفردة الخطاب التي وردت في القرآن الكريم بصيغ مختلفة، و التي جاءت أحيانا بصيغة الفعل في قوله تعالى ﴿و إذا خَاطَبَهُم الجَاهِلُون قالُوا سَلاما﴾[3] و قوله جل شأنه ﴿و لا تخَاطِبني في الذين ظَلمُوا إنهُم مُغرقُون ﴾[4]، و جاءت أحيانا بصيغة الاسم في قوله تعالى: ﴿رب السَموات و الأرْضِ و ما بينهُما الرحمنُ لا يمْلكُون مِنه خطابا﴾[5] و قوله تعالى ﴿و شَددْنا ملكه و آتيناه الحِكمة و فَصْل الخطَاب﴾[6] ،و قوله تعالى أيضا ﴿ إن هذا أخي له تِسع و تسْعون نَعجَة و لي نعجةٌ واحدة فقال إكفِلنيها وَ عزَّني في الخِطاب﴾[7] .

و يقسر الزمخشري "فصل الخطاب" بقوله « البين من الكلام ... الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه ، وأردت بفصل الخطاب: الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح و الفاسد ، و الحق و الباطل ، و الصواب و الخطأ ...و يجوز أن يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل و لا إشباع ممل»[8] و فسر الطبري قوله تعالى "لاَ يَملِكُون مِنهُ خطابا" بمعنى « لا يقدر أحد من خلقه خطابه يوم القيامة إلا من أذن له منهم»[9].

---

[1] ينظر إدريس حمادي، المنهج الأصولي في فقه الخطاب، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء/ بيروت، ط1، 1998، ص 24.

[2] ينظر المنهج الأصولي في فقه الخطاب، ص18.

[3] الفرقان/25.

[4] المؤمنون/23.

[5] النبأ/78.

[6] ص/38.

[7] ص/23.

[8] الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق و غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي،لبنان، دط، 1947،ج4، ص77-80.

[9] الطبري، مختصر تفسير الطبري، ، ت مروان سوار، دار الفجر الإسلامي،دمشق، ط6، 1998، ص583.

2.2.1 المفهوم الاصطلاحي للخطاب عند المحدثين

مع مطلع عصر النهضة برز مصطلح الخطاب في كتاب ديكارت للدلالة على الخطاب الفلسفي[1] و سرعان ما أصبح هذا المصطلح في العصر الحديث يشكل موضوعا في الفكر الفلسفي الغربي و في اللسانيات الحديثة. وقد كان لتفريق "فرديناد دو سوسير" بين اللغة والكلام، دور في تحديد المصطلح، إذ أن اللغة تعد شيئًا اجتماعيًّا يمتلكه المجتمع بأسره، أما الخطاب فيعني بالنسبة إليه منجزًا فرديًّا، فاللغة وسيلة ممكنة بينما الخطاب يؤخذ على أنه أنشطة وممارسات فعلية اتصالية.

وقد خطا اللسانيون من بعد "دو سوسير" خطوات عديدة نحو تحديد المصطلح، إذ حاول كثير منهم تعريفه وضبط ماهيته، من خلال إبراز خصيصة من خصائصه و تقديم مفهوم له على أساس منها ، فعلى حين ركز "هاريس" على بنية الخطاب، التفت "بنفنست" إلى موقف التلقي وتأثير الخطاب يقول: « الخطاب كل ملفوظ يفترض متكلما و مستمعا و عند الأول نية التأثير على الآخر بأية حال »[2]، أما عن أهم هذه الخصائص فتتمثل في الآتي[3]:

- الخطاب وحدة لغوية أشمل من الجملة، فالخطاب تركيب من الجمل المنظومة طبقًا لنسق مخصوص من التأليف .
- الخطاب نظام من الملفوظات، والتأكيد على المظهر اللفظي للخطاب يتحدد أصلاً من اشتغال اللسانيين على الكلام بوصفه مظهرًا لفظيًّا خاصًا بالفرد وكونه أكثر المظاهر الإشارية تعبيرًا عن اللغة التي يعتمدون عليها بوصفها قاعدة معيارية عامة .
- مصدر الخطاب فردي، وهدفه الإفهام والتأثير، وهذه الخصيصة تقرر المصدر الفردي للخطاب، كونه نتاجًا يلفظه الفرد ويهدف من ورائه إلى إيصال رسالة واضحة المرمى ومؤثرة في المتلقي .

---

[1] ينظر الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة ، ص103.

[2] Emile Benveniste,problèmes de linguistique générale. Editions Galimard.1996.p246.

[3] ينظر رجب رمضان السيد عبد الوهاب، الخطاب السياسي الغربي مفهومه و سماته، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، القاهرة، 2007.

http://www.ikwan.online.com/article.asp?arlld:3162085 Ecid=344

- متلقي الخطاب لا بد أن يستشف المقصد الذي ينطوي عليه، وأن يتمثل الرسالة الدلالية التي تكمن فيه، وذلك لكي تكتمل دائرة الاتصال، وهنا لا بد أن تحضر أيضًا مكونات أخرى من عناصر نظرية الاتصال كالشفرة والسياق، لكي ينفذ قصد القائل إلى المتلقي .

3.1 أنواع الخطاب Genres de discours

يقصد بنوع الخطاب أساليب التبليغ /الاتصال المحددة تاريخيا و اجتماعيا ممثلة في الخبر العام، الافتتاحية، الاستشارة الطبية، الاستجواب البوليسي، الإعلانات الصغيرة، المحاضرة الجامعية، تقرير التدريب.

وإن كان ينظر إلى هذه الأنواع كنوع من الإطارات يدرج فيه محتوى مستقل عنها ، فإنه مع تأثير التيارات التداولية، أصبح ينظر إليها كنشاطات طقوسية ، لا يمكن أن تنتصب بشكل شرعي و أن تنجح إلا إذا خضعت للقواعد التي تشكلها[1].

و على هذا الأساس يقترن لفظ الخطاب بوصف آخر يحدده الموضوع و بذلك يمكن تصنيف الخطاب حسب الموضوع إلى: الخطاب الأدبي، الخطاب العلمي، الخطاب السياسي، الخطاب الاجتماعي، الخطاب الثقافي، الخطاب الإشهاري، الخطاب القضائي، الخطاب الديني، الخطاب العسكري، الخطاب الفلسفي،الخطاب الشرعي.

4.1 التشكيلة الخطابية Formation discursive

يستخدم مصطلح التشكيلة الخطابية للدلالة على مجموعة من الملفوظات المردودة على نظام واحد من القواعد المحددة اجتماعيا و تاريخيا، و يعرض هذا المصطلح فرضية مؤداها أن الجزء يكون نظاما و يحدد هوية بالنسبة لمجتمع ما و زمكان ما.

و يتصف مصطلح التشكيلة الخطابية بالمرونة ذلك أنه يجري الحديث عن تشكيلات خطابية بالنسبة للخطاب الشيوعي و بالنسبة لمجموع الخطابات الصادرة عن إدارة ما، و بالنسبة للملفوظات التي تنتمي لعلم معين ، وكذا بالنسبة لخطاب أرباب العمل و الفلاحين.

و يستعمل اليوم مصطلح " التشكيلة الخطابية" بالنسبة للتموقعات الإيديولوجية الموسومة[2] .

[1] ينظر دومينيك مونقانو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 2005 ،ص59-60.

[2] ينظر المرجع نفسه ، ص56-57.

2. الدلالة اللغوية و الاصطلاحية لمصطلح الحجاج

تسمح العودة للأصل المعجمي من القبض على الدلالات الأولى التي وهبتها اللغة لهذا المفهوم حتى استوى مصطلحا قائما بذاته.

ففي لسان العرب و تحت مادة (ح.ج.ج) نعثر على الكثير من المشتقات الفعلية و الاسمية التي تخفي استعمالات متنوعة لفعل (حاج) و الاسم (حجة) و هذه الاستعمالات المتنوعة تدل على تنوع السياق اللغوي الذي يعكس سياقات ثقافية أكثر تنوعا. و التي نحاول ضبطها فيما يلي:

- الحج: القصد.
- المحجة: الطريق و قيل جادة الطريق.
- الحُجة: الدليل و البرهان.
- الحُجة: ما دوفع به الخصم.
- الحُجة: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة و هو رجل مِحجاج أي جدل.
- التَّحاج: التخاصم.
- حاجّه و محاجة و حجاجا: نازعه الحجة.
- حجّه يحجه حجّا: غلبه على حجته[1].

تبين هذه التحديدات القاموسية أن لفظ الحجاج يحمل في مضمونه دلالة و معنى مستمدين مما يشكل سياقه أو شرطه التخاطبي ،والمتمثل في التخاصم و التنازع و الجدل و الغلبة كعمليات مأخوذة بمعانيها الفكرية و التواصلية[2] ، و تسمح هذه المعاني للدال (حجاج) من استنتاج أن العمل الحجاجي هو مجهود ذهني (الإقناع) يهدف إلى غاية عملية (الحمل) [3].

ويقابل هذه اللفظة في الفرنسية، لفظة "Argumentation" التي تدل على معاني متقاربة للتي في اللغة العربية حسب قاموس "روبير ":

ـــ القيام باستعمال الحجج.

ـــ مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة.

---

[1] ينظر لسان العرب، مادة (حجج).

[2] ينظر حبيب أعراب، الحجاج و الاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، عالم الفكر،الكويت، مجلد30، ع1، سبتمبر 2001، ص99.

[3] ينظر حسن محمد مرزوقي، مدخل إلى نظرية الحجاج ،التربية، البحرين، ع15، 2005، ص38.

- فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة[1].

ويتميز مبحث الحجاج بكثرة الحقول المعرفية التي تتناوله، كالفلسفة والمنطق واللسانيات ونظرية التواصل والقانون؛ وحديثا امتد الأمر إلى علم النفس وعلم الاجتماع وتخصصات أخرى كثيرة.لذا فإن الوظيفة المفهومية و المنهجية للحجاج لا تتحدد إلا في سياقها الخاص.

إن مفهوم الحجاج مفهوم عائم يصعب حصره، و الإحاطة و التعريف به، و مع هذا نحاول أن نلتمسه في بعض الموسوعات و المعاجم.

جاء في المعجم الفلسفي لجميل صليبا « الحجاج هو جملة من الحجج التي يؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله، أو هو طريقة تقديم الحجج و الاستفادة منها»[2]، تقارب هذه الدلالة موسوعة "لالاند" إذ تعرف الحجاج بأنه « طريقة عرض الحجج و ترتيبها»[3] ، أما الحجة فهي « استدلال يرمي إلى برهان قضية معينة أو دحضها»[4].

نستنتج من هذه التعاريف أن الحجاج فعالية لغوية اجتماعية وعقلانية غايتها إقناع المعترض العاقل بمقبولية رأي من الآراء، وذلك عبر تقديم جملة من القضايا المثبتة أو النافية لما ورد في هذا الرأي من قضايا[5].

3. الخطاب السياسي مفهومه وخصائصه

يعد مصطلح السياسة من المصطلحات التي اختلف في تحديد مفهومها نظرا لتعدد الآراء و وجهات النظر، كما اختلف في تحديد أصلها أعربية هي عربية أم معربة ؟ وقد ذكر المقريزي أنها ليست عربية ، و يرى البعض أنها عربية صحيحة بدليل ورودها في الحديث النبوي { كان بنو إسرائيل تسوسهم أنبياؤهم}[6] ،

---

[1] ينظر Le Grand Robert,Dictionnaire de la langue française,Paris,1989,p535

[2] جميل صليا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية و الإنجليزية و الاتينية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، دط، 1994، ج1، ص446.

[3] موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت/ باريس، المجلد الأولA-G ، ط2، 2001، ص93.

[4] المرجع نفسه، ص93.

[5] ينظر نظرية الحجاج ،الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، 2007، http://ar.wikipedia.org/wiki

[6] البخاري، صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، 1981 ،ج4،ص206 .

أي يتولون أمورهم بالرعاية و التربية[1].

و قد حدد علماء اللغة العربية كلمة سياسة بإرجاع أصلها إلى كلمة "السوس" بمعنى الرياسة و هو أيضا الطبع و الخلق و السجية ، و السياسة هي القيام بأمر الناس بمعنى يصلحه، و السياسة هي فعل السائس ، يقال هو يسوس الدواب ، إذا قام عليها و روضها ، و الوالي يسوس رعيته[2].

أما في الاصطلاح فحددت السياسة بأنها « فرع من العلم المدني يتناول أصول الحكم و تنظيم الدولة، و هي بالمعنى الأوسع : العلاقة بين الطبقات و بين الأمم و بين الدول، و نضال الطبقات في سبيل قيادة المجتمع ومن أجل تحقيق سلطة الدولة و إدارة نشاطها»[3] .

يبين المعنى اللغوي و الاصطلاحي للسياسة أن ممارسة هذه الأخيرة يقتضي شخصا أو مجموعة أشخاص مميزين، كما يتطلب وجود مجتمع محدد مستقر في موطن محدد، و تحقق هذه العناصر وجود الدولة.

فالسياسة تستدعي وجود تنظيم سياسي، و يستدعي هذا الأخير وجود دولة ذلك أن أهم ما يميز الدولة هو جهازها السياسي الذي يقوم بممارسة السلطة العليا العامة ، إذ يعمل على صياغة القوانين التشريعية و يعاقب من يخالفها، فضلا على تحديده للتنظيم السياسي الذي يهدف إلى إقامة حياة صالحة في المجتمع ، و يضع من القواعد ما يكفل لها الاستقرار و النظام و التقدم[4] .

و يمثل الجهاز السياسي للدولة السلطة التشريعية و السلطة التنفيذية ، و اللتان يقوم على إدارتهما رجال مختصون في علم السياسة .

و يقابل التنظيم السياسي للدولة تنظيمات سياسية أخرى تمثلها الأحزاب و الهيئات السياسية.

يُنـتِجُ كلا من الجهاز السياسي للدولة و التنظيمات السياسية خطابا نوعيا و شديد الخصوصية يعرف بالخطاب السياسي.

---

[1] الصاوي الصاوي أحمد ، الخطاب السياسي عند ابن رشد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 2005، ص11-12

[2] ينظر لسان العرب، مادة (س وس) .

[3] علاء حمروش، تاريخ الفلسفة السياسية، دار التعاون للطبع ، القاهرة، ، دط، 1986، ص13-14.

[4] ينظر محمد توفيق رمزي، علم السياسة، مقدمة في أصول الحكم، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، ط2، 1957، ص17.

1.3 مفهوم الخطاب السياسي

يقصد بالخطاب السياسي ذلك الشكل الخاص و المتميز من التواصل الموجه لأجل إقناع المتلقي و تعديل سلوكه بصدد موضوعات تهم الدولة و توجهاتها الداخلية و الخارجية ، و يستمد تميزه من شخصية مرسله و المقام الذي يتم فيه فضلا عن بنيته اللغوية و ما تتضمن من دلالات و أفكار و أساليب بلاغية ، هدفها إقناع المتلقي[1].

أما وظيفته فهي حمل رسالة و نشر أيديولوجية، أو التحريك من أجل فعل، و من ثم تأكيد هوية السياسي من أجل تسهيل انخراط المتلقي.

و ينقسم الخطاب السياسي إلى خطاب السلطة الحاكمة و خطاب المعارضة السياسية، فأما خطاب السلطة الحاكمة فهو الخطاب المنتَج من طرف الجهاز السياسي للدولة عن قصد، يرسله ملك أو سلطان أو أمير أو رئيس أو وزير إلى متلق مقصود ، بغية التأثير فيه وإقناعه بمضمون الخطاب و يتضمن هذا المضمون أفكارا سياسية ، أو يكون موضوع الخطاب سياسيا[2].

و أما خطاب المعارضة فيمثله خطاب التنظيمات و الهيئات السياسية، التي يؤطرها أفراد يتقاسمون إيديولوجية واحدة، و من أهم خصائصها استمرارية التنظيم و الرغبة في ممارسة السلطة و البحث عن مساندة شعبية ، أما أهم وظائفها فهي تأطير و توجيه الرأي العام و انتقاء المنتخبين و تأطيرهم، علاوة على وظائف المراقبة و التوجيه للأجهزة الحزبية الفرعية و تحديد المواقف السياسية، و ترتبط الوظائف السالفة الذكر بنوعية البيئة التي يعمل فيها الحزب، و التي أهمها الثقافة السياسية السائدة لدى المناضلين و عامة أفراد المجتمع، و مدى استيعابهم لقواعد اللعبة السياسية التي تتأثر بالإيديولوجية الحزبية و الدستور و نظام الانتخابات، ويضاف إلى ذلك البيئة الثقافية في المجتمع و نوعية البنيات الاقتصادية و الاجتماعية[3].

2.3 خصائص الخطاب السياسي

يبنى الخطاب السياسي على الحجاج باعتباره جنسا من أجناس التواصل يتميز بطبيعة المبادىء التي تحكمه و البنيات التي تحدد القضايا التداولية التي تعطيه هويته كقيمة تواصلية

---

[1] ينظر محمد الولي، الموضوعات الحجاجية الكبرى في المغرب،مجلة علامات، المغرب، ع19، 2004، ص124 .

[2] ينظر، محمود عكاشة،لغة الخطاب السياسي،دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2005 ص45

[3] ينظر محمد الأسعد، التنظيمات السياسية و مسألة التواصل السياسي للانتخابات، فكر و نقد، المغرب، يناير 2002، ع45 . .http://www.aljabriabed.net/fikrwanakd/n45_04asaad.htm

اجتماعية[1] . و يحمل الخطاب السياسي رسالة ، وينشر أيديولوحية مهما كانت صراحتها، ويحرك نحو الفعل مباشرة أو تمهيدا.

و يصيب الحجاج كثيرا من المستويات اللغوية للخطاب السياسي مثل المعجم و التراكيب، ذلك أنه يصطنع الحجج البلاغية و الجدلية حتى يستهدف الإقناع و الاستقطاب و التأثير و استفزاز الخيال.

و الخطاب السياسي ليس إلا ردا مسبقا و قبليا عن الاعتراضات التي يمكن أن يواجه بها ذلك الخطاب، ذلك أنه لا خطاب سياسي دون عرض حجاجي، و أن المضمون لا قيمة له داخل نسق سياسي إلا إذا كان عليه برهان[2].

4. تمظهرات الخطاب السياسي في كتاب "الإمامة و السياسة"

1.4 قراءة في المدونة

يمثل المصدر – مدونة الدراسة- كتاب "الإمامة و السياسة" للعالم الفاضل عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، من أشهر الكتب تداولا بين قراء العربية ، بل من أهم الكتب التراثية و الكتب السنية المتقدمة التي تعرض قضايا السياسة و الحكم الإسلامي ، و ترجع أهميته كذلك لما حواه من تاريخ حقبة من أحفل حقب الإسلام بالأحداث الجسام التي دل تصرف المسلمين فيها على عقل راجح و قدم راسخ في السياسة و تدبير شؤون الملك و العمل على جمع الشمل و إبعاد الفرقة عن الأمة الإسلامية، و بيَّن فيه تاريخ المسلمين الأولين و فيهم الصحابة و خيار التابعين ، و فيهم الخلفاء الراشدون، و من بعدهم من ملوك المسلمين.

إن الحقبة التي تناولها ابن قتيبة بيَّن فيها أيضا كيف عرف المسلمون العزة ونعموا بالسعادة، وأقاموا صروح العدالة ، و قوضوا قوائم الظلم ، و طمسوا معالم الكفرة، وأوقدوا مشاعل الإيمان همة يتقاعس عن دركها الزمن، و عزيمة لا ينال منها الوهن[3] .

أما ظهور الكتاب فقد كان في القرن الثالث الهجري و هو الأرجح، و هو بذلك قد ظهر في ظروف بالغة الأهمية من الناحية الثقافية و العقدية و بالغة الدقة من الناحية السياسية، إنه عصر

---

[1] ينظر عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، دط، 2006، ص60

[2] ينظر رويض محمد، حول مفهوم الحجاج في الفلسفة، مقاربة فلسفية، لسانية، ديداكتيكية، فكر و نقد، المغرب، ع26، http://www.aljabriabed.net/fikrwanakd/n26_04rueyd.htm.

[3] ابن قتيبة ، الإمامة و السياسة، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2001،ج1، ص3.

التناقض كما يعرف ، فهو عصر المأمون و عصر المتوكل ، عصر المعتزلة و عصر السنة ، عصر الجاحظ و عصر ابن قتيبة .

أما الحقبة الزمنية التي استعرضها الكتاب فهي تمتد من خلافة أبي بكر و تتوقف عند خلافة هارون الرشيد ، وهي كلها خلافة شرعية بالمعنى السني الواسع ، ويهمل صاحب الكتاب خلافة المأمون و المعتصم و الواثق أي ما يزيد عن ثلاثين سنة من السلطة العباسية المعتزلية ، حتى انقلاب الخليفة المتوكل ، وهو العهد الذي بدأ فيه تأليف الكتاب على ما يبدو .

و لقد علل ابن قتيبة توقفه عند هذه الفترة بقوله «... و انتهينا إلى أيام الرشيد ، و وقفنا عند انقضاء دولته، إذ لم يكن في اقتصاص أخبار من بعده ، و نقل حديث ما دار على أيديهم ، وما كان في زمانهم كبير منفعة ، و لا عظيم فائدة ، و ذلك لما انقضى أمرهم ، و صار ملكهم إلى صبية أغمار ، غلب عليهم زنادقة العراق، فصرفوهم إلى كل جنون و أدخلوهم إلى الكفر ، فلم يكن لهم بالعلماء و السنن حاجة و اشتغلوا بلهوهم ، و استعفوا برأيهم» [1] و هو يعني "بزنادقة العراق" المعتزلة و بـ"الصبية الأغمار " المأمون و المعتصم و الواثق.

لقد استعرض "ابن قتيبة" في كتابه التطورات التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بمؤسسة الخلافة و الصراع حولها ، حيث تناول الفتن و الثورات التي جرت خلال تلك الفترة، فأبدى اهتماما بالسقيفة، و مقتل عثمان ، و معركة الجمل و صفين، و أظهر بيعة يزيد بن معاوية و المعارضين لها و تفاصيل الفتن التي اندلعت في نهاية الدولة الأموية ، و ظروف إعلان العباسيين لدولتهم ، و تحدث عن الأعمال التي قام بها الخلفاء العباسيون لتثبيت سلطتهم ، و القضاء على الثورات التي قامت ضدهم. و لم يبد اهتماما بالفتوحات باستثناء فتوح موسى بن نصير في المغرب و الأندلس و لم يذكر أي معلومات عن حياة الخلفاء ، أو أي إجراءات إدارية أو اقتصادية أو ثقافية أو اجتماعية تمت في فترات حكمهم.[2] فالخلافة و الصراع من أجلها هي المحور الرئيس للكتاب.

[1] الإمامة و السياسة، ص344.

[2] ينظر عدنان محمد بن ملحم، المؤرخون العرب و الفتنة الكبرى،القرن الأول ، القرن الرابع الهجري، دراسة تاريخية منهجية، دار الطليعة، لبنان، ط2، 2001، ص55.

2.4 أشكال الخطاب الحجاجي السياسي في المدونة

تعد مادة الكتاب سواء الخاصة بالفتنة الكبرى أو الخاصة بـالحكم الأموي و الحكم العباسي قطعا أدبية متكاملة ، ذات لغة متينة خالية من اللحن ، تنم عن حس أدبي واضح لا يمكن أن يكتبها أو يجمعها إلا شخص أديب أو له علاقة بالأدب ، كما يمكن اعتبار هذه المادة مخزنا لعدد كبير من الرسائل و الخطب و الحوارات و الوثائق السياسية التي وظفها المؤلف وسيلة ناجحة لاستعراض تطورات الخلافة و الصراع حولها[1].

إن الأشكال الخطابية المذكورة أعلاه (الخطابة ، الحوار ، الرسالة ،الوثيقة) في حقيقتها ليست إلا خطابا سياسيا، ذلك أنها تعكس وعي الفرد المسلم آنذاك بأهمية التعبير عن الإرادة السياسية في اختيار الحاكم و في مراقبته ، خاصة و أن « التعبير عن الإرادة السياسية من مقاصد الشريعة ، وأن غياب القيادة الرشيدة يدخل المسلمين في حرج و مشقة عظيمين وأن حسن اختيار الحاكم يرفع عنهم الغبن بكل مواصفاته و أن جودة المعارضة و النصيحة سبب في تقويم مظاهر التبذير»[2].

إن الخطاب السياسي في مرحلة الخلافة الراشدة يعكس ثراء دلاليا سياسيا ، و يمثل مرجعية دنيوية شعبية من خلال البيعة و الانتخاب ، كما يعكس أهمية الخلافة والولاية ، باعتبارهما من أعظم واجبات الدين و أنهما مما ينبغي أن يتقرب به إلى الله عن طريق الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و إقامة الشريعة.

و يعكس أيضا صيغا أخرى للمشاركة السياسية متمثلة في المعارضة؛ إن هذه الأخيرة هي وجه آخر للتعبير عن الإرادة السياسية خاصة و أن الاختلاف في الرأي و ما ينتج عنه من معارضة أمر مشروع لأنه يعبر عن سنة كونية من سنن الله في الوجود، فالسلطة في الإسلام ما هي إلا وسيلة أقرها الشرع الحكيم لتتولى تنفيذ أحكام الله و رعاية مصالح الناس عامة. فالاختيار والمعارضة و النصيحة وسائل متينة للتعبير عن الإرادة السياسية من لدن المسلم.

إلا أنه منذ إقبال الخلافة الراشدة عرف التاريخ الإسلامي نظاما كسرويا ممثلا للاستبداد السياسي الضارب بحرية التعبير عن الإرادة السياسية عرض الحائط،ذلك أن أتباع سياسة العنف و الإقناع بالسيف أدى في نهاية الأمر إلى انحسار خطاب المعارضة.

---

[1] ينظر المرجع نفسه، ص58.

[2] ينظر أحمد أولاد سعيد، التعبير عن الإرادة السياسية في النظام الإسلامي، الانتخابات أنموذجا ، أطروحة دكتوراه في الفقه و أصوله، قسم الشريعة، جامعة باتنة، 2008، ص15-16

و لقد تبلور الخطاب السياسي في كتاب" الإمامة و السياسة "في نوعين خطابيين هما: "خطاب السلطة" و "خطاب المعارضة" و انتظم في أشكال خطابية تعتمد آليات الحجاج لإثبات الحق في السلطة و الحكم ودحض الرأي الآخر ممثلا في رأي المعارضة.

و توفرت هذه الأشكال الخطابية على جميع وسائل الخطاب التبليغية وحققت الإمكانات الفكرية الكامنة فيه وفق مقتضيات المجال التداولي و هي بذلك أفادت حقيقة تداولية كبرى هي أنه لا كلام إلا بين اثنين و لو كان كلام المرء مع نفسه و لا اثنين إلا عارض و معترض ، و لا عارض إلا بدليل ، و لا معترض إلا لطلب الصواب و لا طلب للصواب إلا بجملة من القواعد[1].

5. أهمية التحليل اللساني التداولي للخطاب الحجاجي السياسي

لما كان الخطاب الحجاجي السياسي في الكتاب يخضع ظاهريا و باطنيا لقواعد شروط القول و التلقي، فإن المقاربة التداولية تعد أنجع وسيلة إجرائية لرصد الأفعال الكلامية التي لها سياق مشترك بين المتكلم و المستمع، و إبراز مكانة القصدية و التأثير و الفعالية ، و من ثم إبراز قيمة و مكانة أفعال الذوات المتخاطبة.

كما تسمح المقاربة التداولية بتوضيح السبل الحجاجية التي تجنح إلى الابتعاد عن الاستدلال البرهاني و المعتمدة في الإقناع و التأثير و الاستمالة.

أما التحليل اللساني التداولي فيسمح بالكشف عن الوظيفة الحجاجية في بنية الأقوال نفسها عبر جميع مستويات اللغة (الصرفية و المعجمية و التركيبية) باعتبار الخطاب الحجاجي السياسي نسقا لفظيا دلاليا استراتيجيا في التواصل ، من أهم خصائصه خاصية التأثير.

---

[1] ينظر طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت، ط2، 2000 ،ص93.

الباب الأول

الحجاج في الفكر القديم و النظريات الحديثة

الفصل الأول

الحجاج في الفكر اليوناني القديم

تمهيد

تعد الحضارة اليونانية من أهم الحضارات القديمة التي أولت اهتمامـــا بالغـــا بالمعرفـــة في جميـــع مجالاتها،فإليهم يرجع الفضل في تأسيس الفكر الحضاري الإنساني بمختلف مظاهره، إذ مـــن علـــومهم وآدابهم و فلسفتهم نهلت الحضارة العربية الإسلامية و خرجت أوروبا الحديثة من ظلام العصور الوسطى بعد أن أحيا علماؤها التراث اليوناني.

وتعد الدراسات اللغوية أحد المعارف اليونانية المنتجة، و هي تكشف عن فكر لساني ثاقب أدرك أهمية اللغة في بسط المعارف و الكشف عن البنيات الذهنية للناطقين بها، فضلا عن دورها في التواصـــل و التأثير، مما خلق اهتماما محوريا بهذه الوسيلة و البحث في جوانبها المختلفة.

لقد انشغل فلاسفة اليونان بنشأة اللغة وعلاقتها بالفكر ، بصفتها موضوعا مستقلا عن الممارســة إذ وصفوا بالتحليل بنيتها و نظمها و قواعدها، و ظهرت بحوثهم بشكل واضـــح في ميـــدان القواعـــد (التركيب) ذلك أن « النظريات و المقولات و المصطلحات التي ابتدعها العلماء القدماء ... فيما يتعلق بقواعد لغتهم قد أصبحت جزءا من الأدوات القواعدية [التركيبية] للغويين الوصفيين المعاصـــرين»[1]، فضلا عن الدراسات الصوتية (الفونيتكية) و المورفولوجية، و الدلالية، فكشفوا بـــذلك عـــن الاتجـــاه البنيوي في دراسة اللغة.

كما اهتم فلاسفة اليونان بإبراز الخاصية التواصلية و التأثيرية للغة، إذ ضمت البلاغة اليونانيـــة كل مكونات الخطاب التداولي « مما قيض لها أن تتبوأ منزلة مرموقة في تـــدريس مـــا كـــان يعـــرف بالإنسانيات الكلاسيكية منذ عهد النهضة »[2].

لقد اهتمت البلاغة اليونانية بكل ما يمس فعالية الخطاب في السياق، باعتبار اللغة قـــوة إقنـــاع و تأثير في الواقع، فضلا على أنها خطاب منتج للتأثيرات، إنها مبحث يهتم بفن الإقنـــاع في مكوناتـــه و تقنياته عن طريق استنباط الحجج و معالجتها و بثها ، مؤسِسة بذلك جذورا للنظرية الحجاجيـــة في الفكر الغربي القديم.

---

1 ر.ه.روبتر، موجز تاريخ اللغة عند الغرب، ترجمة أحمد عوض، عالم المعرفة،الكويت، نـــوفمبر 1997، ع227 ص57.

2 إيف جانري، نظريات المحاجة، اكتشاف جديد خصب، ترجمة محمد يحياتين، مجلة اللغة و الأدب، جامعة الجزائـــر ،ع 11 ، 1994 ،ص 281.

و إن كان هذا هو معنى البلاغة في التقليد الغربي القديم و هو المعنى الحجاجي الإقنـاعي الـذي يصب في التداولية الحديثة ، فإن لها معنى ثانيا هو المعنى الشعري الذي يصب في الأسلوبية[1].

لقد تناول فلاسفة اليونان الكثير من الظواهر المرتبطة بالممارسة الحجاجية بدرجة عالية من الدقة و الشمول، ساعد في ذلك التفتح الديموقراطي الذي شهدته الحضارة اليونانية و الـذي حمـل لقـدماء اليونان (... السفسطائيون، سقراط، أفلاطون، أرسطو...) وعيا للتنظير لفني الخطابة و الجدل، مبينين من خلالهما استراتيجية الإقناع و هذه الاستراتيجية هي الحجاج نفسه.

لذلك فإن أقدم أثر حي لمفهوم الحجاج باعتباره فعالية لغوية اجتماعية و عقلانية، غايتها إقنـاع المعترض بمقبولية رأي من الآراء عبر جملة من القضايا المثبتة أو المنفية ، يمكن تحديده تاريخيا من خـلال القرابة التي تجمعه بالجدل "Dialectique" و الخطابة "Rhétorique" .

فالحجاج تابع للجدل و تابع للخطابة ؛ تابع للجدل باعتباره علما يدور على كيفيـات الاحتجـاج و السبل الكفيلة بالإقناع، وهو طريقة كلامية تقوم على قاعدة «إن قلتم كذا ... قلنـا كـذا، ومـن خصائصه أنه سالب ينهض على أرض التناقض و التضاد و الإقناع، الإبلاغ، و الإرسال و الاستجواب و المحاججة و دحض ما لدى الآخر من أفكار و افتراض النقصان و التهافت في اعتقاداته »[2] .

و هو ينطلق من مشهورات، و مسلمات تجعل المتلقي مضطرا إلى التسليم بالنتائج تسليما علـى سـبيل الإلزام الذي هو الغاية القصوى للجدل، وبهذا يمارس مع المتلقي نوعا من القسر و القهر[3].

و تابع للخطابة «التي تسعى إلى الإقناع بواسطة تمرير المحتمل إلى الأذهان»[4] ،باعتبارها بحثـا في المجازات و الوجوه و الصور، فهي العلم الدائر على أسرار اللغة، فضلا على أنها قوة تتكلف تحقيق أثر ما و إحداث تأثير.

لقد أصبح مفهوم الحجاج مضبوطا بطرائق، بعد أن عمل فلاسفة الإغريق على استقصاء أوجـه استثمار الملكة الخطابية و الجدلية في تداول المعرفة، فأبدعوا بذلك في إبراز تقنيات الحجاج.

فالحجاج كان مستخدما لدى جميع فلاسفة العصور القديمة لتحليل فن الحوار " الجدل" و فـن الكلام "الخطابة"، فالحجاج يوظف حيثما عمد الفكر إلى المضاربة.

---

[1] ينظر محمد العمري ،البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2005، ص 62

[2] محمود حيدر، مفهوم الحوار في إشكاليات الاختلاف و التواصل ونظام القيم، مجلة الفكر السياسي، دمشق، ع21 ، 2005 www. Awu-dam.org/politic

[3] ينظر جميل عبد المجيد، البلاغة و الاتصال، دار غريب ، القاهرة، دط، دت، ص 110.

[4] حسن محمد مرزوقي، مدخل إلى نظرية الحجاج، ص38-39.

أما عن أهم فلاسفة الإغريق الذين اهتموا بالدرس الحجاجي فيتمثلون في الآتي:

1. الجدل عند زينون[1] الإيلي

يعد زينون الإيلي رائد فن الحوار الموافق للمعنى الأول للجدل ، و يمثل الجدل عنده وسيلة لنقض آراء الطرف المقابل و إثبات آرائه عن طريق برهان الخلف[2]، والذي هو « نوع من البرهان القياسي نستخدمه لإثبات أن قضية ما صادقة بإثبات أن نقيضها كاذب أو مستحيل»[3] .

لقد أدخل "زينون" أسلوب الخفض حتى الامتناع (برهان الخلف)على ممارسة المناقشات الفلسفية، " عندما يُعرض رأيان على الأقل، و يكون أحدهما صائبا، فإن الآخر خاطىء" يبين ذلك كتابه الذي وضعه لإثبات الموضوعة البارمينيدية عن وحدة الوجود بإظهار النتائج الممتنعة التي تستوجبها الموضوعة النقيضة، وهي موضوعة إتباع الكثرة، وقد اتخذ الجدل أسلوبا لنقض آراء الناس القائلة بوجود الكثرة و التغيير، ومن أشهر الحجج المستعملة، حججه الشهيرة ضد الحركة[4].

و لقد قام "زينون" بتعليم فن الدحض وهو نوع من الجدل السلبي الذي ينطلق من مقدمات مقبولة أو مستحسنة من قبل الخصم ثم يعمل على تقويض استدلاله و نتائجه، فالجدل عنده يقوم على مواجهة الخصم بكلامه أو بأفعاله كحجة عليه أي أنه حجاج موجه ضد الخصم ،و هذا المفهوم يتناسب و المعنى الشائع للفظة " argumenter"، " أقام الحجة" المحملة بمدلول هجومي أو دفاعي[5] .

إن مواجهة الخصم بكلامه أو بأفعاله هو محاولة لتحويل اتجاه النتيجة أي رفض هذه الأخيرة (نتيجة الخصم) من حيث محتواها، مع المصادقة على أغلب ما قاله الخصم في المقدمات و هي خطة تسمى بالإضراب "la concession" و هي في بعض الحالات أنجع من المواجهة المباشرة للخصم.

[1] زينون الإيلي هو تلميذ الفيلسوف "بارمينيذ" المتشبث بوحدة الوجود المطلقة، وخصم فيلسوف التناقض " هراقليط

[2] و البرهان بالخلف أسلوب استعان به علماء الرياضيات، لاسيما الفيثاغوريون في برهانهم الشهير على امتناع مقاربة خط الزاوية مع ضلع المربع.

[3] محمد فتحي عبد الله، معجم مصطلحات المنطق و فلسفة العلوم للألفاظ العربية و الإنجليزية و الفرنسية و اللاتينية، دار الوفاء، الإسكندرية،دط، 2002، ص101.

[4] ينظر روبير بلانشي، المنطق و تاريخه، من أرسطو حتى راسل، ترجمة خليل أحمد خليل، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، المؤسسة الجامعية للدراسات، لبنان، ط2 ، 2002، ص 26.

[5] ينظر ليونيل بلينجر، الآليات الحجاجية للتواصل، ترجمة عبد الرفيق بوركي، علامات، المغرب، ع 21، 2004، ص34.

2. الجدل و الخطابة عند السفسطائيين

ظهر السفسطائيون مع ظهور النثر الفني الذي اتسمت به الحياة في القرن السادس قبل الميلاد، وحاولوا أن يفرضوا آراءهم على جمهور الأثينيين، وتسمّوا باسم المعلمين، وحاولوا تعليم الحكمة، وقد تعدى أثر السفسطائيين الخطابة إلى الفلسفة نفسها، لأن الفلاسفة كانوا قد أهملوا الإنسان، فأصبحت الفلسفة تعنى بالإنسان وتعنى بالوقائع وتعنى بالأشياء التي تقع تحت حسّه وتخضع لحكمه، ومن هنا قرر السفسطائيون مبدأ آخر هو الإنسان.

و يقرر السفسوطائيون مبدءا ثالثاً هو الشك، دعوا إليه، وحملوا الفلاسفة على القول بأنه من غير الممكن أن يصل الفكر إلى العالم، وأن يعرف هذا الذي يسمونه الحقيقة المتصفة بالثبات والديمومة، ليست هناك حقيقة إذن، وإنما هناك مظهرها، لذلك فالأجدر بالإنسان أن يكتفي بالفلسفة، و لقد طاف السفسطائيون في البلاد يعقدون المجامع للخطابة والمجالس للدرس، يعلّمون فن القول وفن الحوار والجدل[1].

و لقد اهتموا كغيرهم من فلاسفة الإغريق بأهم الطرق التي تؤدي إلى الإقناع و التأثير و ظهرت ممارستهم للحجاج من خلال الجدل و الخطابة و من أهم السفسوطائيين الأوائل: كوراكس و تيسياس ثم جورجياس و بروتاجوراس و برديكوس و تراديماخوس و هيبياس و كريتياس.

و يصورهم أفلاطون بأنهم قوم يجتمعون على تضليل الشباب و نشر الأوهام و الأغاليط بين الناس عمدتهم في ذلك أسلوب التهييج العاطفي، و شحن المشاعر لكي تغيب كل ملكات التفكير الهادىء و المتزن، و يغيب الحس النقدي فيقع الشباب في براثنهم بسهولة[2] .

1.2 الجدل عند السفسطائيين

مارس السفسطائيون سلطة الحجاج من خلال الجدل الذي انحرف عندهم عن مساره الطبيعي من « فن الانتصار على الخصم، فن نقضه أو مغالبته بإسقاط حجته عبر استخدام كل أدواته المنطقية و اللغوية و اللفظية»[3] إلى فن الانتصار على الخصم باستعمال القول المموه أو القياس الخداع القائم على المغالطة.

---

[1] ينظر كمال بسيوني، أثر النقد اليوناني في النقد العربي القديم، الجزيرة، السعودية، السنة 11 ، 2002،www.suhuf.net.sa

[2] ينظر رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة، التوجه التداولي الجدلي نموذجا، عالم الفكر، مجلد 36، ع4، أفريل، 2008،ص130.

[3] ينظرمحمود حيدر، مفهوم الحوار في إشكاليات الاختلاف و التواصل ونظام القيم، (مرجع مذكور)

إن السفسطائيين لم يلتزموا بضوابط الحوار وأخلاقياته، إذ كانوا « لا يتقيدون بضوابط الحقيقة و كانوا أهل مناسبة لا أهل إطلاق، يضعون الخطاب بحسب ما تدعو إليه الظروف الحافة الطارئة عليه و بحسب ما يخدم مصالحهم لا بحسب منظومة أخلاقية و لا فكرية قارة »[1] .

و هم بذلك يستغلون التعدد الوظيفي للخطاب قصد التضليل و التغليط، فقد يأتي السفسطائي بحجة مقبولة ظاهريا لكنه في الباطن يراعي حجة أخرى و غرضا آخر؛ غرضه أن يفقد الخطاب مقاصده ليدخل الشك و الحيرة في قلب محاوره[2].

تسمى هذه الحجج بالسفسطة، و تصبح السفسطائية حينئذ، تخصصا دراسيا يعين على إظهار المحاسن أو المساوىء في كل موضوع يمكن للعقل أن يقوم فيه بالمزايدة[3].

فالسفسطائي لكي يدحض خصمه يندد بأغلاط منطقية في المحاججة التي يدافع بها عن أطروحته و يلزم لذلك أن يكون قادرا على التمييز الدقيق بين المقاييس الصحيحة و غير الصحيحة، الأمر الذي يفترض معرفة منطقية ضمنية على الأقل[4] .

فالسفسطة إذن، هي نوع من الحجاج يعرف بالحجاج المغالط (الحجاج الخاطىء/ الحجاج الزائف/Paralogisme)، و يختص هذا الأخير باعتماد أساليب تضليلية تقوم أساسا على الطمس و الإخفاء و التعتيم، إنها حجاج يقوم على التملق و التملق تسلط بالقول ماكر مقنع.

و لقد عرَّف أرسطو السفسطة تعريفا دقيقا فهي عنده استدلال صحيح في الظاهر معتل في الحقيقة، و من ثم فالمباكتة السفسطائية هي إما قياس يظن بأنه قياس ، غير أنه ليس كذلك في الحقيقة، أو نقيض يعتقد أنه نقيض دون أن يكون كذلك حقيقة، فهي مباكتة يظن أنها صادقة في حين أنها كاذبة ذلك أن المغالط قد يظهر بأن مقدماته صادقة و مناسبة للصناعة التي فيها المطلوب دون أن تكون كذلك حقيقة، فهو يعمد إلى تعطيل المخاطبة باستخدام صور فاسدة [5].

---

[1] حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، منوبة، تونس، مجلد XXXIX، 1998 ، ص20.

[2] ينظر حسان الباهي، تهافت الاستدلال في الحجاج المغالط، فكر ونقد،المغرب، ع61، 2004.
http://www.aljabriabed.net/fikrwanakd/n61_06albahi.htm .

[3] ينظر ليونيل بلينجر، الآليات الحجاجية للتواصل، ص34.

[4] ينظر روبير بلانشي، المنطق و تاريخه، من أرسطو حتى راسل، ص 26.

[5] ينظر حسان الباهي، تهافت الاستدلال في الحجاج المغالط (مرجع مذكور).

إن المغالط لا يستخدم القياس الحقيقي و إنما يستخدم القياس المبكت و هو كل قياس تلزم عنه نتيجة هي نقيض النتيجة التي وضعها المخاطب و هذا ما يعرف بالتبكيت الجدلي.

كما درس (أرسطو) قواعد إنتاج القول الحجاجي السفسطائي و حلل آلياته، و وقف على سلوكات السفسطائيين المعتمدة في أثناء المناقشة لنصب الفخاخ لخصومهم و توريطهم، وهو تحليل تداولي يبين ما يتحقق به الحجاج، كما أحصى أنواع المغالطات التي تستعمل في تحقيق الأهداف الحقيقية الخمسة التي كان السفسطائيون يقصدون إليها بحجاجهم ممثلة في: التبكيت و الإيقاع في الخطأ و الدفع إلى مخالفة المشهور و استعمال صيغ لغوية غير مألوفة و أخيرا دفع المجيب إلى الكلام الفارغ بإرغامه على أن يكرر الأمر نفسه مرات عديدة[1].

و الغرض من هذه الدراسة هو معرفة الحيل التي يلجأ إليها السوفسطائيون، حتى يكون الناظر بمنأى عن الوقوع في شراكهم، وذلك بأن يعرف كيف يميز الأقيسة السليمة و المقدمات المشروعة عن غيرها مما يدخل في باب السفسطة، فلزم إذن على كل من أراد الاشتغال بالجدل أن يحيط علما كذلك بالسفسطة حتى يسلم من الوقوع في حيلها المغلطة[2].

ويعد " بروتاغوراس/ Protagoras"من أهم أعلام الفلسفة السفسطائية الذين نموا فن الجدل ، و هو يرى نفسه أنه سفسطائي و أن مهنته هي تعليم الناس، و يقال إنه كان يتبجح بقدرته على أن يجعل الحجة الأسوأ تبدو كأنها الأحسن[3].

كما تعد مدرسة "ميغار" إحدى المدارس الفلسفية السفسطائية التي وصفت بالمماحكة و الجدل فقد قدم الميغاريون لهذا الأخير معنى محددا متعلقا بمساعدة المرشحين للوظائف السياسية على النجاح في السياسة و استلام السلطة، عن طريق استعمال مختلف الذرائع، لعل أشهرها ذريعة الكذاب لأيوبوليد، و ما تمثله من مفارقة.

[1] ينظر هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، من أرسطو إلى اليوم، ص228- 229 ينظر رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة، ص135.

[2] ينظر رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة ص135.

[3] ينظر روبير بلانشي، المنطق و تاريخه، من أرسطو حتى راسل، ص 26-27.

2.2 الخطابة عند السفسطائيين

كان للسفسطائيين أثر كبير في ترقية الخطابة، خاصة و أن تحللهم من القيود العلميـــة والخُلقيـــة -جعل من الخطابة فناً قائماً بذاته- ،كان من أكبر مظاهره الدفاع عن الفكرة والدفاع عن مقابلها، وقد شبهوها بفن رياضة المصارعة.

كما جعلوها في صدر الصنائع الإنسانية، وهي تعد بالنسبة لهم ســـلطة القـــول و وســـيلة التســـلط بالقوة،وهي صناعة إقناع، كما أكدوا على أولويتها في اقتدارات الإنسان بجعلـــها في نســـق الأقـــوال المختلفة التي ينتجها.

و إن كان الباحثون لا يعرفون درجة اكتمال الخطابة السفسطائية بدقة إلا أنهم بينوا تنظـــيم أجزائهـــا و الأسلوب المعتمد في تحقيق التأثير.

و يعد "جورجياس/Gorgias" أحد أهم أعلام السفسطائيين الذين بينـــوا دور الخطابـــة في التـــأثير و الإقناع، إذ تدبر الأسلوب و رأى فيما تكون به العبارة جميلة و محدثة للتأثير، منشئا بذلك أحد أنواع الخطب ممثلة في الخطب التثبيتية، يقول « إنما القول جبار»[1].

إن المقولة أعلاه تكشف عن مدى وعي السفسطائي " جورجياس" بمدى صناعة القول الحجاجي مـــن خلال الخطابة باعتبارها « تمنح من يحذقها الحرية في نفسه و السيطرة على غيره من النـــاس في وطنـــه [فهي] تحتضن في ذاتها السلطة و تخضعها لهيمنتها »[2] .

فالخطابة بالنسبة للسفسطائيين إذن، هي فن الكلام الذي يتوخى الإقناع، فن الفصاحة و خاصة فصاحة الخطاب السياسي أو القانوني المستخدم لكل الإمكانات (الصور المؤثرة، الاستدلال الخاطىء، استدعاء المشاع، استغلال الانفعالات و المعتقدات،...) بهدف تحقيق النجـــاح الشخصـــي و الحصـــول علـــى التصويت المؤيد من طرف المستمعين أو الجمهور المحتشد في الساحة العمومية[3].

---

[1] Olivier Reboul, introduction a la rhétorique, Paris, P.U.F, 1991, p 17 نقلا عن هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية،ص 55 .

[2] أفلاطون، جورجياس، ص452، نقلا عن هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص 55.

[3] ينظر ليونيل بلينجر، الآليات الحجاجية للتواصل، ص34.

1.2.2 الاتجاه الحجاجي عند كوراكس / corax

يعد "كوراكس" أول من وضع الأجزاء الكبرى للخطابة، و هي الأجزاء التي لم يدخل عليها من جاء بعده تغييرا كبيرا، ممثلة في : الاستهلال، القص، الاحتجاج، الاستطراد، الخاتمة، و هو التخطيط النموذجي للخطبة[1].

و تنعت الخطابة الكوراكسية بأنها خطاب إقناعي، ذلك أنها عبارة عن دليل عملي فيه وصايا تخص مسالك التأثير في القاضي، كما تنعت بأنها خطابة خطاب لا خطابة السمة و الوجه البلاغي[2].

و لقد علّم "كوراكس" التلاميذ مسالك توجيه الاحتمال في الحجاج بحسب النافع، و قدم في خطاب[3] له كيف يمكن للمحامي البارع أن يوجّه النتيجة لصالح موكله. و أصبح له منهجا في الحجاج عرف من بعده باسم "le corax" .

وهكذا استخدم السفسطائيون الجدل للتغلب في المحاكم القضائية و استحصال الأموال من الموكلين، فمقصد الخطابة السفسطائية في المحكمة هو كسب القضية.

2.2.2 مفهوم الخطابة عند ليزياس/Lysias

كان لليزياس مدرسة لتعليم الخطابة في ضواحي "أثينا"، ويعد من أهم السفسطائيين المهرة في إحضار الحجة و شهد له سقراط بجمال الأسلوب و قوة الممارسة الحجاجية.

و لقد أراد ليزياس في نصه" فضائل الانصراف عن الحب إلى النفع" أن يثبت مهارته في الحجاج و اقتداره على أصعب أنواعه باحتجاجه لما يخالف المشهور "Paradoxe" و هي أصعب لعبة حجاجية يتبارى فيها السفسطائيون لإقناع الناس .

أما المنطق الذي بنى عليه السفسطائي ليزياس حجاجه المضمر فهو الظن "Opinion"[4]

---

[1] ينظر محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري و تطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا، إفريقيا الشرق، بيروت، ط2، 2002 ،ص 137.

[2] هشام الريفي، الحجاج عند إسطو، ص 249 .

[3] قال كوراكس: إن انتدبت للدفاع في قضية تعد بالعنف و كان موكلك ضعيف البنية فقل: إنه من غير المحتمل لضعف بنيته أن يكون هو البادىء بالظلم فإذا كان موكلك قوي البنية وكانت القرائن جميعا ضده في الظاهر فقل : إنه كان من المحتمل جدا أن يتصور أنه المعتدي إلى حد أنه من غير المحتمل أن يكون فعلا كذلك،ينظر،O.Reboul,Introduction a la rhétorique,P.U.F.Le Corax, pp 15-16 نقلا عن هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص60.

[4] ينظر هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو ص69-71.

3. آليات الحجاج عند سقراط

يعد سقراط رائد الفلسفة الأرستقراطية النخبوية و الذي وقف بعناد ضد الديموقراطيـــة في أثينـــا باعتبار أنها تؤدي كما يقول إلى الفوضى عبر تحكيم الجماهير الدهماء في هذه العملية.
وكان كالسفسطائيين يرى أن الإنسان هو كل شيء وهو صاحب الكلمة المأثورة «اعــرف نفســك» وإن اختلف معهم في صفات من يحمل لقب إنسان، وسقراط هو الذي علم الجدل أو فن الحوار وكانت طريقته في التعليم أسئلة يلقيها وينتظر جوابها ويناقشها، وهي الطريقة التي سماها «توليد الأفكار» وبهذه الطريقة ضغط على كثير من أفكار السفسطائيين وجعلهم يلزمون أنفسهم الحجة حسبما يشعرون بما في أدلتهم من نقص في التحديد أو خروج[1].

إن الجدل السقراطي القائم على السؤال و النقد و الدحض تجلى بصورة واضحة في تلك الأســئلة التي كان يطرحها سقراط على مستمعيه، هدفها تعليم طريقة في تنظيم فن الكلام، و التي تعد لونا خاصا من ألوان إدارة الحديث بين شخص و آخر.
و تعد أسئلة سقراط أسئلة ظاهرة السذاجة يقود بها محاوره شيئا فشيئا نحو الحقيقة حتى يتغير الوضــع وإن لم تكن هناك حقيقة فإن سقراط يصل إلى خلخلة اليقينيات و المسلمات عند محاوره، وهكذا تتجلى ممارسة هذا الفيلسوف للحجاج و التي نبينها في ما يلي:

1.3 السخرية السقراطية منهج حجاجي

اعتبر سقراط أن السخرية هي فن الجدل و هي أسلوب حجاجي و يقصد بها « فن المساءلة القائم على مظهر السذاجة مع إخفاء المعرفة »[2].
فالسخرية السقراطية هي طريقة في الحديث و الجدل تنطوي على المسلمات و اليقينيات و تثير الشــك حولها و تدعو إلى فحصها مـــن خـــلال ذوات متحـــررة مـــن الإكراهـــات الخارجيـــة الفكريـــة و الاجتماعية[3].

أما عن آلية اشتغال السخرية فنستطيع أن نحددها من خلال تحديد السياق المحيط بالخطاب الساخر و بسط أهم العناصر المتفاعلة في إنتاجه ممثلة في: (الساخِر، الملفوظ، المخاطب).

---

[1] ينظر كمال بسيوني، أثر النقد اليوناني في النقد العربي، (مرجع مذكور)

[2] محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول، ص 94.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص 95.

فأما الساحر فيحاول التأثير في متلقيه وإقناعه من خلال قرن الملفوظ (النكتة اللفظية) بمجموعة من الإشارات (حركات جسدية، ديكور، موسيقى)، تتحدد هذه الأخيرة بمستواه الفكري و الثقافي وأما الملفوظ (النكتة) فهو مكون من عنصر بنائي وعنصر انفعالي[1].

إن السخرية بناء من حيث أن عناصرها اللغوية تنحرف عن النمط العادي للغة في سياق معين محددة دلالة معينة، و هو عنصر انفعالي ذلك أن المكون الدلالي يمتد إلى أقصى درجات التأثير، و أما المخاطب (المتلقي/ الواقعي أو المفترض) فهو الذي يحدد حجاجية السخرية من خلال كفاءته، التي تلعب بدورها دورا أساسيا في تحديد القدر الذي تأخذه السخرية في ردة فعله[2].

2.3 الاستدلال وسيلة حجاجية

حاول سقراط أن يقدم إجراء يندمج مع جو الحوار الفكري بدل الاستدلال غير المباشر المتمثل في برهان الخلف المتداول في الجدل الفلسفي زمن ("زينون الإيلي" و "الميغاريين" و "السفسطائيين") يتمثل في الاستدلال الاستقرائي، هذا الأخير يحتل حيزا مهما في المناقشات الإقناعية اليومية في العصر الحديث، لما يحققه المحاج بوساطة هذه الأداة الإجرائية من تأثير و إقناع دون الخوض في الخطابات الطويلة و الاستدلالات المختلفة.

و الاستقراء أداة منهجية أساسية في تكوين المعرفة و تطورها و هو« آلية بنائية و استدلالية متمثلة في استنتاج حكم كلي من أحكام أخرى »[3] و هو أيضا « استدلال يستنبط فيه الفكر حقيقة كلية من ملاحظة معطيات جزئية بالقدر الكافي» [4].

ولهذا الصنف من الاستدلال بنية خاصة، تؤهل مرسل الخطاب أن يلزم مخاطِبه بتقبل ملفوظ "نتيجة" بالارتكاز و فق طريقة معينة على ملفوظ أو ملفوظات أخرى، أما قوة الاستدلال فيه « فتتمثل في ترابط حدوده و معانيه، و تداخلها واندراج بعضها في بعض» [5] .

---

[1] ينظر محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول، ص 87-92.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص 88.

[3] بناصر البعزاتي، الاستدلال و البناء، بحث في الخصائص العقلية العلمية، دار الأمان، الرباط، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1999،ص 196.

[4] محمد يعقوبي، دروس في المنطق الصوري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999 ، ط2، ص237.

[5] المرجع نفسه ص 238.

و لتحقيق بعض الأهداف الحجاجية يسعى مرسل الخطاب إلى بناء الحجة، و التي هي بنية منطقية متكونة من مجموعة من القضايا موحدة و منسقة ، يمكن على ضوئها استخلاص النتيجة و التي هي حكم مترتب على الأحكام السابقة بفضل حركة الفكر التي تحدثها فيه القضايا المقدمة .
فالعملية التي يقوم بها الفكر، يمارسها عند الانتقال من المقدمات إلى النتيجة بحركة بسيطة للعقل، فالمقدمات في الاستدلال الاستقرائي، أدوات ضرورية لكي يتحرك العقل إلى استخلاص النتيجة.
نستطيع أن نستنتج إذن، أن الاستدلال الاستقرائي السقراطي آلية حجاجية تسمح بتوجيه الخطاب وجهة ما، باعتباره « فاعلية نشيطة تربط بين الوقائع برابط ينسجه العقل و يضفيه عليها »[1] ؛إنه بذلك وسيلة استدلالية يستخدمها من يريد أن يشرح و يقنع.

4. الخطابة و الجدل عند أفلاطون

جاء أفلاطون تلميذا نجيبا لأستاذه سقراط ليكمل الرسالة في العداء للديمقراطية وفق أسس مغايرة، إنه فيلسوف الفردية الأرستقراطية، الذي نشأ في جو أرستقراطي مريح؛ ويمثل التغير عنده الاضمحلال بينما الكمال معناه انعدام التطور.
لقد أراد مجتمعا ثابتا لا يتحرك بالديمقراطية في أثينا يتولى إدارته نخبة مختارة من الأرستقراط الذين يمتلكون القدرة على التفكير و التأمل للإشراف على ضبط المجتمع الثابت الذي يجب أن تقتلع منه تلك القدرة التي تعمل من أجل التغيير.
إن هذا الاتجاه الأفلاطوني في التفكير يبتعد عن العيني الملموس و يركز على المثل، فبفضله سما النقد العذري والنقد الصوفي إلى قيم إنسانية و معان فلسفية[2].

ولقد شُغل أفلاطون بالرد على السفسطائيين و دحض حججهم و هدم فلسفتهم في محاوراته المشهورة، التي تشهد غالبا على مهارة ودقة كبيرة في إدارة المناقشة بعد أن آلت إليه آراء أستاذه "سقراط" كلها، ففي "فيدر" اقترح مشروعا في صناعة الخطابة و في "جورجياس" أثار مسألة الحجاج و السياسة.

كما تظهر المحاورات الأفلاطونية المنهج الذي كان يعتمده أفلاطون في دراسة القول و تقييمه و مقصد الحجاج في ضوء قيمتي الحق و الخير، و تبين أيضا كيف أراد أن يجعل الحجاج الذي يكون بين الإنسان و الإنسان في شؤون الاجتماع و السياسة صادرا عن الحقيقة لا عن المحتمل و الظن[3].

---

[1] بناصر البعزاتي، الاستدلال و البناء،ص 216

[2] ينظر كمال بسيوني، أثر النقد اليوناني في النقد العربي، (مرجع مذكور).

[3] ينظر هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص 78.

أما عن الممارسة الحجاجية الأفلاطونية فنستطيع أن نحدد معالمها من خلال تحديد مفهوم الجـــدل و الخطابة في محاوراته .

1.4 المشروع الأفلاطوني في صناعة الخطابة

قدم أفلاطون مشروعا في صناعة الخطابة يروق للآلهة حسب رأيه، حدد من خلالـــه فضـــاءات ممارستها و تحديد الأصول التي ينبغي أن تقوم عليها، و يعد المشروع نظرية في شروط بناء القول و رأيا في الوجه الذي ينبغي أن يمارس عليه الحجاج.

أما حد الخطابة الأفلاطونية فهو « صناعة قيادة النفوس بالقول »[1] ، قيادتها إلى الحق و الخـــير و كـــل حركة تتوق نحو هاتين القيمتين هي حركة جمال أو حركة إلى الجمال، وأما مقصدها في المحكمة فهـــو تحقيق الفضيلة للنفس و إن كان ذلك على حساب الشخص، كما أن استعمالها لا ينحصر في فضاءات القول الرسمية من محاكم و مجالس شعب و ساحات عامة بل يمتد إلى الاجتماعات الخاصة أيضا.

إن « القول الخطبي الذي أراد أفلاطون تأسيسه هو قول موجه إلى النفس و مدار هذا القول هو تحقيـــق الخير و الفضيلة للنفس، فالخطابة عند أفلاطون ليست فضاء تفاعل قولي بين الإنسان و الإنسان بما في ذلك من علاقات معقدة و مقاصد مختلفة و إنما هي فعل قولي أخلاقي »[2].

ويرى أفلاطون أن من شروط صناعة القول الحقيقية معرفة منتج القول للحقيقة، و قدرة منتج القـــول على جعل قوله نظاما مكتملا.

أما عن الأركان التي تبنى عليها صناعة الخطابة، فقد ضبطها أفلاطون في ثلاثة أركان أساسية هي على التوالي: المنهج الجدلي، مبدأ التناسب بين القول و السامع، مبدأ التناسب في مستوى الأسلوب.

1.1.4 آلية الحجاج في الجدل الأفلاطوني

جعل أفلاطون من الجدل منهجا فلسفيا ممتازا، فهو بالنسبة له صناعة، وهو يقترب عنده اقترابـــا شديدا من العلم، ومن خلاله نقل الحجاج من مجال الظن و الاحتمال إلى مجال الحقيقة.

ولما كان الجدل هو فن الحوار و المناقشة، بوساطة السؤال و الجواب، فضلا على أنه فـــن تصـــنيف المفاهيم و تقسيم الأشياء إلى أجناس و أنواع، فإن "أفلاطون" قدم ممارسته لهذا الفن من خلال خطوتين متواليتين و متعاكستين، الأولى هي سيرورة صاعدة تراجعيا تسمح ببلوغ الفكرة العليا، فكرة الخير ،أما

[1] هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص79.

[2] المرجع نفسه، ص 79.

الثانية فهي سيرورة هابطة تجعل بتوالي الأجزاء المنقسمة بشكل مناسب اجتياز مرتبة الأجناس حتى الأنواع الأخيرة[1] .

إن هذه الآلية الحجاجية التي وضعها أفلاطون كسبيل لنيل موافقة الآخر "المستمع" هي أسلوب التقسيم أو الفصل، فلتوضيح مثلا ما هو مفهوم "S" لا بد أن ينطلق المحاور من مفهوم أوسع "A" ثم يتم تقسيم مراتب الأنواع و الأجناس بشكل حاذق إلى مفهومين أصغر هما "B" و "B non" متنافيين معا ومتشاملين ، و إذ يتم وضع المفهوم "S" في أحد القسمين و بالتالي إذن يتم نفيه من القسم الآخر و بذلك يحدد على نحو أفضل، ثم يتم إجراء تقسيم ثنائي جديد في القسم المعين ، و هكذا دواليك، و في كل خطوة من خطوات التقسيم يرجى موافقة المحاور حتى يتم التقدم في كل مرحلة جديدة[2] .

إن الحركة الأولى في الجدل الأفلاطوني تعوض مصطلح "استكشاف الحجج" أما الحركة الثانية فهي تعوض مصطلح " تنظيم أجزاء القول".

إن هذه الآلية الأفلاطونية وإن كانت نمطا من الاستدلال الرياضي الصارم تعارض الحجاج الذي يقترب من الجدل، و إن كان هدف " أفلاطون" هو إنتاج حجج لاستمالة المستمع، إلا أن هذا المنهج غير استنتاجي ، فهو يعجز عن الإيصال إلى نتيجة مفيدة نظرا إلى أن نيل موافقة الآخر تتوجب في كل خطوة من خطواته.

فالجدل بالنسبة لأفلاطون هو حركة العقل التي ترقى من الأحاسيس إلى المثل، ومن الأشياء الجميلة إلى فكرة الجمال، هذا السمو نحو ماهية الأشياء و الكائنات، نحو الثلاثية الإلهية الأفلاطونية " الحقيقة و الخير و الجمال" هي نزعة خاصة بالفيلسوف، وهكذا يميز أفلاطون بين المصطلحين "أفحم" و"أقنع" ، فالإفحام هو صنيع الفيلسوف المنشغل بالمطلق، الباحث عن الحقيقة و الوجود و المثال، بينما الإقناع هو صنيع الخطيب الذي يعالج الآراء، و الأشياء المرئية، و المحتمل.

و من يعمد إلى الإقناع في معناه الثاني يستخدم السفسطات و الأدلة العاطفية، إنه يؤثر على خيال المستمع و مشاعره و ليس على عقله[3].

---

[1] ينظر روبير بلانشي، المنطق وتاريخه ص 30.

[2] ينظر المرجع نفسه ص 32.

[3] ينظر ليونيل بلينجر، الآليات الحجاجية للتواصل، ص35.

2.1.4 مبدأ التناسب بين القول و السامع

يعد "مبدأ التناسب بين القول و السامع" الركن الثاني في مشروع صناعة الخطابة لأفلاطون، و يتمثل في معرفة أنواع النفوس وما يوافقها من أنواع الأقاويل، خاصة وأن أفلاطون قد جعل النفس الإنسانية في تسع مراتب، و في بعض تلك المراتب حلت شخصيات تنتج القول في المجتمع و هي نفوس الفيلسوف و الشاعر و السفسطائي[1]، وربما في المقابل أيضا حلت شخصيات تسمع القول في المجتمع .
إن إشارة أفلاطون لنفس المستمع، تنم عن إدراك عن مدى وعيه بالتأثير الذي يخلفه القول الخطبي في نفسية متلقيه و كيف يختلف هذا التأثير من شخص إلى آخر، كما تكشف عن مدى إدراكه لأهمية المتلقي في توجيه الخطاب و تأويله باعتباره أهم عنصر تداولي في السياق التواصلي.

3.1.4 مبدأ التناسب في مستوى الأسلوب

يتمثل الركن الثالث بضرورة مراعاة مبدأ التناسب في الأسلوب و هو معرفة ما يناسب المقامات المختلفة من أساليب، أي مراعاة المقام والحال.

5. الدرس الحجاجي الأرسطي

يعد أرسطو الوارث الأبرز للفلسفة اليونانية و أحد تلاميذ أفلاطون الأشد موهبة، و أول من جهز تصورا منظما للحجاج، فقد تناول الكثير من الظواهر المرتبطة بالممارسة الحجاجية و يظهر ذلك واضحا في الأجزاء المتعلقة بالتدليل اللاصوري من مدونته المنطقية " الأورغانون، كتاب الجدل، كتاب الخطابة، كتاب السفسطة، كتاب الشعر" ، كما بين دور الحجاج متمثلا في تلك الطريقة التي تمكن المحاور انطلاقا من مقدمات محتملة أن يقيم الحجة على كل مشكل معروض و أن يتجنب حينما يسند حجة ما أن يصدر أي قول يكون مناقضا لها ، قاصدا بالمقدمات المحتملة الأفكار المقبولة عموما من طرف الجميع أو من طرف المحاور[2]. وهي إشارة إلى مسألة ارتباط الحجاج بأطروحة معينة يدافع عنها صاحبها بأفكار قد تكون مقبولة لا أكثر و حسب تسلسل معين.

إن الحجاج بهذا المفهوم الأرسطي هو كيفية للاستدلال المنطقي انطلاقا من رأي أو فكرة مسلم بها ، ذلك أن الاستدلال هو طلب الدليل و هو استنتاج قضية من قضية أو أكثر وينقسم إلى استدلال مباشر و غير مباشر[3].

---

[1] ينظر ليونيل بلينجر، الآليات الحجاجية للتواصل، ص 75.
[2] ينظر المرجع نفسه، ص 36.
[3] ينظر معجم مصطلحات المنطق و الفلسفة، ص15.

إن فن الاستدلال الذي قدمه "أرسطو" إضافة إلى الاستقراء السقراطي و الدياليكتيك الأفلاطوني يعد مبحثا خاصا بنظرية الخطاب و هي نظرية تبحث في خصوصية كل خطاب بناء على مفهوم جامع و هو مفهوم القياس، و يمثل هذا الأخير فعالية استدلالية خطابية حجاجية،و هو « قول مؤلف من أقوال إذا وضعت لزم عنها بذاتها لا بالعرض قول آخر غيرها اضطرارا، و تقوم ماهيته في لزوم النتيجة عن المقدمتين و هو لزوم ضروري »[1] ، ذلك أن كل خطاب" مقول" هو نتاج عناصر خطابية تترابط ترابطا منطقيا لإنتاج معنى محدد في ذهن المتقبل، و تنقسم الخطابات بحسب المادة "المضمون" إلى البرهان، المغالطة، الشعر، الجدل و الخطابة و تعتمد جميعها على مقدمات متقاربة إلا أنها تحرر وظائف مختلفة.

لقد حرص أرسطو على دراسة قواعد الاستدلال المنتج في الأقاويل" الخطابات" جميعا مؤسسا بذلك نظرية حجاجية و التي كانت وليدة حاجة لدراسة الأقاويل محاولا استخراج السياسة التي ينتجها الخطاب لإيصال الفكرة و الإقناع بها في ذهن المتقبل[2].

إن دراسة الحجاج هي مشروع دراسة الاستدلال عموما و استعراض قواعده المنتجة في أجناس الأقاويل الجامعة و هي أقاويل تستعمل في فضاءات حياة الإنسان المختلفة[3] . ،فالاستدلال بالنسبة لأرسطو أصبح يمثل أنموذجا في الخطاب الحجاجي.

و يقع الحجاج عند أرسطو في المنطقة الفاصلة بين الحجاج الإقناعي " Argumentation Convaincante" القائم على الاقتناع الذاتي للمتقبل، و بين الحجاج الإقناعي القائم على الحمل "argumentation persuasive" و هو حمل المتقبل على الاقتناع بالتأثير فيه.

و هكذا استطاع أرسطو أن يميز بين التأثير في الذهن (نظريا) و هو موضوع الجدل و بين التأثير في الإرادة و هو موضوع الخطابة، هذه الرؤية أفرزت قاعدة أرسطية في الحجاج مفادها أن الحجاج تابع للجدل من ناحية و للخطابة من ناحية أخرى؛ تابع للجدل الذي يستعمل البرهان وسيلة لتحقيق اليقين عبر الاستدلال"Démonstration" فيكتسي بعده الموضوعي ليحقق الاقتناع؛ أي القناعة الذاتية

---

[1] معجم مصطلحات المنطق و الفلسفة ص196.

[2] ينظر مدخل إلى نظرية الحجاج، ص 39.

[3] ينظر هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص 105.

دون تأثير ، وتابع للخطابة التي تسعى إلى الإقناع بواسطة تمرير المحتمل "Le vraisemblable" إلى الأذهان[1].

لقد اهتم أرسطو بتحصين الممارسة القولية "الجدل و الخطابة" في المدينة لإيمانه بأهميتها للإنسان و المجتمع بل أولويتها و خطورتها في آن واحد، فالإنسان في حاجة إلى القول الخطبي كحاجته إلى القول الجدلي.

و سعيا منا في للكشف عن الدرس الحجاجي الأرسطي، نحاول أن نبرز المدى الحجاجي لكل من الجدل و الخطابة و اتجاه الحجاج في كل منهما.

1.5 الحجاج الجدلي

استطاع أرسطو -لأول مرة في تاريخ اليونان- أن يخرج الجدل من وضع الممارسة الاختبارية إلى وضع الممارسة العارفة بالقواعد الصريحة التي ينبغي أن تقوم عليه، و يمثل الجدل عنده قولا حجاجيا في المسائل الفكرية الخلافية، و له دور في توفير عدد كبير من المقدمات التي يقوم عليها الاستدلال ويعتبر هذا الأخير النظرية العامة التي أدرج فيها نظريته في القياس .

و يعد بناء أصول هذا المجال الحجاجي " الجدل" أحد المشاريع المنجزة و المؤسسة نظريا في "الأرغانون" و بخاصة في كتاب "المواضع" و كتاب "التحليلات الأولى" و لقد نظر إليه "الجدل" باعتباره استدلالا يقوم على أساس المشهودات و المسلمات، أي الآراء المتسالم عليها، و إثبات قضية ما عن طريق المفروضات، فهو ينطلق من أفكار مسلم بها فيجيب عن قضايا مثبتة دون أن يعرض بما يناقض أو يعاكس المسلم به.

و يرى أرسطو أن الحجاج الجدلي نافع في مجالين اثنين هما: مجال البحث الفكري و مجال تغيير الاعتقاد ، و لا يقتدر الجدلي على صناعة هذا النمط الحجاجي إلا إذا كان متضلعا في المنطق و الانطولوجيا[2] .

1.1.5 النظرية الجدلية الأرسطية

يعد الجدل عند" أرسطو" نمطا حجاجيا يدور على اختبار الأقاويل، الأقاويل الخلافية بالخصوص، ذلك أنه جنس تخاطبي "دياليكتيك/حوار".

يسهم في بناء هذا القول الحجاجي طرفان، يتقاسمان بناء المناقشة، يضطلع الطرف الأول " السائل/ le questionneur " بفعل السؤال و يضطلع الطرف الثاني " المجيب/ le répondant" بفعل الجواب

[1] ينظر عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، كلية الآداب و الفنون، منوبة، دار المعرفة، تونس، ط2، 2007 ، ص303.

[2] ينظر هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص159.

و هو تلازم بين فعلي السؤال و الجواب و يعد السائل الطرف الأهم في الجدل ذلك أنه يرسم بترتيب أسئلته حركة الحجاج فضلا على أنه يستدرج بأسئلته المجيب إلى أن يسلم له ما يحتاجه .

و قد ضبط أرسطو قواعد صياغة الأسئلة و قواعد ترتيبها، كما عرض القواعد التي ينبغي على المجيب أن يراعيها و ذكر المواطن التي يسمح له فيها بأن يستفسر أو يعترض، ذلك أن توزيع القول في المناقشة الجدلية مقنن تقنينا دقيقا[1]. و لممارسة فعل الاختبار " اختبار الحمل في الجدل" وهو اختبار أنطولوجي منطقي لغوي حرص أرسطو على بناء طريقة الجدل عن طريق استقصاء صور الحمل التي ترتد إليها المطالب الجدلية.

لقد درس العلاقة التي يقوم عليها الاختبار الجدلي أي علاقة الحمل و أحصى صورها الجامعة و استقصى القواعد التي يكون بها الحمل مستقيما في كل واحدة من تلك الصور[2].

2.1.5 الاستدلال في القول الجدلي

أشار أرسطو في كتابه " الطوبيقا/ الحجج" الذي عرض فيه جملة من القضايا كلها تتعلق بالمنهج الجدلي، أشار قائلا إن الاستدلال الاستنباطي صورة للحجاجية ،كما درس القوة المنطقية للحجاج أو عناصر الاستدلال الجدلي، و يتعلق الأمر بالممكن و اللاممكن، الحقيقي و اللاحقيقي، الكبر و الصغر،... كما وضع القواعد المتبعة في تكوين القضايا و الاستنباطات للجدل عن طريق الطعن في تقرير الدليل لإثبات المدلول من الكلي إلى الجزئي و من الاستنباط إلى الاستقراء[3].

لقد اهتم أرسطو بآليات الاستدلال و أساليب التحاور، وبين أن الحجاج الجدلي فعل استدلال بما أنه يستعمل شكلين استدلاليين هما " الاستقراء و القياس" و يمثلان الصورتين اللتين تتحقق بهما الوحدات الحجاجية الدنيا، أما عن التصديقات " الحجج" التي يعتمدها السائل في بناء هذا النمط الحجاجي فجميعها صناعية ينشئها الخطيب باجتهاده ، و بالاختبار يقصد الجدلي إلى البحث في القول عما يسوغ نفيه و هو نفي تختلف درجة صعوبته باختلاف أنواع القضايا موضوع الدرس[4].

---

[1] ينظر هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص124- 125.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص210.

[3] voir Mariana TUTESCU,L'Argumentation,Introduction a l'étude du discours , octobre, 2002 http://ebooks.unibuc.ro/lls/marianatutescu-argumentation/2.htm (كتاب إلكتروني)

[4] ينظر هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو،ص202.

إن ما يقدمه السائل في الجدل يمكن أن يوجه لكل شخص متضلع من البحث الفكري، ذلك أن الاستدلال في الجدل لا يعقد بحسب نمط اجتماعي ثقافي و إنما يوجه إلى سامع كوني، فالاستدلال في الجدل غير شخصي و إنما هو منطقي محض لا اعتبار فيه لخصوصية المتلقي و المقام الاجتماعي و الثقافي الذي يحيا فيه[1].

1.2.1.5 الاستقراء فعالية استدلالية حجاجية

يعد أرسطو أول من تحدث عن الاستقراء و الكلمة اليونانية التي أشار بها إليه تعني "مؤد إلى" و هو نوع من الاستدلال غير المباشر تستنتج فيه قضية من أكثر من قضيتين، ومن أهم الأنواع التي قال بها نذكر الآتي[2]:

1.1.2.1.5 الاستقراء التام

تناول أرسطو الاستقراء التام أو الإحصائي في كتاب التحليلات الأولى و يسمى الاستقراء تاما حين يحصي كل الأمثلة الجزئية في مقدمات تنتهي بنا إلى نتيجة عامة تندرج تحتها كل الأمثلة، ومن أهم خصائصه أنه استدلال مقدمات كلية و نتيجته كلية و من ثم فالنتيجة لازمة عن المقدمات لأنه ليس بالنتيجة غير ما قررته المقدمات من قبل.

2.1.2.1.5 الاستقراء الناقص

درس أرسطو الاستقراء الناقص في كتاب التحليلات الثانية أو البرهان و عرفه بأنه العملية التي بواسطتها ندرك مثلا جزئيا دليلا على صدق تعميم ما، أو هو تلك العملية التي عن طريقها نصل إلى إدراك ما نسميه بالمقدمات الأولى أو الحقائق الضرورية بوساطة بعض الأمثلة الجزئية التي تكشف عنها.

3.1.2.1.5 الاستقراء الحدسي

درس أرسطو هذا النوع من الاستدلال في كتاب "الطوبيقا"، و حاول من خلال هذه الدراسة أن يبحث عن وسيلة يعوض بها عن النقص الموجود في الاستقراء التام حتى يمكن أن يكون يقينيا أو أقرب إلى اليقين، فاستخدم المنهج الجدلي و هو الذي يقوم على المسلمات و المشهورات و يستطيع أن يكمل النقص الموجود في الاستقراء .

و يستعين أرسطو بطريقة سقراط في تقاطع الماهيات بعضها مع بعض، فضلا عن منهج أفلاطون في الجدل.

[1] ينظر جميل عبد المجيد، البلاغة و الاتصال، ص 109-110 .

[2] ينظر معجم المنطق أو الفلسفة ص 17-18.

أما المنهج الذي انتهي إليه و الذي يمكن أن يسمى " الشكوك/ Aporia " أو ما يمكن تسميته بالاستقراء الجدلي فإنه يقوم على أساس استقراء جميع الآراء التي قيلت حول المسألة و التي هي موضوع البحث، ثم استنتاج كل النتائج التي يؤدي إليها كل رأي من هذه الآراء ثم مقارنة هذه النتائج بعضها ببعض و مقارنة هذه النتائج بحقائق يقينية مسلم بها و عن طريق البحث في الآراء المتعارضة و استخدام ما هو مسلم به لدى الناس جميعا و ما هو مشهور بينهم .

2.2.1.5 القياس فعالية استدلالية حجاجية

ظهرت عبارة "القياس" ، كأداة تقنية، لإحدى طريقتي الاستدلال في "الطوبيقا"، هذا الأخير جاء في ثمانية أجزاء مخصصة للمجادلة أي للقياس القائم على المقدمات الاحتمالية فقط، مثل المقدمات التي تصدر عن الأمور المشتركة، أما حده فهو « خطاب تكون فيه بعض الأمور معطاة فينجم عن ذلك بالضرورة شيء آخر غير هذه المعطيات، و ذلك بمقتضى هذه المعطيات بالذات»[1].

فالقياس نوع من الاستدلال غير المباشر، هو قول مؤلف من أقوال إذا وضعت لزم عنها بذاتها قول آخر فماهية القياس تقوم في لزوم النتيجة عن المقدمتين[2] .

1.2.2.1.5 أطراف القياس

تعد القياسات الأرسطوطاليسية تخطيطات استناد يمكنها أن تستعمل كمعايير أو كقواعد، لكنها قضايا / مقدمات، تعلن القوانين، و التي يتحدد بها هذا الصنف الاستدلالي، ممثلة بذلك أحد مراتب الحجاج .

و يتألف القياس من « ثلاثة أطراف، مترابطة اثنين اثنين في ثلاث مقدمات أولية، كل منها يتكرر مرتين، و يكون لأحد الأطراف دور أساسي في الاستدلال، و هو القيام بالتوسط بين الطرفين، إنه الطرف الوسط، و الطرفان الآخران هما النقيضان، فالطرف ذو الاتساع الأكبر و الذي يظهر أولا هو الطرف الأكبر أو الكبرى، و الطرف ذو الاتساع الأصغر و الذي يأتي بعد الآخر، هو الطرف الأصغر أو الصغرى. هذا عن الأطراف و ذاك عن المقدمات[أما] النهاية / النتيجة فهي التي توحد بين الطرفين النقيضين، الأصغر كموضوع، و الأكبر كمحمول، و هي واردة في هذا الأخير، و القضيتان الأخريان اللتان يتوزع الطرف الأوسط بينهما هما المقدمات و المقدمة التي تتضمن الطرف الأكبر و التي نضعها أولا تكون هي الكبرى، و الثانية التي تتضمن الطرف الأصغر و تأتي بالمرتبة الثانية، هي الصغرى »[3]

---

[1] روبير بلانشي، المنطق و تاريخه، ص 62.
[2] ينظر معجم المنطق و الفلسفة، ص .196 .
[3] روبير بلانشي، المنطق و تاريخه، ص 63.

و تختلف صورة القياس الجدلي باعتباره وحدة استدلالية كبرى بكيفية عقده، إذ حرص أرسطو على حصر حالات الحجاج الجدلي الممكنة جميعا و مختلف المسالك التي ينبغي أن تطرق في كل حالة.

فأما المقدمات "أطراف القياس" فإنها تولد من قضية عامة جدا (قانون) تعرف بالموضع، و الموضع الجدلي يستعمل في إنتاج الاستدلال الحجاجي، إذ به تختار المقدمة المناسبة أو تولد والمقدمة هي وحدة استدلالية دنيا و بمراعاة قواعد يتم بناء القياس الجدلي إن كانت المقدمات من المشهورات، ذلك أن من القضية موضوع الدرس ينطلق الجدلي في حركة عود على بدء بحثا عن المقدمة أو المقدمات التي تستعمل في عقد قياس تكون نتيجته حفظ تلك القضية أو إبطالها[1].

2.5 الحجاج الخطابي

يرى أرسطو أن القول الخطابي بما فيه من خصوصية ضروري لا غنى عنه في الاجتماع البشري، أما عن مفهوم الخطابة الأرسطية فهي « قوة تتكلف الإقناع الممكن»[2] ،ذلك أنها « الفن القادر على أن يستخرج من كل موضوع درجة الإقناع التي يحتملها »[3] .

إن الخطابة عند أرسطو، صناعة مدارها إنتاج قول تبني به الاقتناع في مجال المحتمل و المسائل الخلافية القابلة للنقاش بمعنى أنها علاقة بين طرفين تتأسس على اللغة و الخطاب يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في الطرف المقابل جنسا من التأثير بوجه به فعله أو يثبت لديه اعتقادا أو تمليه عنه أو يصنعه له صنعا[4] إنها قوة تتكلف التأثير و الاستمالة و تتوسل إلى الإقناع في كل حالة على حدى بوسائل متنوعة.

و يقوم النسيج الحجاجي في الخطابة بالدرجة الأولى على نوع الحجج، أما موضوعها فهو توجيه الفعل الاجتماعي و السياسي و بناء الاعتقاد ،و أبرز مواضعها قيمية، « إنها فرع من الجدل، و أيضا فرع من علم الأخلاق، وبالتالي يمكن أن تدعى بحق علم السياسة، إنها تبحث في الأفعال و الأخلاق

[1] ينظر هشام الريفي،الحجاج عند أرسطو، ص226-227.

[2] ابن رشد، تلخيص الخطابة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، لبنان، دط، دت، ص 15.

[3] R.Barth, l'ancienne rhetorique,p94, نقلا عن حسن محمد مرزوقي، مدخل إلى نظرية الحجاج، ص39.

[4] ينظر حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، منوبة، تونس، مجلد XXXIX، 1998 ص12.

و الفضائل و الانفعالات ، ذلك أن السياسة و الأخلاق تبحثان في موضوع واحد من وجهتي نظر مختلفتين : إذ كلتاهما تبحث في العدالة و الفضيلة, الأولى في الدولة و الثانية في الفرد »[1] .

لقد ألحق أرسطو الخطابة بالسياسة و جعلها خادمتها، لأنه يريدها خادمة للغايات الأخلاقية ؛ المتمثلة في تحقيق مجتمع فاضل[2].

1.2.5 النظرية الخطابية الأرسطية

تختص الخطابية[3] الأرسطية بفن الحجاج الهادف لإقناع المستمع بكون رأي ما مقدما على منازعه، فالمفهوم الأرسطي يخصصها " الخطابة" لمجال الإقناع و آلياته، حيث تشتغل على النص الخطابي في المقامات الثلاثة المعروفة: المشاورة والمشاجرة و المفاضلة[4].

و لقد أعطى أرسطو في درسه للخطابة اهتماما كبيرا للجانبين العقلي و النفسي معا، محاولا تحقيق توازن بين وسائل الإقناع و وسائل التأثير و جعل الثانية معينة على الأولى، كما ميز بين نوعين من التصديقات " الحجج"، التصديقات الصناعية و التصديقات غير الصناعية[5] ،ذلك أن الحجة هي« ما يراد به إثبات أمر ما أو نقضه ومن هذا الوجه تكون الحجة مرادفة للاستدلال و الحجة مرادفة أيضا للبرهان غير أن البرهان أعم منها لاختصاصه بيقين المقدمات »[6] ، و هي أيضا لبنة من لبنات فعل الاستدلال في القول حسب أرسطو .

---

[1] محمد العمري،في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 26 .

[2] ينظرمحمد الولي، الموضوعات الحجاجية الكبرى في المغرب، ص126.

[3] مصطلح الخطابية في مقابل ريطوريك.

[4] ينظر محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول، ص11-18.

[5] الحجج (التصديقات) الصناعية فهي ما أمكن إعداده و تثبيته على ما ينبغي بالحيلة و بأنفسنا ، فأما التصديقات [الحجج] التي نحتال لها بالكلام فإنها تنقسم إلى ثلاثة أنواع ، فمنها ما يكون بكيفية المتكلم و سمته ، و منها ما يكون بتهيئة للسامع و استدراجه نحو الأمر، و منها ما يكون بالكلام نفسه قبل التثبيت و النوعان الأولان يختصان بالجانبين الأخلاقي (أخلاق الخطيب) و الانفعالي(انفعال المتلقي)، أما النوع الثالث ففيه ما يختص بالجانب العقلي (الاستدلال المنطقي)، و يخص هذا النوع من الحجج الخطبة المشاورية و الخطبة التثبيتية.
وأما الحجج غير الصناعية (التصديقات غير الصناعية) فهي تلك االتي ليست تكون بحيلة منا، لكن بأمور متقدمة، كمثل الشهود و العذاب و الكتب و الصكاك و ما أشبه ذلك و يخص هذا النوع من الحجج الخطبة المشاجرية، و منها أقوال الحكماء و الأمثال و ما إلى ذلك (الشاهد) و ينظر تلخيص الخطابة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، ص15 و ينظر في بلاغة الخطاب الإقناعي117-130.

[6] معجم مصطلحات المنطق و فلسفة العلوم، ص 89.

و بهذا الصنيع خرج أرسطو عن سنة التأليف في صناعة الخطابة بعد أن أخذ عن المؤلفين السابقين له أهم ما ذكروه في أقسام الخطبة و مآتي التأثير بالقول و أدرجـــه في مشـــروع أشمـــل و مختلـــف، و يكمن الاختلاف في تحويل مركز الثقل في هذه الصناعة من التأثير إلى الإقناع، محاولا بذلك أن يقيم بين هذين الطرفين توازنا يكون التأثير بمقتضاه خادما للإقناع و تابعا له ، وهكذا تصبح الخطابة خادمة للقول الواقع في مجال المعقول بالأساس ، بعد أن كانت صانعة للقول المقصود به تحريـــك الانفعـــالات بالأساس[1].

و هكذا استطاع من خلال منهج تداولي أن يحدد عناصر البناء الخطابي و أهم التقنيات الخطابيـــة الـــتي يضطلع بها الخطاب داخل الجمهور، ذلك أن نظرية الخطابة الأرسطية تبحث في الخطابات التي تتأســـس على الأفكار و المفاهيم، باعتبار الخطابة حمالة إيديولوجية.

1.1.2.5 سمات التداول في الخطابة الأرسطية

تعد الخطابة بالنسبة لأرسطو تقنية في الخطاب لا تجربة خطابية، فهي وسيلة لإنتاج المعـــنى عـــبر الاختيار بين موقفين "إما أن يكون أو لا يكون" و يصبح مصدر وجود الخطاب هو المبدع لا الخطـــاب ذاته.

و لقد خصص أرسطو الجزء الأول من كتاب "الريطوريقا" للبحث في باث الرســـالة ثم في الخطـــاب و الحجج التي تمكن الخطيب من الاندماج مع الجمهور بحسب تنوع الخطب ، أما الجزء الثاني فخصصه للمتلقي أو "الجمهور" ، إذ تناول المؤثرات النفسية التي تساهم في تيسير تقبل الخطاب، و الحجج مـــن حيث تقبلها و ليس بكيفية تعلقها، و في الجزء الثالث اهتم بالرسالة "الخطبة" فدرس الصيغ التعبيريـــة و كيفية عرض القضية موضوع الخطبة أي البحث في تقنيات الخطاب[2] .

إن الحجاج في الخطابة الأرسطية هو محصلة أركان ثلاثة هي القائل و القول و المقول له، و تختلف تراتبية ركني "القائل و المقول له" من جنس خطابي إلى آخر، فضلا على تلك العلامات من خـــارج القـــول أحيانا.

و هكذا عرض أرسطو في كتابه "الريطوريقا" مكونات المجال التداولي للخطابة حـــتى تحقـــق التـــأثير و الإقناع و فيما يلي تفصيلها:

[1] ينظر جميل عبد المجيد، البلاغة و الاتصال، ص 108-109.

[2] ينظر حسن مرزوقي، مدخل إلى نظرية الحجاج، ص 40.

1.1.1.2.5 الباث/ الخطيب – "Ethos"

تظهر النظرية الخطابية الأرسطية سلطة الباث الذي يحاول إحكام سياسة الكلام كـي يسـوس الجمهور، ذلك أن النظرية مرتبطة بنظرية أرسطو السياسية و دعوته إلى ديمقراطية متوازنة ترتكز علـى الطبقة الوسطى "و تضم الخطباء" المؤهلة لتذليل الفارق بين الأغنياء و الفقراء، بوساطة بلاغة تقوم على المعنى الحسن للتعامل مع سيكولوجيا الجمهور عبر التوفيق بين المنطق و الشعر و بين العقل و الخيـال للسيطرة على المتقبل[1].

و تعد الحجج المتعلقة بالخطيب حججا صناعية، وهي حسب أرسطو جـوهر أو عمـود الخطابـة و تشتق الحجة في بعض الأحيان من أخلاق "القائل/ الخطيب" و انفعاله، فهي محصلة تركيـب لغـوي و مقومات جسدية و نفسية.

إن هذا النوع من الحجج يتعلق بالجانب الأخلاقي والثقافي للخطيب و الطبيعة الشخصية التي يكشـف عنها و مدى انسجامه مع الجمهور، فالخطيب الذي تتوفر فيه الفضيلة و الفطنة و التلطـف للسـامعين يوحي بالثقة إلى من يسمعه.

2.1.1.2.5 المتلقي/ المستمع – "Pathos"

عالج أرسطو في الجزء الثاني من كتاب "الريطوريقا" عددا من الانفعالات و الأهواء و المـؤثرات النفسية التي تساهم في تيسير تقبل الخطاب، حيث تناول الحجـج و الـبراهين مـن حيـث تقبلـها و بحسب تلقيها و ليس بكيفية تعلقها و تصورها[2] ، و تتحدد أحـوال السـامعين حسـب الشـرائح الاجتماعية و الأعمار و الطبقات.

و يتمثل المستمع في الخطابة المشاورية في أعضاء المجلس، و في الخطبة التثبيتية في المتفرجين أو الجمهـور، و في الخطبة المشاجرية في القضاة .

و يرى أرسطو أنه على الخطيب أن يعرف الأحوال العاطفية لمستمعيه من غضب ورحمة و خوف و مـا يصحبها من لذة و ألم حسب الأعمار و الطبقات ، حتى يمكنه الوصول إلى إقنـاعهم، « فالخطيـب يسعى إلى الحصول على رضا مستمعيه و دفعهم إن اقتضى الحال إلى التصـرف في الاتجـاه المرغـوب

---

[1] ينظر مدخل إلى نظرية الحجاج، ص 40.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص 40.

فيه و بهذا المعنى تكون [الخطابة] إنجازية و تأثيرية في وقت واحد، وهو لا يخضع الجمهور لخطابه إلا إذا أخضع أولا خطابه لموضوع الأفكار المسلم بها »[1] .

3.1.1.2.5 الرسالة / الخطبة- "logos"

يمثل اللوغوس الخطاب نفسه و يعبر عنه اللغويون المحدثون ب"الرسالة" التي يلعب فيها الأداء اللغوي دورا حاسما في تحقيق الاستمالة سواء بجمالية الخطاب أو بسطوة الحجاج العقلي أو بهما معا.
ولقد اهتم أرسطو في الجزء الثالث من الكتاب بالرسالة "الخطبة"، حيث درس الصيغ التعبيرية و كيفية عرض القضية؛ أي البحث في تقنيات الخطاب، وعالج الأسلوب lexis أو البيان élocution أي الصور البلاغية و تنظيم أجزاء القول taxis [2].

4.1.1.2.5 الحيز الزماني

يتحدد الزمن في الخطبة المشاورية بالمستقبل، و أما في الخطبة التثبيتية فيتمثل في الماضي، و في الخطبة المشاجرية يتمثل في الحاضر، ذلك أن " المستمع /القاضي" في الخطبة المشاجرية يحكم في الأمور الماضية ، و يحكم "المستمع/ المشاهد" في الخطبة التثبيتية على مهارة الخطيب حال إلقائه الخطبة، ويحكم "المستمع / العضو في جمعية عمومية" في الخطبة المشاورية على الأمور المقبلة[3].

5.1.1.2.5 الحيز المكاني

تحدد الأجناس الخطابية ثلاثة أمكنة هي : المجلس و المحكمة "ساحات القضاء" و التجمعات التذكارية.

---

[1] بول ريكور، البلاغة و الشعرية و الهيرمونيطيقا، ترجمة مصطفى النحال، مجلة فكر و نقد، المغرب، ع16، 1999
http://www.aljabriabed.net/fikrwanakd/n16_09nahal.htm

[2] أدرج أرسطو الحجج القائمة على المقارنة و التمثيل و الشاهد ضمن مبحث الكتاب الأول من الخطابة و عاد في الكتاب الثالث الذي كرسه للأساليب لكي يتحدث عن الاستعارة ، و المثير حقا هو أن المقارنة و الشاهد يرتبطان بالاستعارة ارتباطا وثيقا ، ذلك أنهما يقومان على المشابهة ، أي على النظر إلى شيء من خلال شيء آخر شبيه، أما تنظيم أجزاء القول فيقصد بها الأجزاء الكبرى للخطابة الأرسطية و المتمثلة في الاستهلال و العرض و الدليل و الخاتمة، و تختلف باختلاف نوع الخطبة "المشاورية/ التثبيتية/ المشاجرية". ينظر محمد الولي، الاستعارة الحجاجية بين أرسطو و شايم بيرلمان، مجلة فكر و نقد، المغرب، ع61، 2004.
http://www.aljabriabed.net/fikrwanakd/n61_07alwali.htm .

[3] ينظر في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 83 .

3.2.5 الخطاطة الأرسطية

تعتبر النظرية الأرسطية الحجاج خطابا واقعا بين الجدل و البرهان، و الخطاطة الآتية تبين الفـــروق بين الأقاويل الثلاثة السابقة، من حيث المادة و الوظيفة و المتقبل[1] .

الجدل ←—— مقدمات مشهورة ←—— راجحة الثبوت ←—— خصومة لقهر المتقبل و قمعه.

الخطابة ←—— مقدمات مقبولة ←—— متساوية الثبوت ←—— إقناع العوام .

البرهان ←—— مقدمات يقينية قطعية ←—— واجبة ←—— اليقين للخواص .

إن الخطابة الأرسطية تقوم على مقدمات مقبولة و متساوية الثبوت و هدفها إقناع العوام و هـــي تتوسط الجدل و البرهان ؛ ذلك أن الجدل ينطلق فيه المتكلم من مقدمات مشهورة و راجحة الثبوت إلا أن هدفه هو قهر المتلقي و قمعه, في حين توصف المقدمات في البرهان بأنها يقينيـــة قطعيـــة و واجبـــة و يهـــــدف مـــــن خلالهـــــا المـــــتكلم إلى إثبـــــات الـــــيقين لمتلـــــق خـــــاص.

[1] ينظر مدخل إلى نظرية الحجاج، ص42 .

الفصل الثاني

الحجاج في الثقافة العربية الإسلامية

تمهيد

إن البحث عن الحجاج في الثقافة العربية الإسلامية هو القراءة الدقيقة و المتمعنة للتراث العربي مع الانتباه إلى أهم العناصر الأساسية التي تشكل افتراضات الدرس الحجاجي العربي ، و إن كانت البلاغة العربية تكشف عن أسس هذا الدرس، إلا أن البحث في الحجاج إنتاجا و تنظيرا قد تعدى البحث البلاغي العربي إلى فروع أخرى من هذا الفكر، ذلك أن التنظير للحجاج في الثقافة العربية الإسلامية لم يقع كله داخل مجال البلاغة كما حدث مع أرسطو؛ و إنما تقاسمته فروع أخرى كعلوم القرآن و علم التفسير و علم الكلام و علم أصول الفقه و الفلسفة و غيرها.

و يعود تسرب الحجاج إلى كامل فروع الفكر العربي الإسلامي إلى تقاسم هذه الفروع لفن الخطابة باعتباره فنا قادرا على مجابهة الجمهور و حملهم على الإقناع الذي يُحاوَل تحصيله فيما يتعلق بالعقائد أو فيما يتعلق بالأفعال، و هذا مبتغى الثقافة الدينية[1]

فما يتعلق إذن بالدرس الحجاجي نجده مبثوثا في دراسات القدماء، و كل دراسة ذكرت أعلاه تنظر إليه وفقا لما يخصها من أهداف.

إن البحث عما في التراث العربي من أصول و قوانين كلية تؤسس للدرس الحجاجي و تلتقي بأصول النظرية الحجاجية المعاصرة هو محاولة لإقامة الدليل على أن في التراث العربي أسسا و قواعد يتوفر فيها من الشمول و الملاءمة ما يجعلها كاشفة عن الخصائص التي يتميز بها الخطاب الحجاجي.

و يؤكد "علي الإدريسي" أن المسلمين قد اشتهروا منذ بداية أمرهم بممارسة علم الحجاج و فن الجدل، و أن الفكر الإسلامي قد حوى قواعد و أدبيات لا غنى عنها في الحوار و التناظر، و أن علم الحجاج من أرفع العلوم قدرا و أعظمها شأنا لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال و تمييز الحق من المحال[2].

أما "عبد الله صولة" فيرى أن الثقافة العربية الإسلامية تنطوي على نوعين من الحجاج، فأما الأول فمداره على مناقشة الآراء مناقشة نظرية محضة لغاية التأثير العقلي المجرَّد، و أمَّا الثاني فمداره على التأثير العاطفي و إثارة المشاعر و الانفعالات، و إلى إرضاء الجمهور و استمالته[3].

---

[1] ينظر مدخل إلى الحجاج، حسن مرزوقي، ص41.

[2] ينظر علي الإدريسي، في تأسيس الحجاج لدى مفكري الإسلام، الرسالة الجوابية للحسن البصري على رسالة عبد الملك بن مروان نموذج، ضمن كتاب التحاجج، طبيعته، و مجالاته، و وظائفه، منشورات كلية الآداب، الرباط، سلسلة ندوات رقم 134، تنسيق حمو النقاري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص82.

[3] ينظر عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 18.

و قد اصطلح على النوع الأول "الحجاج الجدلي" الذي يظهر في علوم القرآن و أصـول الفقـه وعلم الكلام و الفلسفة، و أصطلح أنا بدوري على النوع الثاني "الحجاج البلاغي" على نحو ما تبـدو معه البلاغة العربية.

أولا :الحجاج الجدلي

تأتي ضرورة البحث عن الدرس الحجاجي ضمن مجالات الثقافة العربية الإسلامية (علم التفسير ، علوم القرآن، ، علم أصول الفقه،علم الكلام، الفلسفة ....) من كون النص القرآني رافدا أساسيا في تأسيس معنى الحجاج الجدلي، إذ أن «كلمة "حُجَّة" وردت عشرين مرة في القرآن الكريم و كلها تحيـل على وضع جدالي بين طرفين لتحقيق هدف معين ، أي أن هناك صراعا فكريا يفضي ضـمنيا أو علنـا إلى نتائج عملية و مثال ذلك الآية 16 من سورة الشورى ﴿ الذين يُحَاجُّون في الله مِن بَعد مَا استُجيبَ لَهُم حُجَّتهم دَاحِضة عِند ربِّهم و علَيهم غضَب و لَهم عذابٌ شَديد﴾، و هذا المعنى للحجاج النابع مـن بنية الجدل في النص القرآني سيطر على دلالة الحجاج في الثقافة العربية الإسلامية، عضد ذلك ما وَفَـد من الفلسفة اليونانية بتقاليدها الجدالية، و قد تفرعت عن مصطلح الحجة مصطلحات أخرى فرضـتها مجالات الثقافة العربية ،مثل البرهان و الدليل »[1] .

لقد اعتبر العرب القدماء إذن الحجاج مرادفا للجدل؛ إذ تمت المراوحة بينـهما في الاسـتعمال و استخدم أحدهما معطوفا على الآخر ، و هو (الجدل) صناعة منطقية و مناقشة الآراء مناقشة نظريـة محضة لغاية التأثير العقلي المجرد؛ إنه « مقدمات القياس التي يأتي بها الشخص لإقامة الحجـة علـى أي مطلب كان، حق أو باطل ، لإلزام الخصم، و تتألف مقدماته من المشهورات و هي القضايا التي اتفقت عليها آراء الجميع أو آراء طائفة خاصة ، ومن المسلمات و هي القضايا التي يسلم بها الخصم و يقبلـها و إن لم تكن صحيحة عند المستدل»[2].

و رغبة في الإحاطة النسبية بما أنتجه المهتمون بالنص القرآني و علومه من الزاوية التي تهمنا "نظرية الحجاج" نحاول إلقاء النظر حول بعض العلوم التي تفطن الباحثون العرب المعاصرون لما تحويه من بعض ملامح الدرس الحجاجي العربي.

[1] حسن محمد مرزوقي ،مدخل إلى نظرية الحجاج، ص38 .

[2] صادق الحسيني الشيرازي، الموجز في المنطق، مؤسسة الوفاء،بيروت، ط3، 1981، ص104 .

1.علم التفسير[1]

تعرضت كتب التفسير إلى بيان آلية الإقناع في الخطاب القرآني وتفسير دلالة لفظتي الحجاج و الجدل، من خلال مدونة القرآن الكريم، ففي تفسير التحرير و التنوير محمد الطاهر بن عاشور أشار إلى معنى اللفظين في استخدام القرآن إياهما فقد قال في شأن "حاج" و ما اشتق منه عند تفسير قوله تعالى ﴿ألَم ترى إلى الذي حَاج إبْراهِيم في ربِّه﴾[2] :

« معنى حاج خاصم، و هو فعل جاء على زنة المفاعلة و لا يعرف لحاج في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام ولا تعرف المادة التي اشتق منها و من العجيب أن الحجة في كلام العرب البرهان المصدق للدعوى مع أن حاج لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة (...) و أن الأغلب يفيد الخصام بباطل»[3] .

و قال في شأن الجدل عند تفسير قوله تعالى ﴿و لا تُجادِل عَن الـذين يَختَـانُون أَنفُسَـهم﴾[4] «و المجادلة مفاعلة من الجدل و هو القدرة على الخصام و الحجة فيه ، و هي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك »[5] و قال في موضع آخر المجادلة : المخاصمة بالقول و إيراد الحجة عليه ، فتكون في الخير كقوله ﴿ يجَادِلُنا في قوم لُوط﴾[6] ،

---

[1] علم التفسير هو المبحث المختص رسميا في فهم النص القرآني و صياغة المعنى المراد من الآية من خلال قواعد ضبطها هذا العلم عبر تراكم المحاولات التفسيرية. و يعد تفسير الرازي المسمى مفاتيح الغيب آخر التفاسير المثمرة ، و هو (كتاب التفسير) يمثل أنموذجا بارزا على تلاقي الرؤيتين البلاغية و الكلامية في فهم النص، حيث بحث في القرآن باعتباره نصا خاضعا لشروط البلاغة مستندا إلى نظرية النظم للجرجاني لتفسير قوانين الخطاب، ثم بحث في القرآن باعتباره كتابا معجزا يحيل على مصدر متعال و محققا لعقيدة النبوة وفق منطق خاص للأفكار التي تحكم هذا النص.فكان تفسيره حجاجيا بامتياز جمع بين مستوى البرهان لاستخراج النظام المنطقي لأفكار النص و مستوى البيان لاستيعاب التقنيات الشعرية التي ساهمت من جانبها في بناء صورة القيامة.ينظر حسن محمد مرزوقي، مدخل إلى نظرية الحجاج، ص41.

[2] البقرة/258.

[3] ابن عاشور، التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر ، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان ، دت، ج3، ص 31-23.

[4] النساء/107

[5] التحرير و التنوير، ج5، ص194.

[6] هود/74.

و تكون في الشر كقوله ﴿ و لا جِدَالَ في الحَج ﴾[1]»[2]

إن الجامع بين معنى اللفظين هو المخاصمة، لكنها في الحجاج قائمة على الباطل عادة ، في حين أن الجدل منه ما هو حق و منه ما هو باطل، فالإنسان إذا كان قادرا على الحجاج سمي مجـادلا ، و " المجادلة مفاعلة من الجدل و هو القدرة على الخصام و الحجة فيه ، و هي منازعة بالقول لإقناع الغـير برأيك ، ومنه سمي علم قواعد المناظرة و الاحتجاج في الفقه علم الجدل[3] .

أما في التفسير الكبير للفخر الرازي فنجد شرحا لدلالة لفظة الجدل من خلال تفسير الخطـاب القرآني؛ ذلك أن الخطاب القرآني قد نعت مناوئيه بشدة الجدل و اللدد ،قال تعالى ﴿ ما ضَرَبُوه لكَ إلا جَدلا بل هُم قومٌ خَصمُون﴾[4]، و قال ﴿ لتنذِر قومًا لُدا ﴾[5] و "لُد" شداد الخصـومة دأبهـم الحجـاج و الألد الذي يتمسك بالباطل و يجادل فيه و يتشدد[6].

و من ثم أوحى الله تعالى إلى نبيه بأن يتخذ معهم الحوار و الجدال بقوله ﴿ ادْعُ إلى سَبِيل ربِّكَ بالحِكْمة و المَوعِظَة الحَسَنة و جَادِلهم بالتي هِي أحْسَن﴾[7]، ومن لطائف هذه الآية أنه قال أدع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة، فقصر الدعوة على ذكر هذين القسـمين ، لأن الـدعوة إن كانـت بالدلائل القطعية فهي الحكمة، و إن كانت بالدلائل الظنية فهي الموعظة الحسنة ، أما الجدل فليس مـن باب الدعوة ، بل المقصود منه غرض آخر مغاير للدعوى وهو الإلزام و الإفحام ، فلهذا السبب لم يقل ادع إلى سبيل ربك بالحكمة الحسنة و الجدل الأحسن ، بل قطع الجدل عن باب الدعوة تنبيها على أنه لا يحصل الدعوة و إنما الغرض منه شيء آخر[8].

ولذلك في موضع آخر يهدي تعالى النبي صلى الله عليه وسلم إلى الوسيلة المثلى لهذا الجـدل في قوله ﴿و جَاهِدهم به جِهادا كَبيرا﴾[9] قال بعض المفسرين : المراد بذل الجهد في الأداء و الدعاء، و قال

[1] البقرة/197.

[2] ابن عاشور، التحرير و التنوير، ج12، ص60..

[3] ينظر عبد الله صولة الحجاج في القرآن، ص 11.

[4] الزخرف/58

[5] مريم/97.

[6] ينظر الفخر الرازي، التفسير الكبير، قدم له الشيخ خليل محي الدين الميس، دار الفكـر، بـيروت، دط، 1995، ج21، ص257.

[7] النحل/125

[8] ينظر الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج20،ص142

[9] الفرقان /52

بعضهم: المراد القتال، و قال آخرون: كلاهما و الأقرب الأول لأن السورة مكية و الأمر بالقتال ورد بعد الهجرة بزمان[1].

و لقد كانت الفترة المكية تتأجج بالجدال و الحوار الساخن ، ولذلك فقد ذكر الخطاب القرآني سبع عشرة آية تعرضت لذكر الجدل[2] ، لأن هذه المرحلة عرفت أقصى حالات المواجهة بين طرف يبدو قويا متمسكا بآراء و عادات ورثها عن الأسلاف و أصبحت تجري منه مجرى الدم و بين طرف يبدو مستضعفا من حيث العدد و لكنه مؤمن كل الإيمان بما عنده من حق فلا عجب و الحال هذه أن يأمر الله تعالى نبيه ألا يطيع الكافرين ...و أن يجادلهم بهذا القرآن.[3]

2. علوم القرآن

تَعْرِضُ كتب علوم القرآن مثل " البرهان في علوم القرآن" لبدر الدين الزركشي و كتاب "الإتقان في علوم القرآن" لجلال الدين السيوطي لجدل القرآن باعتباره علما من علومه و تقيم لفظة الحجاج مقام لفظة الجدل ، كما تستخدم ألفاظ "المحاجة" و "الحجاج" و "الاحتجاج" على أنها مرادفة للفظ الجدل و تسد مسده ، بل إن محتوى فصل الزركشي لم ترد فيه لفظة الجدل البتة و وردت عوضا عنها مشتقات مادة "حجج" بما في ذلك " المحاجة" و "الحجاج" [4].

و يبين السيوطي في كتابه أن المقصود بالجدل و معه الحجاج و إن ضمنيا "المذهب الكلامي" ، إذ يراوح بين المصطلحين في الاستعمال على وجه الترادف.

و تتمثل أنواع الجدل أو المذهب الكلامي عنده في السبر و التقسيم و التسليم و الإسجال على الخصم و القول بالموجب و الانتقال في الاستدلال و مجاراة الخصم و المناقضة و فيما يلي تفصيل لكل نوع من هذه الأنواع[5]:

1.2.1 **السبر و التقسيم**: ومن أمثلته في القرآن ﴿ثَمانِية أَزْواج مِن الضَأن اثْنين ﴾[6]

2.2.1 **القول بالموجب**: و حقيقته رد كلام الخصم من فحوى كلامه.

---

[1] التفسير الكبير، ج24، ص101.

[2] محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم، شركة الشهاب ، الجزائر، دط، دت، ص10.

[3] ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن ، دار الشروق، بيروت ،ط11 ،1985 ،ص257 .

[4] ينظر الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، 1972، ج2، ص 24-27 .

[5] ينظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، عالم الكتب، بيروت، دت، دط، ، ص 265-266.

[6] الأنعام/143-144.

3.2.1 **التسليم**: وهو أن يفرض المحال إما منفيا أو مشروطا بحرف الامتناع لكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه ثم يسلم وقوع ذلك تسليما جدليا و يدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه.

3.2.1 **الإسجال**: وهو الإتيان بألفاظ تسجّل على المخاطَب وقوع ما خوطب به نحو ﴿ربَّنا آتِنا مَا وعدتنا عَلى رُسلك﴾[1]، ﴿ربَّنا وَ أَدْخلهم جَنات عَدن التي وَعدّتهم﴾[2]، فإن ذلك إسجالا بالإيتاء و الإدخال حيث وصف بالوعد من الله الذي لا يخلف وعده.

4.2.1 **الانتقال**: وهو أن ينتقل المستدل إلى استدلال غير الذي كان آخذا به لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الأول كما جاء في مناظرة (الجبار).

5.2.1 **المناقضة**: وهي تعليق أمر على مستحيل إشارة إلى استحالة وقوعه كقوله تعالى ﴿ ولا يَدخُلون الجَنة حتى يَلِج الجَملُ فِي سم الخِياط﴾[3].

6.2.1 **مجاراة الخصم ليعثر**: وهو بأن يسلم الخصم بعض مقدماته حيث يراد تبكيته و إلزامه كقوله تعالى ﴿ قَالوا إن أَنتُم إلاَّ بشر مثْلنا تُريدُون أن تَصدُّونا عمَّا كان يعبدُ آباؤُنا فأتُونا بسُلطانٍ مبين،قالت لهم رسُلهُم إن نَحْن إلاَّ بشَر مثلُكُم﴾[4]، "فالآية﴿إنْ نحنُ إلاَّ بشَر مِثلكم﴾ فيه اعتراف الرسل بكونهم مقصورين على البشرية، فكأنهم سلموا انتفاء الرسالة عنهم و ليس مرادا، بل هو من مجاراة الخصم ليعثر فكأنهم قالوا ما ادعيتم من كوننا بشرا حق لا ننكره و لكن لا يتنافى أن يمن الله علينا بالرسالة.

3.علم أصول الفقه

يعد علم الجدل من أحدث العلوم في عصر أبي الوليد الباجي و أرفعها شأنا لما له من أهمية كبيرة في معالجة القضايا الأصولية الخلافية وفق منهجية علمية محكمة تجمع بين الدليل الشرعي و المنطق العقلي[5].

و لقد سمَّى أبو الوليد الباجي كتابَه و هو من علم أصول الفقه ، "المنهاج في ترتيب الحجاج" مستخدما في العنوان لفظة الحجاج ، لكنه في المقدمة ينعته بكونه كتابا في الجدل وهو ما يعني أن

[1] القيامة/194.

[2] غافر/8.

[3] الأعراف/40.

[4] إبراهيم /10.

[5] ينظر صالح بوبشيش، الإمام أبو الوليد الباجي و آراؤه الأصولية، أطروحة دكتوراه في أصول الفقه، جامعة باتنة، 2003،ص 84.

الحجاج عنده مرادف للجدل ، هذا إن صح أن المؤلف أورد لفظة الحجاج في العنوان على صيغة المصدر "فعال" لا على أنها جمع حجة و هو جائز أيضا على أنه لا شيء في مضمون الكتاب و لا في مقدمة المحقق يرجح هذا الوجه أو ذاك ، قال المؤلف في مقدمة كتابه: « ...أما بعد فإني لما رأيت بعض أهل عصرنا على سبيل المناظرة ناكبين و عن سنن المجادلة عادلين (...) أزمعت على أن أجمع كتابا في الجدل...»[1].

و حد الجدل عنده «تردد الكلام بين اثنين قصد كل واحد منهما تصحيح قوله و إبطال قول صاحبه»[2] .

نستنتج من هذا التعريف ما يلي:

- تعريف الباجي للجدل لا يبتعد كثيرا عن تعريف المناطقة.

-إنه تعريف عام لا يتعلق بمجال علمي معين، و إنما يمتد ليغطي المجالات العلمية كلها.

- إنه يقصر الجدل على ما يدور بين اثنين فقط، في حين يمكن أن يديره الواحد لوحده و ذلك بأن يقرر رأيه في أية مسألة من المسائل ثم يستحضر رأي من يخالفه فيها ، و يدير معه حوارا حول الاحتمالات التي يمكن أن يطرحها و يجيب عنها واحدة واحدة ، بحيث يستفرغ كافة الفروض العقلية الممكنة كما يجري عليه حال الأصوليين في مؤلفاتهم الأصولية[3].

4.علم الكلام

يُعرَّف علم الكلام في كتب المتكلمين على أنه « علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج و دفع الشبه» [4]، و يوضح ذلك ابن خلدون بقوله «هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية و الرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف و أهل السنة، و سر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد »[5].

و تتمثل الأدلة العقلية التي يستدل بها المتكلمون في الأقيسة و الأصول الفلسفية المجملة و الشبهات التي سموها معقولات و عارضوا بها صحيح المنقول.

---

[1] أبو الوليد الباجي ، المنهاج في ترتيب الحجاج، ت عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1987 ص7.

[2] المرجع نفسه، ص11.

[3] ينظر مسعود فلوسي، الجدل عند الأصوليين بين النظرية و التطبيق، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2002، ص 119.

[4] الإيجي، المواقف في علم الكلام، ص7.

[5] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، دط، ص363.

إن علم الكلام هو علم الحجاج العقلي في المجال الديني، و قد أراد المتكلمون بهذا العلم أن يـــردوا على الفلاسفة فيما خالفوا فيه الشريعة فخلصوا كثيرا من الفلسفة ليحققوا مقاصـــدها فيتمكنـــوا مـــن إبطالها، إلى أن أدرجوا فيه (علم الكلام) مشكلة الألوهية و أدلة إثبات وجود الله و صـــفاته و أفعالـــه و خاضوا الرياضيات حتى كاد لا يتميز عن الفلسفة[1].

و يتمثل منهجهم في الحجاج في وضع معقولاتهم التي وصفوها بالقطع و اليقين أصلا مقدما على صحيح المنقول، و جعلوا وحي الله تعالى فرعا تابعا لمعقولاتهم، و صارت أولى الحقائق في منهجهم الذي عارضوا به صحيح المنقول البرهنة على العقائد بالأدلة و الأقيسة المنطقية و الأصـــول الفلســـفية الـــتي استنبطوها من قواعد اليونان و أقيستهم الفلسفية[2].

5. الفلسفة

أنتج المسلمون فلسفة خاصة بهم، جديرة بأن تسمى فلسفة إسلامية حينما نضـــجت العقليـــة الإسلامية و تشوقوا إلى الإطلاع على الأنظار العقلية للأمم الأخرى التي ســـبقتهم في هـــذا المجـــال، فتعرَّفوا على التراث العقلي للعالم القديم، و ظهرت لهم مواقف فلسفية خاصة تميزت بحلول مبتكرة ذات طابع فكري حر، إذ خاضوا البحث في الميدان الطبيعي و الفلكي و هي مسائل كانت تدخل في دائـــرة البحث الفلسفي في العصر القديم[3].

و شكلت هذه الفلسفة حقلا و إنجازا خاصا للاستدلال، يمارس هذا الأخير كضـــرورة بهـــدف إضفاء التصديق على أطروحة ما، و ذلك عن طريق «حشد التعليلات و المسوغات و الحجج المدافعـــة عن أطروحة صاحبها، أو الداحضة و المصححة لأطروحة الخصم، أو المسوغة و المكملـــة لأطروحـــة النصير »[4].

و قد عبَّر عن هذه الخاصية الاستدلالية للفلسفة فيلسوف المغرب الإسلامي "أبو الوليد بن رشد" الذي رأى أن الفلسفة هي النظر في الأشياء بحسب ما تقتضيه طبيعة البرهان، فالمعاني الفلســـفية معـــاني عقلية ،ذلك أنه إذا كان العقل النظري طريقه البرهان ، فإن المعاني الفلسفية معان برهانية.

---

[1] ينظر جابر إدريس علي أمير، منهج السلف و المتكلمين في موافقة العقل للنقل، و أثر المنهجين في العقيدة، مكتبـــة أضواء السلف، المملكة العربية السعودية، ط1، 1998، ص47-48.

[2] ينظر المرجع السابق،ص 6-7.

[3] ينظر محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1973،ص 30.

[4] حبيب أعراب، الحجاج و الاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، ص119.

و اعتمادا على مجموعة من آيات القرآن الكريم ﴿فاعتبَروا يا أوُلي الأبصَار﴾[1]، ﴿أوَ لم ينْظُروا في مَلكُوت السَّموات و الأرْض﴾[2]، ﴿أفلاَ ينظُرون إلى الإبل كيفَ خُلقَت﴾[3]، ﴿و يتفكرون في خلق السموات و الأرض﴾[4]، استدل ابن رشد إلى وجوب استعمال القياس العقلي ، وبهذا يتضح تشديده على كلمات "النظر و الاعتبار و التفكير و الرؤية" ، و يعتبرها أدلة دينية على وجوب النظر العقلي في الموجودات.

و يفسر كلمة " الاعتبار" فيقول: إننا من مقدمات معلومة نستنتج نتيجة مجهولة؛ أي من مقدمة كبرى و مقدمة صغرى نستنتج نتيجة، و إذا سلمنا بالمقدمات الكبرى و الصغرى ينتج عنها بالضرورة نتيجة، و بهذا الشكل سوّغ ابن رشد دراسة المنطق.

و لقد ميز ابن رشد بين أصناف الحجج (أنواع الأقيسة) و ما يقابل كل صنف من أنواع الناس (المتلقي) ، و هذه الأصناف هي :

- القياس البرهاني وهو القياس الذي تكون كلتا مقدمتيه صادقة (قياس سليم).
- القياس الجدلي وهو القياس الذي تكون إحدى مقدمتيه احتمالية أو كلتا مقدمتيه احتماليتان.
- القياس المغالطي و هو القياس الذي فيه إحدى المغالطات[5].

أما أصناف الناس فجعلهم ثلاثة : الخطابيون و هم الجمهور الغالب و الجدليون و هم أهل التأويل الجدلي بالطبع فقط أو بالطبع و العادة و البرهانيون و هم أهل التأويل اليقيني أي هم البرهانيون بالطبع و الصناعة أي صناعة الحكمة[6].

---

[1] الحشر/2

[2] الأعراف/185

[3] الغاشية/17

[4] آل عمران/191

[5] ينظر ابن رشد ، ويكيبيديا، الموسوعة العالمية الحرة، http://ar.wikipedia.org/wki%D8%A7%D8%A8%D9%86_%D8%B1%D8

[6] ينظر ابن رشد، فصل المقال و تقرير مابين الشريعة و الحكمة من الاتصال، تقديم و تعليق د.أبو عمران الشيخ و جلول البدوي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، دط، 1982، ص56 .

لقد أراد ابن رشد في كتابه "فصل المقال" أن يوافق بين الفلسفة و الشريعة بعد النكبة التي منيت بها من قبل السلطة الحاكمة في عصره وذلك بسبب حقد المتكلمين و كيدهم إذ رأوا أن الفلسفة منافية للشريعة ، ففند دعواهم في جميع ما ذهبوا إليه معتمدا على النص الشرعي و البرهان في آن واحد[1].

ثانيا: الحجاج في البلاغة العربية القديمة

أظهرت القراءات التي قام بها الباحثون العرب المعاصرون لأهم المؤلفات البلاغية التي ظهرت في مرحلة تمتد من الجاحظ إلى السكاكي -باعتبار الجاحظ يمثل فترة التأسيس، و يمثل السكاكي فترة الاكتمال و بلوغ ذروة ليس بعدها إلا التراجع و الانكماش- أن التراث البلاغي العربي قد انشغل بأسئلة تحتل اليوم مكانة هامة في الدراسات الحجاجية المعاصرة ،لعل أهمها: ما دور المتكلم و المخاطَب و المقام في بناء الخطاب؟ و ما هي أهم الشروط و الخصائص التي يقتضيها الخطاب الحجاجي؟ .

تؤكد هذه الأسئلة على أن البلاغة العربية -كباقي البلاغات القديمة – كانت تعالج نصوصا و خطابات أدبية يحكمها الوعي و القصد ، فلم يكن البلاغي يهتم بالخطاب الذي يكتفي بذاته و لا يعير اهتماما لمخاطبه، و لم تكن البلاغة تعتبر النص كلاما يهم المتكلم فقط، أو كلاما مكتفيا بذاته فحسب ، بل اهتمت أساسا بالنص الذي يتوجه إلى الآخرين؛ فالبلاغة العربية كانت تؤسس جسورا للتواصل بين الشعر و الخطابة ، بين التخييل و الإقناع[2].

إن المتتبع للشأن البلاغي العربي يجد فيه عناصر المقاربة التداولية للخطاب الحجاجي ويعثر على إشارات واضحة إلى شروط الكلام و سماته و مقاصد المتكلم و المقامات التي ينبغي أن يرسل فيها أي خطاب، كما يجد اعتناء نسبيا بالمتلقي من حيث حضوره، و يلاحظ تناوله لأهم السمات الأسلوبية الخاصة بكل كلام، إضافة إلى الاهتمام بآليات الإقناع الخارج عن اللغة و خصوصا المتعلقة بالأمور النفسية و المهيئات العضوية و الحركات الجسمية و بعض الإشاريات.

وهذه العناصر سوف تقدم بالتفصيل من خلال المباحث الآتية:

---

[1] ينظر ابن رشد، فصل المقال و تقرير مابين الشريعة و الحكمة من الاتصال، ص20.

[2] ينظر د.حسن المودن، الخطاب الإقناعي في البلاغة العربية، ملخص عن أطروحة دكتوراه الدولة، كلية الآداب، مراكش، جوان 2006، ديوان العرب، دراسات و أبحاث، http://www.diwanalarab.co/spip.php?article5018

1.البلاغة العربية ، مفهومها و وظيفتها

1.1. مفهوم البلاغة

يرى البلاغيون أن لفظة "بلاغة" من « قولهم بلغت الغاية إذا انتهيت إليها، وبلغتها غيري و مبلغ الشيء: منتهاه.و المبالغة في الشيء: الانتهاء إلى غايته.فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه»[1].

و يرى ابن الأثير أن مدار البلاغة كلها على« استدراج الخصم إلى الإذعان و التسليم، لأنه لا انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة و لا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها»[2].

إن البلاغة هي الطريقة و الوسائل المتبعة في الكلام حتى تنفذ معانيه إلى عقل و قلب السامع و ما يقتضيه ذلك من وضوح و محسنات و إبانة و إظهار و إقناع.

و استنادا إلى ما ذهب إليه أقطاب البلاغة العربية في تعريفاتهم و أبحاثهم استخلص " أدونيس" أن البلاغة تهدف إلى أمرين : الوضوح (الارتجال) و التأثير (النفع).

2.1. وظيفة البلاغة

تتمثل وظيفة البلاغة في الإفهام و الإقناع، و تتجلى الوظيفة الإفهامية و الإقناعية في كثير مما جاء في وصف البلاغة و تفسيرها، إذ عرفت أنها « البلاغة قول مفقه في لطف ، فالمفقه :المفهم، و اللطيف من الكلام: ما تعطف به القلوب النافرة ، و يؤنس القلوب المستوحشة، و تلين به العريكة الأبية المستصعبة، و يبلغ به الحاجة، و تقام به الحجة»[3].

و تظهر غاية البلاغة و وظيفتها جليا حين يغمض حق و يبطل أمر، فتأتي البلاغة لإظهار الأول و إحقاق الثاني.

فالبلاغة في تصور البلاغيين العرب هي الإبلاغ المؤثر إفهاما و تأثيرا ، و الذي من شأنه تحقيق الإقناع و الاستمالة ، و هو تصور يتفق مع الدرس الغربي الذي اتخذ الاستمالة و الإقناع هدفا لفن

---

[1] أبو هلال العسكري،كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، مصر، ط2،دت، ص 12.

[2] ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ، 1990، ج2،ص64-65.

[3] المرجع نفسه، ص57.

الخطابة قديما و حديثا، فتحقيق الاستمالة غاية مشتركة بين البلاغة العربية و كل من الخطابة القديمة لأرسطو و الخطابة الجديدة عند بيرلمان.

و يرى محمد الولي أن البلاغة تطمح إلى إنجاز وظائف ثلاثة هي الإفادة و الإمتاع و التأثير يقول:« تتمثل الإفادة في شيئين اثنين ، أولهما يتمثل في تلقي كل المعلومات المتعلقة بملف قضية ما، هنا نلتقي في الحقيقة بالمادة الخام للأحداث كما يتصور أنها قد وقعت ، و الواقع أن الخطاب يوجه هنا إلى العقل ،و يطلب من هذا السرد أن يكون موضوعيا و صادقا ، و ثانيهما يتمثل فيما نضيفه إلى هذه المادة الخام من الحجج و وسائل الإقناع، و يتمثل الإمتاع في نفي كل عناصر الملل عن المتلقي ، ذلك الملل يمكن أن يتسبب فيه ثقل المادة المحكية و جفاف الحجج المخاطبة للعقل»[1].

2. نصوص البلاغة العربية

1.2الخطابة

إن الخطابة فن أدبي يعتمد على القول الشفوي في الاتصال بالناس لإبلاغهم رأيا من الآراء حول مشكلة ذات طابع جماعي، و بمعنى أشمل هي فن المخاطبة بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع و الاستمالة[2] .

إن الخطابة بما أنها نوع من القول، فإن هذا القول له بناءه و أسلوبه، و أهم ما يميز هذا الأسلوب الخطابي هو أنه إقناعي و بلاغي؛ إنها نمط لساني يعتمد على الحجاج طلبا للإقناع .

و من منطلق أن الخطابة تحتاج للبلاغة فإنها تحتاج بالتالي للصور البلاغية و للحجج و الحجاج، فالتأثير و الاستمالة يتطلبان الإبانة و الوضوح و أساليب الإقناع.

2.2 الشعر

يعد الشعر قسيم الخطابة في الأدب العربي القديم ، إذ شاركت القصيدة العربية الخطبة في كثير من موضوعاتها و غاياتها، فقد نظمت القصيدة العربية- أكثر ما نظمت- للمفاخرة و المنافرة و المدح و الهجاء و التنصل و الاعتذار و الحث و الإنهاض، و الدعاية والترويج.

فالشعر كما يقول ابن سينا « قد يقال للتعجب وحده ، و قد يقال لأغراض المدنية و هي المشورية و المشاجرية،و المنافرية، شأنه في ذلك شأن الخطابة »[3].

---

[1] محمد الولي، بلاغة الحجاج، علامات، المغرب، ع 5، 1996، http://www.saidbengrad.com/al/n5/8.htm

[2] عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة و إعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1986،ص13.

[3] ابن سينا، الشفاء (الشعر) نقلا عن جميل عبد المجيد، البلاغة و الاتصال، ص127.

وقد كانت العرب تقول الشعر لوجهين أحدهما ليؤثر في النفس أمرا و يؤدي إلى فعل أو انفعال ، و الثاني للعجب فقط.

و يبدو الوجه الأول طاغيا طغيانا بينا في تعريف حازم القرطاجني للشعر حيث عد غايته التحبيب و التكريه أو الطلب و الهرب ، يقول:« الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها ، و يكره إليها ما قصد تكريهه ، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه ، بما يتضمن من حسن تخييل له، و محاكاة مستقلة بنفسها ، أو متصورة بحسن هيئة الكلام، أو قوة صدقه أو قوة شهرته،أو بمجموع ذلك»[1]

ومن ثم ليس بمستغرب أن عدَّ العرب الشعر « صناعة ترمي إلى اكتساب تسليم الغير بما نقول و ألحقوه بالجدل و الخطابة»[2] .

كما حدد الدكتور جابر عصفور وظيفة الشعر الثانية و الغاية منه بقوله:« و عندما يهدف الشعر إلى جانب المنفعة المباشرة،فإنه يثير في المتلقي انفعالات من شأنها أن تفضي إلى أفعال، فيوجه سلوك المتلقي و مواقفه وجهات خاصة، تتفق و الأغراض الاجتماعية المباشرة للشعر، كنصرة عقيدة دينية أو كلامية، أو الدفاع عن مذهب سياسي، أو الدعاية لحاكم أو طبقة، و أوضح ما يتجلى ذلك في المديح و الهجاء و ما يتفرع منهما»[3].

3.2. القرآن الكريم

اهتم البلاغيون العرب بدراسة النص القرآني ، و اعتبروه خطابا حجاجيا نظرا لتوظيفه الكثير من الأساليب الحجاجية التي تؤمن له غاية التأثير على آراء المخاطَب و سلوكاته، و استمالة العقول و توجيه النفوس .

إن القرآن الكريم خطاب، و كونه خطابا يقتضي أنه إقناع و تأثير، ومما يثبت أنه خطاب كثرة مخاطباته ،و المخاطبون فيه نوعان، نوع يذكر داخل النص القرآني وهذا بدوره قسمان، قسم مذكور معين باسمه أو لقبه أو بضمير الخطاب الذي يعينه شأن خطاب الرسول صلى الله عليه و سلم و خطاب الكافرين و خطاب بني إسرائيل و أهل الكتاب و خطاب الذين آمنوا و هو كثير ، فهؤلاء هم

---

[1] حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، ت محمد الحبيب بلخوجة، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط3، 1986، ص63.

[2] أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص24.

[3] جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب، دار التنوير للطباعة، بيروت، ط2، 1983، ص331.

المتلقون الأولون أو السامعون الأولون.و يمثلون ما يمكن أن يسمى في اصطلاح الحجاج الجمهور الخاص أو الضيق، و قسم مذكور في القرآن لكنه غير معين و لامحدد.فالمخاطبون هنا ليسوا بأعيانهم، و الصورة النحوية التي جعلت لهم هي ضمير المخاطب المفرد عادة[1].

أما النوع الآخر من المخاطبين فواقع خارج النص القرآني غير مذكور فيه و لكنه مع ذلك معني بخطاب القرآن، وهو جمهور السامعين و المتلقين على اختلاف عصورهم وأمكنتهم، إنه بعبارة الحجاجيين الجمهور الكوني.

و الخطاب القرآني في ذلك كله أنواع فهو خطاب تهييج و إغضاب و تشجيع و تحريض و تنفير و تعجيز و تحسير و تكذيب و تشريف.

و القرآن فضلا عن كونه خطابا موجها إلى متلق فعلي أو محتمل، فهو مسرح عليه تتحاور الذوات و تتجادل و يحاج بعضها بعضا ، تكثر فيه -بصفة لافتة للانتباه -، حكاية أقوال الكافرين و الرد عليها (صيغة يقولون/قل و غيرها) كما تكثر فيه حكاية أقوال المتخاصمين و المتخاطبين على اختلاف أنواعهم، و عموما تمثل مشتقات مادة (ق.و.ل) سواء أكانت في سياق حكاية القول مجردا أم حكاية القول و الرد عليه أعلى نسبة تواتر في القرآن (حوالي 1730 مرة) بعد نسبة التواتر الخاصة باسم الجلالة.[2]

3.المتكلم و دوره في بناء الخطاب الحجاجي

يمثل المتكلم/مُنتج الخطاب صاحب نية التواصل و المسؤول الفكري و القانوني عن إنتاج الخطاب و عن نجاح عملية التواصل أو فشلها[3] إنه فاعل اجتماعي يفعل داخل مقامات اجتماعية ملموسة و محددة و يفترض هذا الدور كفاءات هي: كفاءة الإنتاج/كفاءة قبلية (تتيح إنتاج خطاب بليغ) و كفاءة بعدية هي كفاءة الإنجاز (تحويل الخطاب إلى رسالة شفوية بصرية).

و لقد اهتم الجاحظ بالكفاءات الخاصة بالمتكلم و التي تمكنه من التأثير في متلقيه، محددا بذلك خصائص الإرسال الشفهي من حيث هو نطق و إشارة بنان ، و مركزا على الصورة أو المظهر الخارجي الذي ترسل فيه الرسالة ؛ ذلك أن هذه الأخيرة كانت ترسل مشافهة في حضور حشد من الجمهور

---

[1] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص42.

[2] المرجع نفسه، ص43.

[3] ينظر يوسف آيت همو، من التواصل إلى التواصل الشعبي، مجلة فكر ونقد ، الكويت، ع36، 2001. http://www.fikrwanakd.aljabriabed.net/n36_05ayathamo.htm و ينظر صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، عالم المعرفة، الكويت، ع164، 1992، ص124.

و الذي كان في غالب الأمر من الأشياع و الأتباع للخطيب الذي يهجو أو يمدح، و من ثم لم يكن الخطيب في حاجة إلى الاستدلال و التعليل قدر احتياجه إلى المبالغة و التنغيم[1].

يسعى المتكلم إلى إظهار الخفي و توضيحه للسامع بالاستعانة بكل الوسائل اللسانية و الإشارية لتحقيق الفهم و الإفهام، متكئا في ذلك على الكفاءات القبلية و البعدية الآتية[2]:

1.3 كفاءة الإنتاج

تتمثل كفاءات الإنتاج في : الكفاءة اللغوية الأدبية و الكفاءة الثقافية تداولية و الكفاءة النفسية الانفعالية.

1.1.3 الكفاءة اللغوية الأدبية:

وتتمثل في معرفة المتكلم باللغة و العلم بأسرارها، و إنتاج الكلام وفق أصولها و قواعدها اللغوية و الأدبية و القدرة على الإبداع و الابتكار و إنتاج الكلام البليغ.

2.1.3 الكفاءة الثقافية:

وهي أن يعرف مؤلف الخطاب ثقافة المتلقي الذي يريد أن يتدخل فيه، وأن يستثمر عناصر هذه الثقافة في الإقناع و التأثير.

3.1.3 الكفاءة النفسية

و تنقسم إلى كفاءتين ، الأولى لها علاقة بالحالة النفسية الانفعالية التي يستحسن أن يكون عليها المتكلم عندما يقبل على إنتاج الكلام البليغ، و الثانية تتعلق بالحالة النفسية المناسبة لإنجاز الخطاب و أدائه أمام السامع.

ويمثل الطبع الكفاءة النفسية الأولى، ويقصد به السجية التي جبل عليها الإنسان ، و قد اعتبر الجاحظ «رأس الخطابة الطبع»[3]. فإذا لم يكن ثمة طبع فإنه على حد قول ابن الأثير في (المثل السائر) « لا تغني تلك الآلات شيئا، و مثل ذلك كمثل النار الكامنة في الزناد و الحديدة التي يقدح بها ، ألا ترى أنه إذا لم يكن في الزناد نار لا تفيد تلك الحديدة »[4].

و الطبع المقصود، هو الطبع الجيد القادر بالفطرة على الأداء الإلقائي نطقا وحركة.فالناس يختلفون في قدرتهم على الإبداع القولي الإلقائي كما يتفاوتون في القدرة على الإبداع التعبيري الكتابي،

---

[1] ينظر البلاغة و الاتصال، ص73-74-75.

[2] ينظر د.حسن المودن، الخطاب الإقناعي في البلاغة العربية،(مرجع مذكور).

[3] الجاحظ، البيان و التبيين، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، دط، دت، ج1، ص44.

[4] ابن الأثير، المثل السائر، ص40.

يعبر عن هذه الفكرة القاضي الجرجاني يقول: « أنت تعلم أن العرب مشتركة في اللغة و اللسان ، وأنها سواء في المنطق و العبارة ، و إنما تفضل القبيلة أختها بشيء من الفصاحة.ثم تجد الرجل منها شاعرا مفلقا ، وابن عمه و جار جنابه و لصيق طنبه بكيئا مفحما، و تجد فيها الشاعر أشعر من الشاعر و الخطيب أبلغ من الخطيب، فهل ذلك إلا من جهة الطبع و الذكاء و حدة القريحة و الفطنة. وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع و تركيب الخلق ، فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع، ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة، وأنت تجد ذلك ظاهرا في أهل عصرك و أبناء زمانك، وترى الجافي الجلف منها كز الألفاظ، معقد الكلام وعر الخطاب، حتى أنك ربما وجدت ألفاظه في صوته و نغمته ، وفي جرس و لهجته»[1].

ويمثل رباطة الجأش الكفاءة النفسية الثانية، ذلك أن المتكلم لا يستطيع مواجهة الجمهور الشاخص بأبصاره إليه دون رباطة الجأش.

ورباطة جأش الخطيب التي اشترطها العرب لا تقف عند حدود الخطابة بل تتجاوزها إلى جميع مجالات الإلقاء دون استثناء. و لقد اعتمد الجاحظ رأي أبي الأشعث في صفات الخطيب و دعا إلى « أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخير اللفظ، لا يكلم سيِّد الأمَة بكلام الأمة و لا الملوك بكلام السوقة »[2].

أما الخطيب الأعيب عندهم فيتميز « بدقة الصوت و ضيق مخرجه و ضعف قوته و [يعتريه] البُهْر و الارتعاش و الرِّعدة و العَرق»[3].

2.3 كفاءة الإنجاز (الكفاءة البعدية)

1.2.3 شروط الإنجاز البليغ و دورها في الإقناع

إن لظروف الإنجاز دورا فعالا في بناء الخطاب الإقناعي ، فالإنجاز البليغ يعني أن يقدم المتكلم للسامعين قطعة نصية موجزة ، جيدة البناء، بليغة في افتتاحها و اختتامها ، شديدة التدلال و الإبلاغ، بليغة في صمتها و كلامها، خفية في تأثيرها و إقناعها، لا تملها الآذان، و تتعلق بها القلوب و تحتفظ بها الصدور.

ومن أهم الأدوات التي تحقق كفاءة الإنجاز:

---

[1] القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي و خصومه، ت محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي،دار القلم، بيروت، دت، دط، ص16 .

[2] البيان و التبيين، ج1،ص92.

[3] المرجع نفسه،ج1، ص133.

1.1.2.3 الصمت

يمثل الصمت أداة قوية و مهمة في إنجاز الخطاب الحجاجي ، لا ينبغي إغفالها ، ويعرف الصمت على أنه الإمساك عن الكلام لوقت طويل ، فهو عمليا يكون قبل الكلام للإعداد و إما أن يكون بعده للانتهاء أو يكون بانتظار أو ملازمة أمر ما أو بانتهاء كلام الآخرين[1].

2.1.2.3 الوقف و السكوت

يرادف مصطلح الوقف مصطلح السكوت و يعني قطع الكلام لوقت قصير ، جاء في لسان العرب لابن منظور«..قال: وحكى أبو عمرو: كلمتهم ثم أوقفت أي سكت.. وكل شيء تمسك عنه تقول أوقفت»[2]

ويكون الوقف للمعنى ابتغاء تأكيده و إبرازه؛ من غير أن يكون الخطيب في حاجة إلى النفس و ملء رئتيه بالهواء .

و وجوب الوقف أو السكوت في موضعه يستدعي تلقائيا تجنبه في غير موضعه و عدم الاستعانة بملئه بكلام لا ضرورة له، قال الجاحظ:« حدثني صديق لي قال: قلت للعتابي: ما البلاغة؟ قال: كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة و لا استعانة فهو بليغ،... : فقلت له: قد عرفت الإعادة و الحبسة فما الاستعانة؟ ، قال : أما تراه إذا تحدث قال عند مقطع كلامه:يا هناه، و يا هذا ، و يا هذا و يا هيَه، واستمع إليَّ، و افهم عني، أو لست تفهم، أو لست تعقل، فهذا كله و ما أشبهه عي وفساد»[3].

2.2.3 دور الكفاءة المسرحية في الإقناع

إن إنجاز خطاب بليغ إقناعي، يتطلب من المتكلم استعمال صوته و جسده و لباسه بالشكل الذي يسمح بالحديث عن بلاغات أخرى غير لفظية، يستغل المتكلم إمكاناتها في التأثير و الإقناع .ذلك أن الخطاب الإقناعي الشفوي لا يتحدد فيما يسمعه السامع فقط، بل فيما يراه أيضا، كأن الأمر يتعلق بعرض مسرحي ، إنجازه يقتضي القدرة على تحويل الجسد إلى جسد متكلم، يقول و يعبر و يرمز و يؤثر[4].

[1] ينظر فاروق الأسعد، فن الإلقاء العربي الخطابي و القضائي و التمثيلي، شركة الحلبي للطباعة، بيروت، ط2، 1999، ص364.

[2] لسان العرب، مادة (وق ف).

[3] البيان و التبيين، ج1، ص113.

[4] ينظر حسن المودن، الخطاب الإقناعي في البلاغة العربية، (مرجع مذكور).

و لقد أشار الجاحظ إلى البلاغات غير اللفظية (أنساق التواصل غير اللغوية) و بين دورها في الإبلاغ و التأثير و الإقناع، و قد اختلطت عنده بمفهوم البيان و كادت تلتبس به ، حيث عرفه قائلا: « البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى و هتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، و يهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، و من أي جنس كان الدليل ، لأن مدار الأمر و الغاية التي يجري إليها القائل و السامع، إنما هو الفهم و الإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع »[1] .

إن للبيان وظيفتين هما الوظيفة الإفهامية و الإقناعية، و لا تكون الوظيفتان للبلاغات اللفظية فحسب بل للبلاغات غير اللفظية أيضا، و تتمثل هذه الأخيرة في الآتي:

1.2.2.3 الإشارة

يرى الجاحظ أن الإشارة تسهم في الإقناع و التأثير، لذلك جعلها بعد الفهم بخاصة في الخطابة التي كانت في عصره النموذج الراقي للبيان الذي احتفى به الخاصة، و تناول مفهوم الإشارة في مستويين :إشارة مساعدة على التبليغ ، مصاحبة للفظ مكملة له، و قد حظيت منه باهتمام كبير باعتبارها جزءا من بلاغة الخطابة العربية من جهة ، و لكونها هدفا لمطاعن الشعوبية لاتصالها بنسق الحياة البدوية من جهة ثانية ، أما المستوى الثاني فهو الإشارة الدالة في حد ذاتها، باعتبارها نسقا منفصلا عن اللغة و تشمل عنده صور التعبير الاجتماعي مثل طريقة اللباس و الأزياء و المراكب و غير ذلك من المظاهر المعبرة التي يقصد منها التأثير في الآخرين[2].

إن الإشارة عند الجاحظ صنف من أصناف الحياة التواصلية الإنسانية، و هي ذات وظائف إبلاغية و إقناعية و قد صنفها فيما يلي:

– الإشارة التابعة لسلوك معين و هي نوعان:

إشارة بعض من أعضاء الجسم و في ذلك نجده يقول: «...فأما الإشارة فباليد وبالرأس و بالعين و الحاجب و المنكب..»[3]

– إشارة تتم من خلال المظهر و يتجلى ذلك في قوله: «...و بالثوب و بالسيف، و قد يتهدد رافعُ السيف و السوط فيكون ذلك زجرا و مانعا رادعا، و يكون وعيدا و تحذيرا»[4]

[1] البيان و التبيين، ج1،ص 76.
[2] محمد العمري، البلاغة العربية أصولها و امتداداتها، ص205-206 .
[3] البيان و التبيين، ج1، ص77.
[4] المرجع نفسه، ص77.

- **الإشارة التابعة للفظ و الكلام** ، يقول الجاحظ :«... و الإشارة و اللفظ شـــريكان في الفضـــل ، و نعم العون هي له و نعم الترجمان هي عنه، و ما أكثر ما تنوب عن اللفظ، و ما تغني عن الخط...»[1].

إن المظاهر الإشارية و السلوكية المصاحبة للغة المدعمة لها التي أوردها الجاحظ، تحتـــوي معـــاني و حججا يقتدر بها الخطيب و الشاعر في معركة الحجاج التي كان يخوضها مع مناوئيه حتى يثبت رأيه و يقنع الآخر و يؤثر فيه.

4. المقومات النصية و دورها في إنتاج الخطاب الحجاجي.

إن النص أداة للفعل في سياق تخاطبي محدد ، لكن هذه الأداة تتحول هي نفسها إلى موضـــوع للتفكير و الاشتغال و الإبداع، وبهذا التحول يمتلك النص فعالية أكثر قوة و نجاعة.

و تعني فعالية النص أن النص البليغ هو الذي يستطيع أن يحول الأشـــكال الصـــوتية و المجازيـــة و الإستعارية إلى عناصر أساسية في بناء حجاجية للنص تكون قادرة في الوقت ذاته على إقناع العقـــول و الأذهان واستمالة القلوب[2].

و لقد أولى البلاغيون العرب الكثير من اهتمامهم للإمكانات و الخصائص التي تتوفر في الـــنص و التي تسمح له بالفعل أي بإدماج المخاطَب و استمالته، أذكر أهمها فيما يلي:

1.4 النظم و وظائفه الشعرية و التداولية.

يعرف مصطلح النظم بأنه التأليف و الضم، و لهذا المصطلح جذور في الدراسات الإعجازية ، فقد ألف الجاحظ كتابه "نظم القرآن" و تناوله أبو عبيدة في كتابه "مجاز القرآن" و الفراء في كتابه "معـــاني القرآن" ، ويرى هؤلاء أن إعجاز القرآن يكمن في نظمه و غايته لا تتوقف عند الإبلاغ و الإفهام، بل تتعداها إلى التأثير في المتلقي.

و يتعدى مفهوم النظم عند "عبد القاهر الجرجاني" من الضم و التأليف إلى مراعاة و تطبيق قوانين النحو، يقول عبد القاهر الجرجاني « فاعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو و تعمل على قوانينه و أصوله، و تعرف مناهجه التي نُهجت ، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها، وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغي الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل بابٍ و فروقه »[3].

---

[1] البيان و التبيين، ج1، ص78.

[2] ينظر حسن المودن، الخطاب الإقناعي في البلاغة العربية، (مرجع مذكور).

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ت محمد ألتنجي، دار الكتاب العربي، ط1، 2005 ،ص69-70.

إن النظم يعد مكونا جوهريا في تحليل القول ، و يتشكل من خلال أربعة أبعاد أساسية تؤدي وظائف مختلفة لكنها متناغمة نظما و هي:

أ-الاتساق التركيبي : و هو الإحكام الداخلي للغة عن طريق قواعد النحو التي تقوم بإيضاح الفروق بين معاني الكلم.

ب- التناسق الدلالي: المتمثل في صلابة المعنى الكلي، انطلاقا من معاني الكلمات المتجاورة معجميا (منتمية إلى الحقل المعجمي نفسه).

ج- التلاؤم التداولي: إن المقتضيات المقامية تكون حاضرة في النظم، حيث تلعب دور الملاءمة بين السياق الداخلي اللغوي و المقام الخارجي.

د- الأثر الحجاجي: يقوم النظم بتحريك انفعال المخاطب أو استمالته أو الدفع به نحو قبول فكرة معينة "الإقناع".[1]

لقد تناول عبد القاهر دور التقنيات التركيبية كالوصل و الفصل و الحذف و الاضمار و التقديم و التأخير و التعريف و التنكير في تحديد المعنى و أهم السياقات التي تمكن المتكلم باستعمال هذه التقنيات التي لها اعتبارات ترتبط فيها بالمتكلم و اعتبارات ترتبط فيها بالمتلقي و اعتبارات تتصل بطبيعة الصياغة نفسها.

و ليوضح الجرجاني دور النظم في عملية الإمتاع و الإقناع عمد إلى قول البحتري[2]:

بلَوْنا ضَرَائِبَ مَنْ قَدْ نَرَى فَمَا إنْ رَأَيْنا لِفَتحٍ ضَرِيبَا
هُوَ المَرْءُ أَبْدَتْ لَهُ الحـدِثا تُ عَزمًا وَشِيكًا و رأيًا صَليبا
تنقَّلَ في خُلُقيْ سُـؤْدُدٍ سَماحًا مُرَّجى و بَأْسًا مَهيبا
فكالسَّيفِ إن جئتَهُ صارِخاً و كالبَحْرِ إن جئتَه مستَثِيَبا

يقول الجرجاني : « فإذا رأيتها قد راقتك، و كثرت عندك ، و وجدت لها اهتزازا في نفسك، فعد فانظر في السبب،و استقص في النظر، فإنك تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه قدَّم و أخَّر ، و عرَّف و نكَّر ، و حذف و أضمر، و أعاد وكرر ،و توخى على الجملة وجها من الوجوه التي يقتضيها علم النحو،

[1] ينظر عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل و الحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2006، ص73.

[2] الأبيات من قصيدة في مدح الفتح بن خاقان، ديوان البحتري، شرحه يوسف الشيخ محمد، دار الكتب العلمية، بيروت،ج1، دط، 2000، ص91.

فأصاب من ذلك كله، ثم لطُف صوابه ، و أتى مأتى يوجب الفضيلة.أفلا ترى أن أول شيء يروقك منها قوله:"هو المرء أبدت له الحادثات"، ثم قوله: "تنقل في خلقي سؤدد " بتنكير السؤدد، و إضافة الخلقين إليه.ثم قوله: "فكالسيف" و عطفه بالفاء مع حذفه المبتدأ لأن المعنى : لا محالة فهو كالسيف. ثم تكريره الكاف في قوله: "و كالبحر"، ثم أن قرن إلى كل واحد من التشبيهين شرطا جوابه فيه. ثم أخرج من كل واحد من الشرطين حالا على مثال ما أخرج من الآخر. وذلك قوله"صارخا" هناك و "مستثيبا" ها هنا. لا ترى حُسنا تنسبه إلى النظم ليس سببه ما عددتُ أو ما هو في حكم ما عددت فاعرف ذلك»[1] .

لقد سلك الجرجاني في تحليله للقول مسلكا إبداعيا ، حيث أعطى للمقولات النحوية أبعادا تداولية و معاني جديدة و وظائف تأثيرية غير تلك التي كررها و أطنب فيها النحاة القدامى و الجدد على حد السواء ، كما يبرز التحليل دور المكونات و الآليات اللسانية و وظائفها السياقية و التداولية[2]. و بيَّن أيضا أن المتلقي تهتز نفسه لكل ما هو جميل، و لا يتأتى ذلك من خلال إتباع المتكلم لقواعد النحو في نظم كلامه.

و هكذا انتقل التفكير البلاغي العربي من الاهتمام بشعرية اللفظ إلى الانشغال بمسألة النظم و وظائفه الشعرية و التداولية، فاتحا بذلك آفاقا جديدة للبحث ، إذ لم يعد يفكر في النص من خلال اللفظ بل من خلال التركيب.

إنه تحول جوهري أسس مفهوما للنظم يجمع بين النظر إليه كمكون نصي داخلي من المكونات البنيوية للنص، لا من منظور نحوي ضيق، آخذا بعين الاعتبار شعرية النظم و انزياحاته و انتهاكاته و ألاعيبه، وبين النظر إليه من منظور تداولي باعتبار التأثيرات التي يحدثها بشعريته و قدرته على الإيحاء و التدلال في مقام معين[3].

---

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص72-73.

[2] ينظر عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص 74.

[3] ينظر حسن المودن ، الخطاب الإقناعي في البلاغة العربية، (مرجع مذكور).

2.4 الصورة البيانية و دورها في الإقناع

تجاوز السكاكي معالجة الإرسال الشفهي و تقنيات التأثير و الاستمالة الخاصة به إلى الاهتمام بالخطاب المكتوب و ما يعتمده من حجة معقولة (استمالة العقول) ،و بالتالي الاهتمام ببيان العبارة، مقعدا بذلك لعلم البيان .

و علم البيان و المعاني عند السكاكي أحد أنواع الأدب ينهض بدراسة الصيغ أو التعابير التي تختلف زيادة و نقصانا في وضوح الدلالة على المعنى الواحد، و هذا الاختلاف لا يكون في الدلالات الوضعية ، بل في الدلالات العقلية ، يقول السكاكي:« إن محاولة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه و النقصان بالدلالات الوضعية غير ممكن ، فإنك إذا أردت تشبيه الخد بالورد في الحمرة مثلا و قلت : خد يشبه الورد، امتنع أن يكون كلام لهذا المعنى بالدلالات الوضعية أكمل منه في الوضوح أو أنقص ، فإنك إذا أقمت مقام كل كلمة ما يرادفها ، فالسامع إن كان عالما بكونها موضوعة لتلك المفهومات ، كان فهمه منها كفهمه من تلك من غير تفاوت في الوضوح ، و إلا لم يفهم شيئا أصلا ، و إنما يكمن ذلك في الدلالات العقلية »[1] .

إن علم البيان عند السكاكي هو اعتبار الملازمات بين المعاني، و موضوعه الصيغ التي لا تقف عند دلالتها الوضعية بل تتجاوزها إلى دلالات عقلية، فالتجاوز يتم عن طريق اللزوم العقلي أو الاعتقادي.

و تتمثل أنواع الملازمات في:

- الانتقال من الملزوم إلى اللازم مثل رعينا غيثا و المراد لازمه وهو النبت، و يمثل هذا الانتقال المجاز.
- الانتقال من اللازم إلى الملزوم مثل فلان طويل النجاد و المراد طول القامة الذي هو ملزوم طول النجاد، و يمثل هذا الانتقال الكناية.
- الانتقال من الملزوم إلى اللازم مع تقدمة تشبيه شيء بذلك الملزوم في لازم له ، و تمثله الاستعارة.

و هكذا تحددت فنون علم البيان عند السكاكي في التشبيه ، المجاز (المرسل ، الاستعاري) و الكناية[2].

إن الصورة البيانية (التشبيه، الاستعارة، الكناية) مقدمة كبرى تؤدي في نهاية الأمر إلى استنتاج باصطلاح المناطقة أو معنى المعنى باصطلاح عبد القاهر الجرجاني أو دلالة عقلية باصطلاح السكاكي، مما يجعل البيان ضربا من ضروب الاستدلال ، قوامه البينة و غايته الإقناع.

[1] السكاكي، مفتاح العلوم،ت عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000 ،ص182.

[2] ينظر جميل عبد المجيد، البلاغة و الاتصال ص162-163.

و إن الانتقال من المعنى الحرفي/الصريح أو الحقيقة إلى المعنى المستلزم أو المستعار يتم وصفه بالإجراءات نفسها التي يمكن أن تصاغ على شكل قاعدة عامة نجدها في الرياضيات و هي ما يعرف بقاعدة التعدية: إذا كانت أ تقتضي ب و ب تقتضي ج فإن أ تقتضي ج، و هو منهج في طرق التحليل افترض قيامه بين منهج البلاغيين العرب القدماء و التداوليين[1] .

3.4 فنون البديع و دورها في الإقناع

بعد أن عرف البديع اتساعا و تشعبا بدءا بالجاحظ حتى القرن السابع الهجري ، عرف تقنينا و تحديدا على يد الخطيب القزويني ، و كان تحديده لمفهوم البديع مفهوما يميزه عن مفهومي علم المعاني و علم البيان من أهم إنجازاته، و يعرفه بأنه « علم يُعْرَفُ به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة و وضوح الدلالة ، و هو ضربان معنوي و لفظي»[2]

لقد حدد القزويني فنونا بلاغية محددة تدرج و تبحث في إطار البديع ، و بين علاقته بعلمي المعاني و البيان فأصبح بذلك العلم الثالث من علوم البلاغة .

و لا تتمثل وظيفة البديع في التحسين فحسب، بل له وظيفة فنية يسهم في تحقيقها و هي وظيفة من أخص خصائص الكلام الأدبي، كما يسهم في إكساب الكلام صفة النصية[3].

يبين مفهوم القزويني أن الكلام عندما يتحقق فيه البديع ، تتحقق فيه البلاغة كل البلاغة ، لأن البديع لا يعتد به ما لم يتحقق شرطا المطابقة و وضوح الدلالة ، يقول أبو جعفر الغرناطي: « العلم بوجوه تحسين الكلام لا يسمى بديعا إلا بشرطين: أن يكون ذلك الكلام مطابقا لمقتضى الحال ، و أن تكون كيفية طرق دلالته معلومة الوضوح و الخفاء، فالشرط الأول هو علم المعاني ، و الشرط الثاني هو علم البيان ، فلو عدم الشرطان أو أحدهما من الكلام ، لم يكن العلم بوجوه تحسين ذلك الكلام بديعا»[4].و على هذا فالبديع هو خلاصة علمي المعاني و مصاص سُكريهما[5].

---

[1] ينظرمحمد السيدي، إشكال المعنى ، من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري، فكر ونقد ، المغرب، ع25، 2000.
http://www.fikrwanakd.aljabriabed.net/n25_05sidi.htm

[2] الخطيب القزويني، التلخيص في علم البلاغة، مطبعة عيسى الحلبي، مصر، دط،دت، ص93.

[3] جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،دط، 1998 ص 32.

[4] الغرناطي، طراز الحلة و شاء الغلة، ص79، نقلا عن البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية، ص32.

[5] البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية ص32.

و قد وصلت فنون البديع إلى ما يربو على المائة و العشرين عند ابن أبي الأصبع المصري و أصحاب البديعيات ، و بلغت مداها عند القزويني ، و كان هذا التوسع العددي على حساب النسق المنطقي و البناء الوظيفي ، و تتمثل بعض هذه الفنون في : التكرار و الترديد و التجزئة و التشطير و التفسير و المطابقة و المبالغة و الترصيع و التصريع و التشطير في (السجع) و غير ذلك.

ويعد البديع وحدة من وحدات النص القابلة للاستعمال في مقامات و سياقات مختلفة، ذلك أن للأشكال الصوتية الموسقية دورا في الإقناع النصي باعتبارها نشاطا يجري و يحث و يكون قادرا على إنتاج دلالات و تأويلات. إنها عناصر أساس في بناء حجاجية النص؛ لقدرتها على إقناع العقول و الأذهان و استمالة النفوس و القلوب، كيف لا والبديع أحد فروع البلاغة الهادفة إلى الاستمالة و الإقناع.

5. المخاطَب و دوره في إنتاج الخطاب الحجاجي

يمثل المخاطَب السامع المقصود من الخطاب و الذي من أجله أنشيء ، ولقد اهتمت البلاغة العربية القديمة بالمخاطَب و لم تفرط في جانبه و أعطته بعض ما يستحق بالنظر إلى دوره في عملية التواصل و يتجلى ذلك في ما يلي:

- إن البلاغة العربية ما فتئت تذكر المتكلم بمراعاة السامع في خطابه سواء في طبيعة لغة الرسالة أو في التقنيات اللغوية المستعملة (حذف، تكرار، إطناب..) أو على مستوى المقام العام (الوقت المناسب، مراعاة المكانة العلمية و الاجتماعية و السياسية...)
- إنها في كثير من الأبواب تعتمد على موقف السامع ، مثل تقسيمها الخبر إلى:ابتدائي، وطلبي و إنكاري و تقسيمها القصر إلى قصر تعيين و قصر إفراد، و قصر قلب و ما إلى ذلك.
- المخاطب هو الحاكم على الرسالة ، شعرا أو نثرا من حيث مستواها الفني إذ لا يمكن أن يظهر مستوى نص معين أو تظهر مؤهلاته الأسلوبية إلا من خلال متلقيه.
- لا يمكن فهم الكلام (الخطاب) دون استخدام القدرات العقلية للمخاطَب.ذلك أن اللغة مؤسسة على أمور مشتركة بين المتخاطبين مثل المعارف اللغوية و الإدراكية و الأعراف اللغوية[1] .

[1] ينظرمحمد محمد يونس علي ، علم التخاطب الإسلامي، دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، دار المدار الإسلامي، لبنان، ط1، 2006،ص28.

6.المقام ودوره في إنتاج الخطاب الحجاجي

يحتل المقام موقعا رئيسا و جوهريا في البلاغة العربية ، و قد فهمته (البلاغة) فهما ديناميا و ليس سكونيا. حيث ارتقت بلاغة السكاكي في دراستها للمقام إلى مستوى الأنموذج العلمي الرصين، و ارتبط سؤال المناسبة المقامية التداولية في أجلى صوره بالبحث عن فعالية علمية إقناعية خطابية من جهة (عند الجاحظ)، كما ارتبط من جهة أخرى بملاءمة العبارة للمقاصد ضمن نظرية النظم الإعجازية (التداولية اللسانية في مقابل التداولية الإقناعية النصية) و ارتبط من جهة ثالثة بالبحث عن بلاغة كلاسيكية ذوقية تقوم على الصحة و المناسبة عند ابن سنان مثلا[1].

1.6 لكل مقام مقال

تمثل عمدة البلاغة عند العلماء العرب مطابقة الكلام لمقتضى الحال حتى قالوا "لكل مقام مقال". و فكرة المقام عند بلاغيي المرحلة الثانية – على الرغم من اتساعها – فكرة افتراضية تمت معالجتها على نحو تقعيدي تعليمي (إذا كان المقام كذا فالمقتضى كذا).

إن البلاغة العربية لم تغفل مستعملي اللغة و سياقات الاستعمال ، يقول السكاكي:« لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فقام الشكر يباين مقام الشكاية و مقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم ، و مقام الترغيب يباين مقام التعزية، و مقام المدح يباين مقام الذم و مقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل ،وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، وجميع ذلك معلوم لكل لبيب »[2].

2.6 مراعاة المخاطَب

نظر البلاغيون العرب إلى المقام نظرة نمطية ، و يتضح ذلك في قول أبي هلال العسكري «و إذا كان موضوع الكلام على الإفهام فالواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس فيخاطب السوقي بكلام السوقة، و البدوي بكلام البدو، و لا يتجاوز به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه فتذهب فائدة الكلام ، و تعدم منفعة الخطاب»[3].

---

[1] ينظر إدريس عمراني، نظرية النحو الوظيفي،نظرات في البلاغة العربية و النماذج اللسانية الحديثة، مقالات نقدية، القدس العربي،المغرب، 11أفريل 2006. http://www.jehat.com/jehat/ar/janataltaawak/maqalat naqdeya/edrees_omrani.htm

[2] السكاكي،مفتاح العلوم، ص256.

[3] العسكري، كتاب الصناعتين، ص29.

و قد جاء في البيان و التبيين أهمية الموازنة بين أقدار المعاني و أقدار السامعين، يقول الجاحظ « ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني و يوازي بينها و بين أقدار المستمعين و بين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما و لكل حالة من ذلك مقاما ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني و يقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات و أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات، فإن كان الخطيب متكلما تجنب ألفاظ المتكلمين، كما أنه إن عبر عن شيء من صناعة الكلام واصفا أو مجيبا أو سائلا ، كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين، إذ كانوا لتلك العبارات افهم، و إلى تلك الألفاظ أميل...»[1] .

بين هذا النص العلاقة الوثيقة بين المتلقي و المقام و وجوب الإلتفات إلى أغراض الخطاب، فالكلام الموجه إلى الذكي ليس نفسه الكلام الموجه إلى الغبي ، و بتغير أحوال المتلقي يتغير قصد المتكلم و تربط بينهما مقصدية الإفهام و استجابة التلقي.

3.6 مراعاة التراكيب للأغراض و المقاصد

يعد علم المعاني أهم فرع تجلت فيه فكرة المقام، و قد عرفه القزويني بقوله : «تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، و ما يتصل بها من استحسان و غيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره»[2] .

وقد تخصص علم المعاني بدراسة أنواع الأساليب اللغوية و مقامات كل منها، كما أنه عني بالأغراض الفرعية في مقابل الأغراض الأصلية للأساليب العربية (النداء، الأمر، النهي، الاستفهام...) و هي أغراض لا تتحدد إلا من خلال معرفة المقام التواصلي.

و في هذا الأمر ، بين السكاكي بشكل خاص الأفعال الطلبية التي جاوزت معناها المباشر إلى المعنى غير المباشر في سياق الإشارة إلى إمكان مخالفة ظاهر اللفظ لمراد المتكلم ، فالاستفهام مثلا يتحول لوجود جملة من القرائن المقالية و المقامية يختارها المتكلم لتحقيق قصد معين كالعرض في قولنا ألا تحب أن تنزل فتأخذ شيئا، و انصرافه إلى الإنكار في قولنا "أمثليك يفعل هذا"[3].

و هكذا تتعدد وظائف الاستفهام بحسب المقام الذي يستعمل فيه، كما درس السكاكي تعدد الوظيفة التداولية للأمر و النهي و التمني و النداء.

---

[1] البيان و التبيين، ج1، ص138-139.

[2] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح و تعليق محمد عبد المنعم خفاجي، الشركة العالمية للكتاب،دط 1989 ،ج1، ص57.

[3] ينظر السكاكي ، مفتاح العلوم، ص147.

إن المقام يحدد أهمية ذكر أو طي أحد الأركان الأساسية للتركيب (المسند إليه، المسند)، جاء عند السكاكي في كلامه عن اعتبارات المسند إليه « لما تقرر أن مدار حسن الكلام، و قبحه على انطباق تركيبه على مقتضى الحال، ... وجب عليك أيها الحريص...أن ترجع إلى ذكرك الصائب...في التصفح لمقتضيات الأحوال في إيراد المسند إليه على كيفيات مختلفة»[1].

فالمقال حسب السكاكي ليس مادة منفصلة كل الانفصال عن مقامها، وهو بذلك يلقي بعض الضوء على العلاقات المعقدة التي تقوم بين مكونات النص اللغوية الداخلية و مكونات المقام الخارجية، متحدثا بذلك عن مراعاة الألفاظ و التراكيب للأغراض و المقاصد.

و إن الفهم السليم للكلام (الخطاب) لا يقاس بفهم معنى الجمل فقط، بل بالإدراك السليم لمراد مقاصد المتكلم منه، حتى يتحقق الإقناع و التأثير.

[1] مفتاح العلوم، ص 256 .

الفصل الثالث

الحجاج في البلاغة الغربية المعاصرة

أولا: نظرية الخطابة الجديدة

تمهيد

وقعت البلاغة الكلاسيكية في العديد من الأخطاء ، خصوصا فيما يخص تصـنيفها للمضـامين و الأجناس الخطابية ، و الذي كان نابعا من التصور الخاطىء للحجاج و آثاره، إذ تم اعتباره آلية جاهزة و تصورا جزئيا يتم السعي إليه من أجل قصر المعنيين على تبني أراء معينة، دون أن تؤخذ بعين الاعتبـار رؤاهم المستقبلية و توجهاتهم الراهنة، و كذلك المتغيرات الداخلية "النفسية، الاجتماعية، الإيديولوجية" التي تحكم نسقهم الاعتقادي و تحركاتهم الفعلية [1].

سمح هذا الإقصاء للمتغيرات الداخلية، إلى إعادة النظر في أهم الشروط اللازمة لحـدوث التـأثير و الإقناع، و ذلك من خلال الانتقال من النموذج المنحدر من النظريـات الأرسـطية و المـتممين الرومان إلى النموذج الموسع للخطابة التي تعد أساسا طريقا للمعرفة و التأثير على المتلقي.

فالحديث عن بعث الحجاج و عودته القوية خلال النصف الثاني من القرن الماضي، تفسره تلك الولادة المتزامنة للاهتمام المتزايد باللغة الطبيعية و المنطق الطبيعي، فضلا على تكاثف الدراسات حولهما و المنفتحة بدورها على التداولية و نظرية الخطاب،المجال الملازم للغة عن طريق الأخذ بالاعتبار التلفظ، مع مراعاة الموجهات المقامية لإبراز النشاط الحواري الذي تتجلى فيه الفاعلية و القصدية المتبادلة[2].

كل هذا جعل الجامعات الأوروبية يضعن مواد علميـة تتمحـور حـول الإقنـاع أو التـأثير و الدعاية ، كما تتمحور حول العلوم المشتركة و العمل الحجاجي ، فعرفت الخطابـة بـذلك نفسـا جديدا، و اكتسبت مفهوما خاصا، و اعتبرت مصطلحا مرتبطا بنظرية الخطابات الاجتماعيـة، هـذه الخطابات تختلف باختلاف محتواها ، موجهة من خلال فكر اللافظ لإنتاج تأثيرات محددة على الجمهور " المتلقي".

فالقرن العشرون قد ميزه الكلام الحجاجي ، و هذا الكلام الحجاجي ينعكس بدوره أيضا في الخطـاب اليومي [3].

1ينظر محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تطوره في البلاغة المعاصرة، عالم الفكر، مجلد 28، ع3، مارس 2000، الكويت، ص 81-82.

[2] Mariana TUTESCU,L'Argumentation,Introduction a l'étude du discours , http://ebooks.unibuc/lls/ marianatutescu-argumentation/4.htm

3 ينظر المرجع نفسه، (الصفحة نفسها)

كتب في هذا الموضوع "Pierre Oleron" حيث قال : أصبح الحجاج قسما من حياتنا اليومية، في صفحات الجرائد، مقطع في المذياع، أو التلفاز، لم يعد مقتصرا على الذين يعرضون حججا لمحرر صحفي، لضيف معين، لرجل سياسي، لكاتب، لناقد.

هذه النصوص أو التقديمات ،و التي هي ظاهريا إشهارية تحاجج لتبرير شراء أو استهلاك سلعة ما أو منتج ثقافي آخر.

على غرار ذلك، مجلات أو جرائد مختصة تتعرض لامتحانات نقدية تظهر محاسنها أو ضعفها و من ثم تحث على تبنيها أو رفضها، و حتى وصف الأحداث، أو كيفية عرض الصور ، هما في بعض الأحيان حججا ضمنية لصالح فرضيات، و مهارة المدافعين عنها تؤدي إلى عدم إماطة اللثام عنها أكثر.

لكل واحد منا ، من جهة أخرى و في لحظات مختلفة، و أمكنة مختلفة، يأتي بالحجاج، و المتمثل في إقامة دعواه ، و تبرير سلوكه، اتهام أو حماية أصدقاء، أعداء ، جمهور أو أولياء، إمعان النظر في المع و الضد لاختيار أو لاتخاذ قرار. و هو هدف الحجاج المتطور من خلال الآخرين في نفس السياق، على نفس المواضيع[1].

من جهة أخرى، اعتبر بعض اللسانيينمثل لسانيون مثل "بلاتين "Ch. Plantin الحجاج كرابع وظيفة للغة حسب تعبير "بوبر .K.popper"، و هذه الوظيفة الحجاجية هي وظيفة نقدية، تميز اللغات الطبيعية، و تعمل بدورها من خلال ثلاث وظائف أولية اكتشفت من طرف "بوهلر" في المحضر العام للتواصل: التعبير عن الذات، التأثير على الآخر، وصف العالم[2].

كل هذه المعطيات سمحت بظهور نظرية معاصرة للحجاج، كخطابة جديدة، مثلها مؤلف "مبحث في الحجاج، الخطابة الجديدة، "لشايم بيرلمان Chaim Perelman" و "لوسي أولبريخت تيتيكا Lucie-Olbrechts-Tyteca" ، و يمثل هذا المؤلف الذي نشر في 1958 أوج ما توصلت إليه المدرسة البلجيكية.

إن كتاب "مبحث في الحجاج، الخطابة الجديدة" هو نظرية حجاجية معاصرة لها أسس و مبادىء تقوم عليها، و قد خلَّص الباحثان في هذا المصنف الحجاج من ربقة المنطق و من أسر الأبنية الاستدلالية المجردة مقربين إياه من مجالات استخدام اللغة، مثل مجال العلوم الإنسانية و الفلسفة و القانون.

1voir ,Mariana TUTESCU,L'Argumentation,Introduction a l'étude du discours (مرجع مذكور)

2 ينظر المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

و تركز النظرية على جانب الظفر بالحجة أو مصادر الأدلة أكثر مما تهتم بجمالية العرض اللغوي أي الأسلوب، فضلا على اعتبار الحجاج "حوارا" بين الخطيب و جمهوره، لا استدلالا شكليا و لا مغالطة أو مناورة أو تلاعبا بالمشاعر و العقول.

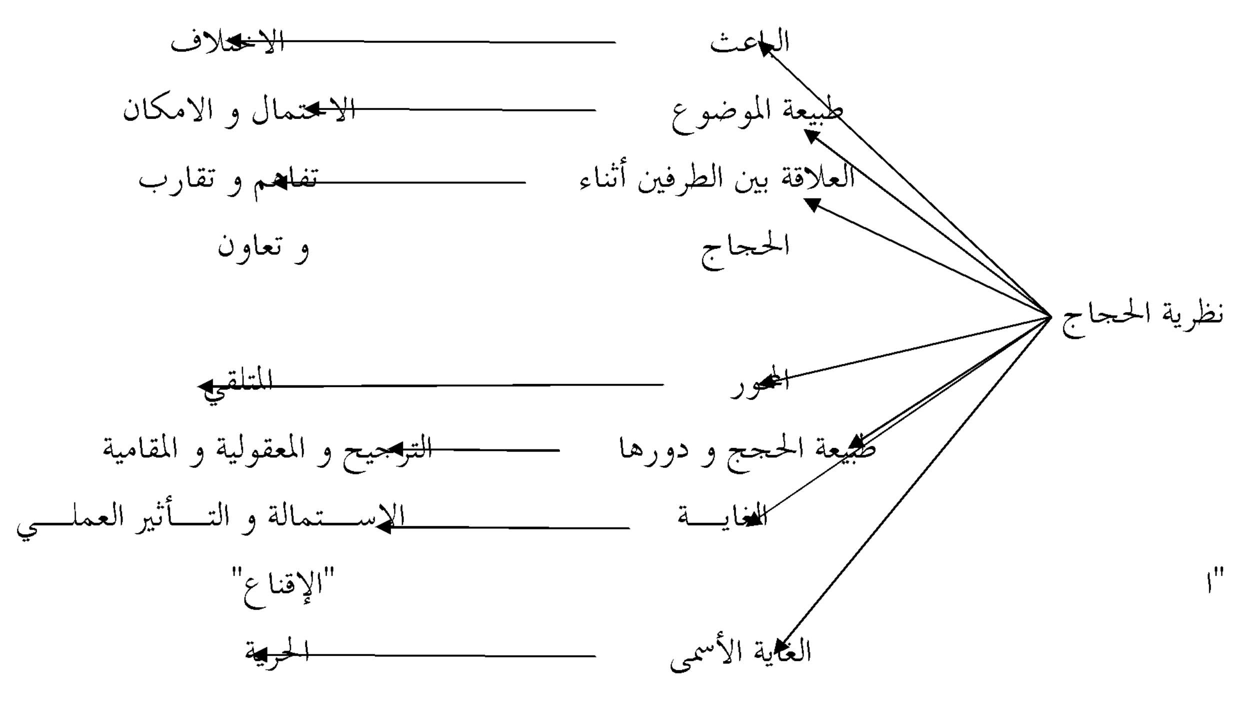
إن مشروع الباحثين هو إقامة "خطابة جديدة" كما ينص على ذلك العنوان الفرعي للكتاب، تهدف إلى التأثير في الجماهير و تغيير أوضاعها الذهنية لكن على أسس معقولة و مقبولة.

و تتجلى الخطابة في كتاب "مصنف في الحجاج" في شكل حوار تكون فيه حجج الخطيب معقولة فيقبل بها الجمهور في سهولة و يسر، لقد حاولا بذلك أن يجعل للخطابة بعدا عقليا يحفظها من أن تلتبس بالسفسطة و المغالطة و المناورة.

فالخطابة البيرلمانية هي تقنية تتيح لنا تسليط العقل على الخيال من أجل تحريك الإرادة[1] .

و هكذا استأنف "بيرلمان" مثلما فعل أرسطو، تحليل التفاعل بين المستمع و الخطيب، لقد شاء أن يكون في هذا المؤلف عالما منطقيا متمكنا من آلية التفكير و ليس متمكنا فقط من الفصاحة[2]

أما عن أهم المفاهيم و المبادىء التي تقوم عليها النظرية فيمثلها المخطط الآتي[3]:



[1] ينظر عبد الله صولة، الحجاج: أطره و منطلقاته و تقنياته من خلال "مصنف في الحجاج "الخطابة الجديدة" لبيرلمان و تيتيكا،ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، منوبة، تونس، مجلد XXXIX، 1998 ص 302.

[2] ينظر ليونيل بلينجر، الآليات الحجاجية للتواصل ،ص 40.

[3] ينظر جميل عبد المجيد، البلاغة و الاتصال، ص 111.

1. الحجاج، مفهومه، مجاله و وظيفته

1.1مفهوم الحجاج

أطلق "بيرلمان" و "تيتيكا" لفظة "حجاج" و "محاججة" "Argumentation"على العلم و موضوعه، و من أهم التعاريف التي قدماها لنظرية الحجاج قولهما: « درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم »[1].

بناء على هذا التعريف يتبين لنا تمييز "بيرلمان" بين الحجاج و البرهنة ، برهان واحد كاف للإقناع بينما الحجاج في حاجة إلى أكبر عدد من الحجج ، فالحجاج ينتمي للاستدلال الجدلي (مجال الرأي) و ليس للاستدلال التحليلي (استعمال وسائل منطقية).

إن شخصية المرسل محايدة بالنسبة للبرهان، و لكنها أساسية في تقنيات الإقناع، و ينطبق هذا الأمر أيضا على شخصية المتلقي؛ ذلك أن متلقي البرهنة عالمي (الاستدلال العلمي يصلح للبشرية كلها)، بينما لا تعني تقنيات الإقناع إلا متلقين خاصين (مجالات الفلسفة و الدين).

فالحجاج عند "بيرلمان" لا يختصر في نموذج البرهنة المنطقية رغم استعماله لبعض وسائلها[2].

إن الحجاج عند "بيرلمان" و "تيتيكا" يستند إلى صناعة الجدل من ناحية و صناعة الخطابة من ناحية أخرى، بكيفية تجعل الحجاج شيئا ثالثا لا هو الجدل و لا هو الخطابة، إنه خطابة جديدة.

فأما أثر الجدل فيظهر في حديث "بيرلمان و تيتيكا" عن التأثير الذهني في المتلقي و عن تسليمه بما يقدم له و إذعانه لما يعرض عليه إذعانا نظريا مجردا مجاله العقل و الإدراك، و أما الخطابة فتظهر من خلال إلحاحهما على فكرة " توجيه العمل"و الإعداد له و الدفع إليه، لقد جعل الباحثان الجدل في خدمة الخطابة، و الخطابة غاية الجدل، فهو لها عماد و هي له امتداد[3].

---

[1]Chaim Perlman et Lucie-Olbrechts- TytIca, Traité de l'argumentation, 5èmeédition, Editions de l'université de Bruxelles 1992, p5

نقلا عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 27.

2 ينظر الحواس مسعودي، النصوص الحجاجية، مجلة اللغة و الأدب، جامعة الجزائر، ملتقى علم النص، ع14،ديسمبر 1999 ، دار الحكمة، الجزائر، ص 275 .

[3] ينظر عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص28 ، و ينظر عبد الله صولة، الحجاج: أطره و منطلقاته و تقنياته، ص 302.

إن العمل الحاصل بوساطة الحجاج على صعيد العقل و هو عمل التـأثير النظـري و الإذعـان و التسليم و هو غاية الجدل مؤد إلى العمل السلوكي، الذي كانت من جملة مصادره في منظور الخطابة العاطفة الملهبة و المشاعر الجياشة، و معنى ذلك أن العمل المترتب على الحجاج ليس متوسلا إليه بالمغالطة و التلاعب بالأهواء و المناورة، و إنما هو عمل هيأ له العقل و التدبر و النظر، و كذا تكـون قـوى الإنسان " العقل و الهوى" عندهما قوى متضامنة متفاعلة لا قوى منعزلا بعضها عن بعض[1] .

إن الحجاج حسب "بيرلمان" و "تيتيكا" مساره حواري يستخدم أحكام القيمة "برهنة جدليـة" فهو برهنة ليست شخصية " موجهة إلى طرف ما" كما أنها ليست ملزمة، و تكون الحجج فيه كـثيرة نسبيا، أما جمهوره فهو خاص إلا أنه يقصد من خلاله جمهورا كونيا ، وهذا الجمهور معني بالبحث عن الأفضل[2].

لقد اعتبر "بيرلمان" الحجاج هو النسق القولي الذي ينوب عن القوة الماديـة في تحقيـق النتـائج الملموسة التي كان رفض المعنيين لها سيضطر أصحاب اللغة أو القيمين على الوضع، إلى اللجوء إلى القوة من أجل الإرغام على إنجازها[3].

إن الحجاج إذن هو «مظهر من مظاهر القوة الباطنية، إنه الحركة التي يسعى من خلالها دائما إلى تغيير أحوال الأمور التي كانت قائمة »[4] ، وهذا التغيير يتم في هدوء و رصانة و اقتناع به من لدن المنجز له.

و هذا ما قصده عندما قال: « إن القرار المأخوذ اتجاه أمر ما يقع في مرحلة وسط بين الاستعداد للفعـل و الفعل ذاته، بين التأمل الخالص و التصرف الحاسم » [5] ،و بالتالي فإن قوة الفعل المنجز و أهميتـه لا تقاسان بمدى تماسك البناء الحجاجي، و لكنهما بالأحرى تقاسان بمدى جسامة الصعوبات التي تقـف

1 ينظر محمد سالم ولد محمد الأمين ، مفهوم الحجاج عند بيرلمان ، ص 62 .

2 ينظر عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 31.

3 ينظر محمد سالم ولد محمد الأمين،مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تطوره في البلاغة العربية المعاصرة ص 82.

4 Chaim Perlman et Lucie-Olbrechts- TytIca, Traité de l'argumentation, 4ème édition, Editions de l'université de Bruxelles 1983,p72.

نقلا عن محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان، ص82.

5 المرجع نفسه، ص 64.

عقبة في سبيل إنجاز هذا الحدث، و ما يتطلبه ذلك من تضحيات من جهة، ثم الخيارات و الآفاق المستقبلية التي يفتحها أو يتيحها هذا الفعل بعد إنجازه من جهة ثانية[1].

2.1 مجال الحجاج

يتميز الحجاج في تصور بيرلمان بخمسة ملامح رئيسية هي[2]:

- أنه يتوجه إلى سامع.
- مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.
- لا يفتقر تقدمه إلى تناميه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.
- ليست نتائجه ملزمة.

أما مجاله في نظر "بيرلمان" فيتعلق أساسا بالبحث في المماثل " المرجع" و المعقول و المحتمل. إذ يؤكد الباحثان أن الحجاج ليس موضوعيا محضا كما أنه ليس ذاتيا محضا ، مما يجعله "الحجاج" يقوم على المعقولية و على الحرية ، إنه حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورة [3].

إن الحجاج ينطلق من قضية غير واضحة يتم الحجاج حولها ، و هذا النقاش يفترض اختلاف الرؤية للحقيقة مما يقضي بأن الحقيقة غير أحادية لأنها غير واضحة و لو كانت واضحة لبطلت مهمة الحجاج، و على هذا الأساس يتم التفريق بين الحجاج و الجدل الذي يعتمد المنطق الصوري ، ولكن هذا لا يعني أن يخضع الحجاج إلى المراجعة الذاتية للباث فتسيطر عليه أهواؤه و نوازعه ليشكل الحقيقة تشكيلا لا يتعدى الأفق الذاتي في النظر إليها، و من هنا ينقسم الحجاج إلى نوعين : حجاج يرمي إلى الإقناع الذهني، و حجاج يرمي إلى الحمل العاطفي .

و مجال المعقول هو المجال الذي يؤكد عليه بيرلمان فيما يتعلق بالخطاب الحجاجي، بحيث تتحقق الاستمالة في الأساس باستدلال منطقي قابل للاختبار من قبل المتلقي، ليأتي اختياره اختيارا واعيا عاقلا [4].

إن تأكيد بيرلمان على ضرورة قيام الحجاج على مبدأي: المعقولية و الاقتناع، مرتبط لديه بغاية إنسانية أسمى و هي تحقيق الحرية الإنسانية من حيث هي اختيار عاقل، يقول "بيرلمان":« إن الحجاج غير

---

6 ينظر محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان ص 82 .

1ينظر محمد سالم ولد محمد الأمين،مفهوم الحجاج عند بيرلمان ص 61.

2 ينظر حسن محمد مرزوقي، مدخل إلى نظرية الحجاج، ص 42.

3 ينظر المرجع نفسه، ص 42.

الملزم و غير الاعتباطي هو وحده القمين بأن يحقق الحرية الإنسانية ، من حيث هي ممارسة لاختيار عاقل

فأن تكون الحرية تسليما اضطرارا "إلزاميا" بنظام طبيعي معطى سلفا؛ معناه انعدام كل اختيار يكون ضربا من الحوار و يستحيل إلى حطم اعتباطي يسبح في فراغ فكري» [1] .

إن الأدلة التي تقدمها المحاجة ليس من شأنها أن تكون حاسمة فاصلة فيما تثبت أو تنفى، بحيث تقرر ما تقرره أو تنفي ما تنفيه على سبيل الحقيقة المؤكدة الراسخة التي لا تقبل شكا أو لا تقبل احتمال خطأ ما تثبته أو صحة ما تنفيه، إذ ليس لمسألة ما تدور حولها محاجة حقيقية واحدة أو مطلقة، بل لها حقائق متعددة و متدرجة، و على الأدلة أن ترجح إحداها على الأخرى، أو أن تصل إلى ما هو أقرب إلى الصواب[2].

3.1 وظيفة الحجاج و الغاية منه

تتمثل وظيفة الحجاج التي كانت سائدة قبل ظهور كتاب "مبحث في الحجاج، الخطابة الجديدة" لـ"بيرلمان و تيتيكا" في اللعب بعواطف السامع و غلق منافذ المشاركة إما بالاستدلال و اعتماد الصرامة المنطقية التي لا تقبل التأويل أو باعتماد العناصر الذاتية التي تتوجه إلى عاطفة المتقبل لا عقله.

لذا قدم الباحثان الغاية من الخطابة الجديدة ،يبين ذلك قولهما في موضع من كتابهما: «أنجع الحجاج ما وُفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين للقيام بذلك العمل في اللحظة المناسبة» [3] .

تكمن وظيفة الحجاج إذن في محاولة جعل العقل يذعن لما يطرح عليه من أفكار، أو يزيد في درجة الإذعان إلى درجة تبعث على العمل المطلوب.

فغاية الحجاج هي تحقيق وظيفة عملية؛ و هي جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة، فضلا على تحقيق الاستمالة، استمالة المتلقي لما يعرض عليه من رأي أو دعوى، و التأثير العملي في سلوكه، و بالجملة الإقناع[4].

---

[1] Traité de l'argumentation.p11.

2 ينظر جميل عبد المجيد، البلاغة و الاتصال، ص106.

[3] Traité de l'argumentation.p5

[4] ينظر جميل عبد المجيد البلاغة و الاتصال، ص107.

إن بيرلمان لم يعد يعنيه تكوين خطاب مفوه (دراسة الخطاب المنطوق أمام حشد من الجمهـــور)، و إنما يعنيه فهم ميكانيزم التفكير ، مما يعني قصد التحول من مرحلة إنتاج خطابة رنانة تطرب لها الآذان و تتصدع لها القلوب، إلى مرحلة تحليل خطابة مفكرة معللة مبرهنة تميل إليها العقول ، فيستجيب لهـــا السلوك، و مثل هذه الخطابة لا تنحصر في مستوى الجمع أو الحشد، و إنما تكون أيضا في المناقشة بين فردين، و حتى بين المرء و نفسه[1].

2.مظاهر التواصل في النظرية

حاول "بيرلمان" أن يقدم في كتابه تصورا يولي اهتماما كبيرا لمظـــاهر جديـــدة مـــن التواصـــل و التجاوب (المكتوب و المنطوق و الإشاري)، يكون فيها الهدف تأسيس بناء فكري عميق تندمج فيه أبعاد المتكلم و السامع و المقام معا بحيث يحمل المنتج الجديد"الخطاب الحجاجي" الخصائص الجوهريـــة لهذه المكونات الثلاثة[2].

إنه يسعى إلى خلق إطار تواصلي إقناعي، يؤسسه طرفا التواصل الأساســيان ، "البـــاث / المرســـل" و "المتلقي/ المرسل إليه"، لما لهما من دور أساسي في تشكيل الخطاب الحجاجي، فضلا عن المقام الذي يشكل بدوره لغة الخطاب الحجاجي.

1.2 ثنائية الباث و المتلقي

يؤكد"بيرلمان" أن دراسته تهتم أساسا ببنية الحجاج، ذلـــك أنهـــا نظريـــة فلســـفية حجاجيـــة « تنظر لأنواع البراهين و الحجج المتنوعة بحسب المقامات و السامعين المعنيين، كما أنها تقدم تصـــورا عميقا لمستويات حضور الكاتب في مكتوبه و درجات ذلك الحضور بوصفه حركة حجاجية يقصد بها مخاطب آخر ليس حاضرا بالفعل لحظة الكتابة، لكن جميع أبعاده متصورة من لدن المؤلف، أو من هكذا ينبغي أن تكون ، وبالتالي فهذه النظرية تعمق فكرة " المستمعين " الواردة في البلاغة الكلاســيكية»[3] ، و بيرلمان إذ يعود إلى الخطابة القديمة فإنما يعود للتأكيد على استبقاء فكرة جوهرية لديها و هي فكـــرة المتلقي ذلك أنه المحور لكل من الخطابة القديمة و الخطابة الجديدة.

وهو « النموذج الذي تنطلق منه أكثر المناهج القديمة في الحجاج و الذي تبني عليـــه نظرياتهـــا المختلفة [و المتمثل] في نموذج الخطبة حيث نجد شخصا واحدا يخاطب جمهورا و يحاول إقناعه برأيـــه أو

[1] ينظر البلاغة و الاتصال، ص116.

[2] ينظر محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان، ص64.

[3] المرجع نفسه، ص65.

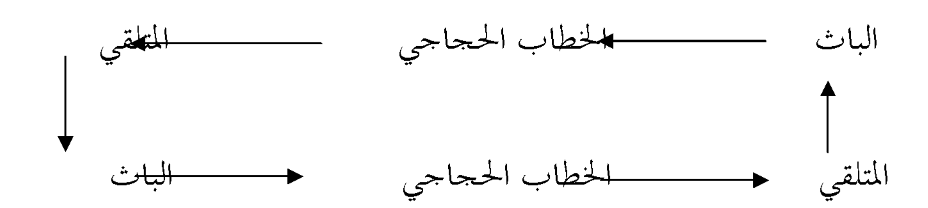
موقفه من موضوع ما، فهذه النظريات تنطلق من باث واحد و متلق جمع و إن تعامله علـــى أنـــه ، أي الجمهور ، شخص واحد »[1]

إن هذا الانزياح الذي أحدثه الباحثان في نظريتهما في الحجاج من "مركزية البـــاث إلى ثنائيـــة الباث و المتقبل" استند إلى الفتوحات اللسانية الحديثة خاصة في مجال لسانيات التواصل و لســـانيات التقبل.

إن المتلقي في الخطابة الجديدة قد يكون سامعا أو قارئا وهذا الأخير هو ما ينبغي تركيز الاهتمـــام عليه، و على قدر هذا المتلقي القارىء الذي يبدو و كأنه غائب يصب الكاتب خطابه ، يقول بيرلمـــان « ما يجب استبقاؤه من الخطابة القديمة هو فكرة المتلقي، التي ترد إلى الذهن مباشرة عنـــدما نفكـــر في الخطاب، فكل خطاب موجه إلى متلق و غالبا ما ننسى أن الأمر كذلك في كـــل خطـــاب مكتـــوب فالخطاب يعد بلغة المتلقي، لكن الغياب المادي للقراء قد يجعل الكاتب يعتقد أنه وحيد في العالم ، بينما نصه في واقع الأمر – وعى الكاتب ذلك أم لم يع- مشروط دائما بالأشخاص الذين يقصد مخاطبتهم »[2]

و المتلقي في الخطابة الجديدة أصبح متلقيا إيجابيا يتلقى ما يتلقاه و يفكر فيه ثم يـــرد و ينـــاقش و يفند و يدعم، لينتقل بذلك من موقع التلقي إلى موقع الإرسال و ينتقل المرسل بالتـــالي مـــن موقـــع الإرسال إلى موقع التلقي، فالطرفان يتبادلان فيما بينهما المواقع

إن المتلقي في الخطابة الجديدة بحكم إيجابيته يقف في درجة موازية لدرجة المرسل، و من ثم يتلقى الخطبة من مقابل مواز، فالعلاقة بينهما أفقية[3]. حسب ما تبينه الترسيمة التالية:



تبين هذه العلاقة الأفقية مدى تعلق الخطاب الحجاجي بمتلقيه، و هي إشارة إلى الدور الذي يلعبه ممثلو الحجاج و مفهوم الأدوار الحجاجية و تعدد الأصوات .

[1] كورنيليا فون راد صكوحي، الحجاج في المقام المدرسي، منشورات كلية الآداب، جامعة منوبـــة ، دط، 2003، ص29.

[2] Traité de l'argumentation.p134

[3] ينظر جميل عبد المجيد ،البلاغة و الاتصال، ص117.

2.2 خصائص الباث/الخطيب

يصدر الحجاج كله عن "الباث/الخطيب" الذي يحاول أن يعرض نفسه في أحسن صـــورة أمـــام المتلقي ليزيد كلامه قدرة على الإقناع، ذلك أن الشخص المحترم الجذاب يصدق أكثر مـــن الشـــخص المحتقر و غير الجذاب.

إن الانسجام مع الذات، و الثقة في النفس، و التحضر اللائق للمقام "خطابة و كتابة" من أهـــم المراحل الخاصة ، المهيئة للاتفاق مع الآخرين ، يقول بيرلمان « إضافة إلى تمحيصنا بوصـــفنا مـــتكلمين لحججنا الموجهة إلى الآخرين و تحيلنا إياها هما الكفيلان بجعلنا نعي جيدا كيفية الحـــوار مـــع ذواتنـــا بشجاعة و ليس العكس »[1]

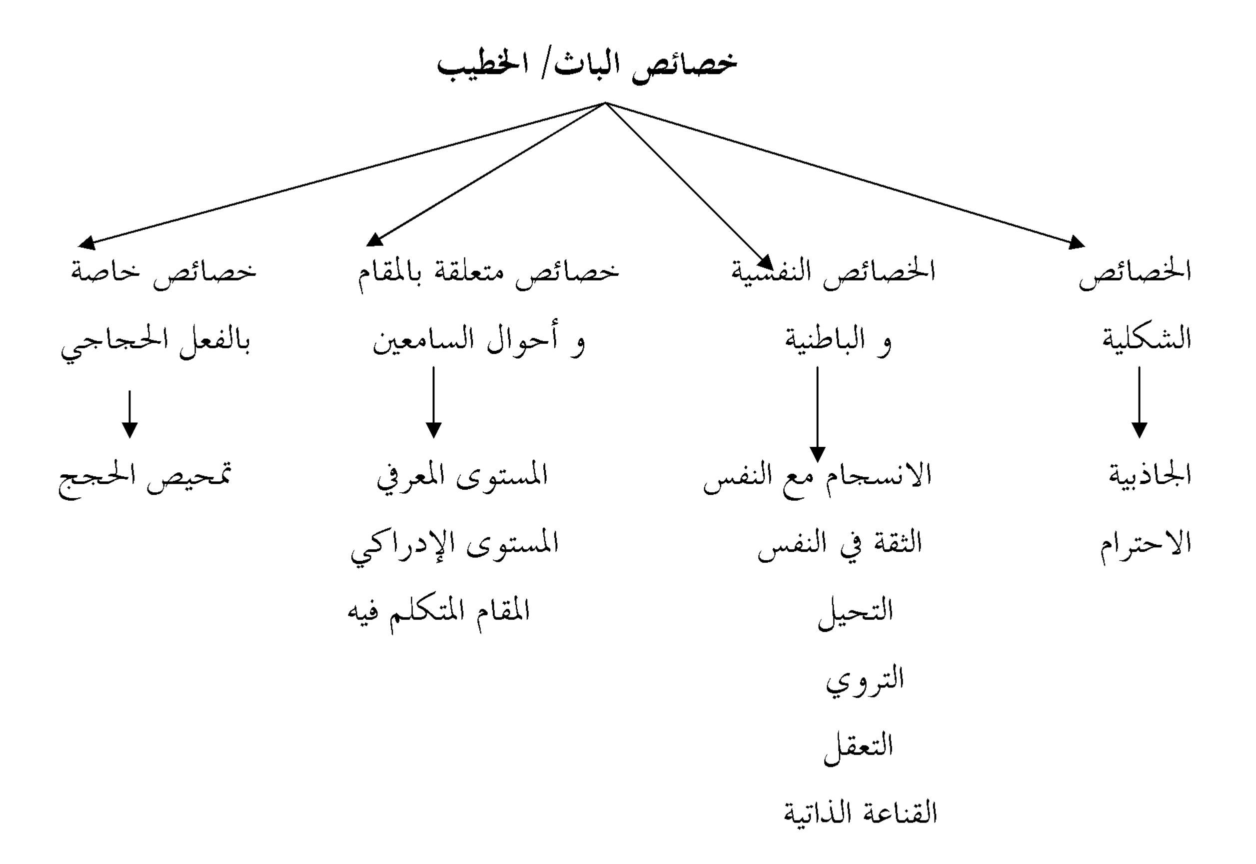
و في إطار تنوع المخاطبين و تنوع الأساليب الخاصة بهم يركز بيرلمان علـــى أهميـــة أن يعـــي المتكلمون أن "الفعل الحجاجي" عبارة عن عمل جاد، و ليس نوعا من التسلية الكلامية، وأنه يتطلـــب قناعة ذاتية و وثوقا نفسيا و عضويا به من ممارسه، فالخطباء هم القادرون على مواجهة الجمهور في حين أن أصحاب الرأي السديد هم أولئك الذين يستطيعون عند الملمات محادثة أنفسهم بالأساليب الأكثـــر عقلانية و حكمة[2].

و تتعلق خصائص الباث/ الخطيب بالجانب الشكلي و النفسي الخاص بـــالمتكلم، و خصـــائص أخرى يتلون بها الباث انطلاقا من المقام و أحوال السامعين، هذه الخصائص بشكل رئيس في بناء الفعل الحجاجي :

---

[1] Traité de l'argumentation.p54

[2] ينظر محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان، ص80.



3.2 أنواع المتلقي /المستمع – Auditoire

يعد "المتلقي/ المستمع" هو المقصود بفحوى الخطاب، المطالب بإنجاز محمولاته، المشارك في صياغته و إخراجه، فلكي يستمد هذا الخطاب نفاذه المطلوب، و على الخطيب أن يضع في الحسبان مستوى العقول التي يهدف إلى إقناعها، ثم مستوى العقول و نوعيتها.

و على المعني بالحجاج "المستمع/ المتلقي" أن يكون مؤهلا لاستيعاب هذا الطرح "الخطاب" ثم تنميته، لأنه هو السبب الفعلي الذي لولاه لما كان "حجاج" أصلا ، ذلك أنه يساهم بصفة فعلية في تشكيل المعالم الكبرى للمادة الحجاجية المقدمة من قبل الخطيب (أو أي متكلم يحمل رسالة يتوقف إنجازها على الآخرين[1].

و قد وسع"بيرلمان و تيتيكا" في الحديث عن المستمع ، و صنفاه في ثلاثة أصناف هي المخاطب الكوني و المخاطب الوحيد و المخاطب المكون من الخطيب ذاته، و هي« أصناف [متخيلة /"مفترضة" و فعلية/ "حاضرة"] ، تقوم على أساس الطبائع الشكلية و الاتجاهات الفكرية و الأنماط السلوكية و الثقافية و الحضارية الشاملة .

[1] ينظر محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان، ص61.

و هذا التصنيف ليس عاملا تجزيئيا بقدر ما هو مساهمة في بناء إطار شامل يضمن سلامة الطرح و تأثير الخطاب ، كما أنه من جهة ثانية يهيء لقيام "حوار ثقافي ناجع هو العلامة الثقافية المثلى لكل حجاج ناجح »[1].

إن الجمهور المفترض هو جمهور غائب ماديا فقط، و هذا الغياب يعمل على تمحيص الخطاب لتنمية الحجاج بعيدا عن وسائل الضغط و المصالح الآنية و التحريض،كما أنه غير محدد بفضاء أو بمستوى، في حين يكون الجمهور الفعلي في درجات و حاضرا في الساحة أمام الخطيب " فضاء زماني و مكاني محددين"، "شباب، عجائز، مثقفون، عمال..."، إنه جمهور معين و معني مهما كانت طبيعته ، سواء كان " حزب معارضة، هيئة قضائية، حملة دعائية، مناصرين، إشهار تلفزي ، جماعة دينية ..." أو بالدرجة الأولى قارئا، أي في المصنفات الكتابية " الرواية، المسرحيات، الخطب المرسلة..."[2].

و لقد أصبح المعنيون – في الغالب– غائبين عن مسرح إلقاء الرسائل اللغوية الموجهة إليهم، لكن درجات حضورهم تظل مختلفة، فمنهم من يتصور حضوره في الكتابة، و منهم يتخيل عبر الشاشات و وسائل الإعلام بمختلف أنواعها، لذا كان تركيز أصحاب هذه المدرسة على آليات تحويل الغياب إلى حضور من أهم النقاط التي قدمها روادها .

1.3.2 المستمع/ الجمهور الكوني l'auditoire universel

و هو الغالبية العظمى من الجمهور، وهو الحامل للخصائص الجماعية الكبرى التي يتقاطع فيها السواد الأعظم، إنه بعبارة أخرى الثقافة و الحضارة و المجتمع و النصوص الخلفية الثاوية في اللاوعي الجماعي الموجهة للوعي و للفهم و للتعامل داخل الزمرة الاجتماعية الخاصة ، و بالتالي يكون الخطأ في رسم صورته الفعلية مؤديا حتما إلى نتائج عكسية تماما.

و يتكون الجمهور الكوني من جميع الجماهير الممكنة فهو إذن بناء نظري بحت إذ أنه لا يمكن الوصول يوما ما إلى حالة أن خطابا ما يسمع من قبل جميع الناس، و على الخطيب تمثل الملامح الفاعلة و غير الفاعلة لهذا المخاطب الكوني[3].

و لقد أدرج "بيرلمان" هذا المخاطب المتخيل ضمن البنى النفسية الداخلة في إنجاب النص أو الخطاب، فهو حسب رأيه « عبارة عن كائن ينجزه المتكلم/ الخطيب »[4].

[1] ينظر محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان، ص72.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص80.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص70.

[4] Traité de l'argumentation.p27

2.3.2 المستمع المحدد/المتلقي المعين

قد يكون المخاطب محددا نابع من مكونات مقام القول و إمكاناته التي على المتكلم أي كان الإجادة في استغلالها و الاعتدال في توظيفها

إن توجه الخطيب نحو محاوره هو توجه نحو المنظور الخاص لهذا الأخير و عالمه و هو بذلك يدخل عناصر جديدة تماما؛ لأنه يحدث تفاعلا بين مختلف السياقات و أنساق التعبير و مختلف اللهجات الاجتماعية[1].

إن الجوهر العميق للحجاج هو ما طبيعته حوار, و يكون الإقناع عن طريق حجج قوية و ذاتية .

3.3.2 المستمع المرسل/ المتلقي الخطيب

قد يكون المستمع نابعا من الفاعل أي المرسل للقول ذاته و جزءا من تجريداته و طموحاته ، ولكن في هذه الحال على المتكلم الفعلي ألا يفرض على مخاطبيه ملامح هذا المتكلم المجرد و إنما عليه أن يترك للمعنيين بهذا تحديد ملامحه ثم مكانته ، و يحدث هذا الموقف غالبا حالما يكون مرسل الخطاب قاصدا معنيين لا يستوعب بدرجة كافية المعالم الكبرى لآفاق انتظارهم،ذلك أنه من المسلم به تنوع الأساليب بتنوع المخاطبين[2].

3.مرجعيات الاستدلال عند الباث "منطلقات الحجاج"

تمثل مرجعيات الاستدلال نقطة انطلاق الاستدلال و هي مقدمات المقدمات المتعلقة بالقضايا التي منها يكون الانطلاق في الحجاج[3] ، ،وتعد أول جسور التواصل المقنع بين الباث و المتلقي و هذه المقدمات على اختلاف أنواعها يعتمد من خلالها الباث الحس المشترك لمجموعة لسانية معينة فهو جماع معتقداتها و مناط موافقتها ، بل و مناط موافقة كل عاقل ، و تسمى المحاجة في هذه الحال المحاجة الموجهة للإنسان عامة .

[1] ينظر l'argumentation,introduction à l'étude du discours,http://ebooks.unibuc/lls/ marianatutescu-argumentation/4.htm و ينظر مفهوم الحجاج عند بيرلمان، ص 71.

[2] ينظر المرجعان السابقان، ص75.

[3] عبد الله صولة، الحجاج أطره و منطلقاته، ص308.

إن لكل عصر و لكل مصر مواضعهما و معانيهما، و لكل اختصاص علمي أو تقـني أو قـانوني أو غيرها مواضعات تكون بينهم و تكون لهم لغتهم الخاصة بهم و حدودهم و تعريفاتهم الخاصة بهـم أيضا ، مما يجعلهم يشكلون جمهورا خاصا لأفراده فيما بينهم طرائق في الحجاج خاصة تعتمد مقدمات و موافقات مخصوصة[1].

لذا كان على الباث أن يحسن اختيار منطلقاته حسب الأطروحة التي يريد أن يدافع عنها ضـد أطروحة ضمنية أو صريحة، ذلك أن هذه المقدمات لا تؤدي فعاليتها المنوطة بها إلا إذا أحسن البـاث/ الخطيب اختيارها و أجاد طريقة عرضها بعدم فصله بين الشكل و العرض، و فيما يلـي أهـم هـذه المقدمات و أسس اختيارها و طريقة عرضها.

1.3 مقدمات المقدمات/ المعطيات

تتمثل المعطيات في الآتي:

1.1.3 الوقائع

تمثل الوقائع المقولات الواقعية التي لا يختلف اثنان في وقوعها و تمثل ما هو مشترك بـين عـدة أشخاص أو بين جميع الناس[2] وهذه الوقائع لا تكون عرضة للدحض أو الشك و هي بذلك تشكل نقطة ممكنة في الحجاج ، و تنقسم إلى وقائع مشاهدة معاينة من ناحية، و وقائع مفترضة من ناحية أخـرى، و التسليم بالواقعة من قبل الفرد ليس إلا تجاوبا منه مع ما يفرض نفسه على جميع الخلق إذ الواقع يقتضي إجماعا كونيا .

2.1.3 الحقائق

و هي حقائق فعلية و أحداث معينة لا يشك المتخاطبون في ثبوتيتـها المرجعيـة، و ذكرهـا في الخطاب أو النص له طابع حجاجي، و تمثل أنظمة أكثر تعقيدا من الوقائع و تقوم على الـربط بـين الوقائع و مدارها على نظريات علمية أو مفاهيم فلسفية أو دينية " حقائق دينية مفارقة للتجربة"، و قد يعمد الخطيب إلى الربط بين الوقائع و الحقائق من حيث هي موضوعات متفق عليها ليحدث موافقـة الجمهور على واقعة معينة غير معلومة، كأن يضاف التيقن من الواقعة "أ" إلى النظرية "س" لإنشاء التيقن من "ب" و معنى ذلك أن التسليم بالواقعة "أ" و بالنظرية"س" يعني التسليم بـ "ب" .

[1] ينظرعبد الله صولة، الحجاج أطره و منطلقاته، ص313.

[2] ينظر محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان، ص89.

إن هذه الحقائق معلومة لدى الجميع و قد يقع اعتمادها للبرهنة على غير معلوم[1].

3.1.3 الافتراضات

و هي المقولات التي يكون شأنها شأن الوقائع و الحقائق، تحظى بالموافقة العامة و يقر بها المتقبل و لكن الإذعان لها و التسليم بها لا يكونان قويين حتى تأتي في مسار الحجاج عناصر أخرى تقويهما و يمثلهما العادي و المحتمل.

و هذا العادي و المحتمل يتغيران بتغير الحالات، و يتغير العادي بتغير الجماعات البشرية في كل مجال من مجالات الحياة[2].

4.1.3 القيم

إن القيم عناصر حجاجية جاهزة من جهة، و موضع اتفاق و تسليم من جهة أخرى ، ذلك أنه لا خلاف غالبا بين مضمونها و مكانتها ، كما أن لها دورا فعالا في بناء الثقة بين المتحاورين و المبدعين و القراء. و تقوم براهينها على مبدأ التعليل و من ثم الحتمية.

و القيم يستدعيها الباث لكي يحمل المخاطب على القيام بأفعال معينة بدل أخرى ، كما يستدعيها من أجل تبرير تلك الأفعال بطريقة تجعل هذه الأفعال مقبولة و مؤيدة من طرف الآخرين[3].

5.1.3 الهرميات/الرتب

تمثل هرمية القيم في البنية الحجاجية أهم من القيم نفسها، ذلك أن درجة التسليم تكون مختلفة من جمهور إلى آخر تبعا لما يميزه به ترتيبها.

إن مراعاة الهرمية أمر ضروري في أي بناء حجاجي و لا تنبع تلك المراعاة إلا من تصور سليم من قبل المبدع لعلة الترتيب، كما لا يخفى ما لهذا الإدراك من دور سواء عند امتداح ذلك الترتيب أو نقده من أجل تقديم البديل.

و الهرمية/ الرتب نوعان:

رتب مجردة: مثل اعتبار العدل أفضل من النافع.

رتب مادية: محسوسة كاعتبار الإنسان أعلى درجة من الحيوان و الإله أعلى درجة من الإنسان[4].

---

[1] ينظر المرجع نفسه، ص89.

[2] عبد الله صولة، الحجاج أطره و منطلقاته، ص 309.

[3] ينظر محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان، ص99.

[4] ينظر الحجاج أطره و منطلقاته، ص 310.

6.1.3 المواضع أو المعاني:

تمثل المواضع مقدمات أعم من القيم و هي مصنفات تستخدم في الاستدلال الجدلي و هي عبارة عن مخازن للحجج أو مستودعات حجج ، و تحدد هذه المواضع خصائص الأمم و الجماعات الفكرية و الأدبية و غير ذلك.و تنقسم إلى مواضع مشتركة و هي التي يمكن تطبيقها على علوم مختلفة مثل القانون و الفيزياء و السياسة كموضع الأكثر و الأقل ، و مواضع خاصة تكون وقفا على علم بعينه لا يتعداه إلى غيره.

و تعد المواضع من المنطلقات التي يستخدمها الخطيب طلبا للتصديق و هي أنواع[1]:

1.6.1.3 مواضع الكم

و هي المواضع التي تثبت أن شيئا ما أفضل من شيء آخر لأسباب كمية، مثل الكل أفضل من الجزء، و العدل و العفة أفضل من الشجاعة، لكون العدل و العفة نافعين دائما في حين أن الشجاعة لا تصلح إلا في أوقات معينة.

2.6.1.3 مواضع الكيف

تمثل هذه المواضع نسيجا وحدها، و تستمد قيمتها من وحدانيتها مثل "الحق يعلو و لا يعلى عليه".

إن موضعي الكم و الكيف بمثابة خلفيتين فلسفيتين متضادتين للحجاج مثل الفكر الرومانطيقي الذي ينشد ما هو غريب ، استثنائي، فردي، و هو يمثل موضع الكيف، أما الفكر الكلاسيكي فيرجح ما هو عادي و سائد و يريد المحافظة عليه[2].

3.6.1.3 مواضع الترتيب

كاعتبار السابق أفضل من اللاحق، مثل المبادىء و القوانين في التفكير غير الاختياري أفضل من الوقائع التي تنتج عن تطبيق تلك المبادىء.

4.6.1.3 مواضع الموجود

و يطلق عليها مواضع المفضل أو المؤثر، و هي التي تقول بفضل الموجود و الراهن و الواقع على المحتمل و الممكن أو غير الممكن، مثل عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة.

---

[1] ينظر الحجاج، أطره و منطلقاته، ص312.

[2] ينظر الحجاج في المقام المدرسي،ص20.

2.3 اختيار المقدمات / المعطيات

على الباث/ الخطيب انتقاء المقدمات و جعلها ذات فاعلية حجاجية ، و لعل من أهم مقـــاييس الانتقاء، مقياس المتقبل/ المتلقي،فالمتكلم يخرج ما هو غائب في لحظة الحجاج إلى الحضور في ذهن المتقبل مع التشديد على العناصر الأكثر أهمية لتصل ملكة التلقي، كأن يستحضر المتكلم حدثا قـــد و قـــع في التاريخ و لم يفكر فيه المتقبل ليتخذه منطلقا للحجاج بالتركيز عليه و إهمال ملابسات الحدث و ظروفه التاريخية، و أما المقياس الثاني كذلك لاختيار المنطلق، هو مقياس التأويل الذي يســاعد علـــى صـــنع المقدمات التي تؤسس حججا في ذلك المقام بعينه ، فللمقام من ناحية و للمتقبل من ناحية أخرى أهميـــة قصوى في اختيار منطلقات الحجاج[1].

3.3 طريقة عرض المقدمات (عدم الفصل بين الشكل و العرض)

إن اختيار المقدمات يخضع بدوره لطريقة العرض ، و نجاعة العرض شرط ضروري لكل محاجـــة هدفها التأثير في جمهور السامعين بتهيئتهم للعمل المباشر سلوكا و بتوجيه أذهانهم و جهة معينة فكرا.

و على الخطيب الحرص على عدم إضاعة وقته و على عدم تشتيت سامعيه ، و ذلك بتولية كل قسم من أقسام كلامه الأهمية التي يريدها له في أذهانهم ، باعتماد طرائق العرض ذات الأثر الحجاجي الآتية:

أ/ لا يعرض من المقدمات ما هو معلوم لدى السامعين، فإن ذلك سيكون ثقيلا على أنفسهم.

ب/ اعتماد أسلوب يكون بطيئا لا عجولا، و البطء هو الإطناب، ذلك أن الأسلوب البطيء يحـــدث لدى السامع الانفعال و يحرك العواطف ، و الخطاب القائم على الإيجاز و القصر لا يهز القلوب إلا هزا خفيفا و لا يؤثر إلا قليلا .

ج/ اعتماد التكرار لإبراز شدة حضور الفكرة المقصود إيصالها و التأثير بها.

د/ التشديد على بعض مقاطع الخطاب من خلال الصوت أو الصمت الذي يسبق أداءها.

ه/ كثرة إيراد الحكايات الدائرة حول موضوع واحد و إن تعارضت هذه الحكايات و تضاربت، فهذا من شأنه أن يلفت الانتباه إلى أهمية الموضوع الذي تراكمت حوله الحكايات.

و/ كثرة الإشارات إلى الدقائق و الرقائق المتعلقة بذلك الموضوع تكثيفا لحالة الحضور التي يريد الخطيب أن يتسم بها الموضوع في ذهن السامع و لإحداث الانفعال أيضا، و مما يساعد على الإشـــعار بمـــدى

[1] ينظر حسن مرزوقي، مدخل إلى الحجاج، ص43.

حضور الحدث ذكر مكان ذلك الحدث و زمانه مع ميل إلى استخدام اللفظ الحسي المجسد دون اللفـــظ المجرد، ذلك أن من شأن اللفظ الحسي أن يزيد في درجة الحضور، فتنجم بذلك مصادقة السامع[1]

4.مفهوم المقام في النظرية البيرلمانية

يقدم بيرلمان تصورين أساسين للمقام، فهو تارة يعتبره الإطار المحدد للخطاب المســـتوعب لكـــل محتويات العملية الإبداعية ، و لكل المشاركين فيها ، و تارة ثانية يعتبره تلك المقدمات ذات النظام العام التي تساعد المبدعين في بناء الحجج و ترتيب القيم.

و لكل من التصورين دوره الحجاجي، إلا أن "بيرلمـــان" يصـــر علـــى ضـــرورة التحامهمـــا ، و عدم إمكانية دراسة أي منهما بمعزل عن الآخر.

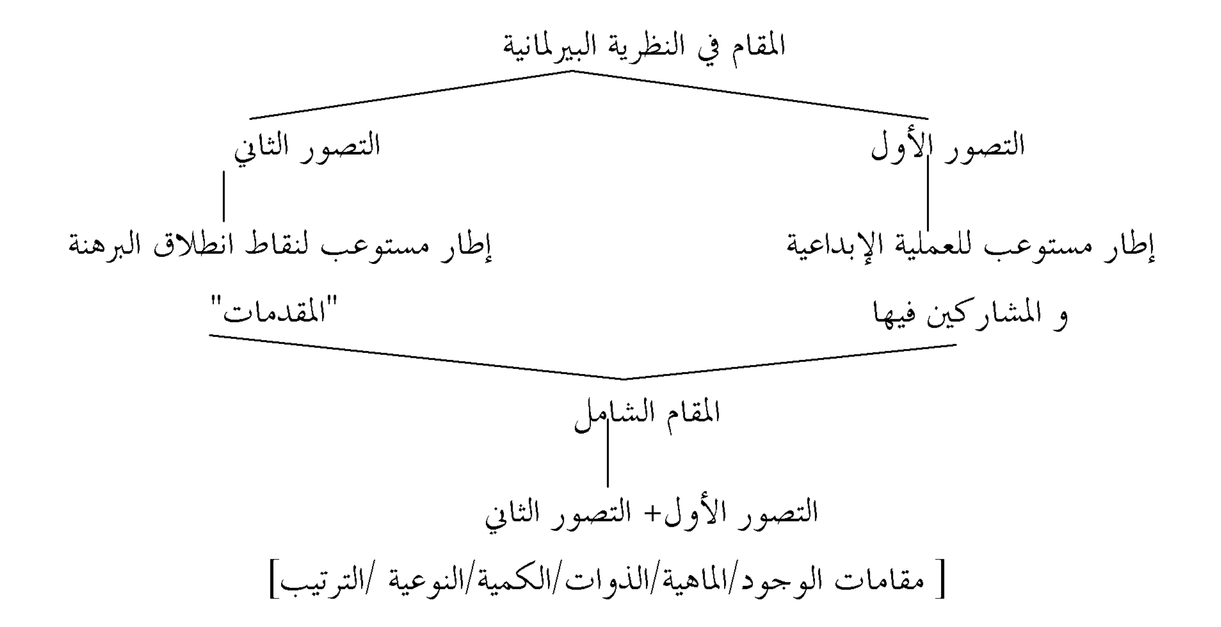
وإن حدد الباحث معنيين أساسيين للمقام إلا أنه يـــرى أنهمـــا يختـــزلان داخلـــهما مقامـــات و أماكن متعددة يصلح كل منها دعامة حجاجية في موقف معين ، كما قد يتعاضد اثنان أو ثلاثة مـــن هذه المقامات في سياق نوعي معين لإبراز فكرة خاصة بالمقام الشامل، فمثلا لدينا المقامـــات الكميـــة و الأخرى النوعية و المقامات الخاصة بالترتيب و التنظيم ، و مقامات الوجود (الكينونة) و مقامات الماهية و مقامات الذوات إلى غير ذلك من المقامات المؤطرة للعملية الحجاجية برمتها ، و يرى بيرلمان أن حسن استغلال إمكانات المقام هو الذي يمنح المسار الحجاجي قوة ذات تأثير دامغ[2].

و هكذا استطاع "بيرلمان أن يقدم تصورا مفصلا لدور المقام في الخطابات و النصوص المعاصـــرة على اختلاف أجناسها المعرفية و أساليبها في الأداء و التوصيل، حسب ما تبينه الترسيمة الآتية:

---

[1] ينظر عبد الله صولة، الحجاج أطره و منطلقاته، ص317-318.

[2] ينظر محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان ص87.



5. فاعلية اللغة في الخطابة البيرلمانية

تقوم اللغة في الخطاب الحجاجي البيرلماني بدور جوهري و فاعل في تحقيق التأثير و الاستمالة، فالمفردات و التراكيب التي يختارها المتكلم لوصف حدث ما تعكس موقفه تجاه ذلك الحدث من جهة، وتضع ذلك الحدث في نسق تصوري بعينه ، يؤثر في تحديد الموقف الذي يتخذه المتلقي تجاه ذلك الحدث من جهة ثانية، ذلك أن الخطاب الحجاجي مرتبط دائما بالمقام الذي يقال فيه، لذا فإن استخدام كلمة ما دون مرادفها في اللغة يكون لكونها أنسب منها في ذلك المقام، فالخطاب الوصفي المحايد مثلا ليس حجاجيا في حين يكون الخطاب العاطفي من ناحية أخرى هو حجاج، ذلك أن مفردات اللغة في الخطاب العاطفي تشحن بطاقة من لدن المتكلم لإثارة مشاعر و انفعالات إيجابية أو سلبية خلافا للغة الخطاب الوصفي[1].

و تظهر فاعلية اللغة في تلك الصيغ و الموجهات التعبيرية التي لها دور حجاجي، باعتبارها حججا منطقية معقولة تستميل عقل المتلقي.

و تتمثل أهم الصيغ و الموجهات التعبيرية ذات البعد الحجاجي في عرض المعطيات فيما يلي[2]:

---

[1] ينظر جميل عبد المجيد، البلاغة و الاتصال، ص118.

[2] ينظر الحجاج أطره و منطلقاته، ص220-222.

1.5الصيغ التعبيرية /اللغوية ذات البعد الحجاجي

ضبط "بيرلمان و تيتيكا" الصيغ التعبيرية الحجاجية في الآتي:

1.1.5 النفي :

يعد النفي ردا على إثبات فعلي أو محتمل حصوله من قبل الغير، و النفي السالب لا يكون في الكلام إلا إذا كان الأمر متعلقا بمواجهة الغير أي حين يكون مدار الأمر على الحجاج.

2.1.5طرائق الربط بين القضايا

يتم الربط بين القضايا بوساطة أدوات الاستئناف، و هذه الأدوات تبني النتيجة على السبب أو تحدث هرمية في شأن القيم مثل الواو، لكن ...

3.1.5 عبارات من قبيل "رغم أن"، "إن كذا"

تعد هذه العبارات من التقنيات التي تتيح للخطيب سلاسة انقياد السامعين إلى حيث يريد أن يقودهم.

4.1.5 القوالب المكرورة :

و هي صيغ لغوية تتجاوز مجرد إحداث التأثير في الجمهور إلى الاتحاد مع هذا الجمهور فكرا و وجدانا، فهي تساعد على حدوث الوفاق بين الخطيب و الجمهور و هي من إنتاج الاجتماع القائم على الطبقية و الهرمية، و شأنها في ذلك شأن الحكمة و شأن الأمثال التي تعد حكما قصيرة .

5.1.5 الصور البلاغية:

تعد الصور البلاغية من الصيغ اللغوية ذات المدى الحجاجي، و لقد نظر إليها صاحبا "مصنف في الحجاج" باعتبارها مستخدمة في الخطاب لحاجات الحجاج و أنها ذات قيمة حجاجية حتى و إن لم يقبل الجمهور بالأطروحة التي جاء بها الخطاب.

ومن الصور البلاغية : المثال، و الكناية و المجاز المرسل بجميع وجوهه ، الاستدراك أو التدارك، و الإسهاب، و الالتفات في الأزمنة و في الضمائر و التلميح و الشاهد و الاستفهام و غير ذلك.

إن الاستعارات مثلا بالنسبة إلى بيرلمان تعد مقوما حجاجيا، و هي تحتل المكانة المرموقة إلى جانب القياس الإضماري و المقارنة و التناسب الأنالوجي شبه الرياضي، و هي بذلك تنحرف عن كونها

مجرد "تغيير سعيد لدلالة كلمة أو عبارة" أي مقوم محسناتي ترفيهي يكتفي بدغدغة الحس الجمالي عند المتلقي إلى مقوم حجاجي يؤدي دورا في تغيير زاوية النظر و استمالة المخاطب و بالتالي الإقناع[1].

2.5 الموجهات التعبيرية / الجهات التعبيرية ذات الدور الحجاجي

إن الهدف من الحجاج هو توفير الوسائل المفضية إلى إقناع الجمهور و حمله على التصديق من خلال التنويع في ضروب التعبير عن الفكرة، و لقد حصر المؤلفان الموجهات بالمعنى اللساني في أربعة موجهات هي: التوجيه الإثباتي، التوجيه الإلزامي، التوجيه الاستفهامي، التوجيه بالتمني[2]

6 طرق / أشكال الحجاج

يرى بيرلمان أن أهمية الحجج لا تكمن في اختيارها فقط و إنما تكمن كذلك في طريقة تنظيمها فالحجاج كي يكون ناجعا لا بد أن يكون خاضعا لنظام ما، إذ لا يعتبر ترصيف الحجج الواحدة بجانب الأخرى كافيا للإقناع ... فالحجج يجب أن تعرض وفق نظام معين يضمن لها نجاعتها لأن المستمع واقع أثناء الكلام تحت تأثير الخطاب و بانعدام نظام الحجج قد لا تؤدي حجة بعينها وظيفتها المتمثلة في التأثير في المتقبل و إقناعه[3].

و لقد حصر"بيرلمان و تيتيكا" أشكال الحجاج و بناه في تقنيتين ، أو طريقتين حجاجيتين اثنتين هما: طريقة الوصل من ناحية و طريقة الفصل من ناحية أخرى ، تبين هذه الطريقتان الأنواع الكبرى للحجج.

1.6 طرائق الوصل أو الطرائق الاتصالية :

تمثل طرائق الوصل الطرائق التي تقرب بين العناصر المتباينة في أصل وجودها فتتيح بذلك قيام ضرب من التضامن بينها لغاية إبراز العناصر في هيكل أو بنية واضحة، أو لغاية تقويم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويما إيجابيا أو سلبيا، و من الأشكال الاتصالية الحجج أو الأدلة شبه المنطقية ، و الحجج المؤسسة على بنية الواقع،و و الحجج المؤسسة لبنية الواقع.

---

[1] ينظر محمد الولي،الاستعارة الحجاجية بين أرسطو و شايم بيرلمان، فكر و نقد، المغرب، ع61،2004.
http://www.fikrwanakd.aljabriabed.net/n61_07alwali.htm

[2] ينظر،الحجاج أطره و منطلقاته، ص222.

[3] ينظر حسن مرزوقي، مدخل إلى الحجاج، ص44.

1.1.6 الحجج شبه المنطقية:

و هي الحجج التي تستمد إقناعيتها من مشابهتها للطرائـــق المنطقيـــة أو الرياضـــية في البرهنـــة و تنقسم إلى حجج شبه منطقية تعتمد البنى المنطقية و حجج شبه منطقية تعتمد العلاقات الرياضية.

1.1.1.6 الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية

تتمثل أنواع الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية في التناقض و عدم الاتفاق و التماثـــل و الحد في الحجاج و حجج التعدية و الحجج القائمة على العلاقات التبادلية ، و تفصيله في ما يلي:

1.1.1.1.6التناقض و عدم الاتفاق:

يعتمد الحجاج بالتناقض على القانون المنطقي القائل أنه لا يمكن أن يكون "أ" شيئا و ضده، فـــإذا كان موضع التناقض يعتمد على البعد الواقع بين أقوال الشخص و أفعاله فيسمى هـــذا النـــوع مـــن الحجاج بالحجاج وجه الذات Ad hominem ، أما تبيين التناقض في حجاج الخصم وحـــده دون اعتبار أفعاله أو شخصه فيسمى بالتبكيت فوق الحجاجي meta-argumentation ، و من ثمـــة يبقى التناقض من أكثر المواضع انتشارا في التبكيت.

و لقد أشار بيرلمان إلى وجود الحجاج بالتفريق الذي يعتمد على التمييز بين عنصرين يجمعان عادة بـــين الشخص و أفعاله ، إذ يمكن للمحامي أن يدافع عن المجرم واصفا إياه بألوان إيجابية " هو ضحية ظروف قاسية حملته على أفعال لا تناسب شخصه الحقيقي" و يتحدث عن إجرامه و كأنه لا علاقة له به و أنـــه لم يصدر عنه[1].

2.1.1.1.6 التماثل و الحد:

تعد صيغة التماثل طريقة شكلية تتوخى في تقويم شيء ما تقويما إيجابيا أو سلبيا ، ذلك أن اللفظ الثاني " رجل، أب ، أرى، أفكر" في العبارات التالية : "الرجل رجل، الأب يبقى أبا"، "حين أرى مـــا أرى أفكر في ما أفكر" ،دائما هو الذي يحمل القيمة الدلالية شأن ما يحدث في ظاهرة التكرار.

و تستند صيغة التماثل إلى التعريف أو الحد و هي من تحصيل الحاصل، و لقد انتهت بعض الصيغ القائمة على التماثل إلى حكم، إلا أن دلالتها الحجاجية لا تكون إلا في مقام بعينه و هو الذي يعطي لها دلالتها المخصوصة[2].

---

[1] ينظر الحجاج في المقام المدرسي،ص 24.

[2] ينظر الحجاج أطره و منطلقاته، ص328.

3.1.1.1.6 التعدية:

يعتمد الحجاج على تعدية شيء ما يثبت من "أ" إلى "ب" ثم من "ب" إلى "ج" بحكم العلاقة التي توجد بين "أ" و "ب" و بين "ب" و "ج"، من حيث يصبح"ب" وسيطا بين "أ" و "ج" اللذين لا تربطهما علاقة مباشرة ظاهرة.

و من الأمثلة الدالة على ذلك الحكمة القائلة: "عدو عدوي صديقي" حيث يدعم الطابع شبه المنطقي في هذه الحكمة ما يمكن أن يستنتج منها " صديق عدوي عدوي" [1].

كما تتأسس حجة التعدية على المعادلة المنطقية التالية: "أ"="ب" و "ب"="ج" إذن "أ" = "ج" أو "أ" ضد "ب"، "ب" ضد "ج" إذن "أ" = "ج" و مثال ذلك: إن الاعتراف عكس الشتم و الشتم عكس التسامح، إذن الاعتراف هو التسامح[2].

4.1.1.1.6 العلاقة التبادلية :

إن تماثل وضعيتين إحداهما بسبيل من الأخرى معالجة واحدة ضروري لتطبيق قاعدة العدل و التي تقتضي معاملة واحدة لكائنات أو وضعيات داخل مقولة واحدة، ويمكن أن تنشأ الحجج القائمة على العلاقة التبادلية عن قلب وجهات النظر، أو اعتماد التناظر، و من الأمثلة الدالة على ذلك العبارات التالية:

-{لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه} [3]

-أحلال عليكم حرام علينا.

-إذا كانت تبدو لكم تقاليد أهل الصين غريبة فإن تقاليدكم تبدو لهم كذلك.

-ضع نفسك مكاني[4].

2.1.1.6 الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية

تتمثل الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية في إدماج الجزء في الكل و تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له. ويرمي هذا النوع من الحجج إلى صحة الموضوع و مشروعيته بفضل ما لها من بعد عقلاني تستمده من علاقتها ببعض الصيغ المنطقية و الرياضية.

---

[1] ينظر المرجع السابق، ص 329.

[2] ينظر الحجاج في المقام المدرسي، ص24

[3] البخاري، صحيح البخاري،دار الفكر، بيروت، ج1، ص10.

[4] ينظر الحجاج أطره و منطلقاته، ص239.

2.1.6 الحجج المؤسسة (القائمة) على بنية الواقع:

تستخدم الحجج المؤسسة على بنية الواقع الحجج شبه المنطقية للربط بين أحكام مسلم بها و أحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها و تثبيتها و جعلها مقبولة و مسلما بها، وتوصف هذه الحجج بكونها اتصالية أو قائمة على الاتصال.كما أنها تمثل طريقة في عرض الآراء المتعلقة بالواقع، و تتمثل هذه الآراء في كونها وقائع أو حقائق أو افتراضات[1].

و من ضروب الاتصال أو الترابط بين هذه الآراء أو الأحكام الاتصال التتابعي[2] و الاتصال التواجدي.

1.2.1.6 الاتصال التتابعي:

يكون الاتصال التتابعي بين ظاهرة ما وبين نتائجها أو مسبباتها و يكون الترتيب الزمني أساسا فيه، و له وجوه هي:

1.1.2.1.6 الحجاج السببيl'argumentation causale:

يهدف إلى إثبات علاقة سببية بوصفها موضوع نتيجة الحجاج، إلا أنه يمكن أن يستعمل بطريقة مغالطية إذ أن مجرد تواجد ظاهرتين أو تزامنهما قد يكون عفويا و لا يرجع بالضرورة إلى وجود علاقة سببية بينهما.

2.1.2.1.6 الحجاج بالسبب l'argumentation par la cause:

يعتمد على قاعدة استنتاج تتمثل في علاقة سببية معروفة فيستنتج منها شيء آخر " الحجاج بالدليل" و فيه يمكن أن يوجد أكثر من سبب يؤدي إلى النتيجة ، بل إن جميع العوامل المسهلة و المعارضة معا هي التي تؤدي إلى وضعية معينة.

و من الأمثلة الدالة على ذلك: أن الأوطان التي يوجد فيها الأغنياء ينبغي أن يوجد فيها بالضرورة الفقراء، نظرا للتلازم بين الظاهرتين، إذ أن الغنى هو التمتع المنفرد بمنتوج الفقراء، و من هذا أيضا، بما أن فلانا يعاني من الحمى فهو بالضرورة يشكو من مرض ما، و منه أيضا ، بما أن هذه السيارة تبث الكثير من الدخان حينما تسير فإن محركها هو بالضرورة قديم و معلول.

و يمكن لهذا التلازم أن يتوزع على لحظتين زمنيتين ، مثال ذلك : بما أن الوطن يعرف ارتفاعا ملحوظا في أعمار الناس، فقد سبقت هذه الظاهرة ، بالضرورة ، ارتفاع و تحسين النظام الغذائي لدى المواطنين.

---

[1] ينظر المرجع السابق، ص231.

[2] ينظر الحجاج في المقام المدرسي، ص22.

و منه أيضا هذا المثال : بما أن عدد الوفيات مرتفع وسط المواطنين، فـإن التغطيـة الصـحية ضـعيفة و مداخيل الناس هزيلة، بما أن هذا الطالب قد نجح في الامتحان فقد سبق ذلك عمل و مثابرة.

من خلال الأمثلة السابقة ، نلاحظ أننا نثبت فكرة ما بالاستناد على فكرة أخـرى تتوزعـان في مكانين متعايشين أو في زمانين متعاقبين . ولكن في الحالتين لا يبتكر الإنسان أو الخطيب شـيئا مـن عندياته ، إذ الأشياء موجودة سلفا فما على الخطيب إلا الإشارة إلى هذا الارتباط المتخذ حجة إقناعية ، بما أن هذا موجود فالآخر موجود ، بما أن هذا ناجح، فقد سبق الاجتهاد (توزع في زمنين). و بمـا أن هناك محسنين، فإن هناك معوزين مستفيدين من هذا الإحسان (توزع في مكان)[1].

3.1.2.1.6 حجة التبذير/ التبرير l'argument de gaspillage:

وهي حجة تقوم على الاتصال و التتابع، و إن لم تكن ليعتمد فيهـا أساسـا علـى السـببية، و أداتها "بما أن" و تتمثل في أن نقول حسب بيرلمان " بما أننا شرعنا في إنجاز هذا العمل و ضـحينا في سبيله بما لو أعرضنا عن تمامه لكان مضيعة للمال و للجهد فإنه علينا أن نواصل إنجازه[2]

4.1.2.1.6 حجة الاتجاه l'argument de direction:

و تتمثل أساسا في التحذير من مغبة إتباع سياسة المراحل التنازلية كقولنا " إذا تنازلت هذه المـرة وجب عليك أن تتنازل أكثر في المرة القادمة و الله أعلم أين ستقف بك سياسة التنازل هذه". و مثـال ذلك أيضا التحذير من مغبة انتشار ظاهرة ما " حجة الانتشار / حجة العدوى".

2.2.1.6 الاتصال التواجدي:

يمثل الاتصال التواجدي[3] طريقة في عرض الآراء المتعلقة بالواقع، و تتمثل هذه الآراء في كونهـا وقائع أو حقائق أو افتراضات.

و يكون بين شخص و بين أعماله، و عموما بين الجوهر و تجلياته كأن يقال عن طفل ما إنـه عظـيم باعتبار أن أباه فلان ،و يعد الترتيب الزمني فيه ثانويا، و له وجوه هي:

1.2.2.1.6 الشخص و أعماله :

تبنى هذه الحجة على علاقة الشخص بعمله ، ذلك أن الإنسان ذو صفات معينة منشيء لأعمال و أحكام ، و الشخص هو مجمل المعلوم من أعماله ، فهذه الأخيرة هي تجليات الجوهر"الإنسان".و نمثل

[1] ينظرمحمد الولي، الاستعارة الحجاجية بين أرسطو و شايم بيرلمان ، مجلة فكر و نقد، (مرجع مذكور)

[2] الحجاج أطره و منطلقاته، ص333.

[3] ينظر المرجع نفسه،ص335- 336- 411.

على ذلك بقوله صلى الله عليه و سلم {من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه}[1] إذ يمكن أن نقول بأن المتعلم كشخص في جوهره ليس فضوليا، وعمل ترك ما لا يعنيه من تجليات حسن الإسلام.

2.2.2.1.6 حجة السلطة:

تمثل هيبة المتكلم و نفوذه و سطوته دعما للحجج التواجدية، و تمثل حجة السلطة أهم حجة من هذا القبيل ذلك أنها تستخدم أعمال شخص أو مجموعة أشخاص و أحكامهم حجة على صحة أطروحة ما .

و تكون حجة السلطة شخصية و تتمثل في الإجماع أو الرأي العام أو العلماء أو الفلاسفة أو الكهنوت أو الأنبياء، و تكون غير شخصية و تتمثل في الفيزياء أو العقيدة أو الدين أو الكتاب المقدس، كما يعمد في الحجاج بالسلطة إلى ذكر أشخاص معينين بأسمائهم ، على أن تكون سلطة هؤلاء جميعا معترفا بها من قبل جمهور السامعين في المجال الذي ذكرت فيه.

3.2.2.1.6 الحجة الرمزية:

إن الوصل الرمزي هو رمز تواجدي ذلك أن قيمة الرمز و دلالته تستمدان مما يوجد من اتصال تزامني بين الرامز و المرموز إليه ، و للوصل الرمزي دور كبير في التأثير في الكائنات التي صنعته و جعلت له دلالة ما، و من أمثلة ذلك دلالة العلم في نسبته لوطن معين و الهلال بالنسبة لحضارة الإسلام و الصليب بالنسبة للمسيحية و الميزان إلى العدالة.

3.1.6 الحجج المؤسسة لبنية الواقع (المبنينة للواقع):

و هي نمط آخر من الحجج التي لا تكتفي برصد الوقائع و إنما تنسلخ عنه وتحدث فيه تغييرا غير مرتقب أو غير معهود[2]. فهي بذلك تعيد بناء الواقع، و تعد النمط الأخطر من بين كل الأنماط الحجاجية، لأنها تتفادى تصيد الترابط الواقعي بين الأشياء ، و تتخطى بابتكار واقع جديد على أنقاض الواقع القائم[3].

و تتعلق الحجج المؤسسة لبنية الواقع بحالات خاصة بعينها و أهم حجة في هذا المجال، حجة التمثيل التي تخلق مثالا خاصا على قضية بعينها و كذلك حجة المماثلة التي تقوم على التشبيه بين واقعين مختلفين

[1] أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، دار الميمنية، ج1، ص20.

[2] ينظر الاستعارة الحجاجية بين أرسطو و شايم بيرلمان.

[3] ينظر الحجاج أطره و منطلقاته، ص336.

تربط بينهما الوظيفة و الغاية. و فيما يلي عرض لأهم الحجج القائمة على الاتصال المؤسس لبنية الواقع. و تتمثل هذه الحجج في المثال و الشاهد و التمثيل و الاستعارة [1].

2.6 طرائق الفصل أو الطرائق الانفصالية:

تمثل الطرائق الانفصالية "procèdes de dissociation" التقنيات المستخدمة لغرض إحداث القطيعة و إفساد اللحمة الموجودة بين عناصر تشكل عادة كلا لا يتجزأ أو على الأقل كلا متضامنة أجزاؤه في نطاق نظام فكري واحد، و وفق هذه الطرائق يحدث فصل داخل المفهوم الواحد بملاحظة انعدام الانسجام بين العناصر المكونة له و بحمل أعراضه على جوهره و محاكمة ظاهره "son apparence" في ضوء حقيقته "sa réalité"[2].

إن الطرائق الانفصالية تقوم على الفصل بين عناصر تقتضي في الأصل وجود وحدة بينها و لها مفهوم واحد، ذلك أنها عناصر راجعة إلى اسم واحد يعينها، و إنما وقع الفصل بينها و عمد إلى كسر المفهوم الواحد الذي يجمع بينهما لأسباب دعا إليها الحجاج.

و يبنى الحجاج القائم على كسر وحدة المفهوم بالفصل بين عناصره المتضامنة، على زوج: الظاهر/ الحقيقة، و يمثل الظاهر الحد الأول، و الحقيقة الحد الثاني ذلك أن كل الأشياء و الأنام و المعطيات يمكن أن يكون لها حدان. فهي من ناحية لها ظاهر الشيء أو الإنسان أو المعطى كما هو مشاهد معين، فذلك هو الحد الأول.

ومن ناحية أخرى لها حقيقة هي جوهر ذلك الشيء أو الإنسان أو المعطى و صورته المثلى فذلك هو الحد الثاني. و مثال ذلك أن يقال عن شخص غير ذي مروءة :" ليس هذا الإنسان بإنسان" ، فهنا يمثل الإنسان الأول الظاهر، ظاهر وجوده في المجتمع و يمثل الإنسان الثاني الحقيقة أي حقيقة الإنسان مطلقا و صورته المثلى كما ركزها في عقلنا الدين و الأخلاق و الثقافة و الاجتماع...

1.2.6 تجليات طرائق الفصل في الأقوال و الخطابات.

يتمثل دور الفصل الحجاجي بوساطة الطرائق اللغوية و الكتابية في حمل السامع أو القارىء على تمثل مظهرين اثنين للشيء الواحد أو المعطى الواحد، مظهر زائف خداع براق من حيث أنه أول ما تصادفه الحواس و يراه الفكر و مظهر هو الحقيقة عينها ، و طريقة الفصل هذه لا تعين السامع أو

[1] ينظر المرجع نفسه، ص338-342.

[2] ينظر عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص32.

القارىء على تمثل حقيقة الأشياء فحسب بل تدعوه بإلحاح إلى معانقتها فهي الحقيقة، و إلى ترك غيرها باعتباره الزيف.

و يعبر عن حضور الأزواج الفلسفية في الأقوال و الخطابات بما يلي[1]:

عبارات في اللغة من قبيل:

- ظاهري / حقيقي
- ظاهريا /حقيقية

و بطرائق من قبيل:

-**اللا كذا**: اللا علمي

-**هو شبه كذا**: شبه العلمي

-**غير كذا**: غير صحيح

و بعض الجمل الاعتراضية : مثل إن هذا البطل ، إن صح أنه بطل، ...

بعض الأفعال: مثل يزعم، يتوهم، في قولنا يزعم أو يتوهم أنه بطل

وضع بعض الأقوال بين قوسين أو مزدوجين :مثل لقد كنت يومها "بطلا" ...

الفصل داخل المفهوم الواحد في الحدود و التعريفات: مثل الأرض هي التي تدور و ليس الشمس ، الأرض كوكب يدور حول نفسه.

اللجوء إلى الاشتقاق العلمي أو العرفي : مثل لقد نسيت أن أرد على رسالتك و ما أنا إلا إنسان و ما سمي الإنسان إلا لنسيه (مقام الاعتذار)، إنه ذو أهواء يعتمد قلبه و القلب من التقلب (مهاجمة شخص).

---

[1] ينظر عبد الله صولة، الحجاج أطره و منطلقاته، ص345.

ثانيا: نظرية المساءلة

تمهيد

يعد ميشال مايير "Michel Meyer" خير حلقة وصل بين مدرسة الحجاج الجديدة لبيرلمان و المدرسة التأويلية بفروعها المختلفة. و هو يتميز عن نظرائه في المدرسة البلجيكية بأن كل آرائه حول البلاغة و اللغة و الحجاج جاءت مغلفة في إطار فلسفي إبستيمولوجي كان غلب على منهجه بصفة عامة.

هذا الفيلسوف اللساني البلاغي ما زال عطاؤه متواصلا إلى اليوم من خلال التدريس الجامعي، و الإشراف على إصدار " المجلة العالمية للفلسفة"، إضافة إلى مصنفاته الكثيرة، و التي من أهمها في مجال الحجاج و البلاغة: "المنطق"، اللغة و الحجاج"، "اللغة و الأدب"، "أسئلة البلاغة"، "الفلسفة و الأهواء"، "في المساءلة"[1].

و هو يعد أحد أبرز الباحثين المحدثين الذين حاولوا تقديم إضافات إلى فلسفة اليونان، وممن أعادوا النظر في قضية المساءلة[2] ،حيث يسعى إلى إقامة نظرية بلاغية أساسها فكرة التساؤل و المساءلة؛ بعدما تأكد له بأن الفلسفة اليونانية لم تكن في نظره بروبلماتولوجية Problématologique ، نظرا إلى أنها لم تُعن في أي مرحلة من مراحلها بدراسة المساءلة. و أن الوصول إلى السؤال الجوهري يعد أهم خطوة في أي نظرية و أي موضوع[3].

[1] ينظر محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2008،ص134-138.

[2] اقترن ميلاد الفلسفة اليونانية بنشأة السؤال، حيث أكد سقراط أن عملية التفلسف لا تعدو أن تكون طرحا لأسئلة لا تبحث عن أجوبة بل تحاول الكشف عن الجواب المتوهم لدى المخاطب، أما الفكر الأفلاطوني فقد نشأ من حاجة ملحة لتقديم الأجوبة ، إذ تظل الغاية عند أفلاطون البحث عن الحقيقة. غير أنه لما كان الجواب عنده متأتيا من عالم المثل و الأفكار، فإن الإشكال بجميع أنواعه يقصى و لا يبقى للسؤال إلا دور بلاغي صرف، و هو ما يختلف عن وضعية السؤال عند أرسطو الذي جعله تابعا للجدل و وجها من وجوهه المتعددة. ينظر سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته و أساليبه، عالم الكتب الحديث الأردن، جدار الكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2008،ص140.

[3] ينظر سامية الدريدي الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص140.

1. نظرية المساءلة، مفهومها و موضوعها

تعد نظرية المساءلة إحدى النظريات المعاصرة التي قامت بمعالجة الخطاب بصفة عامة و الخطاب الذي يتم داخل عمليات التخاطب خاصة سواء كان تواصلا عاديا، أم حجاجا يهدف إلى الإقناع، و قد استطاع "مايير" اعتمادا على منطلقات معرفية و مرتكزات فلسفية أن يؤسس منهجا تساؤليا يقوم على مبدأين اثنين هما[1]:

1.1 المبدأ الافتراضي في تحليل الأقوال

تقوم كل الأقوال في العمليات التخاطبية على مبدأ الإفتراض المؤسس على الجواب و السؤال المفترضين، انطلاقا من مجموعة من المقومات التي تحكم العمليات التواصلية، كالسياق و المعلومات الموسوعية و التجربة الذاتية و القدرات التفكيرية و التأويلية و التخييلية، إذ يصبح كل قول سواء كان (خبرا، إنشاء، سؤالا، تعجبا، أمرا، نهيا...) افتراضا لشيء ما داخل سياق تخاطبي معين، أي جوابا عن سؤال سابق، و سؤالا لجواب لاحق، و بـــهذا يعبر الافتراض عن انتظارات متعددة و مختلفة تقتضيها العلاقات الإنسانية لتحقيق أهدافها و مراميها.

2.1 مبدأ الاختلاف الإشكالي داخل الأقوال

يقوم هذا المبدأ على طرح الاختلافات القائمة بين الأقوال و يهدف إلى تحقيق وظيفـــة القـــول، تواصلا أو إقناعا، و هذه الاختلافات هي الميزة الحقيقية في العمليات التخاطبية، ليس باعتبارها تنوعات قولية في الشكل و المضمون، بل باعتبارها اختلافات تحكمها ضرورات ترتبط بالمعـــارف و الخلفيـــات السياقية و الثقافية التي يتوفر عليها الذهن البشري.

إن الانسان يتواصل ليحل الإشكالات المعلقة، أو ليطرح أسئلته و مشكلاته، إنه يتواصل كي يبحث و يوجد القواسم المشتركة التي تفرضها الطبيعة التواصلية الإنسانية. فالتفكير الإنساني هو دوما مساءلة.

2. الأبعاد الثلاثة لنظرية المساءلة

إن انفتاح تصورات "مايير" على الفلسفة و اللغة و نظرية المعنى أساسا، و انطلاقها في البدء من أفكار نظرية بيرلمان الذي يستشهد بمقولاته كثيرا، جعلها ذات أبعاد ثلاثة هي:

1.2 البعد التداولي: من حيث بحثها في ظروف إنجاز الخطاب و آلياته

2.2 البعد التأويلي: من حيث علاقة السؤال بالجواب و ما يتطلبه من تأويل لمكونات كل منهما و روافده المغذية له.

[1] عبد السلام عشير،عندما نتواصل نغير،ص 196

3.2 البعد البلاغي: من حيث أنها مرتبطة بالحجاج، و انفتاح هذا الأخير على مختلف وسائل الاتصال الكائنة وكذا الممكنة[1].

3. مفهوم الحجاج في نظرية المساءلة

استخلص "ماير" بعض مفهوم الحجاج من مفاهيم المدرسة الفرنسية (بمن فيها أعلام بلجيكا مثل بيرلمان)، أما بعضه الآخر فيكاد يكون من صنعه و كد ذهنه. و يعرف الحجاج قائلا « الحجـــاج هـــو دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام و ضمنيه»[2].

يقدم هذا المفهوم وجهة نظر ماير للخطاب الحجاجي؛ و هي أنه يوجد في معنى الجملة الحـــرفي شارة/ سمة حجاجية (marqueur argumentatif) تؤدي إلى ظهور الضمني في ضوء ما يمليه المقام، و تلّوحُ بنتيجة ما تكون مقنعة أو غير مقنعة[3].

و قيام الحجاج على قسمين: صريح و ضمني هو الذي يجعله ذا صبغة حواريـــة أي مســـرحا تتحاور على ركحه الأطراف و تتفاوض. و آية ذلك أن الكلام بانقسامه، عند التخاطب، إلى صريح و ضمني يكون نصفه للمتكلم و هو النصف المصرح به و نصفه للسامع و هو النصف الضمني.

إن القسم الذي يكاد "ماير" يختص به في صياغته لمفهوم الحجاج هو القســـم المتعلـــق بـــربط الحجاج بنظرية المساءلة. فما الحجة عنده إلا جواب أو وجهة نظر يجاب بها عن سؤال مقدر يســـتنتجه المتلقي ضمنيا من ذلك الجواب[4]. و يكون ذلك في ضوء المقام و بوحي منه.

إن السؤال ليس إلا مشكلة تتطلب حلا؛ و حلها إنما يكمن في الإجابة عنها إجابة يفهم منها ضمنيا أن تلك المشكلة موجودة، بحيث لا يكون المتلقي في نهاية المطاف و هو يقرأ الحجج الصريحة أو الأجوبة في خطاب ما إلا طارح أسئلة يستنتجها ضمنيا من خلال تلك الأجوبة المقدمة في النص، مستعينا بالمعطيات التي يوفرها المقام. غير أن السؤال في هذه النظرية لا يكون في شكل "جملة" إذ يتجاوز نطاق اللغـــة، و إن كانت الجملة تمثل أفضل إطار يجسد السؤال[5].

---

[1] ينظر محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص138

[2] M.Meyer,logique,langage et argumentation,édition Hachette,Paris,1982,p112 نقلا عن الحجاج في القرآن، ص37 .

[3] ينظر عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص37.

[4] ينظر المرجع نفسه، ص38.

[5] ينظر المرجع نفسه، ص39.

إن آراء "ماير" في الحجاج متصلة بتحديده طبيعة الكلام و وظيفته التساؤلية، إذ أنه لما كان الكلام إثارة للسؤال أو استدعاء له لزم أن يتولد عن ذلك نقاش يولِّد بدوره حجاجا، فالحجاج لديه محايث لاستعمال الكلام لأن الكلام يتضمن بالقوة سؤالا يستمد منه دلالته؛ و الحجاج لا يتصل بضرب مخصوص من الخطابات ، بل يشمل كل ضروب الخطاب الشفوي و المكتوب، و الأدبي و غيره.

إن الحجاج متعلق إذن لدى "ماير" بنظرية المساءلة و هو يشتغل باعتباره ضرورة تؤدي إلى نتيجة أو موقف نحمل الغير على اتخاذه إزاء مشكل مطروح في سياق يوفر للمتخاطبين مواد إخبارية ضرورية للقيام بعملية الاستنتاج المتصل بالزوج (سؤال/جواب)[1].

4.علاقة البلاغة بالحجاج في نظرية المساءلة

تنهض البلاغة لغويا بما يضمن تحديد أشكال الإقناع و التأثير بحسب مقصد المخاطب و مقتضيات المقام. و هذه الأشكال البلاغية ذات الوظيفة الإقناعية، لها علاقة وطيدة بالمساءلة ذلك أن اعتماد المخاطِب صورة بلاغية في الخطاب هو في الواقع ليس إلا طرحا لسؤال يقتضي جوابا إشكاليا.

إن الصورة البلاغية و تحديدا التشبيه المجمل أو البليغ أو الاستعارة تمثل عند "ماير" الفكرَ في جوهر حركته الاستفهامية، وذلك فيما توفره من طاقة إقناعية هائلة حين تجعل المتلقي يستنتج أمرا و هو يجيب عن السؤال المطروح؛ فيتقيد به إذ ما يستنتجه بنفسه يصعب عليه فيما بعد رده[2].

إن "ماير" يعتبر أن كل بلاغة حجاجا و كل حجاج بلاغة، أي أنه يطابق بين المفهومين إذ هما (البلاغة و الحجاج) -في نظره- يهدفان إلى تضييق شقة الخلاف بين المحاورين و المتخاطبين أو إلغائها. و قد عبَّر عن ذلك بقوله: « البلاغة هي أن نفاوض حول المسافة»[3].

و يحلل الفكرة الأساسية "مفاوضة المسافة" من خلال طرحه عرضه الإمكانات البلاغية الدقيقة التي تحتكم إليها، و التي تتمثل في:

1.4 بنية الصور البلاغية

يرى "ماير" أن للصورة البلاغية دورا في جذب السامع و تحريك خياله حتى يستوعب الأفكار و الصور المقدمة لديه، و يعد المجاز أهمها؛ لأنه «يخلق المعنى و يصدم كل من لا يشاطر المتكلم وجهة

[1] ينظرمحمد علي القارصي، البلاغة و الحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو، إلى اليوم، منوبة،1998،ص394

[2] ينظر سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم 146

[3] logique,langage et argumentation,p7-8.

نظره و هو إلى ذلك طريقة التعبير عن الأهواء و الانفعالات و المشاعر التي هي صور من الإنسان مثلما يكون المجاز صورة من الأسلوب»[1].

إن الصورة البلاغية إذا ما طرحت في الخطاب فذاك يعني أن سؤالا طرح فيه، و السؤال يستدعي بالضرورة جوابا ، يستفهم السامع و يدعوه إلى الإجابة عن السؤال المطروح و تتأتى الإجابة بتجاوز ظاهر اللفظ الحامل، فالجواب سؤال في حد ذاته لأنه يحدد وجها واحدا من الجواب و تبقى بقية الوجوه متعلقة بأسئلة جديدة تطرح[2].

و انطلاقا من هذا المبدأ التأسيسي العام المتصل في نهاية الأمر ببنية الفكر المسائل و وظيفته، يبين "مايير" من خلال أمثلة علاقة السؤال بالجواب و دورها في تأسيس الصور البلاغية.

و يوضح محمد علي القارصي فكرة "مايير" بسوقه المثال التقريبي الآتي: "**محمد أسد**".

لا ريب أن ظاهر اللفظ في هذه الجملة لا يفيد الحقيقة و عندها يتساءل المخاطَب عن مقصد المتكلم و عن سبب اقتران محمد بالأسد، إن الاختلاف القائم بين المسند و المسند إليه هو أصل هذا التساؤل و مصدره و لا يكون الحل إلا في الجواب المفسِّر للتماهي الصوري (البلاغي) بين الطرفين و يؤكد ميار أن هذا التماهي البلاغي هو الفضاء البروماتولوجي الذي يواجه المخاطب[3].

و يرى "مايير" أن حركة الفكر عند انتظام المجاز تجمع بين ثلاثة مستويات: مستوى الإنسان المراد وصفه "محمد" و مستوى الحيوان "الأسد" و المستوى المشترك "الشجاعة" لكن الإنجاز البياني المكتوب أو المنطوق به يسكت عن الحلقة الوسطى و هي الشجاعة و يفضي المجاز إلى تماهي بلاغي بين محمد و الأسد ، و هنا ينهض السؤال الباحث عن عوامل التماهي و الاختلاف.

إن تحليل "مايير" لظاهرة المساءلة المتصلة ببنية الوجوه البلاغية يتخلله تأكيد على ما تلعبه من دور حجاجي، و في هذا المستوى بالذات يسير على خطى بيرلمان و يستشهد بقولته المعروفة: « تهدف الوجوه البلاغية إلى إبراز حضور ما و توكيده أو تلطيفه كما تجلو للعيان ما قد نفهمه أو نعتبره غير مفيد»[4]. و يشترط في الصور البلاغية أن تبتعد عن المبالغة و الحشو، أي أن تكون مقامية بالغة الإيحاء.

2.4 العلاقات الخطابية

---

[1] الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص136.

[2] البلاغة و الحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، ص396.

[3] المرجع نفسه، ص396.

[4] البلاغة و الحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، ص397.

تمثل الخطابة الأرسطية مصدرا نظريا هاما من مصادر "ماير" في تعميق دراسته للعلاقات الخطابية المتصلة بالحجاج، فهو ينطلق من وسائل الاستمالة الخطابية التي حددها أرسطو و المتمثلة في الإيتوس، الباتوس و اللوغوس[1].

و ما يحتفظ به "ماير" من مقومات هذه الخطابة تلك العلاقة الثنائية المؤسسة أي علاقة المتكلم بالمخاطب حول مسألة ما. مختزلا بذلك الوسائل التي يتم بها استمالة المخاطب و إقناعه.

و هذه العلاقة الثنائية في رأيه ذات أسس عقلية فكرية ، بحيث تكون للخطيب طاقة تأثيرية من جهة و ثقافة عميقة و وعي بمستويات مخاطبيه و أهدافهم من جهة ثانية. و يكون "ماير" بذلك قد أعلى من شأن المتكلم بإحلاله محل العارف المتيقن و الذي سوف يكسب الخطاب مصداقية و نجاعة و يحمل المخاطَب على تصديق ما جاء به[2].

و تهيء هذه العلاقة الفضاء الأمثل لإثارة السؤال و إذكاء المساءلة المستمرة القائمة على الحجاج، باعتباره مفاوضة للمسافة[3] بين الطرفين و تكييفها حسب مقاصد المخاطب[4].

إن المعرفة و الوعي المميزين للمتكلم، يُتيحان له صياغة التساؤلات الجوهرية الحجاجية التي يستدعيها المقام، كما يمكنانه أيضا من تحويل مخاطبيه من موقع المستمعين السلبيين إلى المشاركين الفعليين،و خاصة عندما يمنحهم الثقة في أنفسهم و يؤكد لهم حضورهم و توقف كل شيء على ردود أفعالهم و إنجازاتهم.

[1] الإيتوس هو مجموع الخصال المتصلة بالخطيب، و المؤدية إلى إحلال الثقة في الجمهور، و يعبر عنها بالأخلاق، و أما الباتوس فهو ما ينبغي أن يأسره الخطيب في الجمهور من مشاعر و أحاسيس و انفعالات تحقق اقتناعه و تسليمه بمحتوى الخطاب، و أما اللوغوس فهو الخطاب نفسه، و يعبر عنه اللغويون المحدثون بالرسالة التي يلعب فيها الآداء اللغوي دورا حاسما في تحقيق الاستمالة، سواء بجمالية الخطاب أو بسطوة الحجاج العقلي أو بهما معا، ينظر المرجع نفسه، ص398 و ينظر الفصل الأول ص 38-39.

[2] المرجع نفسه، ص 399.

[3] إن القول الحجاجي الهادف أساسه عملية المفاوضة التي تدور بين المتخاطبين حول المسافة، و هي الطريقة التي يتعامل بها الناس فيما بينهم إزاء المسائل التي تشغل تفكيرهم، و ما ينتج عن ذلك من اختلاف أو اتفاق أو رغبة في التقارب أو التنافر أو الحياد، و هي مواقف تندرج في صلب الحجاج و تفترض استعمال أساليب و آليات حجاجية متعددة لتقريب المسافة و تحدد أيضا أشكال بروز المتخاطبين اللغوية كما تحدد كذلك طريقة تشخيصهم للقضايا المطروحة.ينظر عندما نتواصل نغير،ص 204.

[4] ينظر البلاغة و الحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، ص399.

و على هذا الأساس يعيد "مايير" صياغة العناصر الخطابية السابقة في ثلاثة أركان أساسية هي: "الأخلاق، السؤال و الجواب". و يكون بهذا قد اختزل عنصر المخاطب و هو يقر بأهميته و ألحقه بالمتكلم، كما يكون قد فرع اللوغوس الأرسطي إلى عنصرين: السؤال و الجواب[1].

5. الحجاج و الزوج (سؤال/جواب)

يرى "مايير" أن طرح السؤال يمكن أن يضخم الاختلاف حول موضوع ما إذا كان المخاطَب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما،كما يمكن أن يلطف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف إذا كان المخاطَب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم. و بإمكان المتكلم كذلك تعميق نقاط الاتفاق مع المخاطَب إذا ما كان مقرا بما يطرحه عليه من أجوبة.

أما الجواب فهو ينهض كذلك مثل السؤال بوظيفته الحجاجية القائمة على مفاوضة المسافة[2] فيُبرز مواطن الاتفاق بين الطرفين أو يقلل من شأن تلك المختلف حولها. أما إذا كان هدف المتكلم تعميق المسافة بينه و بين مخاطبه فيعمد كما في السؤال إلى تضخيم مواطن الاختلاف و غض الطرف عن مواضع الاتفاق أو تأجيل النظر فيها[3].

[1] المرجع نفسه، ص 399

[2] تتمظهر المسافة الحجاجية في كل العلاقات التي تجمع بين البشر و التي اختزلها "مايير" في لعبة الهوية و الاختلاف، فالهوية هي تقريب للعواطف و الأحاسيس المشتركة بين الناس أي تقريب للمسافة التي تفصل بينهم، أما الاختلاف فيمثل كل أشكال التعارض و التباين بين الناس، و يتجسد في السلطة و الإقصاء... الذي يمارسه فعل الاختلاف. أي توسيع المسافة. ينظر عندما نتواصل نغير، ص204.

[3] ينظر البلاغة و الحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، ص399-400.

الفصل الرابع

المقاربة المنطقية للحجاج

أولا: نموذج المقطع الحجاجي

تمهيد

لقد تشكَّل داخل المنطق، منذ مدة طويلة تزيد على نصف قرن، علم جديد يعنى بدراسة الأنساق الصورية، و قد أدى هذا العلم أو هذا الفرع من فروع المعرفة إلى تطوير المنطق و إلى تطوير اللسانيات، و غيرها من العلوم.

و استفادت اللسانيات كثيرا من المنطق و الرياضيات، و استفاد المنطق بدوره من اللسانيات، و تطورت العلاقات اللسانية المنطقية و تعمقت و اتسع البحث فيها و تطور بشكل كبير.

و إذا كانت وظائف المنطق الأساسية تتمثل في وظيفتين اثنتين هما: وظيفة الصورية la formalisation و الوظيفة الاستكشافية La fonction heuristique فإن استفادة اللسانيين من المنطق تتجلى في هذين المستويين.

لقد أصبحت النظرية اللسانية مع التوليديين و خصوصا مع تشومسكي تقدم على شكل نماذج منطقية و أنساق صورية، مما أدى إلى تطور الدرس اللساني بشكل كبير و واضح في العقود الأخيرة . فالنمذجة أو الصورية أو الترييض أضحت مسألة ضرورية و حتمية، خاصة و أن الفرضية العلمية لا يمكن اختبارها و التحقق من صحتها أو بطلانها إلا إذا صيغت صياغة واضحة، أي صياغة رمزية صورية. و الصورية قد تكون بأدوات المنطق و أدوات الرياضيات كما هو معلوم[1].

و يعد الباحث الأمريكي "ستيفان تولمين Stephen Toulmin " أحد الباحثين الذين استفادوا من "النمذجة في مقاربته للحجاج، و يعد كتابه " Les Usages de l'argumentation " أهم مرجع حاول من خلاله بناء نموذج نظري انطلاقا من تصورات و مسلمات معينة. و استنادا إلى المنطق الشكلي.

[1] ينظر من المنطق إلى الحجاج، حوار مع الأستاذ أبو بكر العزاوي، حاوره الأستاذ حافيظ إسماعيلي علوي، فكر و نقد، المغرب، ع61، 2004.
http://www.fikrwanakd.aljabriabed.net/n61_03azzawi.htm

و لم يستفد "تولمين" من الدرس المنطقي في صياغة نظريته فحسب، بل استفاد أيضا من التيار المعرفي الذي تميزت به البلاغة الحجاجية الأمريكية[1] مما سمح له أن يعطي الحجاج سمة عقلانية و يكسبه مظهرا منطقيا.

1.المنطق العملي و نظرية القانون

اجتهد "تولمين" في إحصاب قضايا القياس المنطقي بوساطة القضايا المتداولة في نظرية القانون (Théorie du droit) و في المرافعات القضائية مِثل عرض مزاعم المتضرر و عرض الحجج و شهادة الشهود و الدعوة إلى مراعاة ظروف التخفيف و غير ذلك، كما اجتهد من ناحية أخرى في إخضاع هذه القضايا القانونية لبناء منطقي صارم[2] .

و لقد اتخذ "تولمين" من نظرية القانون نموذجا لهذا المنطق ، و يرى أنه يمكن أن نقارن الحجاج بالمحاكمة؛ و الحجج بالحجج، و الإثباتات خارج السياق القانوني بالادعاءات المعروضة في المحكمة. و إذا كان من بين المهام الأساسية لنظرية القانون وصف الإجراءات التي تطلب بها عدالة أو تناقش أو تقرر، و وصف المقولات التي يخضع لها إنجاز كل هذه الأشياء؛ فإن البحث سينصب على وصف ما يمكن تسميته بالمحاكمة العقلانية؛ و على الإجراءات و المقولات التي يمكن استعمالها في تقعيد كل صنف إثباتي أو الدفاع عنه[3].

يقول تولمين: « ميزة الموازاة بين المنطق و نظرية القانون، أنها تساهم في مركزة الوظيفة النقدية للعقل؛ لأن قواعد المنطق تطبق على الناس و على حججهم كمعايير امتياز، يلجأ إليها

---

[1] اتسمت البلاغة الحجاجية الأمريكية باتجاهين كبيرين هما: اتجاه المحافظين السقراطيين المزودين بأفكار مهمة حول حالة المتكلم في السياق التاريخي المعطى، و التيار المعرفي الذي يمثل الظاهرة الأساسية في البلاغة الحجاجية الأمريكية.

voir Mariana TUTESCU, L'Argumentation,Introduction a l'étude du discours .http://ebooks.unibuc/lls/marianatutescu-argumentation/6.htm

[2] ينظر الحجاج في القرآن،ص 26 .

[3] ينظر محمد طروس، النظرية الحجاجية، من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1 ، 2005،ص 60.

الفرد حين يحاجج ، و على ضوئها تقوم الحجج؛ و قد يقد لدعمها عناصر تبريرية، تشبع المعـــايير المكتسبة، في هذا التصور تجد كثير من المصطلحات القانونية امتدادها الطبيعي »[1]

إن من يتحدث لدى تولمين بكيفية إثباتية، يختلف عمن يتحـــدث بطـــيش، أو بطريقـــة افتراضية أو يلعب دورا، أو يبحث فقط عن ترك انطباع، لأنه ينتظر أن يؤخذ مأخذ الجد.

فالجدية تخضع لعدد من العناصر، كنوعية الشخص، و الثقة التي يحظى بها عمومـــا، و قـــد يـــتم الاقتناع ببعض الناس لأنهم معروفون بتبصرهم و دقة أحكامهم. و لا يعني هذا إثباتاتهم بثقـــة عمياء؛ بل يعتقد أن ما يثبتونه بجدية، و تفكير ناضج، مؤسس بصورة جيدة و قائم على حجـــج متينة، وجدير بالاهتمام اليقظ.

و سواء كانت الإثباتات صادرة عن خبير أرصاد يتنبأ بنزول المطر، أو عامل يتهم مشغله بالإهمال، أو مؤرخ يدافع عن شخصية تاريخية، أو رجل أعمال أو ناقد فني، فإنه تتم المطالبة في كل حالـــة بالأسباب التي تخضع لها قيمة الإثبات، من أسس و معطيـــات و وقـــائع و أدلـــة و اعتبـــارات و خصائص؛ أي المطالبة بالحجاج، و لن يتم قبول الإثبـــات إلا إذا كـــان الاســـتدلال الـــذي يدعمهيحترم معايير الحكم[2].

2.الحجج التعليلية

يرى "تولمين" أن للحجج غايات متنوعة، و قد تتنوع الحجج بتنوع الغايات، إلا أنه وجه اهتمامه إلى "الحجج التعليلية" الموجهة إلى دعـــم الإثباتـــات، أي إلى البنيـــات الـــتي تقـــدمها، و القيمة التي تدعيها، و الطرق التي تمكن من تصنيفها و تقويمها و انتقادها ، وقد أرجع ذلـــك للوظيفة الأساسية للحجج و المتمثلة في التعليل[3].

إن التعليل إذن هو الوظيفة الأساسية للحجج حسب "تولمين"، و ما عداه من استعمالات و وظائف هو ثانوي و مشوش. و يبرهن على ذلك بصوغه المثال الآتي:

« لنفرض أن شخصا صاغ إثباتا، ثم طولب بتدعيمه، فماذا سيفعل لإنتاج حجة تعلل إثباته؟و ما هي أشكال النقد و التقويم التي ستطبق، بكيفية ملائمة، في فحص الحجة المقدمة ؟" و يجيب بأنه

---

[1] Stephen Toulmin,les usages de l'arguantation.trad.Philippe de Brabanter.Paris.Presse universitaire de France.1993,p10 نقلا عن النظريـــة الحجاجية، ص60.

[2] ينظر النظرية الحجاجية، من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية، ص61.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص61.

سوف يتفاجأ بالتنوع الكبير في الإثباتات التي يمكن أن تدعم، و في الأسباب التي يمكن أن تقدم لخدمة إثبات. لهذا سوف تتعدد الطرق التي تقود المعطيات إلى النتائج »[1].

إن النتائج المرتقبة، و الإثباتات المصوغة، تتغير تبعا للقضية المعروضة، فيطلب الاستمرار في الشرح، و إنتاج المعطيات و الوقائع، أو أسبابا أخرى كافية لتعليل الإثبات الأولي. و يرى "تولمين" بأنه سيُلاحظ أيضا أن نوع الوقائع التي تمت الإحالة عليها و نوع الاستدلالات المستخدمة يخضعان لنوع القضية المعالجة ؛ و أن مراحل الحجج المختلفة التقديم ، يتنوع مسارها تبعا لمنطق التعليلات، و النتائج المستخرجة.

و لما كان من الممكن ، نظرا للمعطيات المذكورة، أن تكون الحجج التعليلية شديدة التنوع، فبأي مقياس يطبق عليها الإجراء التقويمي نفسه بالمصطلحات نفسها و بالمعايير نفسها[2].

3. العبارات الجيهية

لكي يعطي "تولمين" لنظام الحجج التعليلية، عبر مراحله المتمايزة، ما يحتاجه من وصف و تدقيق، لجأ إلى وضعه في علاقة مع محدد جديد، تمثله العبارات الجيهية (ممكن، ضروري، ...) و يرى "تولمين" أنه يتم القبول في المرحلة الأولى، بأن للمشكل المعروض عددا من العبارات و الحلول الممكنة و أن عبارة "الإمكانية" و ما يحاقلها من صيغ تلائم تماما هذه المرحلة؛ لأن وصف اقتراح معطى بالممكن ، يعني إعطاءه الحق في أن يفحص.

ثم يتم الشروع في النظر في الاقتراحات، و التساؤل عن العلاقة التي تربطها بالمعلومات المتوفرة؛ و سوف يؤدي ذلك –حسب رأيه– إلى إنتاج وضعيات جديدة تلائمها عبارات جيهية أخرى. كما يتم القبول،من بين كل إمكانيات الانطلاقة، بأحد الحلول الخاصة، لكونه الحل (الأحسن) أو (الضروري) ...

و يؤكد "تولمين" بأنه قد لا تُمكِّن الاعتبارات الواردة من إيجاد النتيجة (الأحسن) و لكن يمكن على الأقل إقصاء بعض الاقتراحات المقبولة في البداية كإمكانية؛ و هذه وضعية توصف بعبارات جيهية تعبر عن الاستحالة[3].

إلا أنه توجد سلسلة من الاقتراحات التي يستحيل إقصاؤها، تبعا لدقتها أو شرعيتها النسبية و في غياب يقين كلي، يتوجب ترتيب النتائج بصورة تدرجية.

---

[1] les usages de l'argumentation,p14.

[2] ينظر النظرية الحجاجية، ص62.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص64.

و حين يتم وصف كل الوضعيات المختلفة التي تقدم في عرض حجة تعليلية سوف يتم العثـور يقينا، على تنوع كبير في الحقول.

و يطبق "تولمين" نموذجه هذا على عدد من العبارات الجيهية، و يعرضها على عدد مـن الأمثلة المتنوعة، و المختلفة الحقول، فيلاحظ مثلا في دراسته للعبارة (عدم الاستطاعة) في حقول مختلفة، أن هناك خطاطة عامة يمكن أن تصاغ كالآتي:

[(ق) معطاة كما هي. عليك أن تقصي كل ما تتضمنه (ع)، و تتصرف بكيفية مغايرة لـ (ن)، و سيستدعي تصرفك (س)]

حيث أن الصورة ثابتة في كل الأمثلة، و لا تتغير إلا العناصر الواجب اسـتبدالها في [(ق)، (ع)، (ن)، (س)] علما أن :

- (ق) هي السلوك الموصوف في الإثبات.
- (ع) هي العلل التي نبني عليها في كل حالة.
- (ن) هي المخالفة الضمنية.
- (س) هي العقوبات المتوقعة.[1]

4.حقل الحجاج

أدخل تولمين مصطلحا تقنيا أسماه " **الحجاج**" و حدد مفهومه بقوله: « نعتـبر الحجـتين منتميتين إلى نفس الحقل حين تكون المعطيات و النتائج المكونة لكل واحدة منهما، مـن نفـس النوع المنطقي؛ و نعتبرهما منتميتين إلى حقلين مختلفين، حين لا تكون الأسس و النتائج من نفس النوع المنطقي »[2]

من هذا التحديد يطرح "تولمين" سلسلة جديدة من الأسئلة: ما المستقل في شكل و قيمـة الحجج عن الحقل و ما التابع له؟ ما الذي لا يتغير تبعا للحقل في صيغ و معايير تقـويم الحجـج و في طريقة وصف النتائج؟ و ما الذي يتغير كلما انتقلنا من حقل إلى آخر؟ بأي مقياس مـثلا نستطيع أن نقارن بين معايير الحجاج التي تطبق في قضية قانونية ، وبين تلك التي تلائم الحكم على عمل فني، أو برهان رياضي، أو ترتبط بمباراة رياضية؟ علما أن الهدف من المقارنة ليس هو دقـة

[1] ينظر النظرية الحجاجية ، ص65.

[2] les usages de l'argumentation,p17.

المعايير؛ و إنما معرفة ما إذا كانت هناك معايير مشتركة للحكم على حجج تنتمي إلى حقول مختلفة[1].

يقايل "تولمين" بين المسطرة التي تقعد للقضايا القضائية، و بين العملية العقلانية التي تعرض الحجج لدعم إثبات أولي، لوجود تنوع كبير في القضايا القانونية؛ و يدعو إلى التساؤل أيضا عما إذا كانت شكليات المسطرة القضائية أو معايير الحجاجي القانوني متماثلة، باستقلال عن طبيعة القضية ، أم أنها تتغير تبعا لشكل و نوع القضية المطروحة؟

و ينظر إلى هذا الأمر من خلال المراحل العامة التي تحكم أنواعا عديدة من المحاكمات:

م1: يعرض الملتمس أو الاتهام صراحة.

م2: تقدم الأدلة أو الشهادات لدعم الملتمس أو الاتهام.

م3: يصدر قرار المحكمة.

تسمح هذه الخطاطة – باعتبارها بنية ثابتة مختلفة التفاصيل – بتحديد معايير مشتركة لتقويم أو تفسير قضايا قانونية شديدة الاختلاف[2].

5. النموذج الحجاجي لتولمين

1.5 النص الحجاجي

النص الحجاجي جنس من الخطاب يبنى على قضية أو فرضية خلافية يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطا منطقيا، قاصدا إلى إقناع الآخر بصدق دعواه و التأثير في موقفه أو سلوكه اتجاه تلك القضية. و النص الحجاجي موظف لتقوية القبول أو تقويم معتقدات[3].

2.5 الملامح الأولية لطراز النص الحجاجي.

يهدف النص الحجاجي إلى التأثير في مواقف و سلوك مخاطب أو جمهور معين و ذلك بجعله يتقبل ملفوظا (نتيجة) وفق طرق متنوعة على ملفوظ أو ملفوظات أخرى (معطاة/ برهان/ سبب) .

---

[1] ينظر النظرية الحجاجية، ص64.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص 64.

[3] ينظر محمد العبد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، فصول، ع60، صيف، خريف 2002، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص44.

إن المعطاة التي تقوم مقام البرهان تهدف بطبيعتها إلى تأكيد قضية أو دحضها، و يمكن القول بأن مفهومي النتيجة و المعطيات (أو المقدمات) يحيل أحدهما على الآخر، و تتحدد طبيعة كل واحد بالنظر إلى علاقته بالآخر.

إن قضية أو قضايا لا تظهر باعتبارها مقدمة أو شرطا مسبقا لنتيجة معينة إلا بصورة بعدية و بالنسبة لتلك النتيجة، و إنها لتفقد تلك الصفة (مقدمة) إذا غابت النتيجة و كذلك العكس لذلك فإن العلاقة (معطاة – نتيجة) يمكن اعتبارها مقطعا قاعديا و إن سلسلة القضايا المكونة للمقطع (مهما كانت طريقة تنظيمها) هي سلسلة يمكن قراءتها و تأويلها وفق العلاقة التالية:

معطيات/أدلة/ أسباب ←نتيجة

و ينقسم هذا المقطع الحجاجي إلى قسمين : قسم مُسنِد و هو المقدمات و قسم مسنَد و هو النتيجة[1].

و لقد اعتبر النص الحجاجي صنفا أو نمطا مستقلا له مميزاته و خصائصه سواء من ناحية الشكل أم من ناحية المضمون، و فيما يلي أهم مميزاته[2]:

– العلاقة بين أجزاء النص الحجاجي علاقة منطقية أكثر من كونها علاقة تصورية كما هي الحال في النص غير الحجاجي.ويقصد بالعلاقة التصورية تلك التي تصدر عن تجربة محددة مقيدة بزمن التصور و بحدث التصور.

– العلاقة المنطقية علاقة استنباطية غالبا في مقابل العلاقة التصورية المباشرة في النص غير الحجاجي.

– النص الحجاجي نص تقويمي.

– يبنى النص الحجاجي على ستة مكونات.

3.5 مكونات النص الحجاجي

اعتمادا على العناصر التي تكون القياس الأرسطي: مقدمة كبرى، مقدمة صغرى، و نتيجة، وضع "تولمين" مصطلحات جديدة لقياسه الحجاجي، إذ سَمَّى المقدمة الكبرى "قانون العبور (loi de passage) لأنها تسمح بالانتقال من الحجة / المقدمة الصغرى إلى النتيجة، ثم أضاف

[1] ينظر عبد القادر بوزيدة،نموذج المقطع البرهاني أو الحجاجي، ملتقى علم النص، مجلة اللغة و الأدب، جامعة الجزائر، ع12، ص306.

[2] ينظر النص الحجاجي العربي، ص44.

عناصر أخرى ثانوية مثل السند الذي هو مرجع لقانون العبور، و علامة القوة التي تزيد أو تنقص من قوة النتيجة، مثل الاستثناء الذي يسمح بإقصاء الحالات الاستثنائية، و فيما يلي تفصيل لهـــذه المكونات[1]:

الدعوى/ النتيجة/claim/conclusion:

تمثل الدعوى نتيجة الحجاج، و هي مقولة تستهدف استمالة الآخرين تذكر صراحة و قـــد تضمن.

المقدمات/data /les donnée :

و هي تقرير يصنعه المحاجج عن أشخاص أو أحوال و أحداث. و ينبغي للمقـــدمات أن ترتبط بالنتيجة ارتباطا منطقيا حتى تصلح لتدعيمها.

الضامن (التبرير)/la garantie/ warrant:

و هو بيان للمبدأ العام الذي يبرهن على صلاحية الدعوى و فقا لعلاقتها بالمقدمات.

السند (الدعامة/ الأساس)/t**fondement/ support:**

و هو كل ما يقدمه المحاجج من شواهد و إحصاءات و أدلة و قيم ... حـــتى يجعـــل المقدمات و التبريرات أقوى مصداقية عند المستقبل.

الموجِّه (علامة القوة)/ qualifier/qualificateur:

كل ما يقدم من تعبيرات تظهر مدى قابلية بعض النتائج للتطبيق، مثل: من شبه المؤكد من الممكن، من المحتمل، على الأرجح.

الاستثناء(التقييد)/ rebuttal /restriction:

هو الأساس الذي ينهض عليه الحكم بعدم مقبولية النتيجة. أي شروط رفض القضية.

4.5 الهيكل/ المقطع الحجاجي

أطلقـــت "كورنيليـــا راد صـــكوحي" مصـــطلح الهيكـــل الحجـــاجي Schème d'argumentation على نموذج تولمين le modèle de Toulmin (البنيـــة المصـــغرة للحجة).و قد عرفته في معناه التركيبي بأنه يتكون من قاعدة استنتاج و حجة و نتيجة أما في معناه البنيوي فقد عرفته بأنه القالب الأصغر لوحدات حجاجية يتكون منها النص[2].

---

[1] ينظر محمد العبد، النص الحجاجي العربي، ص45.

[2] ينظر الحجاج في المقام المدرسي، ص19.

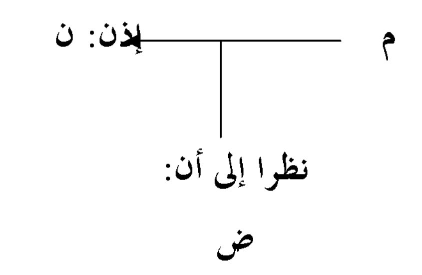
و لقد تمكّن "تولمين" من وضع رسم تخطيطي بيَّـن من خلاله البنيـة المصـغرة للحجـة/ الشكل الرئيس للوحدة الحجاجية، اعتمادا على أهم العناصـر الأساسـية في عمليـة الحجـاج (مكونات النص الحجاجي)، و يعد هذا الرسم شكلا نموذجيا يُعبِّر تعبيرا دقيقا عـن عمليـات الإسناد و الدحض للملفوظات المميزة للمقطع الحجاجي.

إن هذا الشكل النموذجي القاعدي للحجاج يتمثل في الربط بين معطيات و نتيجة ، و هذا الربط بين (المعطيات والنتيجـة) يمكـن أن يكـون مؤسسـا صـراحة أو ضـمنيا بوسـاطة ضامن/garant و سند أو دعامة / support تكون المعطاة هي الظاهرة و السند هو المضـمر في أغلب الأحيان ، أما العناصر الأخرى المكونة للمقطع الحجاجي فهي تتأرجح بـين الظهـور و الاضمار[1].

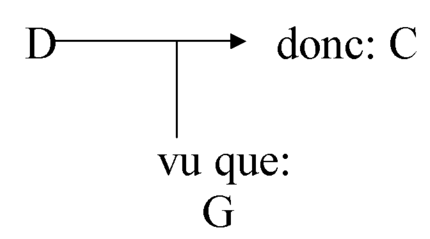
و قد مرّ هذا الرسم الحجاجي النهائي بمراحل ثلاث قبل أن يتجسد في طبيعته النهائية و فيما يلي عرض لهذه المراحل و التي تمثلها الرسوم التخطيطية الآتية:

الرسم الأول:

يتكون الشكل الحجاجي في مرحلته الأولى من ثلاثة أركـان أساسـية هـي: المعطـى (م/D) و النتـيجة (ن/C) و الضمان (ض/G) و يصاغ نظريا على النحو الآتي:



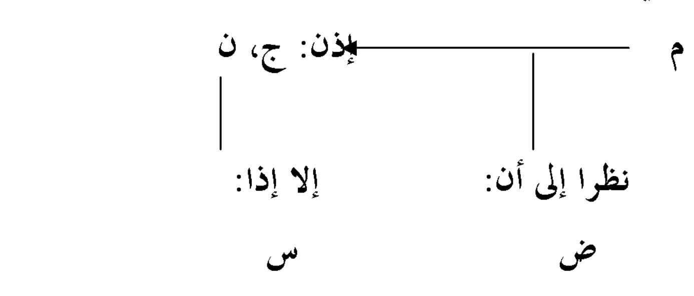
و في الترجمة الفرنسية:



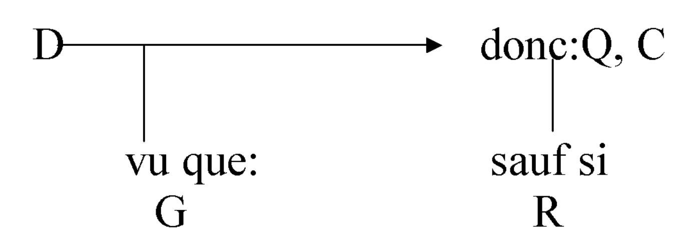
[1] ينظر نموذج المقطع الرهاني أو الحجاجي، ص307.

الرسم الثاني:

و هو تدقيق للرسم السابق بأن أضيف إليه عنصران هما: عنصر الموجه (ج/Q) و عنصر الاستثناء (س/R)، فأصبح كالتالي:

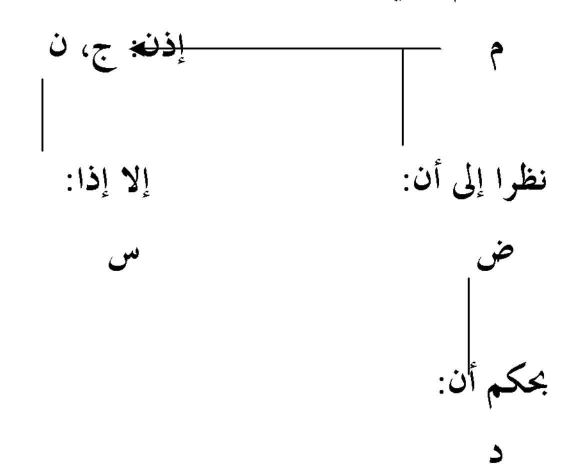


و في الترجمة الفرنسية:

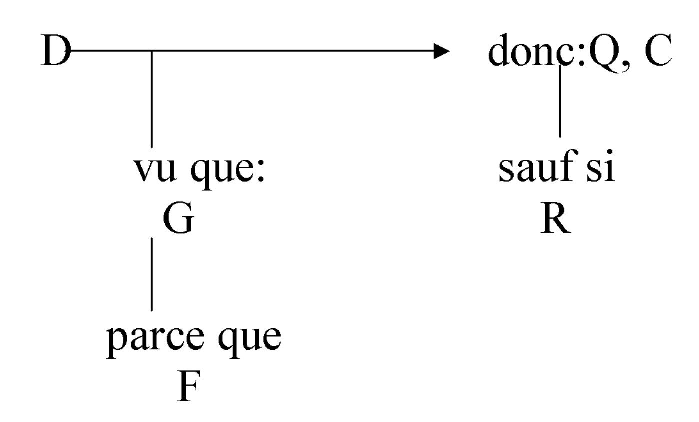


الرسم الثالث:

و فيه مزيد من التدقيق، و ذلك بإدخال عنصر السند/ الأساس (د/F) الذي يبنى عليه الضمان (ض/G) ، و يمثله الرسم التالي:



و في الترجمة الفرنسية:



و لتوضيح الرسوم السابقة؛ نورد نموذجا حجاجيا للمثالين اللذين نسجهما "عبد القـــادر بوزيدة" على منوال "تولمين"[1]

المثال الأول:

لكي نؤكد (ن) يجب أن نفترض (م) بسبب (ض) و (**د**) تحت الشرط (س)، حيث:

(ن) :**علي فرنسي**.

[1] pour appuyer l'affirmation (C) que Harry est sujet britannique, nous pouvons faire appel à la donnée (D) selon laquelle il est né aux Bermudes. G désigne ce que Toulmin nomme la garantie (*warrant*). Dans notre exemple, elle peut s'exprimer sous la forme : « celui qui naît aux Bermudes doit généralement être sujet britannique ». Laissée la plupart du temps implicite par l'argumentateur, la garantie est donc l'énoncé général, de forme hypothétique, « Si D alors C », qui légitime le passage des données à la conclusion. Toulmin introduit un quatrième élément, le fondement F (*backing*) de la garantie - énoncé factuel, catégorique, sans lequel la garantie ne possèderait ni autorité ni créance. Dans l'exemple donné par Toulmin, F désigne l'ensemble des lois régissant la nationalité des personnes nées dans les colonies britanniques. Il reste maintenant deux éléments à expliquer brièvement. Tout d'abord, il reste à expliquer la lettre Q. Celle-ci représente la modalité à affecter à la conclusion, par exemple la modalité du « vraisemblable ». Une telle modalité est utilisée, s'il existe des circonstances dans lesquelles le passage de D à C n'est plus valide : les parents de Harry sont étrangers, Harry s'est fait naturaliser américain, ... Toulmin appelle ces circonstances les « conditions de réfutation » (*rebuttal*) de l'argument. Dans le schéma, elles sont représentées par la lettre **R**.)Xavier Parent, Pierre livet,Argumentation, Révision, et Conditionnels.in la révision des croyances.p17 .(univ-provence.fr/livet)

ترتكز القضية على قضية أخرى مرتبطة بها هي:

(م): علي وُلد في باريس.

إن القضية (م) لا تصبح معطاة أو مقدمة لنتيجة (ن) إلا بالنظر إلى قضية ثالثة تكون مضـــمرة في أغلب الأحيان و هي:

(ض): الأشخاص المولودون في باريس هم عموما فرنسيون.

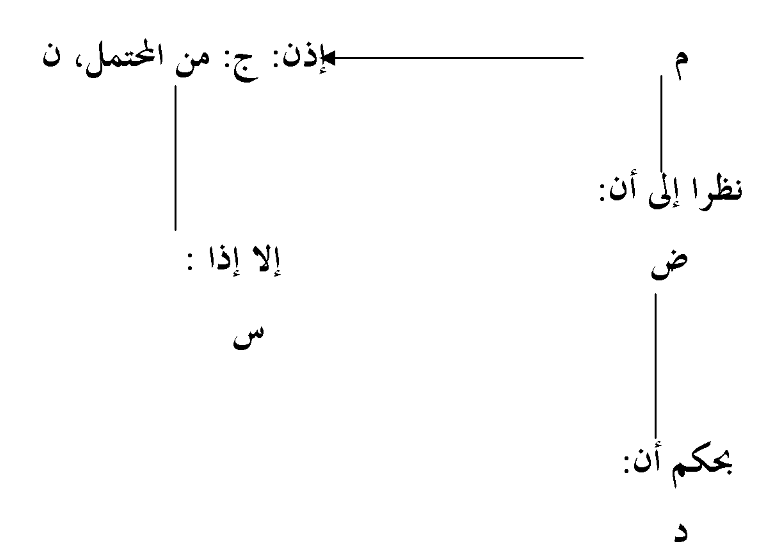
هذه القضية المضمرة التي تضمن صحة الاستدلالات و مصداقية البناء الحجاجي، ترتكـــز هـــي بدورها على سند مضمر هو أيضا ، يمكن صياغته على النحو التالي:

(د): نظرا لقانون الجنسية الساري في البلد المعني.

لكن تقييدا في شكل دحض أو استثناء يمكن أن يغير النتيجة:

(س): إلا إذا اختار الجنسية الجزائرية حين بلغ الثامنة عشرة.

أما النموذج الحجاجي الكامل الذي يلخص الحركة الحجاجية فهو:



المثال الثاني:

لكي نؤكد (نَ) يجب أن نفترض (مَ) بسبب (ضَ) و (د) تحت الشرط (سَ) ، حيث:

(نَ): محمد جزائري.

ترتكز القضية على قضية أخرى مرتبطة بها هي:

(مَ): محمد ولد في الجزائر.

إن القضية (مَ) لا تصبح معطاة أو مقدمة لنتيجة (نَ) إلا بالنظر إلى قضية ثالثة تكون مضمرة في أغلب الأحيان و هي:

(ضَ): الأشخاص المولودون في الجزائر هم عموما جزائريون.

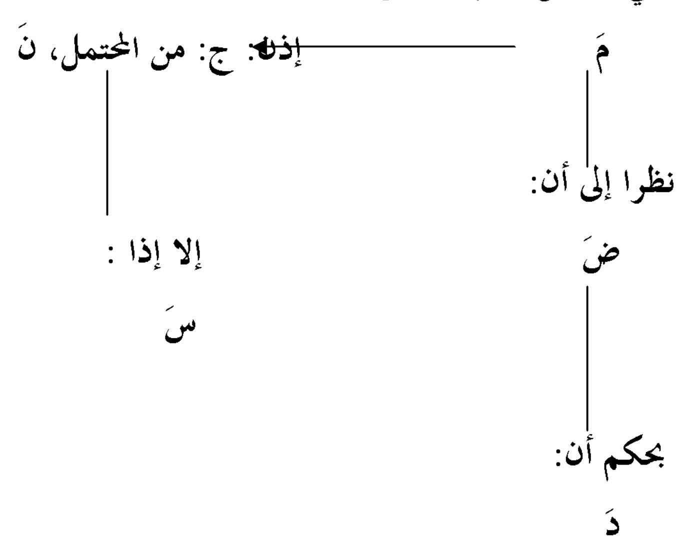
هذه القضية المضمرة التي تضمن صحة الاستدلالات و مصداقية البناء الحجاجي، ترتكز هي بدورها على سند مضمر هو أيضا ، يمكن صياغته على النحو التالي:

(د): نظرا لقانون الجنسية الساري في البلد المعني.

لكن تقييدا في شكل دحض أو استثناء يمكن أن يغير النتيجة:

(سَ): إلا إذا كان والده أجنبيا.

أما النموذج الحجاجي الكامل الذي يلخص الحركة الحجاجية فهو:



إن الاستثناء ليس نفسه في الحالتين، فالعلاقة بالأرض في فرنسا تتقدم على الرابطة الدموية؛ ومن هنا فإن جنسية الوالدين لا تهم كثيرا و لا يمكن أن تمثل تقييدا لقاعدة الاستدلال في هذه الحال. أما في الجزائر فإن رابطة الدم لها الأولوية، و بالتالي فإن جنسية الوالد خاصة يمكن أن تشكل تقييدا لقاعدة الاستدلال. و هذا يعني أن الاستدلال الحجاجي يكتسب فعاليته ضمن عالم أو فضاء دلالي هو بمثابة الحقل الحجاجي[1].

6. أنماط الهيكل الحجاجي

يختلف الهيكل الحجاجي للنصوص الحجاجية باختلاف عدد الوحدات الحجاجية و بنيتها فكما أن الوحدة الحجاجية يمكن أن تكون وحدة صغرى إذا أتت في المفرد، فيمكنها أيضا أن تكون وحدة كبرى إذا كانت تتركب من بعض الوحدات الصغرى. كما يتغير بناؤها تبعا للمسار السردي و تنظيم المحتوى في النص. و لقد تم تمييز الأنماط الآتية:

[1] ينظر نموذج المقطع البرهاني أو الحجاجي، ص307.

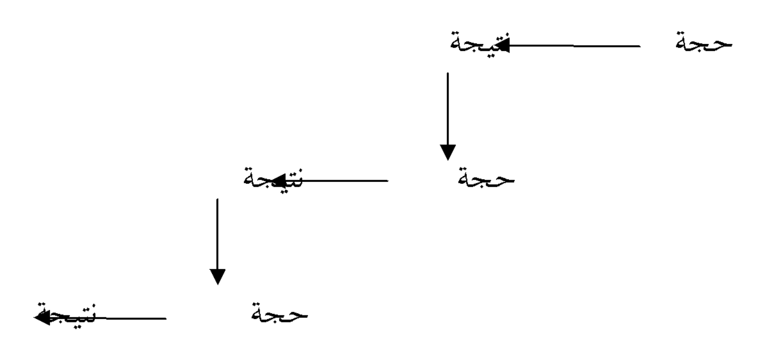
1.6. النمط الأول: الوحدة الحجاجية الكبرى

يمثل هذا النمط البنية الحجاجية للنصوص الأكثر تعقيدا، حيث تصبح نتيجة وحدة معينة هي الحجة في الوحدة التالية ثم تصبح نتيجة هذه الحجة بدورها حجة لوحدة ثالثة، و هذه الوحدات الثلاث تكون حينئذ وحدة كبرى .كما تدعم وحدة حجاجية حجة الوحدة السابقة أو قاعدة استنتاجها.

و تتكون أكثر النصوص الحجاجية من الوحدات الحجاجية الكبرى التي هي الأخرى تركب بدورها بعضها على بعض مثلما تتركب الوحدات الصغرى؛ لإثبات النتيجة نفسها، أو لتدعم الوحدة الكبرى الأولى حجة الوحدة الكبرى الثانية أو قاعدتها أو العكس[1].

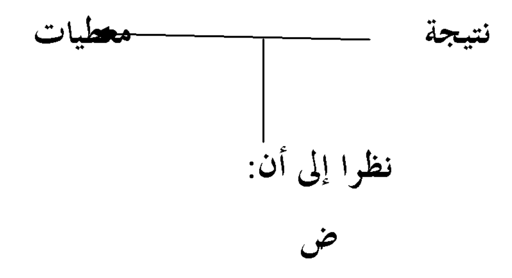
و يظهر هذا النمط خاصة في مجموعة من القصص كقصص "محمود تيمور" و "دي موباسان" و بعض القصص التي تجري في المحاكم، و التي يكون الهدف من رواية الأحداث فيها إقناع المحقق أو القضاة بصحة ما يدعيه الراوي[2] .

و نمثل لهذا النمط بالخطاطة التالية:



2.6. النمط الثاني: النظام التنازلي

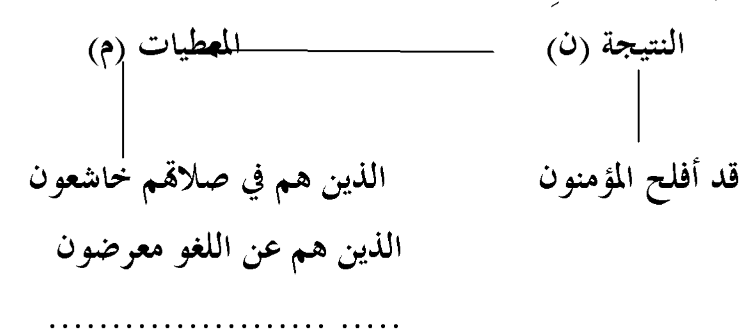
تشغل في بعض الأحيان النتيجة الموقع المألوف للمقدمات (المعطيات) فتبدأ البنية الحجاجية بالنتيجة لا بالمعطاة فيكون للوحدة الحجاجية حينئذ نظام عكسي (تنازلي) و رسمه كالتالي:



[1] ينظر الحجاج في المقام المدرسي، ص18.

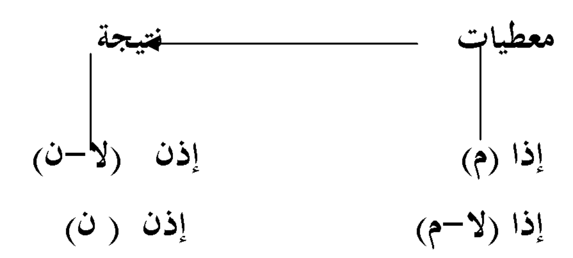
[2] ينظر نموذج المقطع الرهاني أو الحجاجي، ص317.

ويمثل هذا النمط الملفوظ الذي تحدده الآية التالية: ﴿ قَد أفلَح المؤمِنون الذين هُـــم في صَـــلاتِهم خَاشِعون و الذين هُم عن اللغو مُعْرِضون و ...... رَاعون﴾[1]، أما رسمه فهو كما يلي:



3.6 النمط الثالث: النتيجة تخالف المعطيات

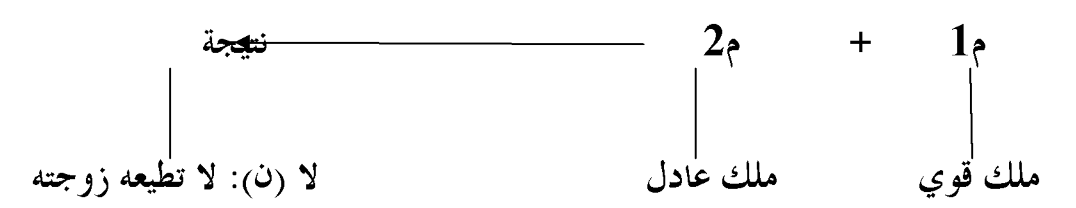
توجد في النصوص الأدبية أشكال أخرى من البنيات الحجاجيـــة ، تطبـــق فيهـــا قاعـــدة الاستدلال تطبيقا مقلوبا، حيث تكون النتيجة عكس ما يفترض من المعطيات لأول وهلة، إذيـــتم الانتقال من أمثلة و حقائق مفردة إلى قضايا عامة[2]. و رسم ذلك كالآتي :



إن هذا النموذج الذي لا تكون فيه النتيجة مطابقة لقاعدة الاستدلال، حيث تُعطَّل هـــذه الأخيرة، و تستبدل النتيجة المتوقعة بنتيجة معاكسة؛ تمثله بعض نصوص "ألف ليلة و ليلة" و الـــتي نذكر منها قصة شاه زمان مع زوجته و قصة العفريت مع المرأة التي اختطفها و وضعها في علبـــة و جعل العلبة داخل الصندوق و رمى على الصندوق سبعة أقفال و جعلها في قاع البحر العجاج المتلاطم..إلخ و رغم ذلك أتت تغلبت على العفريت كما تغلبت على شهريار شهر زمان بـــأن أرغمتهما على مواقعتهما[3].و فيما يلي رسم حجاجي للقصتين:

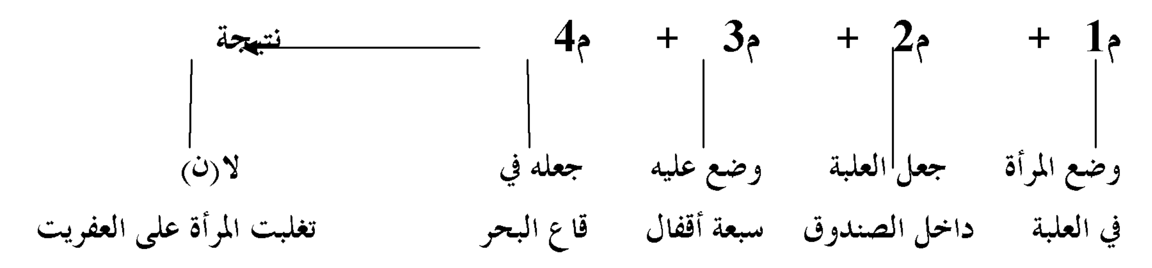
[1] المؤمنون/1-8.
[2] ينظر نموذج المقطع الرهاني أو الحجاجي، ص319.
[3] ينظر المرجع نفسه، ص321 .

الرسم الحجاجي الأول:



حيث (ن): تطيعه زوجته

الرسم الحجاجي الثاني:



حيث (ن) : غلب العفريت المرأة.

ثانيا: نظرية المنطق الطبيعي

تمهيد

شهد المسار الصوري للمنطق انقلابا كان مصدره الرياضيات ذاتها، إذ عرفت أزمة أطلق عليها أزمة الأسس و قد انطلقت هذه الأزمة حين تساءل الدارسون في المنطق و الرياضيات عن أساس اليقين الرياضي، و شملت هذه المساءلة مجال الجبر و الهندسة على السواء.

لقد كان لهذه الأزمة تأثير مباشر في الدرس المنطقي، و تمثل ذلك في قيام أنساق منطقية متعددة و طرحت هذه الأنساق الجديدة نفسها في صورتين: إما باعتبارها منافسة للنسق المنطقي الكلاسيكي القديم ، و إما باعتبارها مكملة في جانب من الجوانب التي أغفلها هذا النسق. فكان أن ظهرت أنساق منطقية متعددة تخرق مبدأ الثالث المرفوع، الذي يترتب عنه القول بثنائية القيم الصدقية (صادق/ كاذب) و استبدلت بهذا المبدأ مبادىء أخرى، و من ثم ظهرت أنساق ثلاثية و رباعية و خماسية و لا متناهية... ، و ظهرت إلى جانب ذلك أنساق أخرى تنظر في جوانب محددة من القضايا المنطقية، كمنطق الموجهات الذي ينظر في الجهات العقلية للقضية (الضرورة و الإمكان و الاستحالة) و منطق الأحكام الذي ينظر في الجهات الحكمية من القضايا الشرعية (كالوجوب و الجواز و الحرمة) و منطق الزمان الذي يعالج القضايا التي يكون متعلق الحكم فيها أمرا اشتباهيا، يتعذر القطع في شأنه بحكم، و منطق الحوار الذي يعالج القوانين التي تحكم المخاطبات الإنسانية المختلفة. و هكذا ظلت الأنساق المنطقية تتناسل وفق ما يطرحه الواقع من ظواهر و قضايا جديدة بحيث صار المنطق تابعا للواقع، بعدما كان الواقع تابعا للمنطق في مفهومه الكلاسيكي، الأحادي المغلق.

و الخلاصة أن فك الارتباط بين المنطق و الرياضيات، قد وسع من مدلول المنطق و خفف من الطابع الصوري للدراسات المنطقية، و بالتالي سمح بالحديث عن نماذج أخرى من الاستدلال و على رأسها الاستدلال الحجاجي الذي تمثل اللغة الطبيعية أداته الأساسية[1].

[1] ينظر رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر و ديكرو ،عالم الفكر، الكويت، مجلد 34، سبتمبر 2005 ،ص210.

1. اللغة الطبيعية و اللغة الاصطناعية (الصورية)

تعد اللغة الطبيعية وسيلة للحوار و إبداع المعارف و تمثيلها،و يتم إنشاء موضوعاتها أثناء الحوار و داخل السياق، و تعرف بأنها لغة ملتبسة استعارية مجازية، تتسم بالتناقض و التعارض و الإضمار و الاشتراك و التعدد الدلالي، و الغموض بمختلف أنواعه،و هي خصائص جوهرية للسان الطبيعي، و تقوم اللغة الطبيعية على مجموعة من المسلمات هي[1]:

– مسلمة الحوار:

كل خطاب هو حوار، و كل فعل كلامي هو حوار بين شخصين هما المتكلم و المخاطَب و ينطبق هذا على كل أشكال الخطاب و أنماطه.

– مسلمة المركب الثقافي القبلي:

إن اللغة الطبيعية ظاهرة ثقافية اجتماعية، و لهذا فإن الكلمة الواحدة تختلف معانيها باختلاف الشعوب و المجتمعات و الثقافات.

– مسلمة السياق:

كل حوار يجري في سياق معين، و هو ما يفتح المجال للاضمار و التضمين و استعمال العبارات الإشارية.

– مسلمة إنشاء الموضوع:

إن الحوار يبني موضوعاته بشكل متنام و تدريجي، و لا تكون الموضوعات المعالجة محددة بشكل تام إلا عند الوصول إلى نهاية الحوار – الخطاب.

أما **اللغة الاصطناعية** فتقوم على مبادىء تتعلق بالوضوح و الدقة و أحادية الدلالة،

و تعرف بأنها لغة موضوعة لتلبية الحاجات و الضرورات العلمية و تتميز بمجموعة من الخصائص هي:

- إنها مجرد وسيلة للحساب و هو ما يمكن أن تقوم به الآلة.
- إنها تعيد صياغة المعارف و المعلومات.
- كل شيء فيها واضح، و له طابع مغلق.

[1] ينظر من المنطق إلى الحجاج، حوار مع الأستاذ أبو بكر العزاوي، (مرجع مذكور).

- الموضوعات المرتبطة بها إما فارغة (أي تحصيل حاصل) و إما محددة بشكل كلي منذ البداية[1].
-

2. المنطق الطبيعي Logique naturelle

يطلق مصطلح المنطق الطبيعي على عدد من النماذج[2] التي قام بوضعها المناطقة أو اللسانيون أو علماء النفس، و التي كان الهدف منها أن تكون ملائمة للخطاب الطبيعي أو اللغات الطبيعية[3].

و يحدد "جون بليز غريز" "J-BL.Grize" في نموذجه مفهوما للمنطق الطبيعي، إذ يرى بأنه: نسق من العمليات الذهنية التي تمكن فاعلا أي متكلما يوجد في سياق ما من اقتراح تمثيلاته على مستمع ما بوساطة الخطاب، و يتسم هذا المنطق بسمتين أساسيتين هما:

إنه منطق للذوات المتكلمة (logique de sujets)

إنه منطق للموضوعات (logique des objets)

و بعبارة أخرى فإن هذا المنطق يتمثل في مجموعة من العمليات المنطقية الخطابية التي تمكن من توليد الخطاطات و التمثيلات و إنتاجها[4].

3. المنطق الطبيعي و الحجاج

إن المنطق الطبيعي منطق لا يعتني -كما هو شأن المنطق الصوري- بالقضايا و العلاقات التي تقوم بينها أو القوانين التي تحكم المحمولات، و إنما يسعى إلى بيان الكيفية التي تبنى بها

[1] ينظر المرجع نفسه.

[2] نذكر من هذه النماذج: نموذج "جورج لايكوف" و "جان بياجي"، فأما "جورج لايكوف" فقد أورد مصطلح المنطق الطبيعي في مقاله الشهير: اللسانيات و المنطق الطبيعي، و هو يمثل مشروعا في محاولة وصف الصورة المنطقية للحمل في لغة معينة، و يكون الهدف إذ ذاك هو: التعبير عن كل المفاهيم القابلة لأن يعبر عنها في اللغة الطبيعية، و تخصيص كل الاستدلالات الصحيحة التي يمكن أن تنجز داخل اللغة الطبيعية، بشكل يتلاءم مع وصف لساني كاف لكل اللغات الطبيعية. و المنطق بالنسبة لهذا اللغوي مجرد نحو صناعي يسند دورا أساسيا لدوال الصدق، و أما "بياجي" فقد استعمل مصطلح المنطق الإجرائي كثيرا و لكن مدلوله و محتواه هو مدلول المنطق الطبيعي، و يذهب هذا الباحث إلى أن كل أشكال الفكر طبيعية، بما في ذلك النماذج و الأنساق الصورية المنطقية، ينظر من المنطق إلى الحجاج، حوار مع أبو بكر العزاوي، (مرجع مذكور).

[3] ينظر المرجع نفسه.

[4] ينظر المرجع نفسه.

المفاهيم، و طبيعة العلاقات التي تجمع بينها، و أوجه توظيفها في الخطاب الحجاجي، لهذا انصبت أعمال "جون بليز غريز" على دراسة الحجاج منظورا إليه باعتباره « محاولة حمل السامع أو السامعين على التصرف بصورة ما»[1] و بالتالي تنصرف الدراسة إلى الطريقة التي يمكن بها استعمال القول في خطاب حجاجي و التي تكون الغاية منها « التأثير في أفكار و آراء و أوضاع و مشاعر و سلوكات شخص أو مجموعة من الأشخاص»[2] . و هو ما يفرض تتبع مختلف العناصر التي يزخر بها الخطاب الطبيعي في جانبه المضموني، و خاصة تلك الإجراءات المتمثلة في:

- اختيار المفردات
- تنظيم و ترتيب العبارات داخل الخطاب
- إبراز و تبئير الوحدات في الخطاب، وإحالتها بهالة خاصة ، إلى جانب استخدام الصور المجازية المتنوعة، و على رأسها الاستعارة.

هذه العناصر تمكن المتكلم من تلميع موضوعه بما يسميه "غريز" اللمع Eclairages و هذا اللمع يساهم في تغيير أحكام المخاطب، و تقويماته للموضوعات التي يجري التواصل بصددها، يقول "غريز" في هذا الصدد « إن الذي يحاجج لا يكتفي بوصف أوضاع معينة، فهو يثير في الوقت نفسه معرفة بكاملها عند المستمع، فاختيار المفردات التي يوظفها، و المجالات الاستعارية التي يعتمد عليها لن تعمل فقط على إحضار المعلومات التي يقصد إلى إيرادها، و إنما ستقوم كذلك بتلميع ما يريد بيانه، سواء بصورة إيجابية أو سلبية، و ستحرك المشاعر و ردود الأفعال عند المخاطبين»[3] و ترد هذه التقنيات في سياق ما يسميه "غريز" بالخطاطة التواصلية[4].

4. الحجاج فعل خطابي

إن الحجاج بالنسبة لـ"غريز" هو مجموعة من الاستراتيجيات الخطابية لمتكلم ما، يتوجه بخطابه إلى مستمع معين من أجل تغيير الحكم الذي لديه عن وضع محدد . و يتأسس الحجاج

---

[1] J.B.Grize.L'argumentation explication ou seduction ,presse universitaire de lyon.1981,p30. نقلا عن الحجاجيات اللسانية، ص213

[2] J.B.Grize;logique naturelle et communication,puf,Paris,1996,p50 نقلا عن الحجاجيات اللسانية، ص213.

[3] المرجع نفسه، ص24

[4] رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر و ديكرو، ص 213 .

عنده انطلاقا من مفهوم الخطاطة التي هي أهم منه إذ هناك إنتاج خطابي لا يــؤدي إلى إنتــاج خطاطات و تمثيلات عن العالم[1].

و أما الخطاطة فيعرفها بأنها: « تمثيل خطابي موجه نحو متلق معين، و متعلق بما يدركه أو يتخيلــه حول واقع ما»[2]

و لكي يكون الحجاج فعلا خطابيا، يجب حسب "غريز" التخلي في معالجته عن المنطق الرياضي، و أن يتم تبني منطقا يسلم بحضور ذوات نشيطة و فعالة في إنتاج الخطاب، و يستند في تصوره هذا على المعطيات التالية:

- كل ذات تتموقع داخل وضعية خاصة، و في ثقافة محددة، يتداخل فيها الصريح بالضمني.
- لا يقدم الخطيب لسامعيه إلا سلسلة من التمثيلات التي يمكن أن تكون ذات أهمية بالغة.
- إن كون الخطيب مستمر الحضور في بنائه، يعطي لهذا البناء سمة الانفتاح، الــتي تنــاقض بالضرورة سمة انغلاق النماذج[3].

5.شروط بناء الخطاطة

إذا كان فعل الحجاج نشاطا يبني خطاطة من خطاطات ممكنة تهــدف إلى التــدخل في معرفة أو حكم السامع، فعلى هذا البناء –حسب "غريز"– ، أن يشبع بعض الشروط العامة، التي يمكن أن يستوعبها المنطق، و أبرزها شرطا التلقي و المقبولية.

فإذا كان الخطيب لا يفعل شيئا سوى بناء خطاطة أمام السامع؛ فعلى هذا الأخير أن يعيد بناءها، و أن يدركها، ما دام يعرف اللغة المستعملة في الخطاب، و ما دام دور عناصر الخطاب يتجــاوز الإخبار إلى تمكين المتلقي من إعادة بناء القضية المتجادل حولها؛ و ما دام السامع متكلما بــالقوة، بإمكانه أن يرفض ما يسمع، و أن ينتج في كل لحظة خطابا مضادا، لإفشــال الخطــاب الــذي يتلقاه[4].

6.الغائية و الوقائع و القيم

يرفض "غريز" التفكير في الحجاج، انطلاقا من التمييز بين البرهنة و بين الحجاج الــذي يستند على طبيعة المقدمات المنطلق منها، لأنه خطأ تم تجاوزه منذ ثبت أن المسلمات ليست أكثر

---

[1] ينظر من المنطق إلى الحجاج، (مرجع مذكور).

[2] J.B.Grize;logique naturelle et communication,p50

[3] ينظر النظرية الحجاجية، ص70

[4] ينظر المرجع نفسه،ص 70

يقينية من الآراء؛ و لأنه يشكل خطورة تتمثل في أنه لن يتم معالجة الحجاج إلا كبرهنة سيئة التكوين، أو أقل صرامة. و هو بذلك يحاول إقامة تمييز آخر، إذ يعتبر الحجاج نوعا خطابيا ذا تمظهر خاص، ينبغي أن ينصب البحث على ما يميزه عن غيره من الخطابات، و خاصة الخطاب البرهاني لذا يرى أنه من الملائم البحث عن بعض الجوانب التي يتقاطع فيها أثر من نوع خطابي، و لا تتقاطع فيها كل الخطابات؛ و يتعلق الأمر بالغائية و حضور الوقائع و القيم[1].

بالرغم من أن الغائية مفهوم محير، عمل العلم على إقصائه، فإن الضرورة تدعو إلى أن يكون من بين مكونات تعريف مستقبلي للحجاج.ذلك أنه لا يتم الحجاج؛ إلا لتعديل بكيفية ما فكر أو حكم الذات أو الآخر، و الآخر كائن نظري، و ليس حشدا للأفراد الطبيعيين، لذا يعد الخطيب خطابه تبعا لغائيته، و غائية المتلقي التي ستبنى. و لا يهمه إن كان يوجه خطابه لمتلق قضائي أو أن يكون بعض المستمعين فيزيائيين أو نقادا للفن؛ و بعبارة أخرى ينبغي التمييز بين متلق نظري متجانس يستنبط من الخطاب و بين متلق طبيعي غير متجانس يرجع إلى الملاحظة السيكولوجية و السوسيولوجية. أما المستويان الآخران، الوقائع و القيم فليسا مهمين في حد ذاتهما، بل المهم هو ما يمكن أن يقام بينهما من علاقات تحدد من خلال العلاقات الخطابية[2].

7. صيغ قراءة الخطاطة

يؤكد " غريز" أنه لا يهدف من خلال تأملاته إلى بناء نظرية في الحجاج؛ لأنها لا تسمح بذلك. و إنما يهدف إلى وضع إطار للبحث، يكون في علاقة جدلية مع التجربة.و من ثم ينطلق من تحديد مستوى للحجاج اعتمادا على محورين اثنين هما[3]:

- محور ينطلق من المتلقي إلى غائية الخطيب.
- محور يذهب من الافتراضات إلى الوقائع، علما أن المفاهيم الأربعة الموظفة مترابطة لا انفصال بينها.

و هذا يعني أن المقولات الأربع دائمة الحضور في كل حجاج، على أن ترجح كفة إحداها أو بعضها. و يعني أن هناك نقطا للامتياز، توجد على المحاور و بالأخص نقطة التقاطع.

[1] J.B.Grize, De la logique à l'argumentation, Genève, Droz, 1982, p133.73 نقلا عن النظرية الحجاجية، ص

[2] ينظر النظرية الحجاجية، ص74.

[3] De la logique à l'argumentation, p141

يستمر غريز في رسم الصورة الهندسية، فيتصور محورا للخطاب، يوازي مستوى الحجاج، و يتموضع خارجه؛ ثم يسقط المستوى على هذا المحور، ليستنتج أن خطية الخطاب ليست إلا ظاهرية و أنها لا تنتج عن الحجاج نفسه، و إنما عن طبيعة السنن اللساني[1].

غير أنه يجب الاهتمام بما أسماه باللعب الضروري، لكي يتم النموذج المؤقت بين اللغة و بين اللغة الواصفة؛ مما جعله يدخل محورا ثانيا، يمكن أن يكون موازيا للأول، و عليه أيضا تسقط بعض نقط مستوى الحجاج.

بهذا يرسم "غريز" خطاطة يمكن أن تقود في نظره إلى ثلاث صيغ للقراءة على الأقل هي:

- قراءة تنطلق من مستوى الحجاج إلى سلسلة الخطاب، فتموضع المقولات البلاغية نسقيا و تدققها، و تستخرج تمفصلاتها بكيفية تدريجية.
- قراءة تسلك مسارا معاكسا، تحاول تفكيك السلسلة الخطابية إلى مقاطع حجاجية و تبنيها منطقيا، و تقارن نتائجها مع المقولات البلاغية، لتجعلها إجرائية بكيفية تدرجية.
- قراءة ترتبط بدراسة تماسك الحجاج في مستويات لغوية مختلفة، فتسلم بأن كل سلسلة قابلة لأن تفك إلى و حدات، و كل وحدة تعني علاقة.ثم تبئر العلاقات و ترابطاتها المزدوجة، التركيبية و الدلالية، حتى تستطيع تفسير بعض الآليات الحجاجية[2].

[1] ينظر النظرية الحجاجية، ص76.

[2] De la logique à l'argumentation, p142.

الفصل الخامس

نظرية الحجاج في اللغة

تمهيد

شهد علم اللسانيات منذ بداية القرن العشرين انقلابا في أدواته و مبادئه و مضمونه بانفتاحه على علوم معرفية عديدة خاصة منها علم المنطق، و قد سمح هذا التطور بظهور توجه جديد في الدرس الحجاجي، وضع أسسه اللغوي الفرنسي **أوزفالد ديكرو** منذ 1973، و يعد التوجه اللساني من أهم التوجهات الحجاجية التي ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين.

هذا التوجه اللساني في الدرس الحجاجي (الحجاج في اللغة) يتعارض مع كثير من النظريات و التصورات الحجاجية الكلاسيكية و المعاصرة ،فبالنسبة لنظرية الخطابة الجديدة فقد اعتبر كل من "**شايم بيرلمان و تيتيكا**" الحجاج كامن فيما يمكن أن ينطوي عليه الخطاب من بنى شبه منطقية أو شكلية أو رياضية، كما اعتبراه قائما أساسا على الوصل و الفصل الحجاجيين ، فالحجاج في منظور التصور البيرلماني عبارة عن «نشاط ليست له أي علاقة ببنية اللغة فهو يتعلق فقط بآثار الكلام ، لأن الانتقال فيه من ملفوظ ما أو متوالية من الملفوظات إلى نتيجة معينة – و هو جوهر النشاط الحجاجي- تتحكم فيه اعتبارات خارج بنية اللغة ، فالمعلومات الواردة في الملفوظ ، إذا ارتبطت بسياق محدد، تفيد معنى معينا يصح استنتاجه من هذا الملفوظ، ...و هذا الاستنتاج حسب التصور البيرلماني يتم بمقتضى قانون من قوانين الخطاب»[1]،و قوانين الخطاب هذه على الرغم من أنها تحكم اشتغال النسق اللغوي، إلا أنها لا تنتمي إلى هذا النسق، فهي من طبيعة اجتماعية و ثقافية، أي أنها توجد خارج بنية اللغة.

وأما بالنسبة للتصور الذي قدمه "**تولمين**" لمفهوم الحجاج فيعتبر نموذجا أقرب إلى شروط الحقيقة منه إلى النموذج الخطابي ،و يُميِّز هذا النموذج غياب ركن الجمهور (المتلقي) فضلا على إهماله للمعطيات السياقية و المقامية المحيطة بالنشاط اللغوي، و يعد الحجاج بالنسبة له تتابعا للقضايا فهو عبارة عن مناجاة[2].

1 Anscombre,dynamique du sens et scalarité,L'argumentation;collogue de cerizy, p 128،

نقلا عن رشيد الراضي الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر و ديكرو ، ص 225

[2] ينظر عبد الله صولة، الحجاج في اللغة، ص27.

و أما بالنسبة للتصور الذي قدمه "**جون بليز غريز**" (المنطق الطبيعي) فهو توجه ينظر إلى الحجاج على أنه « نشاط منطقي خطابي ، نشاط خطابي لأن الأمر يتعلق بتفكير كلامي، أي الوسيلة المستعملة للتواصل هي اللغة ، و هو نشاط منطقي لأنه يتمثل في مجموعة من العمليات الذهنية ، إنه ينتمي إلى ما يعرف بالمنطق الطبيعي »[1].

و أما دراسة الحجاج في إطار هذا التوجه اللساني فتنصرف إلى البنية اللسانية للملفوظات الحجاجية و مختلف الآليات التي تتيح إمكان قيام الحجاج داخل اللغة ، ذلك أن الوظيفة الحجاجية للخطاب تبرز في البنية التركيبية للغة ذاتها ، أي أن الحجاج مؤصل لغويا قبل أن يكون مظهرا من مظاهر التداول الخطابي[2] .

أما عن أهم الأسباب المؤدية إلى ظهور هذا التوجه اللساني في دراسة الحجاج فأجملها في ما يلي:

أ– تأثر الدراسات اللغوية السابقة بالنزعة الصورية " الفلسفة الوضعية" .

ب– تأثر الدراسات اللغوية السابقة بمفهوم التواصل الذي اقترحه التصور البنيوي السويسري للنشاط اللغوي و الذي مفاده أن فعل الإخبار هو الفعل الأساس في اللغة.

ج– قيام الدراسات اللغوية السابقة على مسلمة مفادها أن مستويات اللغة : التركيب و الدلالة و التداول، تنتظم في شكل خطي متراتب يستقل فيه كل مكون بذاته.

د– عجز التحليل المنطقي عن و صف و تفسير بعض الملفوظات، لإغفاله للمستوى التداولي الموصول بمقام التخاطب و أغراض المتكلم و انتظارات السامع و المعارف المشتركة بينهما ، فالملفوظ " لقد تأخرت كثيرا، لكنني مع ذلك، سأشرب معكم كأسا من الشاي" حسب التحليل المنطقي يقدم احتمالين لا ثالث لهما ، إذ أن الثالث دائما مرفوع في عرف النزعة المنطقية الكلاسيكية ، و كلاهما لا يستقيم منطقيا, الاحتمال الأول هو أن المتكلم ليس لديه ما يكفي من الوقت لذلك فهو لن يشرب الشاي و هو ما يعني أن القضية الثانية كاذبة ، و الاحتمال الثاني ، هو أن المتكلم لديه ما يكفي من الوقت و بالتالي سيشرب الشاي و هو ما يعني أن القضية الأولى كاذبة.ذلك أن العبارات التحصيلية في اصطلاح المناطقة هي العبارات الصادقة في جميع حالات الإسناد الصدقي لمتغيراتها ،

[1] ينظر أبو بكر العزاوي، من المنطق إلى الحجاج ، (مرجع مذكور).

[2] ينظر ينظر الراضي رشيد، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر و ديكرو، ص214.

لذلك يتم اعتمادها منطلقا في الاستدلالات الصورية حتى تجري تعدية صدقها إلى العبارات المتولـــدة عنها بتطبيق القواعد الاستنتاجية[1].

هـــ – التأثر بأبحاث "**إميل بنفنيست** " و التي مفادها أن اللغة نشاط يتحقق مـــن خـــلال وقـــائع الخطاب التي تخصصها علامات خاصة ، تلك العلامات هي الإشاريات و يكمن دورها في تصـــيير اللغة خطابا فعليا ، و هذا التصيير هو الحديث أو التلفظ ، أي إجراء اللغة و تحقيقها من خلال فعـــل كلامي فردي ذلك أن الإشاريات تشير من داخل الملفوظ إلى تلك العناصـــر الأساســـية المكونـــة للملفوظية ، و هذه العناصر هي : المخاطِب و المخاطَب و مكان و زمان الملفوظية، فالإشـــاريات الشخصية مثلا حسب بنفنيست تمثل تعبيرا عن الذوات داخل اللغة ذاتها ، أي أنها تشير إلى عناصـــر تنتمي إلى البعد التداولي من الظاهرة اللغوية[2].

و– التأثر بأعمال المدرسة التحليلية الإنكليزية و رائديها "**أوستين**" و" **سورل**" و المتمثلة خاصـــة في نظرية أفعال الكلام التي تؤكد على أن اللغة نشاط و عمل ينجز، أي أن المتكلم لا يخـــبر و يبلـــغ فحسب بل إنه يفعل أي يعمل.

ز– التأثر بأعمال " **بول جرايس**" و التي تعتبر مرحلة توسيع لنظرية أفعال الكـــلام و التـــداوليات القصدية ، ذلك أن القواعد التخاطبية (الكم والكيف و الإضافة و الجهة) تمثل مقومات فعالـــة في التفاعلات التخاطبية و الحجاجية و هي أيضا بمثابة ضوابط لكل عملية تخاطبيـــة تســـاق لتحقيـــق المطلوب وفق مسالك محددة تقوم على الصراحة و الوضوح على الرغم من أنها غـــير قـــادرة علـــى الاستجابة لمتطلبات الحوار اليومي و العادي[3].

كل هذا، أدى إلى ظهور اتجاه لساني " تيار تداولي/ تداولية مدمجة" يتجاوز المفهوم التواصلي السابق و يفتح المجال لدراسة البعد التداولي لبنية الظاهرة اللغوية ذاتها؛ مُمَثِّلا الأسس التي تنبني عليها

---

[1] ينظر رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر و ديكرو، ص241.

[2] ينظر خولة طالب الإبراهيمي، مبادىء في اللســـانيات،، دار القصـــبة، الجزائـــر ، ط2، 2006، ص159، و ينظر جون سيرفوني، الملفوظية، ترجمة قاسم الحداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشـــق، 1999، دط، دت، ص 15 ، وينظر الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر و ديكرو، ص216 .

[3] ينظر صلاح إسماعيل، نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، الدار المصرية السعودية، القاهرة، دط، 2005، ص 87.

نظرية الحجاج في اللغة، ذلك أن اللغة «توفر مجالا للتواصل و تحمل التلميحات و الذاتية و عناصـــر جمالية تساهم كلها في تشكيل الخطاب الحجاجي و في تزيين صورة المتكلم أو تشويهها»[1] .

1.الجهاز المفاهيمي للتداولية المدمجة

استخلص ديكرو و انسكومبر أن في جل الأقوال بعض السمات التي تحدد قيمتـــها التداوليـــة باستقلال عن محتواها الخبري (رفض دلالة الجملة و كأنها بمثابة المعنى الحرفي) ، لذلك يجب أن يدرج المظهر التداولي في الدلالة ، فالتداولية المدمجة في الدلالة هي بحث في الجوانب التداولية المسجلة في بنية اللغة و دلالة الجملة لاستخراج الأشكال اللغوية ذات القيمة التداولية لضبط شروط استعمالها.فاللغة من منظور التداولية المدمجة تحقق أعمالا لغوية و ليست وصفا لحالة الأشياء في الكون[2].

1.1 النظرية ذات الشكل "Y"

يقدم الباحثان خطاطة "نظرية ذات الشكل Y " توضح الوصف الدلالي للملفـــوظ حســـب التداولية المدمجة، و تبين الخطاطة إدماج المعطيات التداولية (المكون البلاغي/الخطابي) في صميم جهاز الوصف الدلالي/المكون اللغوي، أما الفرضية التي تقوم عليها النظرية فهي أن ظـــروف الـــتلفظ (أي الوقائع التداولية) تدخل بدورها في عملية منح المعنى للملفوظات التي ترد في ســـياقات اســـتعمالية معينة، غير أن ذلك لا يجري إلا بعد الحصول على الدلالة المستقلة عن أي سياق، أي دلالة الجملـــة التي تسمح لنا بتوقع معنى أي ملفوظ من ملفوظات هذه الجملة في مختلف السياقات التي يرد فيهـــا ، و يمكن التحقق من قيمة هذه الدلالة الممنوحة للجملة باختبار قدرتها على حساب المعاني التي تســـند لكل ملفوظ من ملفوظاتها في مختلف المقامات الاستعمالية[3].

إن إسناد قيمة دلالية للجمل هي مهمة تضطلع بها اللســـانيات و بالتـــالي تتعلـــق بالتفســـير و ليس بالملاحظة فقط، فإذا كان الحسم في تعيين دلالة ملفوظ ما في لغة معينة أثناء استعماله يوكل إلى المتكلمين أنفسهم، فإن مسألة الحسم في دلالته خارج استعمالاته يتوقف على عوامـــل أخـــرى تحتاج إلى ضبط و تدقيق.

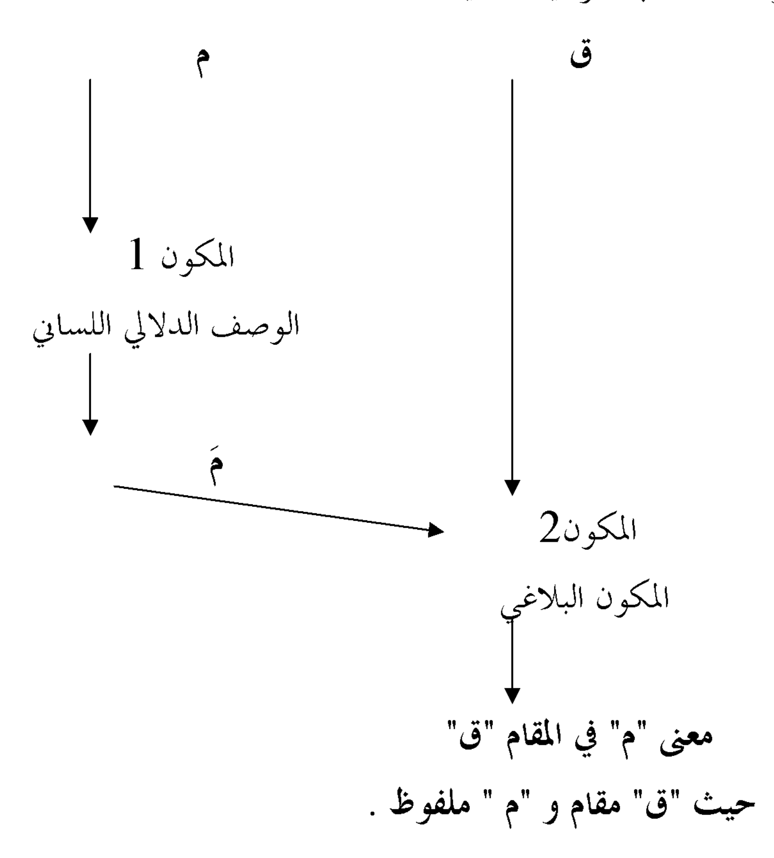
[1] الحجاج في المقام المدرسي، ص32.

[2] ينظر شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة،ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ص 354.

[3] Oswald Ducrot, les mots du discours,Minuit. Paris,1980,p12
نقلا عن الحجاجيات اللسانية ، ص221-222

وبعد الحصول على الدلالات المستقلة عن السياق تتدخل ظروف التلفظ لتحديد معنى الملفوظات الواردة في سياقات استعمالية محددة، و لهذا قام الباحثان ديكرو و أنسكومبر بإدماج المعطيات التداولية في صميم الدراسة الدلالية اللسانية ، إذ يتم إسناد دلالة لكل جملة بشكل يسمح بتوقع معنى الملفوظ في سياق محدد[1].

إن تحليل الملفوظ حسب التداولية المدمجة يتم اعتمادا على الربط بين جملة من المعطيات اللغوية التي تعود إلى المكون اللغوي"مكون 1" و جملة من المعطيات غير اللغوية تعود إلى المكون البلاغي"مكون2" حسب الترسيمة الآتية:



معنى "م" في المقام "ق"

حيث "ق" مقام و "م " ملفوظ .

[1] ينظرحسان الباهي ،الحوار و منهجية التفكير النقدي،إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2004 ،ص133.

2.1.منهج الأمثلة

اعتمد "ديكرو و أنسكومبر" منهج الأمثلة لتفسير الوقائع المعلومة و حددا جـوهره في كونـه يسعى إلى التمثيل الصناعي للظواهر الملاحظة في الطبيعة يقول "ديكرو": «سوف أصـف بالعمليـة البحث الذي يحاول في أثناء تفسيره للظواهر الملاحظة في الطبيعة أن يضع تمثيلا مصطنعا للكيفية التي تنتج بها هذه الظواهر»[1]

إن هذه النظرية تحتاج إلى نوعين من الفرضيات حتى يدمج مبحث الحجاج في الدراسة اللغوية بصورة محكمة، و هذه الفرضيات ليست سوى تعديلا لنموذج الوصف الدلالي الكلاسيكي و ذلك بإعادة بناء الفرضيات الداخلية و الخارجية للنموذج وفقا لمعطيات التداولية المدمجة.

1.2.1. الفرضيات الخارجية:

تتكفل الفرضيات الخارجية ببناء الوقائع التي تنصب عليها الملاحظة، و ذلك من خلال إثـارة الانتباه إلى ظاهرة جديدة تتمثل في كون المتكلمين بلغة معينة يمتلكون القـدرة علـى مـنح معـنى للملفوظات التي يتم إنجازها بواسطة هذه اللغة[2]

فالمعطى الأساس الذي يعتبر موضوع الملاحظة في التداولية المدمجة هو الطريقة التي تؤول بهـا الملفوظات في المقامات التي تستعمل فيها ، يوضح ذلك الأمثلة الآتية :

[1] نسيت مرة أخرى أين وضعت المفاتيح (م1)

[2]سعد ذكي (م2)

[3]سعد ذكي لكنه مهمل (م3)

إنن المتكلم ينجز على التوالي فعل الاستخبار بالملفوظ [1] و ينجز حجاجا في صالح سعد بـالملفوظ [2] و ينجز حجاجا في غير صالح سعد في [3].

2.2.1. الفرضيات الداخلية:

تخص الفرضيات الداخلية بناء آلة صناعية اعتمادا على مجموعة من البـديهيات و المسـلمات و القواعد الاستنباطية التي تستخدم في احتساب الدلالة ، و كلما كانت الفرضيات قـادرة علـى التكهن بمعنى الجملة كانت أنجح و أنجع ، فالفرضية حول دلالة "لكن" مثلا و قدرتها علـى توجيـه

[1] Oswald Ducrot, les mots du discours, p51.

[2]. Oswald Ducrot, le dire et le dit, Minuit, Paris, 1984, p54.

نقلا عن الحجاجيات اللسانية ص223-224

القول الذي توجد فيه توجيها حجاجيا ، إذا ثبت أنها تفسر الاستعمالات المتنوعـة للأقـوال الـتي تتضمن "لكن" في المقامات المختلفة فذلك يعني أنها فرضية قوية ناجحة[1].

3.1. الإرشادات

وضع ديكرو و أنسكومبر مفهوما جديدا هو مفهوم "الإرشادات" و مفـاده أن الإرشـادات تقدم لأولئك الذين يسعون إلى تأويل ملفوظ معين ليتعين عليهم البحث داخل الخطاب عن عناصـر تساعدهم على إعادة بناء المعنى الذي قصد إليه المتكلم[2]،و تعد بمثابة الأساس الذي ينبني عليه الحجاج باعتباره فعلا تلفظيا و تصنف الإرشادات إلى صنفين هما:

1.3.1.إرشادات تلفظية

تتحدد مهمتها في تقديم إرشادات و معلومات تخص الطريقة التي توحي بها دلالة الجملـة إلى عملية التلفظ، فالرابط "ما دام" في المثال " أنا ذاهب غدا **مادام** عليك أن تعرف كل شيء " يتضمن إرشادا خاصا به يشير إلى أنه لا يربط محتوى الجملة الأولى بمحتوى الجملة الثانية و إنما يربط فعـل التلفظ بالجملة الأولى بمحتوى الجملة الثانية، فوظيفة هذا النوع من الإرشادات هي إدمـاج عمليـة التلفظ في معنى الملفوظ[3].

2.3.1. إرشادات حجاجية

يرى ديكرو و أنسكومبر أن البنية التركيبية للملفوظات تتأثر بالوظيفة الحجاجية المتضـمنة في الفعل اللغوي ، كما أن أغلب الملفوظات تتضمن ظواهر تحدد قيمتها التداولية بشكل مستقل عـن مضمونها.

فالمتكلم و هو ينجز فعلا حجاجيا يكون بصدد توجيه الملفوظ توجيها حجاجيا ، و هو مـا دفع بهما إلى تمحيص مختلف الإرشادات الحجاجية التي هدفها دراسة الوظيفة الحجاجية للخطاب[4].

إن الخطاب الحجاجي يكتسب بعض العلامات التي تحدد وجهته الحجاجية و هذه العلامـات متنوعة و تشتغل داخل الخطاب بصور مختلفة ، فهي تظهر تارة في صورة عوامل حجاجية و تـارة

---

[1] ينظر شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ص359.

[2] Oswald Ducrot, les mots du discours, p12.

[3] ينظر الحوار و منهجية التفكير النقدي ، ص134، و ينظر الحجاجيات اللسانية ، ص225.

[4] ينظر الحوار و منهجية التفكير النقدي ، ص134.

أخرى في صورة روابط حجاجية ، إضافة إلى اشتغال مجموعة من الخصائص المرتبطة ببعض الظواهر كالاستفهام و التضمين و الاقتضاء و الخاصية السلمية لبعض الملفوظات[1].

2.الجهاز المفاهيمي لنظرية "الحجاج في اللغة"

اقتصرت الدراسة التي باشرها ديكرو و أنسكومبر في إطار التداولية المدمجة على المجال اللساني البحت أي بالمعطيات التداولية التي تنعكس في بنية اللغة ذاتها، و ركزت على الوقائع التي لها ارتباط بالاستعمال الحجاجي للغة ، بحيث يجري البحث في عناصر القوة الحجاجية للملفوظات ، و المرتبطة بآليات التوجيه المركوزة في بنية اللغة[2].

1.2.مفهوم الحجاج في نظرية "الحجاج في اللغة"

شكّل الطرح اللساني لديكرو و أنسكومبر مبادىء تأسيسية لنظرية الحجاج في اللغة والتي مفادها أن الخطاب اللفظي يتوفر على خاصية حجاجية مباطنة له دون أن نعير هذه الخاصة بمعايير منطقية خارجية ، و حجاج هذا الخطاب يتجلى في العلاقات بين المنطوقات و الأقوال ، و هي علاقات مكونة لتلك الأقوال و توجهها في مجتمع ما توجيها معينا[3].

فنظرية الحجاج في اللغة هي نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية و بإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما ، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية ، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها : أننا نتكلم عامة بقصد التأثير.

إن هذه النظرية تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية و جوهرية وظيفة حجاجية ، و بعبارة أخرى ، هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها[4].

إن ديكرو و أنسكومبر يطلقان على هذا الحجاج الخطابي اسم "الحجاج في اللغة" أي تلك القواعد الداخلية للخطاب و التي تتحكم في ترابطه و تسلسله.

وفي هذا الإطار فإن كثيرا من أفعال القول لها وظيفة حجاجية عندما تهدف إلى توجيه المتلقي نحو نتيجة معينة أو صرفه عنها.

---

[1] ينظر الحجاجيات اللسانية، ص 225.

[2] J.B.Grize; logique naturelle et communication,p23.

[3] ينظر حبيب أعراب، الحجاج و الاستدلال الحجاجي، ص 105.

[4] أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج،العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص14.

هذه الوظيفة الحجاجية تتوفر على خصائصها في بنية الجملة ذاتها؛ ذلك أن « القيمة الحجاجية لقول ما ليست هي حصيلة المعلومات التي يقدمها فحسب بل إن الجملة بإمكانها أن تشتمل على مورفيمات و تعابير أو صيغ ، و التي بالإضافة إلى محتواها الإخباري ، فهي تصلح لإعطاء توجيه حجاجي للقول، و توجيه المتلقي في هذا الاتجاه أو ذاك »[1].

فالحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، و بعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها بمثابة الحجج اللغوية ، و بعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها[2] .

2.2. عناصر الخطاب الحجاجي في نظرية الحجاج في اللغة

يحتوي الخطاب الحجاجي حسب ديكرو و أنسكومبر على ملفوظين اثنين على الأقل: [م$_1$] و [م$_2$]، حيث يقوم أحدهما بتعزيز الآخر ، و يسمى الأول [م$_1$] حجة، و الثاني [م$_2$] نتيجة حسب المثال الآتي :

[4] هذا الكتاب مفيد

[5] اشتره إذن

نستطيع بناء خطاب حجاجي انطلاقا من المللفوظين **[4]**/ م$_1$ و **[5]** / م$_2$كالتالي : "هذا الكتاب مفيد ، اشتره إذن" أو "اشتر هذا الكتاب مادام مفيدا" .

يقوم الملفوظ " هذا الكتاب مفيد" مقام الحجة، و يقوم الملفوظ "اشتره إذن " مقام النتيجة و "إذن" و "مادام" هما بمترلة روابط حجاجية[3].

أما العلاقة التي تربط بين الحجة و النتيجة فهي "العلاقة الحجاجية" و رمزها كالتالي:

ح ———————— ن

حيث: "ح" حجة و "ن" نتيجة

---

[1] Oswald Ducrot, les échelles argumentatives, Editions de Minuit, Paris, 1980 p18 ، نقلا عن الحجاج و الاستدلال الحجاجي، ص105.

[2] ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج، ص16 .

[3] Anscombre et Ducrot, L'argumentation dans la langue, Mardaga, Bruxelles, 1983, p163 . نقلا عن الحجاجيات اللسانية، ص227.

و يتمثل شرط العلاقة الحجاجية في أن يدخل المكون الثاني في علاقة حجاجية مع المكون الأول[1].

إن مفاهيم الحجة و النتيجة كانت في التصور السابق عند ديكرو "كتاب السلميات الحجاجية" عبارة عن أقوال ، أما في التصور المقدم في أعماله الأخيرة ، فإن هذه المفاهيم أعطيت لها دلالة واسعة و مجردة ، فالحجة حسب التصور الجديد ، عبارة عن عنصر دلالي يقدمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر والحجة في هذا الإطار قد ترد على شكل قول أو فقرة أو نص ، أو قد تكون مشهدا طبيعيا أو سلوكا غير لفظي إلى غير ذلك.

و قد لا يرد الحجاج في صورة صريحة، و إنما يتخذ صورة مضمرة، بحيث يجري إضمار الحجة أو النتيجة أو الرابط الحجاجي مع بقاء إمكان اشتقاقها على قرائن سياقية و مقامية .

1.2.2. إضمار الحجة في الخطاب الحجاجي

نفترض أن زيدا واجهته الحوادث التالية:

- استيقظ متأخرا
- أفرغ كأس القهوة على ثيابه
- سقط على الدرج و هو يحاول الخروج

زيد: "هذا يوم منحوس".نتيجة" [6]

إن كلام زيد **[6]** هو خطاب حجاجي أضمرت فيه الحجج ، غير أنها وردت في السياق .

2.2.2. إضمار النتيجة في الخطاب الحجاجي

ليكن الحوار الآتي:

[7] هل تقبل مرافقتي لمشاهدة العرض المسرحي الجديد

[8] لقد شاهدته سابقا "حجة"

إن الجواب **[8]**، هو عبارة عن خطاب حجاجي أضمرت فيه النتيجة، و يمكن تقديرها اعتمادا على السياق "لن أذهب معك/ نتيجة"[2]

---

[1] ينظر، كريستيان بلانتان، لغة المحاجة و اللغة الواصفة، ترجمة نصيرة الغماري،علامات ، المغرب http://aslimnet.free.fr/ress/n_ghoumaru/ghoi1.htm

[2] ينظر الحجاجيات اللسانية، ص228.

3.2.2. إضمار الرابط الحجاجي

يمكن أن يضمر الرابط الحجاجي كما يوضحه المثال الآتي:

[9]أنا متعب، أنا بحاجة إلى الراحة

لقد تم التصريح بالحجة " أنا متعب" و النتيجة " أنا بحاجة إلى الراحة" و اضمر الرابط.

و تتسم الحجج اللغوية بعدة سمات، لعل أهمها:

-إنها مقامية: إن المقام هو الذي يصير حجة العنصر الدلالي الذي يقدمه المتكلم باعتباره يؤدي إلى عنصر دلالي آخر، و يمنحه الطبيعة الحجاجية، كما أن العبارة الواحدة المتضمنة لقضية واحدة قد تكون حجة أو نتيجة أو قد تكون غير ذلك بحسب السياق.

- إنها نسبية : ذلك أن لكل حجة قوة حجاجية معينة، فقد يقدم المتكلم حجة ما لصالح نتيجة معينة، و يقدم الخصم حجة مضادة أقوى بكثير منها، بعبارة أخرى هناك الحجج القوية و الحجج الضعيفة و الحجج الأوهى و الحجج الأضعف.

-إنها قابلة للإبطال[1].

-إنها متعددة: تعدد الحجج يزيد من الدرجة الاحتمالية للنتيجة، وبالتالي من درجة الاعتقاد فيها فتكون هذه الدرجة أكبر، كلما كانت هذه الحجج أجود و أكثر.

3.2 الحجاج و الاستدلال

اعتنى رائد الدرس الحجاجي اللساني اعتناء كبيرا بإقامة التمييز بين مفهوم الحجاج و مفهوم الاستدلال/ البرهان "Démonstration" نظرا للخلط القائم بين مفهوميهما.

ويرى ديكرو أن الدلالتين التقنيتين و المنطقيتين و اللسانيتين لهذين المفهومين تختلفان اختلافا كبيرا، فهما ينتميان إلى مجالين مختلفين اختلافا تاما، إذ ينتمي الاستدلال إلى مجال المنطق، بينما ينتمي الحجاج إلى مجال الخطاب الطبيعي[2].

و فيما يلي أهم الفروق بين المصطلحين:

أ- إن الملفوظات الواردة في الاستدلال توجد مستقلة بعضها عن بعض، ذلك أن كل ملفوظ يحيل على قضية في العالم سواء أكانت واقعية أم مفترضة، و تعالق الملفوظات الواردة في البنى الاستدلالية

[1] ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج، ص 20.

[2] Oswald Ducrot, les échelles argumentatives , p11

نقلا عن اللغة و الحجاج،ص17.

البرهانية لا يقوم على الملفوظات ذاتها، بل على القضايا التي تمثلها هذه الملفوظات ، أي على وقـائع العالم و أحوالها ، حقيقية كانت أو مفترضة[1] ومثال ذلك:

[10] كل اللغويين علماء و زيد لغوي، إذن زيد عالم

إن المثال[10] يستمد مشروعيته و قوته من القوانين المنطقية التي ينتظم وفقها ، ومن طبيعة القضـايا التي يشير إليها، فاستنتاج أن زيدا عالم حتمي و ضروري لأسباب منطقية ، تقوم علـى مبـادىء الاستنتاج المنطقي " لزوم النقلة من المقدمات إلى النتيجة"، فنتائجه تتصف باليقين.

ب- لا يقدم الخطاب الطبيعي براهين و أدلة منطقية و لا يقوم على مبادىء الاسـتنتاج المنطقـي ، ذلك أن لفظة "حجاج" لا تعني البرهنة على صدق إثبات ما ، أو إظهار الطابع الصحيح لاستدلال ما من وجهة نظر منطقية[2].

إن تعالق الملفوظات في العلاقات الحجاجية الموجودة في الخطاب الطبيعي يستجيب لاعتبارات داخلية مرتبطة بطبيعة الملوظات و معناها ذاته ، و ليس بأوضاع العالم أو العلاقات المنطقية و العقليـة التي تحكم قضايا البنى التركيبية، و مثال ذلك:

[11] انخفض ميزان الحرارة، السماء غائمة إذن ستمطر، ثم إن النشرة الجوية توقعت ذلك.

[12] أنا متردد في اقتناء هذه السيارة (م2) فهل نفقاتها قليلة (م1)

إن المثال **[11]** لا يعدو أن يكون إلا حجاجا أو استدلالا طبيعيا غـير برهـاني ، ذلـك أن استنتاج احتمال سقوط المطر يقوم على معرفة العالم و على معنى الحجج المقدمة ، و هـو اسـتنتاج احتمالي.

و في المثال **[12]** يقع الترابط بين الملفوظ الإثباتي الأول و الاستفهام على أساس حجاجي، إذ قدم الاستفهام (م1) على أساس أنه حجة لفائدة النتيجة (م2) ، و هذه النتيجة لا تستند إلى أي حـدث سابق أو لاحق بما أن (م1) استفهام و لكن الحجة ليست هي الاستفهام بل تعبيره عن عدم الـيقين الملازم لبنية الجملة الاستفهامية[3].

ج- تتعدد الحجج في الخطاب الحجاجي (مثال **[11]**) ، فهو لا ينغلق على نفسه، كما أنه يوصل إلى أكثر من نتيجة، في حين يمكن الاكتفاء بإيراد دليل واحد لإثبات النتيجة في الاستدلال البرهاني.

---

[1] Anscombre et Ducrot ,l'argumentation dans la langue, p14 .

[2] ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج، ص15.

[3] ينظر شكري المبخوت ، نظرية الحجاج في اللغة، ص 361.

د-يتم في الخطاب الحجاجي استثمار الطبيعة الظنية و غير اليقينية للمواضع التي تقوم عليها كل عملية حجاجية.

هـ- يرتبط الاستدلال بالصورة بشكل يسمح بمعالجته بوساطة الحاسوب، في حين يصعب القيام بذلك فيما يخص الحجاج، فإذا كانت تعابير اللغة الصورية تتميز بالتواطؤ، فإن دلالة تعابير الاستدلال الطبيعي (الحجاج) مشتركة و ترتبط بالشروط الدلالية و التداولية لكل حوار.

و- لا يستهدف الاستدلال شخصا معينا و لا يهتم بأسباب إنشاء الخطاب و فهمه، بينما يتطلب الحجاج طرفين، و يراعي المقام و شروط الخطاب[1].

4.2. الفعل الحجاجي

رأى ديكرو أن نظرية الأفعال الكلامية التي أسسها كل من أوستين و سيرل تتميز بعدم كفاية التصنيفات المقترحة للأفعال اللغوية، لذا اقترح إضافة صنف آخر من الأفعال يتمثل في الفعل الحجاجي متأثرا في ذلك بمفهوم الفعل الإنجازي و الذي مقتضاه « الفعل الذي ننجزه أثناء القول»[2]

ويتضمن **الإنجاز معنى الحديث** و الحركية التي تعني بدورها التغيير الدائم، و هذا التغيير يقتضي تغييرا في العوالم و الأماكن و الأزمان، و يتضمن الفعل الإنجازي قوة غرضية في فعل الكلام التلفظي تصاحب المعنى الصريح و الحرفي الذي ينتجه هذا الفعل، و القيمة الغرضية / الإنجازية الماثلة في فعل القول اللفظي تخضع للمقام الذي تنجز فيه العملية التواصلية و المواضعة اللسانية – الاجتماعية و العلاقات التخاطبية، ذلك أن الفعل المنجز يتطلب متلقيا يعمل على تأويل ما يتلقاه وفق عدة معطيات متعلقة بالتواضع و السياق و أحواله[3].

و فقا لهذه المعطيات قدم "ديكرو" مفهوما للفعل الحجاجي و عرفه بأنه « فعل لغوي موجه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية أي مجموعة من الحقوق و الواجبات ، و يفرض فعل الحجاج على المخاطب نمطا معينا من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار، أما القيمة

[1] حسان الباهي، اللغة و المنطق، بحث في المفارقات، دار الأمان، الرباط، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص138.

[2] جون سرفوني، الملفوظية، ص62.

[3] ينظر صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، دار التنوير بيروت،ط1، 1993،ص195-196.

الحجاجية لقول ما، فهي نوع من الإلزام تعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميه و استمراره»[1]

و يتميز الفعل الحجاجي باعتباره فعلا لغويا بخاصية الاصطلاحية و المؤسسية و القصدية وتعد هذه الأخيرة أهم خاصية و تتجلى الطبيعة القصدية للفعل الحجاجي في مستويات عدة أهمها أن عرض الحجة في أثناء إنجاز الفعل الحجاجي يكون الغرض و القصد منه تدعيم نتيجة معينة ، بحيث لا يمكن فهم الملفوظ / الحجة، إذا نظرنا إليه منعزلا ، و بالتالي نحتاج إلى قراءته كفعل حجاجي له علاقة بنتيجة معينة[2].

كما تتجلى القصدية بالخصوص في الربط بين التراكيب اللغوية و مراعاة غرض المتكلم و المقصد العام من الخطاب ، في إطار مفاهيمي مستوف للأبعاد التداولية للظاهرة اللغوية[3].

إن الفعل الحجاجي هو نوع من الأفعال الإنجازية التي يحققها الفعل التلفظي في بعده الغرضي ، وهذا الفعل يحقق عملا و يحول واقعا و له قصدية و سياق.

و ينقسم الفعل الحجاجي عند ديكرو إلى فعل اقتضاء/Acte présupposé و فعل مفهوم (المضمرات)/Acte sous-entendu ويُصَّنف هذان النوعان ضمن الأفعال اللغوية غير المباشرة. ذلك أنه إذا كان "م1" مؤديا بالضرورة إلى ظهور "م2" صراحة أو ضمنيا ، و إذا كان "م2" ضمنيا فإن ضمنيته هذه تكون إما على سبيل الاقتضاء أو على سبيل المفهوم/القول المضمر خاصة[4].

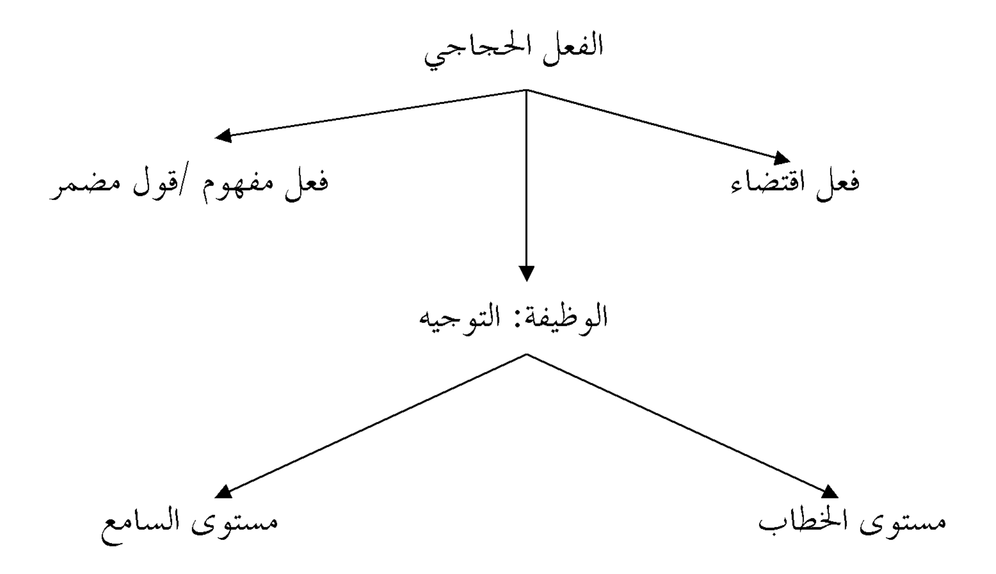
---

1 Oswald Ducrot, Dire et ne pas dire,Hermann,Paris.P286,1972 نقلا عن اللغة و الحجاج ، ص16.

2 ينظر الحجاجيات اللسانية ، ص 233

3 ينظر مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص، 10.

4 ينظر عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 36.



1.4.2 فعل الاقتضاء acte présupposé

يعد فعل الاقتضاء فعلا لغويا مُنظِّما لإطار المحادثة و إطار الخطاب ، و هو مظهر مهم في اللعبة الحجاجية بين المتخاطبين ، ذلك أنه ييسر إدخال المخاطَب ضمن اعتقادات المتكلم أو الإيهام بذلك، بغية فرض قوله و ما يستلزمه حجاجيا .

و الاقتضاء ليس رهين المحادثة و ظروفها المقامية و تفاعل الذاتيات عند استعمال اللغة فحسب ، بل هو مندرج في مستوى المكون اللغوي بما أنه ليس معطى بلاغيا صرفا[1] ، فالمتكلم يقدم الاقتضاء على أنه جانب مشترك بينه و بين المخاطَب، و بما أنه مشترك بين المتخاطبين فلا يمكن من ثمة إلا قبوله.

و يعتبر ديكرو الاقتضاء فعلا لغويا و موقفا من المتكلم ، له خصائص و وظائف. إنه فعل كلامي خاص. فهو فعل مثل الإثبات، الاستفهام أو الأمر، لأنه يقوم بتعديل العلاقات بين الذوات المتخاطبة و يخلق الإلزامات و يؤسس الحقوق والواجبات ويعين الأدوار و تكمن خصوصية الاقتضاء في الطريقة التي يفرض بها على المخاطب إطارا لاستمرار الخطاب: يجبره على الفعل وكأن محتوى الاقتضاء حقيقة مؤكدة لا يمكن أن يعاد النظر فيها. وإذا وجد ربط، فهذا الأخير لا يمكن من حيث المبدأ أن يؤدى إلا على مستوى المثبت وليس على مستوى المفترض[2].

[1] ينظر شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ص 275.

[2] جون سيرفوني، اللسانيات و التداولية،ترجمة حمو الحاج ذهبية، مجلة اللسانيات، http://www.aljahidhiya.asso.dz/revues/tebyin-19/allisanyate.htm

إن الاقتضاء شيء لا تقرره الجملة/ المتكلم تقريرا واضحا و لكنها توحي /يوحي به، إنه ليس نتيجة منطقية و إنما نتيجة غير منطقية بمعنى ما.

فالاقتضاء إذن هو نتيجة الافتراض المسبق، و هو أحد أشكال الضمني ، إنـــه ثـــاو في البنيـــة اللغوية، يُحدد عادة بوساطة اختبار النفي.

1.1.4.2.معيارا ضبط المقتضى

اتخذ ديكرو بنيتي النفي و الاستفهام (التصديقي) معيارين لضبط المقتضى، ذلـــك أن النفـــي و الاستفهام و إن غيرا قوة الجملة فإنهما يحافظان على محتواها القضوي موضوع عمل الاقتضـــاء[1] .

كما يبينه المثال الآتي:

- انقطع محمد عن التدخين

إذا تم تحويله إلى استفهام يعطينا ما يلي:

-هل انقطع محمد عن التدخين؟

و إذا تم نفيه

- لم ينقطع محمد عن التدخين.

وهذه الجمل تظهر شيئا جامعا و هو ("كان محمد يدخن" /مقتضى)[2]

2.4.2. فعل القول المضمر

يقابل الاقتضاء شكلا آخر للضمنية هو القول المضـــمر "le sous-entendu"[3] و يعرفـــه اللساني "ديكرو" بأنه "ما يستنبط من المنطوق، فهو حدث بلاغـــي مـــرتبط بمقـــام القـــول (...)

---

[1] شكري المبخوت ، نظرية الحجاج في اللغة ، ص 372

[2] ينظر عمر بلخير ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط1، 2003، الجزائر، ص113

[3] يترجم عبد الله صولة مصطلح " le sous-entendu" ب مصطلح "المفهوم" إذ يرى أن مدلوله يوافـــق المنظومة الاصطلاحية في التراث العربي، خاصة في الفكر الأصولي، حيث تستخدم دلالة المفهوم في علم الأصول في معان ثلاثة هي:

- معنى واسع جدا: و هو دلالة المفهوم في مقابل دلالة المنطوق.
- معنى واسع: و هو دلالة المفهوم المقتصرة على مفهومي الموافقة و المخالفة فقط.
- معنى ضيق: و هو المفهوم المقتصر على مفهوم المخالفة، ينظر محمد محمد يونس علـــي،علم التخاطـــب الإسلامي ص237=

و يجيء دائما جوابا عن أسئلة من قبيل «لم قال المتكلم ما قال و ما حداه إلى أن يقوله أما مداره فعلى الطريقة التي يتوخاها المتلقي في فهم ذلك المعنى»[1].

و يأتي القول المضمر عندديكرو على صعيد الزمن لاحقا بالنسبة إلى حدث التخاطب و العون المسؤول عن إنتاجه هو المخاطَب "أنت" .ويعتبر بالنسبة إليه أضعف حجاجية من المقتضى لوجوده خارج اللغة و لارتباطه بمجهود المخاطب التأويلي[2].

إن القول المضمر يستنتج من المعنى "الجانبي" ومن المقام بوساطة الأسلوب الخطابي أي من الاستدلال بالاستعانة بقوانين الخطاب، أهمها قانون الإخبار وقانون الشمولية،ومن الأمثلة التي وظفها "ديكرو" لتمثيل عمل قوانين الخطاب اللافتة: **"مفتوح يوم الثلاثاء"** المعلقة على باب محل، معناها الجانبي[المعنى الدلالي] ليس كافيا إذا كان المحل واقعا في منطقة تكون فيها كل المحلات مفتوحة في ذلك اليوم، في هذه الحالة ليس له أية قيم إخبارية.

إن التخمين الموجود هنا لتقديم الخبر (قانون الإخبار) وإعطاء قدر ما نريده فيما يتعلق بأيام الافتتاح (قانون الشمولية)، يوجه القراء المعنيين إلى التأويل التالي: "مفتوح يوم الثلاثاء فقط"[3]. إن "ديكرو" يلح على أن القول المضمر من طبيعة غير لسانية محضة عكس المقتضى الذي يعتبره عنصرا أو مكونا لسانيا صرفا، و من ثم فإنه لإدراك القول المضمر لا بد من إدماج العناصر غير اللسانية من قبيل مقتضيات الحال أي المقام لفهم القصدية التلفظية التي هي روح القول المضمر عنده. و عليه فإن البنية الإعرابية التركيبية وحدها غير كافية لأن تكشف عن المعنى، بل إنها متمحضة للكشف عن مقتضاه، فالقول المضمر هو ما يمكننا من قول شيء دون أن يقوله أو يكون قد قاله[4].

=و من تعريفات الأصوليين التي توافق التعريف اللساني الحديث تعريف الغزالي في المستصفى؛ يقول: «فهم غير المنطوق به من المنطوق بدلالة سياق الكلام و مقصوده كفهم تحريم الشتم و القتل و الضرب من قوله تعالى:" و لا تقل لهما أف" و معناه الاستدلال بتخصيص الشيء بالذكر على نفي الحكم عما عداه» أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1993، ص84-85،

[1] voir Ducrot.le dire et le dit.p21. نقلا عن الحجاج في القرآن، ص264

[2] ينظر عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص265.

[3] جون سيرفوني، اللسانيات و التداولية.

[4] عز الدين الناجح، المفهوم من خلال الملفوظ الإشهاري، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، ع2، 2007 ص267.

ومثال ذلك: "**إن السماء ستمطر**"

إن السامع لهذا الملفوظ قد يعتقد أن القائل أراد أن يدعوه إلى:

-المكوث في بيته.

- أو الإسراع إلى عمله حتى لا يفوته الموعد.

-أو الانتظار و التريث حتى يتوقف المطر .

-أو عدم نسيان مظلته عند الخروج....

و قائمة التأويلات مفتوحة مع تعدد السياقات و الطبقات المقامية التي ينجز ضمنها الخطاب[1].

أما "أوروكيوني" فتعتبر القول المضمر حدثا لغويا ذلك أنها تتصور أن الملفوظ وحده خارج وضعيات التخاطب قادر على إخراج القول المضمر. و تعرفه بكونه جامعا لكل المعلومات التي يمكن أن يحملها الملفوظ المعطى و هو أقسام متعددة منها: التعريض و التلميح أو التلويح و الإغراء. و ترى أن البنية اللسانية للملفوظ؛ أي أن البنية التركيبية هي المعول عليها في فك غموض القول المضمر[2].

يقوم القول المضمر عند أوروكيوني على قصدية المتكلم و حدس المخاطب، الذي إذا أراد أن يفك مضامينه الرمزية سيلجأ إلى حساب تأويلي. و هي بذلك تنفي كل عنصر غير لساني "élément extralinguistique" في سيرورة إنتاج القول المضمر .

أما "عبد الله صولة" فقد أدخل على "القول المضمر" تعديلين حتى تقوى طاقته الحجاجية فيكون بذلك ملزما و آسرا.

-التعديل الأول: يتمثل في اعتبار القول المضمر/المفهوم هو أيضا حدث لغة إذ يمكن أن يكون منغرسا في بنية الملفوظ نفسها مرتبط بذلك بنوع من التراكيب المخصوصة.

- التعديل الثاني: يتمثل في تقسيم المفهوم إلى المفهوم الدلالي والذي يمثل حصيلة التعريض الدلالية و المفهوم اللاقولي و الذي يمثل القيمة اللاقولية المشتقة من الكلام المفهومة من عُرضه (التعريض بالطلب)[3].

---

[1] ينظر مسعود صحراوي التداولية عند العلماء العرب، ص32.

[2] C.K.Orechioni, l'implicite, édition Armand colin, Paris, 1986, p43-45

[3] ينظر عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص269-170.

إن التقابل بين شكلي الضمنية اللذين هما الاقتضاءات والأقوال المضمرة يمكن تلخيصه فيما يلي[1]

معايير الفصل/أقسام المعنى	القول المضمر	المقتضى	المنطوق
نظام الضمائر	الأنت	النحن	الأنا
نظام الأزمنة	لاحق لحدث التخاطب	سابق لحدث التخاطب	متزامن و حدث التخاطب
طبيعته	لساني + مقامي	لساني	لساني
الرائز اللغوي	ما الذي جعله ممكنا/مقبولا	النفي + الاستفهام	————
المدى	البعدية	القبلية	الراهن
الكم	التعدد و الغموض	التعدد القابل للحصر	الوحدة
حضور المكون البلاغي	(+)	(−)	(+، −)
الوصول إليه و اكتشافه	عسر كشف البنية اللسانية عنه	كشف البنية اللسانية عنه	————
نوعه	حدث قولي	حدث لغوي	حدث لغوي
محله	الملفوظ	الجملة	الجملة

5.2. التعدد الصوتي La Polyphonie

امتدادا لأفكار "بنفنيست" حول التلفظ و التكلم و الخطاب، تصور "ديكرو" أن الخطاب الحجاجي وراءه ذات متكلمة أي له مصدر أو مصادر ، فالمتكلم داخل الخطاب هو المسؤول عن الخطاب بصفة عامة و عن حجاجه بصفة خاصة.

و يميز ديكرو بين المتكلم و المتلفظ ، و هذا الأخير باعتباره مجردا هو المسؤول عن منطوق "قول" أو أكثر ، و هو الصوت المتحدث باسم المتكلم للتعبير عن رأي أو أطروحة " موقف خاص" ضمن الخطاب الحجاجي ككل، و في هذا السياق أبدع ديكرو مفهوم المتلفظ متعدد الأصوات لحل مشكلة تحليل بعض الأقوال التي لا نعرف بالضبط لمن ننسب فيها الكلام، هل لمتكلم واحد أو لأكثر من متكلم.فالمعنى لا يحدد من دون الرجوع إلى مقاصد القول و حجاجه[2].

[1] عز الدين الناجح ، المفهوم من خلال الملفوظ الإشهاري، ص270.

[2] حبيب أعراب، الحجاج و الاستدلال الحجاجي، ص104.

3. نظرية السلم الحجاجي

تستلزم بعض الحجج النتيجة نفسها، مما يمكن جمعها في مجموعة تدليلية يصطلح عليها باسم "الفئة الحجاجية"، و تختلف هذه الحجج من جهة قوتها بشكل يجعل بعضها يعلو بعضها الآخر بما يسمح بترتيبها وفق معايير متعددة و مختلفة، ذلك أن الحجج تتفاوت في قوتها التدليلية و التبليغية و التأثيرية، و عندما تتضمن فئة من الحجج علاقة بين مراتب الحجج ، تسمى هذه العلاقة "سلما حجاجيا".

و مثال ذلك:

[1] أكرم زيد صديقه

[2] أكرم زيد عدوه

فنستدل من هذين الملفوظين النتيجة التالية

[3] زيد من أنبل الناس خلقا

و لما كان [1] و[2] يستلزمان نتيجة واحدة ، فقد استحقا أن يدخلا في مجموعة تدليلية واحدة ، تسمى الفئة الحجاجية ، و كل فئة حجاجية تتحدد بنتيجتها المشتركة ، و على هذا تكون الفئة الحجاجية (2/1) مقيدة بالمدلول 3 و هو أن زيدا مثال النبل الخلقي[1] .

تكمن أهمية نظرية السلم الحجاجي في إخراج قيمة القول الحجاجي من حيز المحتوى الخبري للملفوظ ، ذلك أنه إذا كان للقول وجهة حجاجية تحدد قيمته باعتباره يدعم نتيجة ما و إذا كان القول مندرجا ضمن قسم حجاجي قائم على قوة بعض مكوناته و ضعف بعضها الآخر بالنسبة إلى نتيجة ما ، فإن مفهوم السلم الحجاجي بتركيزه على الطابع المتدرج و الموجه للأقوال يبين أن الخطاب الحجاجي ليس مطلقا، إذ لا يتحدد بالمحتوى الخبري للملفوظ و مدى مطابقته لحالة الأشياء في الكون، و إنما هو رهين اختيار هذه الحجة أو تلك بالنسبة إلى نتيجة محددة ، لذلك فالحكم على الخطاب الحجاجي أساسه القوة و الضعف اعتبارا لطابع التدرج فيه لا الصدق و الكذب[2].

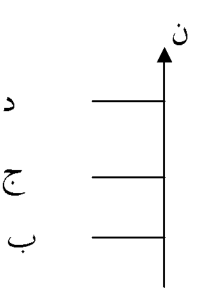
---

[1] ينظر طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت،ط1، 1998 ،ص 276.

[2] ينظر شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة ، ص370.

1.3. مفهوم السلم الحجاجي

السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها كالتالي:



حيث "ن" نتيجة و "ب"و "ج" و "د" حجج و أدلة تخدم النتيجة "ن".

فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما علاقة ترتيبية معينة ، فإن هـذه الحجج تنتمي إلى السلم الحجاجي نفسه ، فالسلم الحجاجي هو فئة حجاجية موجهة[1] . إنه مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية[2] .

2.3. سمات السلم الحجاجي

يتسم السلم الحجاجي بالسمتين الآتيتين:

أ- كل قول يرد في درجة ما من السلم، يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة إلى "ن"

ب- إذا كان الملفوظ "ب" يؤدي إلى النتيجة "ن" فهذا يستلزم أن "ج" أو "د" الذي يعلوه درجة يؤدي إليها ، و العكس غير صحيح، و مثال ذلك:

- حصل زيد على الشهادة ليسانس
- حصل زيد على شهادة الماجستير
- حصل زيد على شهادة الدكتوراه

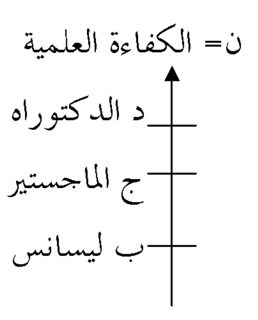
إن هذه الجمل تتضمن حججا تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة ، و تنتمي كذلك إلى السلم الحجاجي نفسه، فكلها تؤدي إلى نتيجة مضمرة هي الكفاءة العلمية لزيد، و القول الأخير هو الذي سيرد في

---

[1] Les échelles argumentatives, p18. نقلا عن اللغة و الحجاج، ص21.

[2] طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ص277.

أعلى درجات السلم الحجاجي، و حصول زيد على الدكتوراه هو بالتالي أقوى دليل على مقدرة زيد وعلى مكانته العلمية ، حسب ما يبينه المخطط الآتي[1]



3.3 قوانين السلم الحجاجي

يخضع السلم الحجاجي لقوانين ثلاثة هي قانون تبديل السلم و قانون القلب و قانون الخفض.

1.3.3. قانون تبديل السلم/ النفي:

مقتضى هذا القانون أنه إذا كان الملفوظ دليلا على مدلول معين، فإن نقيض هذا المدلول دليل على نقيض مدلوله[2].

و بعبارة أخرى ، إذا كان "أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجية بواسطة "ن" ، فإن "¬ أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة " لا_ ن". و مثال ذلك:

[1] زيد مجتهد، لقد نجح في الامتحان

[2] زيد ليس مجتهدا، إنه لم ينجح في الامتحان.

فإذا تم قبول الحجاج الوارد في المثال الأول ، وجب القبول كذلك بالحجاج الوارد في المثال الثاني[3].

2.3.3. قانون القلب

مقتضى هذا القانون أنه إذا كان أحد الملفوظين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول[4]

---

[1] ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج، ص21.

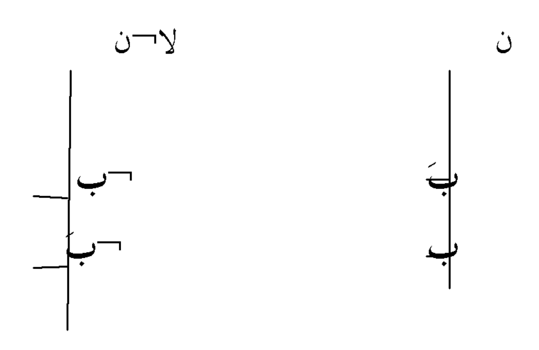
[2] ينظر اللسان و الميزان، ص278.

[3] ينظر اللغة و الحجاج، ص22.

[4] ينظر اللسان و الميزان، ص178.

إن السلم الحجاجي للملفوظات المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية، و بعبارة أخرى إذا كان "بَ" أقوى من "ب" بالقياس إلى النتيجة "ن" فإن "¬ ب" هو أقوى من "¬ بَ" بالقياس إلى " لا_ ن" .

و يمكن التعبير عن هذه الفكرة بصيغة أخرى فنقول: إذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة، فإن نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة.و يرمز لهذا بواسطة السلمين الحجاجيين التاليين:



و يوضح هذا القانون المثال الآتي:

- حصل زيد على الماجستير ، و حتى الدكتوراه
- لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير

حيث "ب" الماجستير و "بَ" الدكتوراه

فحصول زيد على الدكتوراه أقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على الماجستير في حين أن عدم حصوله على الماجستير هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على شهادة الدكتوراه[1].

3.3.3 قانون الخفض

إن قانون الخفض يفيد بأن القولين المتقابلين لا يصدقان في نفس المراتب من السلم ، فكلما صدق أحدهما في مراتب معينة صدق الآخر في المراتب التي تقع تحتها، و يمكن لهذا القانون أن يكون قانون إعلاء كلما وقع الارتقاء ، و بموجب هذا، فالتراتب بين الحجج يمكن أن يعدل و يتغير

[1] ينظر اللغة و الحجاج ، ص 23

من لحظة إلى أخرى بتدخل عوامل معينة، ذلك أن إضافة حجة جديدة إلى مجموعة من الحجج يمكن أن يغير من مدلولها و بالتالي من قوتها[1].

و يوضح هذا القانون فكرة أن النفي اللغوي الوصفي يكون مساويا للعبارة " moins que " فعند استعمال جمل من قبيل:

- الجو ليس باردا.
- لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل

يتم استبعاد التأويلات التي ترى أن البرد قارس و شديد أو أن الأصدقاء كلهم حضروا إلى الحفل و يتم تأويل الملفوظ الأول على الشكل التالي:

- إذا لم يكن الجو باردا،فهو دافئ أو حار.

و يؤول الملفوظ الثاني كما يلي:

-لم يحضر إلا القليل منهم إلى الحفل[2].

4.3. التوجيه الحجاجي

لقد بين ديكرو في كتابه "Les mots du discours" أن اللغة حجاجية في ذاتها أي أنها لا تحمل فقط معلومات و لكن تحتوي في نفسها و بصرف النظر عن استعمالها في السياق على عناصر حجاجية بحتة، كما أن بعض الملفوظات تحمل ما يسمى بتوجيهات حجاجية تسمح بمتابعة الملفوظ بملفوظات معينة و تمنع المتابعة بملفوظات أخرى ، أي أنها ترجح اتجاها من النتائج و تمنع آخر[3] .

ذلك أن هناك مجموعة من الكلمات و العبارات مثل أجد أن، لكن، حتما، زد على...إلخ وظيفتها الأولية هي خدمة التوجيه الحجاجي للملفوظات، كما أكد في مقال له صادر في 1979 أن التوجيه الحجاجي لازم لمعظم – على الأقل- الجمل التي تحتوي دلالتها على توجيه، إذ أن التلفظ بجملة يعني المحاججة في صالح استنتاج معين.

[1] الحوار و منهجية التفكير النقدي، 138.

[2] ينظر شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ص370.

[3] الحجاج في المقام المدرسي، ص32.

و يحصل التوجيه عادة في مستويين: مستوى السامع و مستوى الخطاب نفسه خاصة مع بـين المستويين من تداخل، و الآية في توجيه السامع هو التأثير فيه أو مواساته أو إقناعه أو جعلـه يـأتي عملا ما أو إزعاجه أو هو التأثير فيه أو مواساته أو إقناعه [1].

و أما على صعيد الخطاب ، فإن الحجة تكتسي بالنسبة إلى النتيجة قيمة معينة ، إذ أنها تعززها أو تدحضها بدرجات متفاوتة، و إذا كان الملفوظ يحتوي أكثر من حجة ، فإن هذه الحجة إمـا أن تشترك في توجهها تعزيزا أو دحضا ، و إما أن تتباين فيكون بعضها معززا ، والبعض الآخر داحضـا أي معززا للنتيجة المتعارضة مع النتيجة الأصلية[2].

1.4.3.أنواع التوجيه

1.1.4.3. التوجيه نحو نفس الاتجاه coorientation

يكون التوجيه نحو نفس الاتجاه عندما تسمح الحجتان أو أكثر بالنتيجة نفسها ، أي إذا سيقتا لتعزيز النتيجة نفسها ، و تسمى هذه الحجج حججا متساندة.

ومن الروابط الحجاجية التي تحقق هذا التوجيه ، الرابط الحجاجي "ثم إن" في المثال الآتي:

- هيا بنا إلى الشاطىء ، فالجو جميل ، ثم إن الحر شديد "

إن الحجتين "الجو جميل "و " الحر شديد" تتساندان في تعزيز النتيجة نفسها " هيا بنا إلى الشاطىء"غير أن الرابط الحجاجي لا يعلمنا أي الحجتين أقوى في تعزيز النتيجة أي أنه لا يقيم مفاضلة بين الحجتين في سلم القوة و إنما يوردهما منفصلتين[3].

2.1.4.3. التوجيه المتضاد contre-orientation

يكون التوجيه توجيها متضادا، إذا اتجهت الحجتان/ الحجج إلى نتيجـتين متضـادتين، أي إذا سيقتا لتعزيز نتيجتين متعارضتين ، و تسمى هذه الحجج حججا متعاندة.

و من الروابط الحجاجية التي تحقق هذا الاتجاه الرابط الحجاجي "لكن" في المثال الآتي:

- هذا المطعم جيد و لكنه باهظ

إن الرابط "لكن" يلغي الاتجاه الحجاجي للملفوظ " هذا المطعم جيد، فلنذهب إليه" و يدعم اتجـاه الملفوظ "إنه باهظ إذن لن نذهب إليه"[4].

---

[1] الحجاج في القرآن، ص36.

[2] ينظر الحجاجيات اللسانية، ص228.

[3] ينظر الحجاج في المقام المدرسي ، ص33.

[4] ينظر المرجع نفسه، ص33.

5.3. مبادىء السلم الحجاجي

تتولد الحجج المتساندة والحجج المتعاندة من مبدأين أساسيين يميزان النشاط الحجاجي همـــا: مبدأ القوة الحجاجية و مبدأ التعارض الحجاجي، ذلك أنه توجد ظواهر لغوية يمكنها أن تجعل السلم الحجاجي مطلقا .

1.5.3. مبدأ القوة الحجاجية

مقتضى هذا المبدأ أن هناك بعض الملفوظات التي ترد في الخطاب كحجج تتميز بخاصية معيارية تجعلها تشير إلى قيمة موجبة أو سالبة، مما يسمح لها بأن تقيم علاقة مع طبقة أخرى من الملفوظـــات ضمن سلم حجاجي واحد ، فيلعب ورودها في الخطاب وظيفة حجاجيـــة قياســـا إلى الملفوظـــات الأخرى الموجودة في رتب أخرى من السلم المشترك، و من أمثلة هذه الخاصية:

م1: هذا الفعل واجب.

إن قيمة الملفوظ م1 تتحدد من خلال العلاقة التي يقيمها مع طبقة من الملفوظات الأخرى التي تشترك معه في الانتماء إلى السلم الحجاجي نفسه ، حيث يتضمن كل ملفوظ خاصـــية معياريـــة في صورة محمول تجعله يحتل رتبة معينة من هذا السلم يمثله الشكل التالي:

واجب

مندوب

مباح الفعل

فالقيمة الحجاجية للملفوظ السابق مستمدة من وضعه في سلم "الحث على الفعل" كقيمة عليا بالنسبة إلى باقي الملفوظات الواردة في السلم نفسه، فهو يمثل حجة أقوى في صالح النتيجة الإيجابيـــة الموافقة له[1].

ومن بين الملفوظات التي توجد بينها علاقة حجاجية قارة ، الملفوظات التي فيها "تقريبـــا"أو "كاد" مقارنة بالملفوظ الذي يخلو منهما، فكل ملفوظ "م" هو أقوى دائما من الملفوظ "كـــاد م" أو "تقريبا م"، و من ثم فكل متكلم اختار الملفوظ "كاد م" مثلا حجة لتدعيم نتيجة معينة يعتبر حتمـــا أن الملفوظ "م" أقوى حجة لفائدة تلك النتيجة[2].

[1] ينظر اللسان و الميزان، ص 286.

[2] ينظر شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ص 366.

2.5.3. مبدأ التعارض الحجاجي

مقتضى هذا المبدأ، أنه إذا كانت لدينا حجة "ح" تصلح لتعزيز النتيجة "ن" فمن الضروري أن توجد حجة "حَ " لتعزيز النتيجة المعارضة "لا_ن"

إلا أنه في بعض الأمثلة تتجه الحجتان إلى النتيجة نفسها على الرغم من تعارضهما أي الحجة الأولى تتجه إلى نقيض الحجة الثانية ، حسب ما يوضحه المثال الآتي:

م1= العشاء جاهز تقريبا

م2= العشاء ليس جاهزا تماما

على الرغم من التعارض القائم بين هاتين النتيجتين ،إلا أنهما تتجهان في المثالين إلى تعزيز النتيجة نفسها و هي "أسرع" كما يلي:

م1= أسرع، فالعشاء جاهز تقريبا (أي أسرع للوصول في الوقت المحدد)

م2= أسرع، فالعشاء ليس جاهزا تماما (أي مازالت أمامك الفرصة للوصول في الوقت المناسب[1]

إن الذي يسمح بوجود مثل هذه الحال حسب ديكرو و أنسكومبر هو الاستناد إلى اعتبارات متعلقة بطبيعة الوقائع الخارجية المستقلة عن النسق اللغوي اللساني.

4.الروابط و العوامل الحجاجية

إن الجملة عند ديكرو و أنسكومبر (أي المستوى الإعرابي و المعجمي) تتضمن وجهة حجاجية تحدد معناها قبل أي استعمال لها ، و لكن القول "الملفوظ" (أي استعمال الجملة في المقام) يفرض ضربا من النتائج دون غيرها و هذا يستلزم أن الملفوظ لا يصلح لأن يكون حجة لهذه النتيجة أو تلك إلا بموجب الوجهة الحجاجية المسجلة فيه و مأتى هذه الوجهة الحجاجية هو المكونات اللغوية المختلفة التي تحدد معناها و تضيق أو توسع من احتمالاتها الحجاجية، و هذه المكونات اللغوية "الروابط و العوامل" هي التي تحدد طرق الربط بين النتيجة و حجتها[2]

إن المتكلم حين يوجه ملفوظا حجاجيا - حين ينجز فعلا حجاجيا- فإنه يسم هذا الملفوظ وسما حجاجيا، و يجري هذا الوسم الحجاجي بتضمين الملفوظ مجموعة من العلاقات

---

[1] ينظر الحجاجيات اللسانية ص 233 .

[2] ينظر شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ص 376.

و الإشارات [مكونات لغوية] تحدد كيف ينبغي تأويله، و أي معنى يجب إسناده إليه، و تعتبر الروابط و العوامل أهم موضع ينعكس فيه التوجه الحجاجي[1].

إن الروابط و العوامل الحجاجية هي المؤشر الأساسي و البارز و هي الدليل القاطع على أن الحجاج له مؤشر في بنية اللغة نفسها.

1.4.الروابط الحجاجية Les connecteurs Argumentatives

1.1.4.مفهوم الرابط الحجاجي و وظيفته في الخطاب الحجاجي

يمثل الرابط الحجاجي مورفيما "وحدة مورفولوجية" تصل بين ملفوظين /قولين أو أكثر جرى سوقهما في إطار إستراتيجية واحدة.

إنه نوع من العناصر النحوية و الظروف (الواو، الفاء، لكن، إذن، حتى، لأن، بل، لاسيما، بما أن، إذ...إلخ) يقوم بالربط بين فعلين لغويين اثنين، و بالتالي فهو موصل تداولي يعمل على تفكيك مكونات الفعل اللغوي ليجعل منها أفعالا لغوية يحمل عليها و هي منفصلة بعضها عن بعض[2].

ولقد اقترح ديكرو وصفا جديدا لهذه الروابط و الأدوات بديلا عن الوصف التقليدي الذي يصف على سبيل المثال لا الحصر الأداة "puisque "بأنها تشير إلى أن "ب" يستلزم " أ " فقط، و يصف "Mais " بأنها تشير إلى التعارض القائم بين القضايا التي تربط بينها.

أما الوصف الحجاجي للرابط "puisque " هو كالتالي: يسلم المخاطب بـ"ب" ، و بالإحالة على استلزام "ب" لـ " أ " ، فإن عليه أن يقبل " أ " .

و بالنسبة للرابط "Mais " تميل إلى أن تستنتج من " أ" نتيجة ما، لا ينبغي القيام بذلك، لأن "ب"، و هي صحيحة مثل " أ "، تقترح النتيجة المضادة.

أما بالنسبة لـ " Même" فليس دورها في أن تضيف إلى المعلومة (جاء زيد) في القول (حتى جاء زيد) معلومة أخرى (مجيء زيد غير متوقع)، بل إن دور هذا الرابط يتمثل في إدراج حجة جديدة ، أقوى من الحجة المذكورة قبله، و الحجتان تخدمان نتيجة واحدة، لكن بدرجات متفاوتة من حيث القوة الحجاجية[3] .

---

[1] ينظر رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر و ديكرو، ص236.

[2] ينظر الحجاجيات اللسانية عند ديكرو و أنسكومبر ، ص234-235، و ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج، ص 28 .

[3] Ducrot, Les échelles Argumentatives, p15-16 نقلا عن اللغة و الحجاج،ص27

2.1.4.أنماط الروابط الحجاجية و معايير تصنيفها

تصنف الروابط الحجاجية وفق مجموعة من المعايير، يتتمثل أهمها فيما يلي[1]:

1.2.1.4.معيار وظيفة الرابط

يحدد هذا المعيار الروابط المدرجة للحجج و الروابط المدرجة للنتائج وذلك كما يلي:

-**الروابط المدرجة للحجج**:تتمثل وظيفة هذا الرابط في إيراد الحجة، و تمثلها المورفيمات: حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن.....إلخ

إن الرابط" حتى" في الملفوظ "قضاء العطلة في الجزائر شيء مغر، الجو فيها جميل، و فضلا عن مآثرها **فحتى** شواطئها رائعة" جاء مقترنا بالحجة " شواطئها جميلة".

-**الروابط المدرجة للنتائج**: تتمثل وظيفة هذا الرابط في إيراد النتيجة، و تمثلها المورفيمات إذن ، لهذا، و بالتالي.....إلخ.

إن الرابط " مع ذلك" في الملفوظ" أنا متأخر، **مع ذلك** سوف لن أركب الحافلة" جاء مقترنا بالنتيجة "سوف لن أركب الحافلة".

2.2.1.4. معيار العلاقة بين الحجج

يحدد هذا المعيار نمطين من الروابط استنادا إلى العلاقة بين الحجج ممثلة في الآتي:

-**روابط التعارض الحجاجي**: و هي مجموع الروابط التي تربط بين الحجج المتعارضة/المتعاندة و تمثلها المورفيمات: بل، لكن، مع ذلك...

إن الرابط " لكن" في الملفوظ "زيد ذكي **لكنه** مهمل" قد ربط بين حجتين متنافرتين "زيد ذكي" و " زيد مهمل".

-**روابط التساوق/التساند الحجاجي**: و هي الروابط التي تربط بين الحجج المتساندة و تمثلها المورفيمات: حتى، لا سيما..

إن الرابط "حتى" في الملفوظ " زيد يتقن السباحة و الرماية و **حتى** ركوب الخيل" قد ربط بين حجج متضافرة هي على التوالي: "يتقن السباحة"و "يتقن الرماية"و "يتقن ركوب الخيل".

---

[1] ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج، ص28 و ينظر رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر و ديكرو، ص236.

3.2.1.4.معيار عدد المتغيرات

و هي المتغيرات الحجاجية التي يربط بينها الرابط الحجاجي، و يكون هذا الأخير إما محمولا ذا موقعين أو ذا ثلاثة مواقع .

فأما الرابط ذو الموقعين فإن أهم ما يميزه هو أن المتغيرين اللذين يربط بينهما يؤديان وظيفة الحجة أو النتيجة، و لا يتوقفان على إدخال مكون ثالث في صورة مضمرة، ليلعب هذا الدور (دور الحجة أو النتيجة)، ومن أمثلة هذا النوع من الروابط: مادام، لأن، إذن في الأمثلة التالية: "أسرع، **مادمت** تريد الوصول باكرا"،" تمهل، **لأن** في السرعة مخاطر جمة"، الجو ممطر، **إذن** سأبقى في المترل".

و أما الرابط ذو ثلاثة مواقع فيمثله المثال الآتي:

قضاء العطلة في الجزائر شيء مغر، الجو فيها جميل، و فضلا عن مآثرها **فحتى** شواطئها رائعة.

2.4.العوامل الحجاجية Les Opérateurs argumentatives

أدرج ديكرو مفهوم العامل الحجاجي ، لأول مرة في مقاله المعنـون بـ" Note sur l'argumentation et l'acte d'argumenter " المنشور سنة1982، ثم فصل فيه القول بعد ذلك في مقاله المنشور سنة 1983 ، و الذي حمل عنوان: Opérateurs argumentatives et visée argumentative "[1] .

1.2.4.مفهوم العامل الحجاجي و وظيفته في الخطاب الحجاجي

إن العامل الحجاجي هو مورفيم إذا جرى تطبيقه في محتوى أو ملفوظ معين يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ.

و يقوم العامل الحجاجي بالربط بين وحدتين دلاليتين داخل الفعل اللغوي نفسه، فهو على هذا الأساس موصل قضوي، فالعامل يحمل على المكونات داخل الفعل اللغوي، فيبقى هذا الفعل ملتحما[2] .

إن العامل الحجاجي حسب ديكرو يكون داخل القول الواحد (يدخل على قضية واحدة)، و هو عبارة عن عناصر تدخل الإسناد مثل الحصر و النفي أو مكونات معجمية تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة مثل منذ الظرفية ، ربما، تقريبا ، على الأقل، كاد، قليلا، كثيرا....

---

[1] ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج، ص 28 .

[2] ينظر الراضي رشيد، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر و ديكرو، ص233-234.

إن العوامل الحجاجية لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة و نتيجة أو بين مجموعة حجج)، و لكنها تقوم بحصر و تقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما.

و لتوضيح مفهوم العامل الحجاجي نورد المثال الآتي:

- الساعة تشير إلى الثامنة

-لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة

عند إدخال العامل الحجاجي "لا ....إلا" على المثال الأول لم ينتج عن ذلك أي اختلاف بين المثالين بخصوص القيمة الإخبارية أو المحتوى الإعلامي ، و لكن الذي تأثر بهذا التعديل هو القيمة الحجاجية للقول ، أي الإمكانات الحجاجية التي يتيحها .

و يظهر ذلك جليا إذا أوردنا هذين القولين في نماذج من الأفعال الحجاجية:

م1: الساعة تشير إلى الثامنة، أسرع

م2: لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة، أسرع

إن القول الأول سليم و مقبول تماما ، أما القول الثاني فيبدو غريبا و يتطلب سياقا أكثر تعقيدا حتى يمكن تأويله ،و بعبارة أخرى فهو يتطلب مسارا تأويليا مختلفا.

إن المثال " الساعة تشير إلى الثامنة له إمكانات حجاجية كثيرة ، فقد يخدم هذا القول نتائج من قبيل الدعوة إلى الإسراع، التأخر و الاستبطاء موعد الأخبار ... فهو يخدم النتيجة "أسرع"، كما يخدم النتيجة المضادة لها: "لا تسرع"

لكن عند إدخال العامل الحجاجي "لا ...إلا" فإمكاناته الحجاجية تقلصت و أصبح الاستنتاج العادي و الممكن هو: لا داعي للإسراع/تريث"[1].

يمكن إذن صياغة نظرية خاصة بالعامل الحجاجي و مقتضاها ما يلي:

إذا كانت مجموعة "ج" من الملفوظات تشترك في المحتوى "ن" نفسه ، و مجموعة "جَ" من الملفوظات تشترك في المحتوى "نَ" نفسه ، بحيث : نَ= ن+ع ، حيث "ع" هو عامل حجاجي مثل: تقريبا، تماما، قليلا، كثيرا...، فإن "ع" يكون عاملا حجاجيا ، إذا كانت إمكانات الحجاج التي تتيحها "جَ" مختلفة عن تلك التي تتيحها "ج" من غير أن يكون ذلك بسبب المعلومات التي يضيفها "ع" أو بغض النظر عن قيمته الخبرية المجردة[2].

---

[1] ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج، ص29

[2] ينظر الحجاجيات اللسانية، ص233

2.2.4.دور العوامل الحجاجية في تحديد المعنى الحجاجي/القيمة الحجاجية

إن الذي يعتمد في بناء الخطاب و توالي الأقوال و تسلسل الجمل هو القيمة الحجاجية للملفوظ، ذلك أنها توجه الخطاب و تحدد المسار الذي ينبغي أن يسير فيه ، فبعض الملفوظات لها قيمة حجاجية هي في الواقع عكس قيمتها الإخبارية أي أن بينهما تناقضا أو تعارضا و يتعلق الأمر بالملفوظات المشتملة على بعض العوامل الحجاجية: كاد، تقريبا، ما...إلا، لا...إلا أو بعض الأفعال :أوشك، قرب... إلخ

هذه العوامل هي بمثابة قرائن لغوية تمثل توجيهات و تعليمات تحدد دلالة الملفوظ و وجهته الحجاجية و هذه الوجهة الحجاجية هي التي تمثل الأساس الذي يقوم عليه الربط بين الأقوال على نحو آخر ضمن استراتيجية حجاجية ما[1]، فالعامل الحجاجي يضاف إلى بعض الملفوظات ليتحكم في قوتها و وظيفتها الحجاجية.

و لا يتحدد معنى الملفوظ حسب ديكرو و لا يمكن وصفه بتاتا في استقلال عن المقام و الوظيفة القولية، فالتداول أو المقام مؤثر له في كل أجزاء المعنى.

وفيما يلي تحليل حجاجي لبعض الملفوظات لبيان دور العوامل في تحديد قيمتها الحجاجية:

1.2.2.4. الأسوار

إن الأسوار[2] (كل، جميع، كافة، عامة، بعض، قليل...إلخ) رغم ما تفيده من كلية و بعضية فإنها لا توجه الملفوظ إلا بفضل التعامل مع النفي و الإثبات .و يظهر ذلك من خلال التحليل الحجاجي للمثال الآتي:

أ- لم يقرأ زيد كل كتب الجاحظ

ب- لم يقرأ عمرو بعض كتب الجاحظ

---

[1] ينظر الحجاجيات اللسانية، ص380.

[2] السور هو الكلمة أو الكلمات التي تحدد كم القضية أو كيفها أو كمها وكيفها معا، ينظر، معجم مصطلحات المنطق و فلسفة العلوم ، ص116، يستعمله المناطقة للألفاظ التي تدل على الإحاطة الكلية أو الإحاطة الجزئية، و كلمة السور مأخوذة من سور البلد و هو الجدار الذي كان الناس يبنونه حول البلد للإحاطة بها و لحفظها من مداهمة العدو ، ينظر عبد الرحمن الميداني ،ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال و المناظرة، دار القلم ، دمشق،ط7 ،2004، ص72.

يرشدنا المحتوى الإخباري للملفوظين أن زيدا هو الذي قرأ مجموعة كبيرة من آثار الجاحظ خلافا لعمرو الذي لم يقرأ الكثير منها.

أما التحليل الحجاجي للجمل المنفية المسورة أعلاه فهو يعارض التأويل الدلالي للملفوظين نظرا لتفاعل النفي مع السور.

إن المثال "أ" موجه نحو نتيجة سلبية هي : زيد لا يعرف جيدا الجاحظ أما المثال "ب" فهو موجه نحو نتيجة إيجابية هي: عمرو يعرف الجاحظ.

و يعضد النتيجتين استئناف الكلام ب"بل" على سبيل الإضراب:

أ-1 لم يقرأ زيد كل كتب الجاحظ بل قرأ بعضها.

ب-1 لم يقرأ عمرو بعض كتب الجاحظ بل قرأها كلها[1].

2.2.2.4.الوحدة المعجمية " تقريبا"

إن الملفوظ المشتمل على عامل حجاجي من قبيل "تقريبا، "أوشك...على"،" كاد" يسلك من الناحية الحجاجية سلوك القول المثبت و تكون له نفس الوجهة الحجاجية التي له.

و لبيان مدى قدرة الوحدة المعجمية "تقريبا" في توجيه الملفوظات نحلل المثال الآتي تحليلا حجاجيا:

ج- أنهيت تقريبا

إن الملفوظ "ج " موجه نحو نتيجة هي "لن ينتظر الضيوف " وتوضح هذه النتيجة التناسب القائم بينها و بين الحجة.

كما أن الملفوظات التي تتضمن عاملا حجاجيا من نمط "لم....إلا"، "لا....إلا" ، تكون مماثلة للأقوال المنفية من حيث السلوك الحجاجي و الوجهة الحجاجية حسب ما يبينه المثال الآتي:

ج-1 لم أنته إلا الآن

فالملفوظ "ج-1" موجه نحو نتيجة هي "سينتظر الضيوف"[2].

---

[1] ينظر شكري المبخوت،نظرية الحجاج في اللغة، ص378-379.

[2] ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج، ص49.

5.المواضع/ المبادىء الحجاجية Les topis

لا يكفي لضمان سلامة العملية الحجاجية، و لقيام العلاقــة الحجاجيــة وجــود الــروابط و العوامل الحجاجية، بل لا بد من ضامن يضمن بين الحجة و النتيجة ، هذا الضامن هو ما يعــرف بالمواضع الحجاجية و هي بمنزلة الآليات التحتية التي تسمح بإنجاز النشــاط الحجــاجي في اللغــة، و ذلك من خلال العلاقة التي تنسجها مع العامل أو الرابط الحجاجي.

1.5.مفهوم الموضع الحجاجي

يمثل الموضع مبدأ حجاجيا عاما من المبادىء التي يستعملها المتخاطبون ضمنيا للحمــل علــى قبول نتيجة ما، و هو الأصل الذي تتفرع منه قضايا مشهورة، أو هو حكم كلي تتفرع منه أحكــام جزئية عديدة،و يمكن أن يشكل كل واحد من هذه الأحكام مقدمة لأحكام أخرى، و بالتالي، قد تتفرع عن أصل واحد فروع كثيرة فالمواضع هي الأساس الذي تقوم عليه المقدمات، و قد تكون هي نفسها مقدمات[1].

و تقابل المواضع مسلمات الاستنتاج المنطقي في المنطق الصوري أو الرياضــي،غير أن هــذه الطبيعة العامة للموضع الحجاجي لا تعني أن له علاقة بقواعد الاستنباط الطبيعي أو بالقياس المنطقي ، ففي هذين الشكلين الاستدلاليين يكون الانتقال إلى النتيجة أمرا لزوميا تفرضه الصورة الاســتدلالية الصحيحة التي يقومان عليها ، أما في الحجاج فإن الانتقال من المقدمات إلى النتائج يستند إلى المواضع ، و المواضع لا تستمد مقبوليتها من صورتها الاستدلالية، و إنما من ارتباطها بالآراء المشتركة العامة[2] .

و لقد افترض ديكرو أن المواضع « مجموعة صغرى لها بنية دلالية مخصوصة » و يصوغها على النحو الآتي: « إذا تمت الاستجابة لبعض الشروط ش فإنه كلما كانت الميزة **م** "أكثــر" /"أقــل" في شيء "**ي**" كانت الميزة "**مَ**" أكثر" /" أقل " في شيء "يَ" و ذلك في منطقة قوة "**م**»[3] .

---

[1] ينظر حسان الباهي، الحوار و منهجية التفكير النقدي، ص 135.

[2] الحجاجيات اللسانية، ص237.

[3] Ducrot opérateurs argumentatifs et visée argumentative, cahiers de linguistique fraincaise, 1989,p13 نقلا عن شكري المبخوت، نظرية الحجــاج في اللغــة، ص380.

أما أنسكومبر فقد قدم تعريفا لهذا المصطلح من خلال تحديد خصائصه:

- إن العلاقة الحجاجية تتطلب موضعا بين الحجة و النتيجة .

- إن للمواضع أشكالا تتحدد ب "أكثر" و "أقل" ضمن منطقة قوة محددة.

- إن أشكال المواضع من خلال التأليف بين " أكثر" و رمزه (+) و " أقل" و رمزه (–) أربعة هي (+، +) و (+، –) و (–، +) و (–، –).

فالموضع قاعدة عامة تمكن من إنجاز نشاط حجاجي جزئي

و يوضح مفهوم الموضع المثال الآتي:

م1 – لن تربح ، ثمن هذا الحذاء ثلاثون دينارا.

م2 – ستربح ثمن هذا الحذاء ثلاثون دينارا.

م3 – لن تربح ما ثمن هذا الحذاء إلا ثلاثون دينارا.

م4 – ستربح ما ثمن هذا الحذاء إلا ثلاثون دينارا.

حسب مفهوم الموضع تنطبق على هذه الملفوظات ثلاثة أشكال من المواضع هي:

-الشكل (+، –): كلما كان ثمن الشيء أرفع كان شراؤه أقل ربحا ،و ينطبق على الملفوظ م1.

-الشكل (–، +): كلما كان ثمن الشيء أقل ارتفاعا كان شراؤه أنفع، و ينطبق عل الملفوظين م2 و م4.

-الشكل (–، –): كلما كان ثمن الشيء أقل ارتفاعا كان شراؤه أقل ربحا و ينطبق على الملفوظ غير السائغ م3.

و حسب التعريف الذي قدمه ديكرو فإن "م" هو الارتفاع و "مَ" هو الربح ، أما "ي" فهو ثمن الحذاء و "يَ" هو الشراء.

إن الأمثلة السابقة لا ينطبق عليها موضع آخر هو (+،+) و صياغته: كلما كان ثمن الشيء أرفع كان شراؤه أنفع و هو موضع شأن الموضع الثالث في الملفوظ (م3)، إذ يؤدس إلى ربط غير سائغ[1] .

[1] ينظر شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ص381.

2.5.خصائص المواضع الحجاجية

تعد المواضع قواعد عامة تجعل حجاجا ما ممكنا، و لها خصائص عديدة نذكر منها ما يلي:

– مجموعة من المعتقدات و الأفكار:

تعد المواضع مجموعة من المعتقدات و الأفكار المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشرية و لغوية معينة، و الكل يسلم بصدقها و صحتها ، فالكل يعتقد أن العمل يؤدي إلى النجاح، و أن التعب يستدعي الراحة و أن، الصدق و الكرم و الشجاعة من القيم النبيلة و المحببة لدى الجميع، و التي تجعل المتصف بها في أعلى مراتب الاجتماعية ، و الكل يقبل أيضا أن انخفاض ميزان الحرارة يجعل سقوط المطر محتملا .

إن بعض هذه المبادىء الحجاجية يرتبط بمجال القيم و الأخلاق ، و بعضها الآخر يرتبط بالطبيعة و معرفة العالم[1]. و تتميز المواضع بجموعة من الخصائص أذكر منها:

– العمومية:

تصلح المواضع لعدد كبير من السياقات المختلفة و المتنوعة، إذ أنها ترتبط بالرأي العام المشترك، ذلك أنها أفكار مجردة و عامة تشكل منابع ينهل منها المتكلم ليقوي حججه.

– التدرجية :

لقد قام ديكرو و أنسكومبر بإجراء الخاصية الأساسية للحجاج ، و هي خاصية التدرج "السلمية" على الآلية القاعدية التي تتحكم في الموضع؛ فالموضع الحجاجي يتميز عن الموضع القياسي بخاصيته التدرجية ، فهو عبارة عن علاقة تربط بين موضوع و محمول و هذا الربط يراعي السلمية التي تميز اتصاف الموضوعات بالمحمولات[2]، إنها خاصية تقيم علاقة بين محمولين تدريجيين أو بين سلمين حجاجيين[3] و يوضح خاصية التدرج المثال الآتي:

هذه السيارة ثمنها منخفض، فهي إذن تستحق الشراء "**م**"

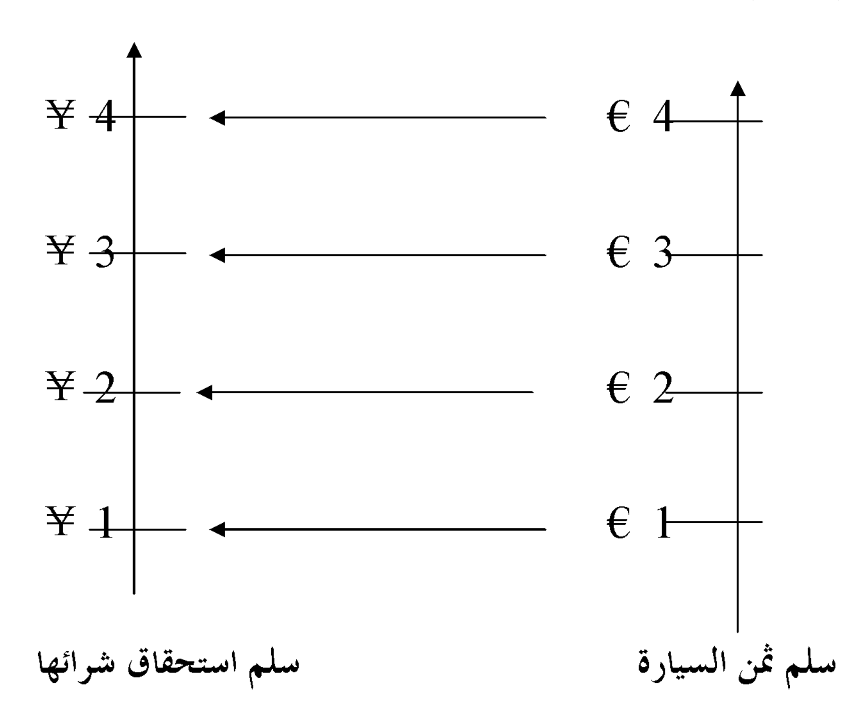
إن الملفوظ الحجاجي "م" يتحكم فيه الموضع التالي "على قدر ما يكون ثمن السيارة منخفضا، على قدر ما تستحق الشراء"، و هذا الموضع يربط بين سلمين ، سلم ثمن السيارة ، و سلم ثمن

[1] ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج، ص33.

[2] ينظر الحجاجيات اللسانية، ص237

[3] ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج، ص 31

الشراء ، وذلك عبر وصل كل درجة من السلم الأول بدرجة من السلم الثاني ،حسب ما تبينه الترسيمة الآتية:



حيث "€" وحدة قياسية في سلم ثمن السيارة و "¥" وحدة قياسية في سلم استحقاق السيارة للشراء.

- **النسبية:**

إلى جانب السياقات التي يتم فيها تشغيل موضع حجاجي ما ، هناك إمكان إبطاله و رفض تطبيقه باعتباره غير وارد و غير ملائم للسياق المقصود، أو يتم إبطاله باعتماد موضع حجاجي آخر مناقض له، فالعمل يؤدي إلى النجاح و لكنه قد يؤدي إلى الفشل في سياق آخر إذا زاد عن الحد المطلوب و إذا نظر إليه على أنه تعب و إرهاق و إهدار للطاقة، ذلك أنه من الممكن أن ينطلق استدلالان من نفس المقدمات و أن يعتمدا نفس الروابط و العوامل، و مع ذلك يصلان إلى نتائج مختلفة، بل متضادة،و لن يفسر هذا إلا باعتماد مواضع حجاجية تنتمي إلى إيديولوجيات متعارضة [1].

[1] ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج، ص31.

إن دحض/ إبطال الموضع يتم بإضفاء النسبية على قيمته و ذلك بمواجهته بموضع آخر يدعى أنه أقوى منه أو بمناقضته عن طريق مواجهته بالموضع النقيض له، كما يكون الدحض عن طريـــق الاعتـــراض علـــى المناســـبة و الاعتـــراض علـــى تطبيـــق الموضـــع في حالـــة مخصوصـــة[1].

[1] ينظر الحجاجيات اللسانية، ص239.

الفصل السادس

الحجـــاج في الفكــــر العــــربي المعاصــــر

تمهيد

قادت اجتهادات الغربيين في مجال الحجاج، في منتصف القرن الماضي المفكرين العرب إلى بناء موقف حول هذا الدرس الجديد بالنسبة إليهم و الضارب في أعماق تراثهم في الوقت نفسه، كما منحتهم الفرصة في إدراج مبحث الحجاج في منطقة تفكيرهم.

فانبنت بذلك مجموعة من الأعمال العربية ؛ بعضها قام على المزاوجة بين العربي القديم و الغربي الحديث ، و بعضها الآخر اهتم بتعريف أهم النظريات الغربية المعاصرة من طريق الترجمة لأهم مصادر هذا المبحث، و بعضها حاول الكشف عن جذور هذا الدرس في الثقافة العربية الإسلامية، و بعضها الآخر قام على استثمار النظريات الغربية الخالصة في معالجة بعض النصوص الخطابية الماثلة في القرآن الكريم و الشعر العربي.

و يبقى المتتبع للدراسات العربية في مجال الحجاج يسجل قلة عناية الفكر العربي بهذا المبحث و حدودية كم الدراسات المنجزة في هذا الحقل ، و إن كان هذا القليل يبلغ من الجودة مراتب معتبرة، يكفي شاهدا على ذلك أعمال ثلة من الباحثين في المغرب العربي الكبير[1]، و الذين ينقصهم العمل المشترك في بناء عمل حجاجي عربي يمكنه أن يبلغ شأوا عظيما في الفكر العالمي.

ويرجع اهتمام الباحثين في المغرب العربي بالدرس الحجاجي دون غيرهم في المشرق العربي إلى اتصالهم المباشر بأهم أعلام هذا الحقل في الغرب، كما سأبين في بعض مباحث هذا الفصل.

هذا و يمكن القول إن موضوع الحجاج في الدراسات العربية المعاصرة قد غدا علما قائما بذاته، ومؤطرا بجملة من النظريات المعرفية التي تضبط أوجه استعمالاته في المجالات المختلفة، ولاشك أنه قد تفاعل مع الأبحاث المعاصرة التي تم إنجازها في علوم اللغة والمنطق والفلسفة الغربية و العربية.

و في ما يلي عرض لأهم ما قدمته مجموعة من العباقرة من دراسات و ترجمات أنارت درب الباحثين في الدرس الحجاجي المعاصر.

[1] أذكر على سبيل المثال لا الحصر العلامة المغربي طه عبد الرحمن، و الدكتور حمو النقاري،و الدكتور رشيد الراضي و فريق البحث التونسي بجامعة منوبة و اللساني الدكتور أبو بكر العزاوي ود. محمد سالم محمد الأمين الطلبة و غيرهم.

1. الحجاج في الدرس الفلسفي

يرتبط الدرس الفلسفي العربي المعاصر ارتباطا وثيقا بالفيلسوف المغربي طه عبـــد الـــرحمن[1] و لا يذكر هذا الأخير و إلا و ذكرت الفلسفة و المنطـــق؛ إذ عُـــرِف عـــن الأســـتاذ اشـــتغاله بالتداوليات والمنطق وهما عِلمان يُعد المشتغلون بهما (دون الحديث عن الإبـــداع) علـــى رؤوس الأصابع في العالم العربي بل ويندر أن تجد من يلتزم بمقتضاهما من المؤلفين الكبار علـــى خطـــورة شأنهما؛ خاصة وأنهما عِلمان موضوعهما "أداة" كل معرفة ممكنة[2] .

إن الأستاذ "طه عبد الرحمن" هو الاسم اللامع في مجال التداوليات و الحجـــاج و فلســـفة اللـــغة العادية و منطق اللغة و المنطق الطبيعي، ليس في المغرب العربي وحده بل في العالم العـــربي بشكل عام.

و تمثل أعماله "**في أصول الحوار و تجديد علم الكلام"1987** و" **تجديد المنـــهج في تقـــويم التراث** "1994 و"**العمل الديني وتجديـــد العقـــل**"1989 و"**فقـــه الفلســـفة1**"1995 و"**اللســـان والميزان**"1998 و"**فقه الفلسفة2**"1999و " **الحق العربي في الاختلاف الفلسفي**"2002 و "**ســـؤال الأخلاق**"2000 و غيرها، مشروعا ليقظة فلسفية عميقة تتوسل بالتكامل المنهاجي الواصل بـــين

[1] طه عبد الرحمن ولد عام 1944 بـــالجديدة في المغرب، فيلسوف مغربي معاصر، متخصـــص في المنطـــق وفلسفة اللغة والأخلاق. تتميز ممارسته الفلسفية بالجمع بين التحليل المنطقي والتشقيق اللغوي والارتكاز إلى إمدادات التجربة الصوفية، وذلك في إطار العمل على إبداع مفاهيم موصولة بـــالتراث العـــربي-الإســـلامي ومستندة إلى أهم مكتسبات الفكر الغربي المعاصر على مستوى نظريات الخطاب والمنطق الحجاجي وفلســـفة الأخلاق، الأمر الذي جعله يأتي بطريقة في التفلسف يغلب عليها التوجه التداولي والأخلاقي. ويعد طه عبـــد الرحمن أحد أبرز الفلاسفة والمفكرين في العالم العربي و الإسلامي منذ بداية السبعينات من القرن الماضي.نال دكتوراه السلك الثالث عام 1972 برسالة في موضوع اللغة والفلسفة: رسالة في البنيات اللغويـــة لمبحـــث الوجود، ثم دكتوراه الدولة عام 1985 عن أطروحته رسالة في الاستدلال الحِجَاجي والطبيعي ونماذجه.

درّس المنطق و فلسفة اللغة في جامعة محمد الخامس بـــالرباط منذ 1970 إلى حين تقاعده 2005. وهو عضو في الجمعية العالمية للدراسات الحِجَاجية وممثلها في المغرب، وعضو في المركز الأوروبي للحِجَاج، وهـــو رئيس منتدى الحكمة للمفكرين والباحثين بـــ المغرب. حصل على جائزة المغرب للكتاب مرتين، ثم علـــى جائزة الإسيسكو في الفكر الإسلامي والفلسفة عام 2006.(ينظر وكيبيديا، الموســـوعة العالميـــة الحـــرة، http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B7%D9%87_%D8%B9%D8%A8

[2] ينظر محمد الهداج، طه عبد الرحمن و المهام العالقة، موقع الشهاب للإعلام http://www.chihab.net/modules.php?

الفلسفة و باقي العلوم و بين الفلسفة و مجالها التداولي الذي تريد أن تحيى فيه ، و بين الفلسفة و السلوك الأخلاقي للمتفلسف نفسه . أما المعالم الكبرى لهذا المشروع فتتمثل في: -مقومات منهج النظر إلى التراث، - أسس الحوار مع الغير، - نقل الحداثة، - وصل الفكر بمحيطه التداولي، - وصل الفكر بالأخلاق - مقومات منهج النظر في التراث[1].

أما مفهومه لطبيعة الحجاج و آلياته فأقدمه من خلال العرض الآتي لمصنفيه: "**في أصول الحوار و علم الكلام**"و "**اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي**"، حيث حاول من خلالهما إيجاد رابط منطقي لغوي طوعه في سبك نظرية حجاجية تأخذ بقوة المنطق و سلاسة اللغة.

1.1 في أصول الحوار و تجديد علم الكلام

يحدد الأستاذ طه عبد الرحمن في كتابه "في أصول الحوار و تجديد علم الكلام" موضوع بحثه ومنهجه و يضع تعاريف موجزة بما توسل به من معارف وحدودا دواعي استعمالها ، وقد حدد هدفه في أن يكون الكتاب تمهيدا لممارسة علمية باللسان العربي في ميدان تحليل الخطاب، كما أشار إلى أن أكثر استفادته في بحثه كانت من قسم التداوليات في أبوابه الثلاثة : باب "أغراض الكلام" وباب "مقاصد المتكلمين" وباب "قواعد التخاطب"[2].

أما الحجاج فيعرفه في الصفحة 65 بقوله:« وحد الحجاج أنه فعالية تداولية جدلية فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي و اجتماعي و هو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية ».

و يختلف هذا المنهج الاستدلالي "**الحجاج**" باختلاف مراتب السلوك التخاطبي للإنسان حيث جعل الستاذ طه عبد الرحمن مراتب ثلاث هي: "الحوار" و المحاورة" و " التحاور"، و هي مراتب تناسب تصنيفا ثلاثيا للنظريات المتداولة في مجال التحليل الخطابي و التي سماها على التوالي: "النظرية العرضية" و "النظرية الاعتراضية" و النظرية "التعارضية".

فأما مرتبة الحوار و النظرية العرضية للحوارية، فإن العارض ينتهج في عرضه مناهج **الاستدلال البرهاني**، و يتميز هذا الأخير بخصائص صورية من تجريد و تدقيق و ترتيب و من بسط للقواعد و تمايز للمستويات و استيفاء للشروط و استقصاء للعناصر[3].

[1] ينظر حسن عبيدو، النظر التأصيلي و الأفق الإبداعي عند طه عبد الرحمن، الحوار المتمدن. www.ahewar.org/debat/show.art.asp?

[2] ينظر محمد الهداج، طه عبد الرحمن و المهام العالقة، (مرجع مذكور)

[3] ينظر طه عبد الرحمن، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، ص41.

و أما مرتبة المحاورة و النظرية الاعتراضية للحوارية، فإن المحاور يستند إلى المنهج الاستدلالي "**الحجاج**" و هو نموذج ينتمي إلى المجال التداولي، كأن يطوي المحاور الكثير من المقدمات و النتائج، و يفهم من قوله أمور غير تلك التي نطق بها، و كأن يذكر دليلا صحيحا على قوله من غير أن يقصد التدليل به، و أن يسوق الدليل على قضية بديهية أو مشهورة هي في غنى عن دليل للتسليم بها. و يرى أن هذا المنهج هو سبيل احتجاجي لا برهاني يقيّد فيه المقامُ التراكيبَ و يرجّح فيه العمل على النظر[1].

و أما مرتبة التحاور و النظرية التعارضية للحوارية، فإن المتحاور يعتمد منهجا استدلاليا هو "**التحاج**"، و تتمثل طرقه في أن يثبت المتحاور قولا من أقاويله بدليل ثم يعود ليثبته بدليل أقوى، و أن يثبت قوله بدليل ثم ينتقل لإثبات نقيضه بدليل آخر و أن يثبت قولا بدليل و يثبت نقيضه بعين الدليل[2].

و يذكر الباحث في خاتمة كتابه أن همه كان "الحفر" لا "الحشر" و "التحقيق" لا " التلفيق" و "التقييد" لا التسييب"، و أنه أنشأ نموذجا نظريا للحوارية يبدو صالحا لتصنيف الخطاب و وصفه و أنه اختار لتحقيق ركن المحاورة أصلا من أصول التراث الإسلامي، و هو علم المناظرة و أنه استخرج معالمه الرئيسة، و ما يتصل به من بنيات استدلالية و علاقات منطقية.

2.1 اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي

يعد "اللسان و الميزان" كتابا من الكتب الهامة في مجال التداوليات؛ لأنه يعرض لكثير من الأعمال التي لها أثر كبير في تحليل الخطاب وتداوله، رابطا ذلك بأعمال تراثية هامة كانت ذات أسبقية في الوجود، ولكنها لم تستثمر إلا على ضوء نظريات حديثة.

و قد استطاع مؤلفه أن يبلور نظرية عربية الوجه و اليد و اللسان، ومن المؤكد أنه احتاج إلى كد ذهن وعصر فكر و التشبع بقدر كاف من العلم، ثم النظر بمنظار دقيق[3].

أما هدف التأليف فهو تجديد الصلة بالتقليد العربي الأصيل في الاعتناء بعلوم الآلة أو علوم الوسائل، و قد آثر المؤلف التأليف المنطقي الاجتهادي على التأليف المنطقي المدرسي يقول: « فقد جمعنا في هذا الكتاب أبحاثا منطقية لسانية...؛ إذ سعينا إلى أن نجيء فيها بشكل أو بآخر بما لا

[1] ينظر في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، ص46.

[2] المرجع نفسه، ص51.

[3] ينظر محمد الهداج، طه عبد الرحمن و المهام العالقة، (مرجع مذكور)

نكون معه مقلدين ولا ناقلين ولا شارحين، بين اختراع لمفاهيم ،وتوليد لمصطلحات وبيان لفروق وإنشاء لدعاوى وصوغ لمبادئ ووضع لقواعد وترتيب لقوانين وتدليل على مسائل واستخلاص لنتائج وتصحيح لآراء وإيراد لشبه، وقس على ذلك نظائره»[1].

إن "**اللسان و الميزان**" عمل تتداخل فيه معارف و وسائل مختلفة: منطقية و لسانية و رياضية و بلاغية و أصولية و فلسفية، و مؤلفه يقف وقفة خاصة على هذا التداخل؛ و يورد نتائج علمية، أهمها أن "**الدليل**" هو الأصل الجامع بين هذه العلوم.

ويرى صاحب الكتاب أن "**الحجاج**" عبارة عن فعل تكلمي لغوي مركب أو مؤلف من أفعال تكلمية فرعية و موجه إلى إثبات أو إبطال دعوى معينة[2] و أن كل حجة خطابية ترد في سياق حواري معين ينبغي على المتلقي استحضارها للتعرف على بنيتها و التمكن من تقويمها[3].

ولقد عقد الفيلسوف العربي "طه عبد الرحمن" في كتابه بابا سماه "**الخطاب و الحجاج**" لتفصيل ذلك ، ينضوي على مدخل و أربعة فصول تطبيقية.

وجعل مدار هذا الباب وفصوله على التدليل على دعاوى التكوثر الثلاث وهي: أن الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته: الخطابية، والحجاجية، والمجازية. ثم بين كيف أن هذه الدعاوى ترتبط ببعضها البعض مؤكدا أن الكلام أصل كل تواصل، وأن كل وسيلة تواصل أخرى هي موضوعة على قانونه ومفهومة على مقتضاه[4]. **أما في الفصل الثاني من هذا الباب**، فتحدث عن "**نماذج التواصل وأنواع الحجج**"، و وجد أن "**التواصل و الحجة**" ينطوي كل لفظ منهما على معان ثلاثة، فللتواصل معاني الوصل والإيصال والاتصال، وللحجة معاني التجريدية و التوجيهية و التقويمية. ، ثم بسط الحديث في كل نموذج من نماذج الحجة، من ناحية الخصائص و الأصول.

و أما الفصل الثالث فعنونه "**مراتب الحجاج و قياس التمثيل**" ذلك أن كل صنف من الحجج السابق ذكرها له مراتب معينة وهذه المراتب ترتبط مع بعضها البعض بقوانين مخصوصة، و قد عرض فيه أبرز الباحثين الذين عالجوا هذا الدرس، ثم بين الأسس العامة لنظرية مراتب الحجاج، مركزا على المراتب الموجهة توجيها قصديا؛ لأنها تهتم أساسا بالمركبات أو الأقوال،

---

[1] طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان، ص18

[2] اللسان و الميزان، ص262.

[3] المرجع نفسه، ص270.

[4] المرجع نفسه، ص213

معرفا بالسلم الحجاجي و مبينا لشروطه، و قوانينه، ثم قابل بين السلم الحجاجي و القياس التمثيلي لدى الأصوليين في استخراج الأحكام الشرعية. مؤكداً نتيجة هامة وهي أنه يجب البحث عند الأصوليين بما يفيد في تحليل الخطاب، بل يمكن أن تنشأ نظرية صالحة لمقاربة الخطاب الطبيعي.

وفي الفصل الرابع الموسوم: "**الاستعارة بين الحساب و الحجاج**" أكد الباحث أن الأسلوب الاستعاري من أقدر الأساليب التعبيرية على إمداد الخطاب بقوة التفرع و التكاثر، وقد ظفر بالمعالم الأولى عند عبد القاهر الجرجاني في مفهوم الادعاء ومبادئه، وكذلك في مفهوم التعارض.

أما الفصل الثالث من الباب الثالث "**طبيعة الاستدلال في النص الخلدوني**" ؛ فقد بين نماذج من التراث اللغوي المنطقي، و مظاهر الاستدلال الحجاجي الطبيعي و التداولي في النص الخلدوني.

2.الحجاج في الدرس النقدي

شهد أواخر القرن الماضي ظهورا لدراسات عربية وظفت البلاغة القديمة و اللسانيات المعاصرة في تحليل بعض الأجناس أو المفاهيم الأدبية: كالشعر و الصورة و الخيال...إلخ ، فضلا عن التعريف ببعض المقولات البلاغية الحجاجية، و اشتهر في هذا المجال علَمان من أعلام النقد المعاصر في الوطن العربي هما الدكتور صلاح فضل و الدكتور محمد مفتاح. اللذان بحثا في القضايا البلاغية الحجاجية بحثا جادا، و حاولا أن يقرِّبا مفاهيمها و آليات تطبيقها إلى القارىء العربي. و فيما يلي قراءة لأهم مصنفاتهما في هذا المجال:

1.2 البلاغة الحجاجية عند صلاح فضل

الدكتور صلاح فضل[1].مفكر و ناقد عربي مخضرم الثقافة، جمع إلى إطلاعه الواسع على حركتي النقد و الفكر العالميتين، ثقافة عربية أصيلة و خبرة بالتراث العربي، و تشهد على ذلك مصنفاته و آراؤه و إحالاته المتعددة المتنوعة إلى القديم و الحديث و المعاصر في الثقافتين العربية و العالمية[2].

[1] صلاح فضل من مواليد مصر 1938، حصل على دكتوراه الدولة من جامعة مدريد بإسبانيا1971، اشترك في تأسيس مجلة فصول للنقد الأدبي و عمل نائبا لرئيس تحريرها، له مؤلفات و ترجمات عديدة في الأدب و النقد منها:- نظرية البنائية في النقد الأدبي،- منهج الواقعية في الإبداع الأدبي،- تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلاهية لدانتي، - علم الأسلوب مبادؤه و إجراءاته ، - إنتاج الدلالة الأدبية.

[2] ينظر محمد السالم محمد الأمين الطلبة،الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص221.

و لقد توِّجت دراساته بكتاب "**بلاغة الخطاب و علم النص**" 1992، الـــذي يعـــد أول دراسة نقدية عربية موسعة تَعرِض للقارىء العربي أهم آراء البلاغيين المعاصرين بصـــفة عامـــة ، و بلاغة الحجاج و أبرز ممثليها بصفة خاصة.

لقد قدَّم في هذا الكتاب قراءة واعية و صورة جلية من مختلف الزوايا للبلاغـــة المعاصـــرة و اتجاهاتها عامة و الحجاجي منها خاصة، حيث جاء مفهوم (الحجاج) و آراء رواده مبثوثـــا في ثنايا الكتاب، أي غير معروضة فقط تحت عنوان واحد، و لعل ذلك راجع إلى تشعب المجـــالات التي تساهم فيها بلاغة الحجاج، فكان أن عرض للقارىء كل تصور في سياقه الخاص.و في ذلك فوائد متعددة لعل أهمها معرفة تطور هذا المفهوم خاصة، و المفاهيم و الأشكال البلاغية عامة، ثم طبيعة علاقتها بالحقول المجاورة لها و كذا البعيدة منها[1]

وقد عقد الدكتور صلاح فضل مبحثا معنونا "بلاغة البرهان" ضمن الفصل الثاني الموســـوم "بلاغة الخطاب" من مصنفه المذكور أعلاه.قدم من خلاله أهم الأفكار التي عرضـــها أصـــحاب النظرية الحجاجية خاصة منهم كما يقول البولوني الأصل البلجيكي المقام "بيرلمان"، و بيَّن في الوقت نفسه روافد النظرية الحجاجية المعرفية و أدوارها الفنية. و يرى (الدكتور صلاح فضـــل) أن التيار الحجاجي يعبر عن غايات فنية اجتماعية و ثقافية، و ذلك من حيث الآليات التي بهـــا يُدفع المخاطَبون إلى تحقيقها و إنجازها و هذا ما جعل ظلاله النفعية حاضرة بنسب متفاوتـــة في المنهجين البنيوي و التداولي.

أما عن أبرز الإضافات التي قدمها الدكتور صلاح فضل في تناولـــه للبلاغـــتين المعاصـــرة و الحجاجية؛ تمييزه أولا بين البحث البلاغي و الأسلوبي، و ثانيا توسيعه لدائرة البلاغة المعاصـــرة لتشمل إلى جانب الأصول القديمة قضايا علمية كالذكاء الاصطناعي و علمي النفس و الاجتماع المعرفيين[2].

كما وقف عند موقع الاستعارة بين الدلالة و مؤثرات السياق، و تناول الدور الفعال الذي أصبحت تضطلع به (الاستعارة) يقول: « [من الضروري أن نضع بنية الاستعارة] فوق خلفيـــة فنون المحاكاة من جانب، و فنون البرهان المقنع من جانب آخر»[3] .

---

[1] ينظر محمد السالم محمد الأمين الطلبة،الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 242

[2] ينظر المرجع نفسه، ص234.

[3] صلاح فضل ، بلاغة الخطاب و علم النص، ص151-152

لقد بيَّن الدكتور صلاح فضل خصائص الاستعارة المتعددة من حيث البنية و السياق و الدلالات و التي منحتها أدوارا حجاجية. ذلك أن جوانبها (الاستعارة) التحفيزية و بنيتها المزدوجة يُتيحان لها الحضور بفعالية داخل الأنواع و الأجناس الأدبية المختلفة، فهي لا تعترف بحدود الأجناس ، لكنها تأخذ في كل خطاب شكلا و بنية معينين تبعا للسياق بمختلف أنواعه.

و يرى د.صلاح فضل أن عملية الإنتاج (الإبداع) مؤسسة على منطق حجاجي، و أن عملية إعادة الإنتاج(القراءة) لا بد أن تمر في عودتها بالخطوات نفسها و توظف المنطق نفسه.

2.2 المعنى الحجاجي للتأويل عند محمد مفتاح

يعد الدكتور محمد مفتاح[1] من الجيل الأول من النقاد المعاصرين الذين توفرت لديهم ثقافة واسعة و متنوعة من مختلف ميادين الدراسة الإنسانية.

هذا الرصيد الثقافي المتنوع و الرؤية النقدية المستقبلية جعلاه يتبنى مشروعا نقديا حضاريا سعى من خلاله لدراسة الثقافة العربية في تفاعلها مع الآخر. و ينقسم المشروع إلى مرحلتين هما: المرحلة البلاغية التأويلية، و مرحلة التناص و المثاقفة[2].

و لقد تبنى د.محمد مفتاح "**التأويل**" منهجا لمشروعه النقدي المعرفي الذي يرمي من خلاله إلى إعادة قراءة التراث العربي و بعثه من جديد.إذ تتناولُ أبواب الكتاب " **التلقي و التأويل**" قضايا تأويلية في بعض كتب التراث ذات الطبيعة الكلامية الأصولية؛و قد هيمن على عمله مُثلث: التواصل و الحجاج و النفعية.

و يرى د.محمد مفتاح في كتابه (التلقي و التأويل) أن التأويل فعل حضاري و ممارسة فكرية بالغة العمق و التعقيد يوظف فيها المؤوِل كل ما أمكنه و ما لم يمكنه، إنه فعل حجاجي و آلية منهجية حجاجية تداولية ، ذلك أنه بلاغة و صناعة واعية و مقصودة للتاريخ و للأفعال المغيرة لمجراه و حركته[3].

كما نبَّه د.محمد مفتاح في كتابه إلى أن المفكرين العرب القدامى قد اهتموا بالقوانين الضابطة للتأويل بحسب ما يستقبله الذوق العربي ، كما حدد القدامى شروط قواعد الخطاب

---

[1] من أهم أعماله: مجهول البيان 1986، التلقي و التأويل 1994، التشابه و الاختلاف 1996، المفاهيم معالم 1998، مشكاة المفاهيم 2000.

[2] ينظر محمد السالم محمد الأمين الطلبة ،الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص244 .

[3] ينظر محمد مفتاح، التلقي و التأويل، مقاربة نسقية، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994، ص218.

المؤَّول و وضعية المؤول و مكانة و طبيعة المؤول له. ثم علاقة هؤلاء الأطراف الثلاثة بمقتضيات الأحوال و بالسلطة الثقافية السائدة.

و يرى أن النقاشات التراثية كانت في معظمها محكومة برؤية بلاغية و أن البلاغة عنده أنشئت لتقوم بوظائف أهمها: التواصل و الإقناع و الإمتاع. و هذه الوظائف و الغايات علاقتها وثيقة بالحجاج. ومن خلال التفصيل في هذه الوظائف؛ بيَّن مدى الدور الذي كانت تضطلع به حجاجية التأويل و الفهم و بلاغتهما في التاريخ الثقافي للأمة الإسلامية[1].

3. الحجاج في الدرس البلاغي

يعد محمد العمري[2] أبرز بلاغي عربي يظهر عنده الاهتمام بمقولات البلاغة المعاصرة عامة و الحجاجية خاصة، سواء من خلال دراسته المبكرة حول بعض مظاهر الإقناع في الخطابة العربية القديمة، أو من خلال ترجماته المتعددة لبعض رواد هذا التيار[3] ، أو اهتماماته الطموحة لإعادة رسم خارطة عامة للبلاغة العربية القديمة: روافدها، اتجاهاتها، امتداداتها، خصائصها الصوتية و النحوية و المنطقية[4].

و تمثل هذه الدراسات و الترجمات مشروعا علميا جريئا، تفتح أفقا جديدا للدراسات البلاغية و النقدية، و تكشف عمَّا يتميز به صاحبه من تشبع بالتراث و تحكُّم في النظريات و المناهج الغربية و تشرُّب من مقولات الدرس اللساني و البلاغي المعاصرين.

كما يوضح المشروع مدى تحاور التراثين العربي و الغربي، و الانتباه المبكر إلى دور الحجاج في قراءة النصوص البلاغية و الخطابية.

---

[1] ينظر محمد السالم محمد الأمين الطلبة ،الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص246.

[2] الدكتور محمد العمري من مواليد 1945 بسكورة، جنوب المغرب، حصل على دبلوم الدراسات العليا سنة 1981 و دكتوراه الدولة سنة 1989 من جامعة محمد الخامس بالرباط حيث يعمل أستاذا للبلاغة و النقد الأدبي، كما يشغل منصب مدير مجلة " دراسات أدبية و لسانية" و مجلة " دراسات سيميائية". شارك في الكثير من الندوات و اللقاءات الثقافية في المغرب و العالم العربي. نال العديد من الجوائز التقديرية أذكر منها جائزة المغرب الكبرى للكتاب سنة 1990 و جائزة الملك فيصل العالمية سنة 2007.

[3] ترجماته المتعددة لجان كوهين 1986،هنريش بليت 1989،فاركا كبيدي 1992، مارسيلو داسكال 1997.

[4] ينظر محمد السالم محمد الأمين الطلبة،الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص287.

يتألف المشروع العلمي الموسوم: "**بين المأمول والمتاح**" من دراسات وأبحاث وترجمات، بعضها يعتبر قراءة نسقية جديدة للتراث البلاغي العربي "البلاغة العربية،أصولها وامتداداتها" (1999)، وبعضها ترجمات تعرّف بالنظريات الأدبية والبلاغية الجديدة" نظرية الأدب في القرن العشرين" (1996)، وبعضها يخلق حوارا بين البلاغة العربية والبلاغات الأخرى الإغريقية في العصور القديمة والغربية في العصر الراهن (البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول (2005)، إضافة إلى المقالات التي أصدرها الباحث في مجلة فكر ونقد، حول البلاغة العامة والبلاغات المعممة، وبلاغة الحوار[1] .

ويمكن تصنيف هذه الدراسات إلى صنفين يشكلان بعدين أساسين في المشروع العلمي للأستاذ محمد العمري :

يتكون الصنف الأول من دراسات كرّسها الباحث للخطاب الشعري، منها كتابه الذي أصدره سنة 1990 تحت عنوان :"تحليل الخطاب الشعري، البنية الصوتية في الشعر"، وكتابه الذي أصدره سنة 2001 تحت عنوان :"الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية".

ويتألف الصنف الثاني من دراسات اعتنى فيها الباحث بالخطابة والخطاب الإقناعي قديما وحديثا، منها كتابه الذي أصدره سنة (1986) وصدرت طبعته الثانية سنة (2002) تحت عنوان "في بلاغة الخطاب الاقناعي"، وكتابه الذي صدر سنة (2002) تحت عنوان :"دائرة الحوار ومزالق العنف".وكتاب "البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول"(2005)[2] .

قد يعطي هذا التصنيف الانطباع بأن الباحث يفصل فصلا مطلقا بين الشعري والخطابي وأنه يدرس الشعري دراسة بنيوية داخلية، ويدرس الخطابي دراسة تداولية خارجية. والواقع أن الأمر ليس بهذه البساطة، ففي دراسته للخطابة العربية كان يأخذ بعين الاعتبار الدور الذي يلعبه المكون الشعري في الخطاب الإقناعي، وهو يستعين بنظريات القراءة والتلقي في دراساته للخطاب الشعري، ويكشف النقاب عن النظرة التداولية إلى الشعر في التراث البلاغي[3].

---

[1] ينظر حسن المودن، تقديم كتاب: البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول، برنامج اتحاد كتاب المغرب، المعرض الدولي للكتاب، 13 نوفمبر2006
http://uemnet.free.fr/activites/co/2005-2008/11-02-2006h-m.htm

[2] المرجع نفسه.

[3] المرجع نفسه.

و فيما يلي عرضا للمفهوم الذي قدمه الباحث للحجاج في أهم مصنفاته:

1.3 الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية

يقف محمد العمري في هذا الكتاب عند خمسة مستويات (البديع و نقد الشعر، البيان و بلاغة الإقناع، البلاغة العامة أو الصناعتان، نظرية المعنى أو بلاغة الإعجاز، نظرية الأدب أو الوظيفة التوازنية)، و يرى أن هذه المستويات شكلت الإطار الشامل الذي استوعب الجهود البلاغية القديمة، سواء منها تلك التي رغبت عن الإشادة بالموازنات الصوتية و دورها في الخطاب، أو تلك التي ركزت عليها و اهتمت بها[1].

و يوضح في الصفحة الثالثة و الخمسين من الكتاب أن البديع و نقد الشعر و بلاغته تندرج في البيان و بلاغة الإقناع، ذلك أن الجوانب الصوتية في البلاغة البديعية يمكن توظيفها و الاستفادة منها حجاجيا، و خاصة فيما يتعلق بثقافة الصورة و ما يصاحبها من إلقاء.

2.3 في بلاغة الخطاب الإقناعي

يهدف الباحث في هذا الكتاب التنبيه إلى البعد الإقناعي للبلاغة العربية، هذا البعد الذي كان حاضرا، عند الجاحظ على وجه الخصوص، ثم نُسي مع هيمنة صياغة السكاكي للبلاغة العربية.

و لقد طبق فيه الباحث التصور البلاغي لبرلمان و أولبريخت – لعمقه وبساطته و ارتباطه مباشرة بأرسطو مما يسمح باستيعاب الجاحظ بيسر كما يقول – على الخطابة العربية في القرن الأول الهجري، مجهتدا في كشف آلياتها الإقناعية التي تميزها عن الشعر.

3.3 البلاغة العربية أصولها و امتداداتها

يتميز هذا البحث بمدونة تتسم بضخامة الحجم و اتساع الزمن، اتخذ صاحبه من التحليل البنيوي منهجا لتحليل بنياتِ المؤلفات البلاغية، وعمد إلى كشف أنساقها الداخلية، والابتعاد عن مكرور الكلام من الأخبار والتراجم والأحكام الجاهزة .

و تبين الدراسة أن الباحث قد استفاد من نظرية التلقي حيث تبدو هذه الأخيرة بارزة و ذلك من خلال الانطلاق من "الأسئلة التاريخية" و"التوقعات" و"المشاريع والمنجزات" و"قراءة اللاحق للسابق"، وغير ذلك من قضايا التلقي والقراءة.

[1] ينظر محمد السالم محمد الأمين الطلبة،الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص285.

و يذكر "محمد العمري" أن الكتاب، كما لاحظ ذلك الكثير من قرائه، كتاب نسقي؛ يرصد خطوط الطول والعرض في خريطة زمنية تمتد عبر قرون. و أن الحاجة كانت ماسة لهذه الخريطة التي يمكن ملؤها بيسر من خلال أعمال أخرى ينجزها باحثون آخرون، شباب في الغالب[1].

و تبين فصول الكتاب تتبع مسيرة البلاغة العربية في اهتمامها بالحجاج من جهة، و في علاقتها بالنصوص الأرسطية من جهة ثانية.

4.3 دائرة الحوار و مزالق العنف

يذكر محمد العمري أن الصياغة العامة للمقترح النظري للكتاب، تظهر من خلال خطاطة جامعة، سماها: **دائرة الحوار ومزالق العنف**. و يذكر أيضا أنه عندما قدم هذا المشروع ـــ قبل صدوره في 2002 عن إفريقيا الشرق، الدار البيضاء ـــ في المحاضرة الافتتاحية لأعمال "رابطة أدباء المغرب" للموسم 2000-2001، علق مسير الجلسة، الأستاذ سعيد يقطين، بقوله: "هذا العمل يترل البلاغة من الكراس إلى الناس". و أنه قد سعد بهذه الملاحظة لأنها دلت على تحقيق ما كان يتوخاه في بعض مؤلفاته، وهو الوصول إلى لغة تجعل الآليات الخطابية تصل إلى أوسع جمهور دون المساس بصرامتها المنهاجية. فالخطاطة التي اقترحها في دائرة الحوار، تحاور أجناس الخطابة عند أرسطو، وتستحضر مفهوم المناظرة وأدبياتها عند العلماء المسلمين، وتستفيد استفادة نقدية من منطق الإقناع المدعو بلاغة جديدة عند بيرلمان ومدرسته، ولكنها تتلافى التغريب المصطلحي والتعبيري، وتقرن النظري بالتطبيق الواسع، بل تجعل التطبيق منطلقا[2].

5.3 البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول

يتألف الكتاب من تقديم وثلاثة فصول وملحق يضمّ مقالا مترجما للبلاغي الفرنسي أوليفيي روبول" تحت عنوان :هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟

و يرى الباحث أنه قد دخل بوساطة هذا الكتاب في مرحلة بناء النموذج الحديث للبلاغة العربية. و هو يطمح إلى أن يكون الكتاب لبنة من لبنات بلاغة حديثة فعالة لا تغيب عنها الخصوصية العربية.

---

[1] ينظر محمد العمري، المشروع العلمي بين المأمول و المتاح، 11مارس 2006، www.medelomari.net

[2] ينظر المرجع نفسه.

و يعرف الباحث البلاغة في الصفحة السادسة من كتابه يقول: « البلاغة هي علم الخطاب الاحتمالي الهادف إلى التأثير أو الإقناع أو هما معا، إيهاما و تصديقا»[1].إنها علم عتيق يهتم بالخطاب في كليته؛ في بعديه التخييلي الأدبي، و الحجاجي المنطقي.

و يذكر الباحث أن الأبحاث المنشورة في هذا الكتاب قد نضجت في سياق قراءة للتراث البلاغي العربي والإجتهادات الغربية الحديثة. و أن الدراسة البلاغية قد اتجهت إلى نصوص نثرية ملتبسة، قديمة وحديثة، وذلك في محاولة لكشف تداخل المكونات البلاغية "التخييلية والحجاجية" في بنيتها. كما سعت الدراسة إلى ترميم بعض الجوانب التي تأخر فيها التنظير البلاغي العربي عن الإنتاج النصي[2].

4. الحجاج في الدرس اللساني

يرتبط الدرس الحجاجي اللساني في العالم العربي ارتباطا وثيقا باللغوي المغربي أبو بكر العزاوي"[3] الذي يؤكد في مؤلفاته و حواراته المختلفة أن اللغة تحمل بصفة ذاتية و جوهرية وظيفة حجاجية بقصد التأثير و الإقناع. و هو ينطلق في أبحاثه من مبدأ عام هو: «لا تواصل من غير حجاج و لا حجاج من غير تواصل»[4].

و يذكر في حوار[5] لـ"بيان اليوم" أجراه الأستاذان: نذير عبد اللطيف و عبد الله الشيخ أن علاقته الرسمية بالحجاج ترجع إلى سنة 1984 حين سجل أطروحته الأولى لنيل شهادة الدكتوراه

---

[1] محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول،ص6.

[2] ينظر محمد العمري، المشروع العلمي بين المأمول و المتاح، (مرجع مذكور)

[3] الدكتور أبو بكر العزاوي أستاذ التعليم العالي بجامعة القاضي عياض، نال درجة الإجازة في اللغة العربية في الأدب العربي القديم تحت إشراف الأستاذ أمجد الطرابلسي، ثم درجة الدكتوراه الفرنسية تحت إشراف اللغوي الفرنسي أوزفالد ديكرو و كان موضوعها " بعض الروابط التداولية في اللغة العربية: مقاربة حجاجية أصواتية. ثم نال درجة دكتوراه الدولة حول "الحجاج في اللغة العربية" تحت إشراف الدكتور محمد مفتاح. من مهامه: يرأس و يدير الجمعية المغربية لتكامل العلوم بالدار البيضاء، وهو عضو بعدد من مراكز البحث العلمي، و يعمل مستشارا علميا ببعض شركات النشر و التوزيع، كما شارك في ندوات و ألقى محاضرات في بعض الدول العربية و الإسلامية و الأوروبية، من مؤلفاته: اللغة و الحجاج، الخطاب و الحجاج، الحوار و الحجاج و الاختلاف، الفضاء في اللغة، Argumentation et énonciation.

[4] أبو بكر العزاوي، الخطاب و الحجاج،الأحمدية للنشر، المغرب، ط1، 2007، ص105.

[5] أبو بكر العزاوي، لا تواصل من غير حجاج و لا حجاج من غير تواصل، بيان اليوم، المغرب،http://www.bayanealyaoume.ma 2006/12/02.

الفرنسية حول موضوع "الروابط الحجاجية العربية" تحت إشراف الأستاذ "أوزفالد ديكرو"، أي بعد صدور المؤلف الهام "الحجاج في اللغة" الذي ألفه "ديكرو" بمعية طالبه و رفيقه "جان كلـود أنسكومبر" بسنة واحدة. أما اهتمامه بالجدل و الحجاج و المناظرة و الإقناع فهو اهتمام قـديم، و يؤكد أنه لم يجد باحثا واحدا يهتم بالحجاج و المنطق الطبيعي بشكل رسمي و أكاديمي في العالم العربي برمته غير باحث واحد هو الفيلسوف و المنطقي "طه عبد الرحمن".

أما بحثه الذي أعده لنيل درجة دكتوراه الدولة فهو تحت عنوان:" الحجاج في اللغة العربية: دراسة في المنطق اللغوي"، و هو عمل لم يكن موضوع الدراسة فيه هو الروابط الحجاجية فقط، و إنما درس من خلاله مواضيع عديدة مثل: المعنى و الاستعارة و الأمثـال العاميـة و الصـورة الإشهارية و أنماطا متنوعة من النصوص و الخطابات.

أما عن أهم الأسباب و العوامل التي دفعته إلى اختيار نظرية الحجاج في اللغة فيرجعها إلى:

- اشتغاله مع الأستاذ "أوزفالد ديكرو" و إشراف هذا الأخير على أطروحته في الدكتوراه.
- اقتناعه بمبادىء و أفكار النظرية " نظرية الحجاج في اللغة" و هو اقتناع كانت بذرتـه الأولى إطلاعه على بعض ما أنجز في إطار فلسفة اللغة العادية و الفلسفة التحليلية و التحليـل المنطقـي للغات الطبيعية: (أعمال "فريج" و "راسـل" و "ستراوسـن" و "فتجنشـتاين" و "أوسـتين" و "سيرل")
- إطلاعه على أعمال و أبحاث د. طه عبد الرحمن" اللغـة و الفلسـفة: دراسـة في البنيـات الأنطولوجية للفلسفة، الأصول اللغوية للفلسفة، اللغة الفلسفية عند ابن رشد من خلال عرضـه لنظرية المقولات، الاستدلال عند ابن خلدون".
- اتصاله بالأستاذ "جون بليز غريز" مدير معهد الدراسات السيميولوجية بجامعة نوشاطيل و هو تلميذ و رفيق "جان بياجي" في البحث و أحد كبار المناطقة و الرياضيين و هو صاحب نظريـة المنطق الطبيعي.
- خلو الساحة المغربية خاصة و العربية عموما من هذا النوع من الموضـوعات و الاهتمامـات، ذلك أن المهتمين بالتداوليات و الحجاج و فلسفة اللغة العادية و منطق اللغة يعدون علـى رؤوس الأصابع.
- اقتناعه بأن "نظرية الحجاج في اللغة" هي امتداد و تطوير لنظرية الأفعال اللغوية، و أنها ساهمت في الكشف عن جوانب أساسية من جوانب اللغة الطبيعية و عن وظيفة أساسية مـن وظـائف اللغة، إن لم تكن أهم وظيفة، و هي الوظيفة الحجاجية المنطقية الإقناعية للغة.

و ينبـــه في الحوار إلى أنه ليس صاحب نظرية، و أنه لا يكتفي بمجرد التطبيق لما جاء بـــه "ديكرو" على اللغة العربية، بل أنه يضيف و يجدد و يطور في حدود إمكانياته المعرفية و العلمية.

ويؤكد على أنه عمل على تطوير النظرية الحجاجية و توسيع مجال تطبيقها، إذ لم يعد مجال النظرية محصورا في دراسة العوامل و الروبط و الأدوات الحجاجية، بل شمل النصوص و الخطابات بمختلف أنواعها: (الخطابات الأدبية و الصحفية و السياسية و الإشهارية و الاقتصادية و الدينيـــة و الفلسفية و غيرها).

و يذكر أنه عمِل على تطبيق نظرية "الحجاج في اللغة" على ظواهر جديدة لم يدرســـها لا "ديكرو" و لا تلامذته، و يقصد ظاهرة الاستعارة و ما أسماه الحجاجية الأيقونية والتي توجـــد في مختلف أنماط الصور و بشكل خاص في الصورة الإشهارية، فضلا عن دراسته لظواهر أخرى مثل الانسجام النصي و تعالق الروابط في إطار منطق النص أو منطق الخطاب و البرنامج الحجاجي.

وتمثل دراسات و أبحاث و ترجمات د. العزاوي مشروعا علميا يفتح أفقـــا جديـــدا للدراسات الحجاجية و اللغوية.و يعتبر بعضها كـــ"الخطاب و الحجاج" و "اللغة و الحجاج" قراءة نسقية للمدارس اللسانية والحجاجية ودراســـة مقارنـــة تعقـــد حـــدود التـــداخل و التخارج بين الحجاج و الحوار و اللغة. و قد ساهم المصنفان في توجيه عدد كـــبير مـــن الباحثين و الدارسين و الطلبة في المغرب خاصة و العالم العربي بشكل عام إلى الاهتمام بدراســـة الحجاج و الاستدلال الطبيعي. و فيما يلي عرض لمحتوى المصنفين :

1.4 اللغة و الحجاج

"اللغة و الحجاج" مؤلَف من الحجم المتوسط، و هو على صغر حجمه فإنه يمثل طفرة نوعية في البحث و الإبداع و التميز. صدر في طبعته الأولى عام 2006 عن دار العمدة للطبع، المغرب، و قد جاء في أربعة فصول مسبوقة بمقدمة و مذيلة بخاتمة.

يبرز الباحث في مقدمة كتابه الهدف من بحثه و هو : دراسة وصفية للحجـــاج في اللغـــة العربية، و يسعى من خلال هذه الدراسة إلى تأكيد فرضية الطبيعة الحجاجية للغة الطبيعية، كمـــا يروم من خلالها اكتشاف منطق اللغة. ثم قدم تعريفا ضمنيا لمعنى الحجاج، إذ يعتبره إنجاز المتكلم لخطاب يعتمد آليات التقديم والتسلسل والترتيب والاستنتاج بهدف التأثير والإقناع[1].

[1] ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج، ص8.

كما أبرز في المقدمة أسباب تبنيه للنظرية الحجاجية في اللغة وعن دواعي اختيار الموضوع (الحجاج في اللغة العربية)

أما الفصل الأول فيسِمه: "الحجاج اللغوي والدلاليات الحجاجية" و عرَّف فيه بنظرية الحجاج في اللغة وبعض مفاهيمها ومصطلحاتها من قبيل : الحجة-النتيجة-الروابط-العوامل الحجاجية-السلم الحجاجي...إلخ.

أما الفصل الثاني الموسوم "بعض الروابط الحجاجية في اللغة العربية"، فقد درس فيه الباحث الروابط الحجاجية في اللغة العربية مثل : بل-لكن-حتى، و اقتصر البحث في هذه الروابط على الاستعمال الحجاجي لها.

أما الفصل الثالث من الكتاب فهو بعنوان : "الاستعارة والحجاج"، و قد درس فيه ظاهرة الاستعارة والمظهر الحجاجي لبعض أنواعها، مركزا فيه على مفاهيم السلم الحجاجي والإبطال والقوة الحجاجية، ودافع عن تصور مفاده أن القول الاستعاري له قوة حجاجية عالية من الأقوال اللغوية العادية ولا يسمح بورود رابط حجاجي دال على التعارض أو الإبطال.

أما في الفصل الرابع الموسوم "قوة الكلمات أو اللغة بين الإنجاز والحجاج"،فقد عقد فيه الأستاذ مقارنة بين الجوانب الإخبارية للكلام وجوانبه الإنجازية و الحجاجية، و قصد من هذا الفصل بيان سلطة اللغة، وهو موضوع قديم عالجه الباحث من منظور نظرية الأفعال وقوة الكلام اللغوية ونظرية الحجاج في اللغة.

وفي خاتمة الكتاب وضح الباحث أن الاستدلال الحجاجي نموذج تحليلي لمنطق اللغة البشرية، وأن مقاربته للموضوع مقاربة لمفهوم الانسجام الحجاجي وتعالق الروابط والعوامل الحجاجية في اللغة العربية. ووعد الأستاذ في نهاية كتابه بأنه سيطرق موضوعات أخرى لها صلة بالموضوع لم يسمح له الوقت بدراستها.

و ينتهي الكتاب بفهرس متنوع جمع بين مصادر ومراجع عربية وغربية تنتمي إلى حقول معرفية شتى : المنطق والبلاغة والتفسير والنحو والأدب واللسانيات.

2.4 الخطاب و الحجاج

يُعدُّ "الخطاب و الحجاج" امتدادا و تطويرا للكتاب السابق "اللغة و الحجاج"، و حلقة جديدة من سلسلة المؤلفات التي سيصدرها المؤلف تباعا عن موضوع الحجاج بشكل عام و الحجاج اللغوي بشكل خاص.

و الكتاب في طبعته الأولى 2007 صادر عن دار الأحمدية للنشر، المغرب، يقع في مائة و أربعة و أربعين صفحة من الحجم المتوسط، يهدف إلى دراسة الحجاج في مستوى الخطاب، و هو ينطلق من مسلمة مفادها أن كل النصوص و الخطابات التي تنجز بوساطة اللغة الطبيعية حجاجية، لكن مظاهر الحجاج و طبيعته و درجته تختلف من نص لآخر، ومن خطاب لخطاب.

و يؤكد الباحث في مؤلفه أن مجال الحجاج ليس هو القول أو الجملة، و إنما مجاله الحقيقي هو الخطاب و الحوار حيث تظهر وجوه استعماله، و تتجلى طرائق اشتغاله.

و يؤكد الباحث هذه الفكرة من خلال تحليله وفق منهجية النظرية الحجاجية المعاصرة. لمجموعة من الخطابات هي: الخطاب القرآني والخطاب الشعري والخطاب المثلي والخطاب الإشهاري. و قد مثلت (أنواع الخطاب) العناوين الأساسية للفصول الأربعة للكتاب.

فأما الفصل الأول و الموسوم: "**الخطاب القرآني، سورة الأعلى نموذجا**"، فهو دراسة نموذجية للبنية الحجاجية للخطاب القرآني، و يروم الباحث من خلاله إلى إبراز الجوانب الحجاجية الاستدلالية للنص "سورة الأعلى" و بيان أهمية التحليل الحجاجي للنصوص و الخطابات بمختلف أنواعها و أنماطها.

ويرى الباحث في خاتمة فصله، أن دراسته هي محاولة أولية لاستجلاء بعض المظاهر الحجاجية للسورة القرآنية (سورة الأعلى)، و أن الخطاب القرآني خطاب إلهي كتب بلغة طبيعية هي اللغة العربية، و هو موجه إلى كافة البشر، فهو إذن خطاب طبيعي يحكمه المنطق الذي يحكم الخطابات الطبيعية. إنه خطاب يقوم على الحجاج و المنطق الطبيعي و الاستدلال غير البرهاني.

و أما الفصل الثاني المعنون "**الخطاب الشعري**" فهو تحليل حجاجي لنص شعري معاصر يتمثل في قصيدة "العلة" للشاعر العراقي أحمد مطر، و هي مأخوذة من ديوانه "لافتات2" الصادر بلندن سنة 1987.

لقد سعى أبو بكر العزاوي العزاوي في هذا الفصل إلى إبراز أهمية التحليل الحجاجي للنصوص، و الكشف عن الوظيفة الإقناعية و الحجاجية للنص الشعري، و قد وضح أن الشاعر لا يهدف إلى إخبار المتلقي، و لا يقصد إلى تقديم المعلومات و الأخبار إليه. إذ ليست وظيفة النص إعلامية إخبارية، و إنما وظيفة حجاجية بالأساس[1].

[1] ينظر أبو بكر العزاوي، الخطاب و الحجاج، ص60.

و أما الفصل الثالث: "**الخطاب المثلي: من المنطق إلى الحجاج**" فهو دراسة لمجموعة هامة من الأمثال العامية المغربية، وقد حاول صاحب الكتاب أن يجيب من خلاله عن الأسئلة التالية: كيف يشتغل المثل؟ و كيف يتم توظيفه في الحوار و الخطاب؟ و ما وضعه؟
و يجيب بأن الأمثال الموظفة في الخطابات تقوم بدور المبدأ الاستدلالي الحجاجي الذي يضمن الربط بين الحجة أو الدليل أو النتيجة.
و يرى أن الأمثال الفصيحة و العامية في مجملها مبادىء حجاجية . و أن توظيف بعضها في الخطاب هو بمثابة حجة السلطة، إنها حجة قوية و مثله مثل الشواهد و أقوال العلماء و الحكماء[1]، لا يمكن دحضها و إبطالها بسهولة. و من ثم فالمثل حجة جاهزة صناعية.

و قد عمل الباحث على إبراز بعض المظاهر الحجاجية للمثل من خلال تحليل بنيته الدلالية المنطقية ، و من خلال إظهار طرق و كيفيات اشتغاله .
و يؤكد أن ما اكتشفه في دراسة الأمثال من تنوع في البنى و تعدد في الوظائف يبين بكل وضوح و قوة نجاعة التحليل الحجاجي من جهة، و يؤكد، من جهة ثانية الطبيعة الحجاجية للخطاب الطبيعي ، و للغات البشرية برمتها[2] .

و أما الفصل الرابع الموسوم "**الخطاب الإشهاري : الصورة الإشهارية و الحجاج الأيقوني**" فقد بين الباحث من خلاله أن الخطابات البصرية و الصور الإشهارية التي لا تتضمن أي مكون لغوي هي حجاجية، إذ تشتمل على ما سماه بالحجاج الأيقوني و من ثم فقد أكد المبدأ العام الذي أورده في بحوثه السابقة : "لا تواصل من غير حجاج و لا حجاج من غير تواصل" فيكون الحجاج مرتبطا بكافة أشكال التواصل اللغوي و غير اللغوي .
و يؤكد من خلال تحليله لصورة إشهارية أن المكونات اللغوية و الأيقونية تتكامل و تتفاعل فيما بينها في مستويات مختلفة وتؤدي إلى نتيجة واحدة و وحيدة. و يهم التكامل و التفاعل الجوانب الإخبارية الإعلامية كما يهم الجوانب الإقناعية الاستدلالية[3].
و يذكر الباحث أنه استعان في تحليل الخطاب الإشهاري بنظرية الدلالة التصورية ل"جاكندوف" و التي مقتضاها أن البنيات الدلالية هي جزء من البنيات التصورية.

---

[1] ينظر الخطاب و الحجاج، ص80.
[2] ينظر المرجع نفسه، ص93.
[3] ينظر المرجع نفسه، ص111.

5. جهود الفريق البحثي التونسي في مجال الحجاج

تعد وحدة البحث في تحليل الخطاب فريقا متميزا و متكاملا في البحث في الحجاج و أصنافه و تقنياته، هو فريق نما و ترعرع بفضل مجهودات العاملين فيه بحماس مدهش في هذا المجال، فقد غاص أعضاؤه في مصنفات أئمة الفكر الغربي الحديث في اللغة و الفلسفة، و استخلصوا أهم ما جاء فيها بحثا عن وجهات النظر التي توخاها أصحابها، كما عملوا على توليد المصطلحات الخاصة بهذا العلم (الحجاج) و تقريب آلياته و أهم نظرياته باللغة العربية إلى المشتغلين به.

يترأس الفريق المفكر الناقد **الدكتور حمادي صمود**[1] و يعد علَما متألقا في سماء النقد و البلاغة العربيين، فقد نجح منذ مطلع ثمانينات القرن الماضي في قراءة منهجية للتفكير البلاغي العربي الذي حدده بنهاية القرن الخامس الهجري، مبينا في المقدمة المنهجية للدراسة تركيزه على ما سماه "بالحدث الجاحظي"[2]. و هي دراسة رائدة لفتت الانتباه إلى ما يتمتع به النقد و البلاغة القديمان من جماليات و خصائص فنية تمكنها من استيعاب مقولات و مناهج الحداثة اللسانية اللغوية من جهة و الإنسانية من جهة أخرى.

ويُقسَّم مسار "صمود" إلى مرحلتين أساسيتين هما: مرحلة القراءة النقدية و مرحلة الاهتمام بالحجاج. و تمثل المرحلة الأولى انشغاله بالنظرية النقدية المعاصرة و مناهجها و روافدها القديمة و الحديثة، أما المرحلة الثانية فتمثل انشغاله بالبحث داخل البلاغة و عن أهم خصائصها التي قد تمكنها من استيعاب مختلف خطابات العصر، و يرى أنه قد عثر عليها فعلا في "الحجاج"، إذ يعتبر أن بلاغة الحجاج « أدق مواضيع الدرس البلاغي اليوم و أكثرها أهمية بالنسبة إلينا»[3] لأنها تقوم على استغلال جميع العناصر المساعدة في فهم الخطاب و توصيله.

---

[1] له مؤلفات باللغة العربية و الفرنسية، أذكر منها:

- التفكير البلاغي عند العرب، أسسه و تطوره إلى القرن السادس الهجري، منشورات الجامعة التونسية، -في نظرية الأدب عند العرب، النادي الأدبي بجدة، -من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج للنشر، - بلاغة الانتصار في النقد العربي القديم، منشورات فريق البحث في تحليل الخطاب.

كما شارك في العديد من الملتقيات العلمية الوطنية و الدولية، و نال الكثير من الجوائز و الأوسمة.

[2] محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص287.

[3] حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج للنشر و التوزيع، ط1، 1999، ص8.

و ينتهي في دراسته هذه إلى أن العودة القوية للبلاغة في عصرنا الراهن كانت نتيجة حتمية لتطور وسائل الاتصال الذي تأكد معه كون البلاغة الأقدر على استيعاب خطابات العصر.و بالتالي فهو يتساءل تساؤلا يتركه مفتوحا لأنه على سبيل التأكيد : أتكون البلاغة في الجوهر حجاجا؟[1]

أما أعضاء الفريق فهم ثلة من الباحثين من خريجي الجامعة التونسية آمنوا بـأن تشـعب المعرفة و تنوع البحوث العلمية و تعقدها لا يمكن من الإلمام بما يجد في العالم إلا بتضافر الجهـود و التعاون بين الباحثين. وقد أنتج الفريق مجموعة هامة من المؤلفات في مجال الحجاج أكشف عن بعضها في الآتي:

1.5 كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم

يعد هذا الكتاب من أهم الدراسات العربية المعاصرة التي اعتمدت على استثمار النظريـات الغربية القديمة و الحديثة في مجال الحجاج. و قد جمع الكتاب عددا من المقالات الموضحة لأهـم النظريات و المصنفات الحجاجية المعاصرة؛ حيث عمل أعضاء الفريق علـى عـرض محتـوى مصنفات الحجاج عرضا دقيقا ينم عن قراءة متأنية و تمكُّن من اللغة الأجنبية التي كتبـت بهـا المصادر، و تمثلٍ لما جاء فيها و إلمام بالتراث اليوناني و الفلسفي عامة.

فأما رئيس وحدة البحث البلاغي الناقد حمادي صمود فقد قدم عرضا موسوما بـ"مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح"، عرض فيه بإيجاز آراء أرسطو في الخطابة و مقوماتها و مـا طـرأ عليها عبر العصور من تقلص ، كما تطرق إلى إشكالية البلاغة العربية من حيث إشكالية محتواها و إشكالية قراءتها.

وأما النظريات/ المصنفات فتتمثل في نظرية الخطابة الجديدة ، بقلم الدكتور عبد الله صولة ؛ حيث تناول موضوع الحجاج من خلال "مصنف في الحجاج" لبيرلمان و تيتيكا و بين الغاية التي يرمي إليها الكتاب و التي هي إخراج الحجاج من دائرة الخطابة و الجدل، و تخليصه مما قد تتهم به الخطابة من المغالطة و المناورة، و مما يفض إليه الاستدلال من وضع المخاطب في وضع ضرورة و خشوع[2].

أما النظرية الثانية فهي "نظرية الحجاج في اللغة" ، قدمها الأسـتاذ شـكري المبخـوت و تندرج هذه النظرية في تيار تداولي خاص سمي بالتداولية المدمجة القائمة على اعتبـار الحجـاج

[1] ينظر محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص288.

[2] ينظر عبد القادر المهيري، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص6

محكوما بقيود اللغة متأصلا في أبنيتها. و قد وضَّح المبخوت هذه النظرية من خلال ثلاثة مباحث أساسية هي :

- مقدمات في مفهوم التداولية المدمجة و موقع الحجاج منها.
- نظرية السلالم الحجاجية ، مفهومها و قوانينها.
- الترابط الحجاجي.

و قدم محمد علي القارصي الكتاب الثالث ممثلا في "نظرية المساءلة" لميشال مايير، و تعد هذه النظرية وظيفة الفلسفة في نظر المؤلف، و قد جره ذلك إلى النظر في مكونات الكلام و في علاقة السؤال بالجواب و علاقة الفلسفة بالخطابة و البلاغة[1].

أما المصنف الرابع فقدمه محمد النويري، و موضوعه "نقد الحجاج من خلال النظر في أصناف البرالوجيسم أو ما سماه بالأساليب المغالطية"، و قد حاول الباحث في هذا المقال أن يعرض نماذج من الأساليب المغالطية التي درسها الباحثان الغربيان "وودز" و "واتسن"، ويرى أنها أشكال في المغالطة قديم دَرْسها قدم أرسطو، حديث حداثته،و أن بلورة نظرية في المغالطات من ناحية و الوصول بالمنطق اللاشكلي إلى تماسك نظري و إجرائي من ناحية أخرى؛ أمر مازال يحتاج إلى جهد كبير.

2.5 كتاب الحجاج في المقام المدرسي

يعد هذا الكتاب الثاني من السلسلة التي يصدرها الفريق عن "الحجاج في المقام المدرسي" في نطاق مشروع البحث الذي تدعمه كتابة الدولة للبحث العلمي عن أساليب الحجاج و أنظمة التصوير في الكتاب المدرسي (المدرسة الإعدادية).

و لقد عمدت صاحبة الكتاب "كورنيليا فون راد – صكوحي"إلى تحليل نصوص مختارة من محاور مختلفة من كتاب القراءة للسنة التاسعة، تحليلا حجاجيا، اتسم بالوضوح و دقة المفاهيم المستعملة فيه و تجنب العموميات و التفصح.

و جاء الكتاب في جزأين، فأما الجزء الأول فهو مقدمة نظرية مطولة في الحجاج و التحليل الحجاجي، عرفت فيها الباحثة بالحجاج و أشارت إلى اختلاف المدارس و العلماء في مسائله، كما أشارت إلى نصوص غير مترجمة بالألمانية.

[1] ينظر عبد القادر المهيري، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص7.

و ترى الباحثة أن الغاية من هذه المقدمة النظرية مزدوجة، إذ هي من الناحية الأولى عرض المفاهيم النظرية الحجاجية المعتمدة في التحليل الحجاجي و في تقييم تعليم الحجاج، مع توضيح للمصطلحات المعتمدة .أما من الناحية الثانية و هي تتجاوز الأولى أهمية فهي مد القارىء المبتدىء في الحجاج ببعض المعطيات النظرية الأساسية التي يمكن أن تساعده، لا على فهم النصوص الحجاجية فقط، و لكن على تحليلها و تقييمها العلمي أيضا[1].

و هي بذلك تحاول أن تبني أساسا لما يمكن أن يتطور إلى منهجية عامة في تحليل النص الحجاجي.

و أما الجزء الثاني فهو تحليل حجاجي لنصوص أدبية منتقاة من كتاب السنة التاسعة للتعليم الإعدادي، تتمثل على التوالي في:"فضل المرأة" لمي زيادة، "الأم مدرسة" لقاسم أمين، "مريم تزوج ابنتها" للجاحظ، "الذين رفضوا الصمت" لشاكر مصطفى، "على درب المدينة" لطه حسين "حرية الصحافة" لعبد الحميد الكاتب، "هل هناك إعلام موضوعي" لأحمد أمين؟، "أعقل الأمم" لأبي حيان التوحيدي، "لا إكراه في الدين" لعبد العزيز الثعالبي، "عجبا إنهم يتفرجون" لوليد إخلاصي.

و اعتمدت الباحثة في تحليل النصوص المذكورة أعلاه نظريات مختلفة عديدة حسب ما اقتضته النصوص، و ركزت بصفة عامة على ما هو حديث في دراسة الحجاج، ذلك أن النظريات القديمة(اليونانية و الرومانية) تدرس الحجاج في إطار الخطبة، في حين تهتم النظريات الحديثة -في نظرها- وذلك منذ "تولمين" بالحجاج في كل مجالات الحياة[2].

و تنتمي المفاهيم التي عرضتها إلى أكثر من نظرية في الحجاج، و هي مرتبة حسب مقتضيات العرض في تحليل النص الحجاجي، لا حسب انتمائها إلى هذه النظرية أو تلك.و تتعلق هذه المفاهيم و المصطلحات الحجاجية بتوظيف الحجاج و بتقييمه و لها أهمية خاصة في إطار مشروع الباحثة " دراسة تعليم الحجاج في الكتاب لمدرسي" وتنقسم هذه المفاهيم و المصطلحات الحجاجية إلى مفاهيم و مصطلحات خاصة بالحجاج الذي يحدد أساسا بالعوامل خارج اللغة، و تتمثل في:

-الهيكل الحجاجي و مكوناته.

- المتلفظ و المتقبل و دورهما في تكوين النص و إنتاج الحجاج.

---

[1] ينظر، كورنيليا فون راد-صكوحي، الحجاج في المقام المدرسي، وحدة البحث في تحليل الخطاب، منشورات كلية الآداب منوبة، 2003، ص11.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص11.

- الأدوار الحجاجية و تعدد الأصوات و تأثير ممثلي الحجاج من خطيب و جمهـور أو مقتـرح و معارض في تشكيل مسار الخطاب الحجاجي.
- التبكيت الحجاجي و مسؤولية الإدلاء بالحجة.

تقابلها مصطلحات و مفاهيم خاصة بالحجاج الذي يعتمد على خاصيات في اللغة مثل: المعـاني المزدوجة أو التوجيه الحجاجي، و تمثله نظرية الحجاج في اللغة لأنسكومبر و ديكرو[1].

3.5كتاب البلاغة و ثقافة الفحولة، دراسة في كتاب العصا للجاحظ

صاحِب الكتاب هو الدكتور "محمد النويري" و هو ممن جمعوا بسـخاء بـين التـدريس و البحث، و قد ساهم مساهمة مهمة في الكتاب الجماعي الذي أصدره فريق البحث في البلاغـة و الحجاج.

و يعد الكتاب باكورة ما أنتجت وحدة تحليل الخطاب، أبرز فيه مؤلِفُه طريقة الجـاحظ في المنافحة عن العرب و الرد على مطاعن الخصوم بالوقوف على مذاهبه في الاحتجـاج و أسـاليبه و أنواع الحجج الموظفة، و طريقته في ترتيبها و بنائها. و هو بذلك قد خرج من العموميات التي كانت الدراسات قبله تقف عندها ليدخل في تفاصيل النص و يعين مفاصـله و يعـرض علـى القارىء سياسة صاحبه في الرفع من قدرته على إبطال مطاعن الخصوم و دحض ما عليه أقـاموا مذاهبهم في التشنيع و الاستنقاص[2].

و قد كشف المؤلف بهذه الطريقة عن تنوع النظام الحجاجي عند الجاحظ و بين خطر البقاء في مطلق ثنائية النقل/ العقل.

و لقد كان تقليب النظر في مذاهب الاحتجاج في كتاب " العصا" فرصة سانحة عرض من خلالها المؤلف في لغة راقية و فكر حصيف معنى من معاني المنزع العقلي عند المعتزلة و في الثقافة العربيـة الإسلامية قاطبة و بيان ما اشتهر به الجاحظ من قوة العارضة و القدرة على المنازلة و المخاصـمة و ما كان يحتاج إليه أصحاب المذاهب و زعماء النحل و أهل الاعتقاد من ثقافة؛ كان السـياق الحضاري يدعو إليها و كانت الحياة الحافلة بوجوه الخلاف و الصراع ترغب فيها قبل أن تستقر الأمور و تحسم.

[1] ينظر كورنيليا فون راد-صكوحي، الحجاج في المقام المدرسي، ص13.

[2] محمد النويري، البلاغة و ثقافة الفحولة، دراسة في كتاب العصا للجاحظ،منشورات كلية الآداب، جامعـة منوبة، تونس،2003، ص6-7.

و انتهى الدكتور "محمد النويري" في تفكيك كتاب "العصا" و التعمق في رمزيته إلى بلورة ثالوث يمثل من وجهة نظره، الأساس الذي تقوم عليه الثقافة العربية الإسلامية و هو ثالوث البيان و السلطة و الفحولة[1].

6. دراسات عربية معاصرة أخرى في مجال الحجاج

لم تقتصر أعمال الباحثين العرب المعاصرين[2] على البعد النظري في دراسة الحجاج، بل توخى بعض الدارسين النظريات الحجاجية الغربية منهجا في دراسة و تحليل النصوص العربية و أخص بالذكر دراسة الدكتور "عبد الله صولة" للخطاب القرآني و دراسة الدكتورة "سامية الدريدي" للشعر العربي القديم.

---

[1] المرجع محمد النويري، البلاغة و ثقافة الفحولة، ص7-8.

[2] توجه عدد كبير من الدارسين و الطلبة في المغرب خاصة و العالم العربي بشكل عام إلى الاهتمام بدراسة الحجاج و الاستدلال الطبيعي، إذ أن هناك في المغرب عدد مهم من الأطروحات و الرسائل الجامعية التي تم إنجازها أو التي هي قيد الإنجاز في مختلف الكليات و الجامعات المغربية و بمختلف الشعب، و يدور موضوع هذه الأطروحات حول الحجاج اللغوي و الحجاج البلاغي و الحجاج الأصولي، و الحجاج الفلسفي، و ديداكتيك الحجاج، أذكر منها أطروحة الدكتور "حسن المودن" الموسومة: الخطاب الإقناعي في البلاغة العربية، كما عقدت عدة ندوات و مناظرات حول الحجاج، أذكر الندوة التي عقدت بمراكش في 24-25 فيفري 2005 و موضوعها التحاجج طبيعته و مجالاته و وظائفه، و أنجزت عدة بحوث و مؤلفات عن الحجاج و المنطق الطبيعي و نشرت في منابر علمية و ثقافية، أذكر منها: العدد 61 من مجلة فكر و نقد الذي تضمن ملفا خاصا عن الحجاج، ومقالات من أعداد من مجلة عالم الفكر أذكر منها: الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر و ديكرو لرشيد الراضي، و الحجاج و الاستدلال الحجاجي لحبيب أعراب.

أما بالنسبة للمؤلفات، أذكر: الحوار و منهجية التفكير النقدي لحسان الباهي و الحجاج في البلاغة المعاصرة، لمحمد سالم محمد الأمين الطلبة و النظرية الحجاجية للدكتور محمد طروس و غير ذلك من الأعمال التي حاولت تقصّي النظريات الحجاجية في التراثين العربي و الغربي، قديمه و حديثه.، كما توجه عدد من الباحثين و الطلبة الجزائريين إلى الاهتمام بموضوع الحجاج ، و أنجزت بعض الرسائل في هذا الحقل في مختلف جامعات الوطن، و نشرت بعض المقالات بخصوص هذا المبحث في بعض المجلات و الدوريات أذكر على سبيل المثال، مجلة اللغة و الأدب ، جامعة الجزائر عدد11و 14 و مجلة الخطاب ، جامعة تيزي وزز، العدد 2 و 3 و غير ذلك.

1.6 الحجاج في القرآن

يعد الكتاب أطروحة علمية أكاديمية نال به صاحبه[1] درجة الدكتوراه، و قد ابتعد الباحث في هذه الأطروحة عن التحليل الكلاسيكي للخطاب القائم على مبدأ الانسجام و نحوية النص إلى اعتماد نظرية تحليل الخطاب في شقها الناشىء الجديد الباحث في تداولية الخطاب. مستندا في ذلك إلى كتب التفسير.

و ينم البحث عن تمكُّن صاحبه من اللسان العربي و الأجنبي و عن تشبُّعه بالدرس اللساني العربي و الغربي و عن قدرته على تطويع النظريات الحجاجية المختلفة في تحليل الخطاب القرآني، و قد وصل إلى نتيجة مقتضاها: إن الخطاب القرآني خطاب حجاجي مقنع بوجه من الوجوه.

و يرى أن الحجاج في القرآن الكريم قد حققه العدول (الخصائص الأسلوبية). ومن مظاهر الحجاج المتولدة عن ذلك إنشاء المقتضيات و المفاهيم [الأقوال المضمرة] و تعليل الأحكام و توفير السند المنطقي للكلام أو ما يسميه الحجاجيون "قانون العبور" من المعطى إلى النتيجة، و توجيه الكلام، و توجيه المتلقي أيضا[2]. و من مظاهر الحجاج أيضا بواسطة هذا العدول استغلال القرآن عالم خطاب المتلقين، و ما يشتمل عليه من كفايات منطقية و ثقافية و نفسية و لغوية و بلاغية، ليسهل عليهم بناء الحجة بأنفسهم انطلاقا من الكلام المعروض عليهم[3].

و يؤكد الباحث أنه حاول في كامل عمله أن يبرهن من خلال تحليل الكلام القرآني تحليلا أسلوبيا حجاجيا معا، على أنه بالإمكان طمس الهوة الفاصلة فصلا صارما في البلاغة العربية بين بلاغة الأسلوب من ناحية و بلاغة الحجاج من ناحية أخرى. فأما الأولى فبلاغة الجميل و من أعلامها كوهين و جاكبسون في دراستهما الشعرية، و أما الثانية فبلاغة الحجاج و من أعلامها برلمان و تيتيكا، و تولمين و ديكرو و غيرهم[4].

و ينبه في مقدمة و خاتمة بحثه إلى أن الحجاج الذي تبناه يقع في مترلة وسطى بين الضرورة التي مجالها البرهان القائم على صرامة المسار العقلي و بين اللامعقول الذي مجاله المناورة و التلاعب بالعقل، و في كلا القطبين يسيطر العنف الفكري الذي هو الوجه الآخر للعنف المادي

---

[1] عبد الله صولة، أستاذ اللسانيات (علم الدلالة و علم الأسلوب بجامعة منوبة، تونس، له في الاختصاص المذكور فصول و مقالات منشورة بعدد من المجلات العلمية المتخصصة.

[2] ينظر عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص604.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص604.

[4] ينظر المرجع نفسه، ص610.

و الممهد له في أحيان كثيرة. أما القرآن فبوقوعه بين هذين القطبين لا يمكن إلا أن يكون فضـاء سماحة و مرونة عبَّر عنهما بالخصوص، من خلال نهوض الكلام فيه معجما و تركيبـا و صـورة بوظيفة الحجاج.

إن الأبواب الثلاثة: "المعجم القرآني: خصائص لكلماته و حركتها الحجاجية، التركيب في القرآن : خصائصه و وجوه الحجاج فيه، الصورة في القرآن: خصائصها و وجوه الحجاج فيها" للأطروحة تقود إلى نتيجة واحدة و وحيدة هي :أن الحجاج في القرآن هو حوار دائر بينه و بين متلقيه، أو هو بالأحرى حوارية معتبر فيها حضور الطرف المتلقي حضورا فاعلا.و ليس هو عنفا مسلطا على العقول في شكل استدلالات جامدة[1].

2.6 الحجاج في الشعر العربي القديم

يقع البحث "الحجاج في الشعر العربي القديم، من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيتـه و أساليبه" في خمسة أبواب تتوزع على جزءين و تتفاوت طولا و أهمية ، و لكنها تتكامل فيمـا بينها لتؤسس رؤية الباحثة للدرس الحجاجي.

أما موضوع البحث كما يدل عليه عنوان الكتاب فهو دراسة للحجاج في الشعر العـربي القديم ، من خلال النظر في مجموع التقنيات التي يعتمدها الشاعر ليحتج لرأي أو ليدحض فكـرة محاولا بذلك إقناع المتلقي بما يبسطه أو حمله على الإذعان لما يعرضه[2].

و تذكر الباحثة أن الهدف هو دراسة بنية الحجاج من ناحية و دراسة أساليبه من ناحيـة ثانية، و لا يتم ذلك بحصر الحجج المعتمدة و رصد ما بينها من فوارق ظاهرة و باطنـة و لا بتصنيفها و تفريعها باعتماد أكثر من مقياس ، بل بالنظر خاصة في طرائق القـول الحجـاجي و مختلف الأفانين الرافدة له في الشعر العربي القديم .

و تختار الباحثة لذلك مدونة شعرية تتسم بالثراء و تعدد الأغراض و كثرة الشعراء، إذ تمتد من الجاهلية إلى بداية القرن الثاني للهجرة.

أما عن النتائج التي توصلت إليها فتتمثل في النقاط الآتية:

- تتعدد الحجج و تتنوع في الشعر العربي القديم ، و هي دليل على مقدرة الشاعر علـى انتقـاء الحجج التي تلائم السياق و تنسجم تمام الانسجام مع غاية الخطاب.

[1] ينظر المرجع نفسه، ص610.

[2] ينظر سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص2.

- عدم اقتصار الشاعر في الاحتجاج لفكرة أو موقف على حجة واحدة، و قدرته على محاججة أكثر من متلق في الحيز الواحد.

- تحكم القصيدة العربية التقليدية أربع بنى إحداها اتساعية و الثانية ذات شكل تصاعدي و الثالثة ذات شكل متدن و الرابعة هرمية قصصية.

- تترع بنية الحجاج في الشعر القديم إلى التستر و الخفاء، و ينسحب هذا التستر كذلك على العلاقات الحجاجية .

- لا غنى للحجاج عن الجمالية سواء على مستوى اللفظة أو التركيب أو الصورة أو الإيقاع. و أن الجمال خير رافد للإقناع.

- يقوم الشعر على الحجاج و يضطلع بوظيفة الاستدلال قصد الإقناع أو الحمل على الإذعان، و هو ليس ضربا من الوحي و الإلهام ينثال على الشاعر دون فكر أو روية و دون انتقاء لما تكون القصيدة.

الباب الثاني

التحليل اللساني التداولي للخطاب الحجاجي السياسي في كتاب "الإمامة و السياسة"

الفصل الأول

البناء الاستدلالي الحجاجي لأشكال الخطاب

السياسي

تمهيد

تمثل أشكال الخطاب السياسي (الحوار السياسي، الخطابة السياسية، الرسالة السياسية، الوثيقة السياسية) في كتاب الإمامة و السياسة نماذج تواصلية ذات غايات و أهداف معينة، انفرد كل نموذج منها بمميزات حسب طبيعته و حسب القضية أو القضايا التي يعرضها و الأدوات التي يتوسل بها و حسب المقام الذي يستحضر عناصره الخاصة.

يخضع كل شكل من هذه الأشكال الخطابية لمنهج حجاجي استدلالي و آلية خطابية و بنية معرفية و شواهد نصية تعمل مجتمعة على تحقيق الاستمالة باستدلال منطقي تمثله صياغة الاستدلالات.

إن تحقيق أشكال الخطاب السياسي في كتاب الإمامة و السياسة لظاهرة التواصل يقتضي أنها تبليغية و تدليلة و توجيهية .

فأما أنها تبليغية فهي إشارة إلى أنها موجَّهة إلى مخاطَب معين و أن محتواها القضوي له تأثير في اعتقادات هذا المخاطَب، ذلك أن التبليغ عبارة عن نقل فائدة القول نقلا يزدوج فيه الإظهار و الإضمار، و يتعلق الإظهار بالنقل الصريح للمعاني الظاهرة و الحقيقية المستقلة عن مقامات الكلام ويتعلق الإضمار بالمعاني المضمرة و المجازية غير المستقلة عن هذه المقامات[1] .

و أما أنها تدليلية فهي إشارة إلى البنية الاستدلالية للخطاب، ذلك أن العلاقة الاستدلالية هي التي تحدد ماهية الخطاب و تؤسس الربط بين الصور المنطقية لجمله ، فعناصر الخطاب مرتبطة بعلاقة استدلالية يحقق تمايزها تمايز بنية الخطاب الحجاجي السياسي و أصنافه (تدرجي، تقهقري، إضماري، إظهاري).

و تدل هذه السبل الاستدلالية المتنوعة على أن خطاب المتكلم لا يكتسي صبغة الإكراه و منهج القمع في إقناع متلقيه، فتوظيف المتكلم للطرائق الاستدلالية المختلفة يجعل خطابه يتحقق في العالم الخارجي كفعل حجاجي أي من اللغة إلى التداول[2].

و أما أنها توجيهيه فذلك راجع إلى انتهاض المتخاطبين بأقوال و أفعال بغية حصول التواصل و التعامل بينهما، إذ أن إلقاء الأقوال لا ينفك عن أفعال مخصوصة يأتي بها الجانبان بغرض إنهاض أحدهما الآخر للعمل وفق هذا المقصود[3] .

---

[1] ينظر طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان، ص216

[2] ينظر طه عبد الرحمن،في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، ص37

[3] ينظر اللسان والميزان ، ص237

إن الجمل اللغوية المكونة لأشكال الخطاب السياسي في كتاب الإمامة و السياسة لا تنقل مضـــامين مجردة و إنما تؤدي وظائف تختلف باختلاف السياقات و المقامات، و من ثم لا تتحقق الحجج إلا من خلال الفعل الاستدلالي.

و تنهض أشكال الخطاب السياسي في كتاب "الإمامة و السياسة" بأفعال حجاجية متنوعة، تحديدها سوف يعين على تعيين بنية الفعل اللغوي و بنية الحجج و أنواعها .

1.البناء الاستدلالي الحجاجي للحوار السياسي

1.1 مفهوم الحوار

يعرف الحوار في الأدبيات المنطقية المعاصرة بكونه فعلا قاصدا يتجلى في صورة متواليـــة مـــن الرسائل أو أفعال الكلام يتداولها واحد أو أكثر من المتحاورين ، بحيث يوجهه هدف مشترك يتعاون طرفان من أجل تحقيقه ، و يلتزمان لأجل ذلك بجملة من الضوابط و المقتضيات[1].

و يتشكل الخطاب الحواري من خطابين فأكثر، ذلك أن إنتاجه يتم من خلال التفاعل المتواصل بـــين المتحاورين ، و الذي يعد آلية من آليات إنتاجه بشكل عام،و للتفاعل خاصيتان أساسيتان هما: البناء المزدوج للتفاعل و الممارسة الحية للتفاعل ، فأما الخاصية الأولى فهو الازدواج في مختلـــف أركـــان التخاطب: ازدواج في القصد، و ازدواج في التكلم و ازدواج في السمع و ازدواج في السياق، و أما الخاصية الثانية فتنبني على الأخذ بجانبي المجاز و الأخلاق ، فضلا عن جانب الحقيقة و الفعل[2].

و تقوم بنية الحوار على وحدة الموضوع و تعدد الأصوات ،أما أصنافه/ أنماطه فمختلفـــة ، فمنـــها المجادلة و المناقشة و المناظرة " المحاورة النقدية" و المفاوضة و الحوار الاستعلامي و التعلمي.

تختلف هذه الأصناف من حيث هدفها و منطقها و منهجها، و تتنوع بحســـب معطيـــات الحـــال و مقتضيات المقام.

---

[1] Douglas Walton,Informal logic,a handbook for critical argumentation, Cambridge university,1989,p3

نقلا عن رشيد الراضي، عن الأصول المنطقية الحديثة للحوار، التصـــوف الإســـلامي ، قضـــايا و حـــوارات، http://www.islamic-sufism.com/article.php?id=1698

[2] ينظر اللسان و الميزان، ص265-267.

2.1 أطوار الحوار السياسي

إن أهم ما يميز الخطاب الحواري السياسي في كتاب "الإمامـة و السياسـة" هـو الحـوار و الاختلاف و الحجاج. فأما الحوار فهو إشارة إلى وجود فردين أو فريقين أو قومين أو مجتمعين أو أمتين ، و أما الاختلاف فهو إشارة إلى الضدين ، ذلك أنه لا يتم التحاور إلا بوجود الضدين ، لأن الضدين هما المختلفان المتقابلان، و الحوار لا يكون إلا بين مختلفين متقابلين أحدهما يطلق عيه اسـم المدعي و هو الذي يقول برأي مخصوص و يعتقده ، و الثاني يطلق عليه اسم المعترض و هو الـذي لا يقول بهذا الرأي و لا يعتقده[1].فالادعاء وظيفة المخاطِب/ المدعي و الاعتراض وظيفـة المخاطَـب/ المعترض. و الاختلاف في الرأي و ما ينتج عنه من معارضة أمر مشروع؛ لأنه يعبر عن سنة كونيـة من سنن الله في الوجود.

و أما الحجاج فذلك أنه لا خطاب بغير حجاج ، فالخطاب ليس مجرد الدخول في علاقة مع الغير و إنما هي الدخول معه فيها على مقتضى الادعاء و الاعتراض باعتبارهما فعلين حجاجيين.

و تتمثل أهم الحوارات السياسية في كتاب الإمامة و السياسة في الجدول الآتي:

جزء الكتاب و صفحته / رمز الحوار	العصر السياسي	الحدث التاريخي	أطراف الحوار السياسي الأساسية	زمكان الحوار السياسي
08/1 حو1	الخلافة الراشدة	مؤتمر السقيفة	أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، الحباب بن المنذر، سعد ابن أبي عبادة، بشير بن سعد، أبو عبيدة الجراح	12 ربيع الأول 11هـ، سقيفة بني ساعدة
26،25/1 حو2	الخلافة الراشدة	تأسيس مجلس الشورى	عمر بن الخطاب، علي بن أبي طالب، عثمان ابن عفان، طلحة بن عبيد الله، الزبير بن العوام، سعد بن أبي وقاص، عبد الرحمن بن عوف)	المدينة المنورة 23هـ
27،28/1 حو3	الخلافة الراشدة	بيعة عثمان بن عفان	علي بن أبي طالب، عثمان بن عفان، سعد بن أبي وقاص،	أواخر شهر ذي الحجة، 23 هـ

[1] ينظر طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء/بيروت، ط1، 2002، ص 27-28.

			عبد الرحمن بن عوف، الزبير بن العوام، طلحة بن عبد الله	
29،30/1 حو4	الخلافة الراشدة	مجادلة عثمان	عثمان/معاوية،علي،طلحة، الزبير، سعد	المدينة 35هـ
1-33-37 حو5	الخلافة الراشدة	حصار عثمان	عثمان،طلحة، أهل الكوفة وغيرهم	أعلى قصر عثمان 35هـ
44،45/1 حو6	الخلافة الراشدة	بيعة علي	الزبير بن العوام، علي، الناس، الأشتر النخعي، ابن عباس ، المغيرة ابن شعبة	المدينة 35هـ
46،45/1 حو7	الخلافة الراشدة	بيعة علي	الحسن بن علي، علي، المغيرة ابن شعبة، عمار بن ياسر	35هـ
47/1 حو8	الخلافة الراشدة	بيعة علي	علي، الزبير بن العوام،طلحة ابن عبد الله،عبد الله بن عباس	35هـ
48/1- حو9	الخلافة الراشدة	خلاف عائشة مع علي	عائشة، عبيد بن أبي سلمة	المدينة، الخمس لعشر بقين من جمادى الأولى 36هـ
48،49/1 حو10	الخلافة الراشدة	اعتزال حرب الجمل	علي، عمار بن ياسر، عبد الله ابن عمر، سعد بن أبي وقاص	36هـ
53،54،55/1 حو11	الخلافة الراشدة	توجه عائشة و طلحة و الزبير إلى البصرة	سعيد بن العاصي،طلحة، الزبير،الوليد بن عقبة،يعلي بن منية،عبد الله بن عامر ، مروان بن الحكم	36هـ
55،56/1 حو12	الخلافة الراشدة	توجه عائشة و الزبير و طلحة و عائشة	عبد الله بن خلف،طلحة، الزبير سعيد بن العاص،المغيرة بن شعبة/عائشة، مروان	أوطاس، أرض خيبر 36هـ
57/1–حو13	الخلافة الراشدة	توجه عائشة إلى البصرة	عائشة، محمد بن طلحة/عثمان بن حنيف، حكم بن جبل العبدي	ماء الحوأب 36هـ
58/1 حو14	الخلافة الراشدة	نزول عائشة و طلحة و الزبير البصرة	عمران بن الحصين، أبو الأسود الدؤلي، طلحة، الزبير،	36هـ

			عائشة،محمد بن طلحة	
1/58،59-حو15	الخلافة الراشدة	نزول علي بن أبي طالب الكوفة	عمار بن ياسر، محمد بن أبي بكر، أبو موسى الأشعري	الخريبة، جمادى الثانية،36هـ
1/64- حو16	الخلافة الراشدة	موقعة الجمل	علي، طلحة، الزبير	36هـ
1/64- حو17	الخلافة الراشدة	رجوع الزبير عن الحرب	الزبير، عائشة، عبد الله بن الزبير	36هـ
1/65- حو18	الخلافة الراشدة	قتل الزبير بن العوام	ابن جرموز، الزبير بن العوام	وادي السباع،36هـ
1/66-حوَ18	الخلافة الراشدة	موقعة الجمل	علي، طلحة	بين الصفين،36هـ
1/71،72 حو19	الخلافة الراشدة	نعي عثمان بن عفان إلى معاوية	الحجاج بن خزيمة، معاوية بن أبي سفيان	36هـ
1/73 حو20	الخلافة الراشدة	نعي عثمان بن عفان إلى معاوية	رسول معاوية،علي، الصلت بن زفر	36هـ
1/76- حو21	الخلافة الراشدة	نصرة علي	رسول أهل العراق، مصقلة	36هـ
1/79 حو22	الخلافة الراشدة	إرسال علي جريرا إلى معاوية	علي بن أبي طالب، جرير	36هـ
1/79 حو23	الخلافة الراشدة	اللحاق بمعاوية	الأشعث بن قيس، أهل الثقة من أصحابه	
1/81 حو24	الخلافة الراشدة	الإقامة بالكوفة	الأشتر النخعي، عدي بن حاتم، شريح بن هانيء، علي	
1/82 حو25	الخلافة الراشدة	استشارة عمرو بن العاص بنيه و مواليه	عمرو بن العاص، عبد الله بن عمرو، محمد بن عمرو،وردان	فلسطين
1/83،82 حو26	الخلافة الراشدة	قدوم عمرو بن العاص إلى معاوية	معاوية، عمرو بن العاص، عتبة بن أبي سفيان	
1/83 حو27	الخلافة الراشدة	مشورة معاوية	معاوية بن أبي سفيان، عمرو بن العاص	نصف محرم، صفين 37هـ
1/87- حو28	الخلافة الراشدة	تعبئة أهل الشام	معاوية بن أبي سفيان، حوشب	37هـ
1/88 حو29	الخلافة الراشدة	منع معاوية الماء من أصحاب علي	علي، الأشعث، معاوية، رجل من أصحاب معاوية، عمرو بن العاص	37هـ
1/90 حو30	الخلافة الراشدة	قدوم أبي هريرة و أبي الدرداء على معاوية و علي	أبو هريرة، أبو الدرداء، معاوية، الأشتر، علي	صفين،37هـ

92/1 حو31	الخلافة الراشدة	مخاطبة النعمان بن بشير قيس بن سعد	النعمان بن بشير قيس بن سعد	37هـ
93/1 حو32	الخلافة الراشدة	محاربة الأشتر	معاوية، مروان بن الحكم، عمرو بن العاص	37هـ
95/1،96 حو33	الخلافة الراشدة	رفع أهل الشام المصاحف	معاوية بن أبي سفيان، عمرو بن العاص، عتبة بن أبي سفيان، الأشعث بن قيس	37هـ
97/1،101 حو34	الخلافة الراشدة	اختلاف أهل العراق في الموادعة	علي، كردوس بن هانئ، سفيان بن ثور، حريث بن جابر، خالد بن معمر، الحصين بن المنذر، عثمان بن حنيف، عدي بن حاتم، عبد الله بن حجل، المنذر بن الجارود، الأحنف بن قيس، عمير بن عطارد،	37هـ
101/1،104 حو35	الخلافة الراشدة	نداء أهل الشام و استغاثتهم عليا (المشاورات)	معاوية، عمرو بن العاص/عدي بن حاتم، الأشتر، عمرو بن الحمق، الأشعث بن قيس، عبد الرحمن بن الحارث، علي، عمار بن ياسر	37هـ
103/1،104 حو36	الخلافة الراشدة	هزيمة أهل الشام	الأشتر، معاوية، عمرو بن العاص	37هـ
105/1 حو37	الخلافة الراشدة	الاتفاق على الصلح و إرسال الحكمين	الأشعث بن قيس، شريح بن هانئ، عدي بن حاتم، قيس بن سعد، أبو موسى الأشعري، علي	37هـ
107/1 حو38	الخلافة الراشدة	الاختلاف في كتابة صحيفة الصلح	علي، معاوية، الأشعث، أبو الأعور	37هـ
110/1 حو39	الخلافة الراشدة	اجتماع أبي موسى الأشعري و عمرو بن العاص	عمرو بن العاص، أبو موسى الأشعري	37هـ، دومة الجندل
115/1 حو40	الخلافة الراشدة	مناقشات الخوارج	عبد الله بن وهب الراسبي،حرقوص بن الزبير، زفر بن حصين الطائي،	ليلة الخميس، منزل حرقوص بن زهير
120/1-حو41	الخلافة الراشدة	مسير علي إلى الخوارج	علي، الخوارج	37هـ

129،130/1 حو42	الخلافة الراشدة	مقتل علي عليه السلام	المدائني، عبد الرحمن بن ملجم المرادي، الحجاج بن عبد الله الصريمي،أذويه مولى بني العنبر (عمرو بن بكر)	21 رمضان 40هـ
134،133/1 حو43	الخلافة الأموية	إنكار سليمان بن صرد	سليمان بن صرد، الحسن بن علي، الحسين بن علي	41هـ
139،135/1 حو44	الخلافة الأموية	أخذ البيعة ليزيد	الضحاك بن قيس، عبد الرحمن بن عثمان الثقفي، ثور بن معن،عبد الله بن عصام، عبد الله بن مسعدة، الأحنف بن قيس، معاوية بن أبي سفيان	الشام 59هـ
139/1، 141 حو45	الخلافة الأموية	قدوم معاوية المدينة و محاورته العبادلة	معاوية بن أبي سفيان، عبد الله بن عباس، عبد الله بن جعفر، عبد الله بن الزبير، عبد الله بن عمر	المدينة المنورة، 50هـ
142/1 حو46	الخلافة الأموية	موت الحسن بن علي	عبد الله بن عباس، معاوية بن أبي سفيان	51هـ
154،147/1 حو47	الخلافة الأموية	قدوم معاوية المدينة	معاوية بن أبي سفيان، الحسين بن علي، عبد الله بن عباس، عبد الله بن أبي بكر، عبد الله بن الزبير	المدينة المنورة
184/2- حو48	الخلافة الأموية	قتال الحسين	عمرو بن سعيد، الحسين بن علي	كربلاء،10 محرم، 61هـ
191،190/2 حو49	الخلافة الأموية	حريق الكعبة	عبد الله بن الزبير، الحصين بن نمير	الخميس 14 ربيع الأول 69 هـ ، مكة المكرمة
201،200/2 حو50	الخلافة الأموية	مسير عبد الملك إلى العراق	عبد الملك بن مروان، مصعب بن الزبير	بين الشام و العراق
202/2 حو51	الخلافة الأموية	حرب عبد الله بن الزبير	عبد الله بن الزبير، القرشيون (ابن صفوان، رجال من بني مخزوم) عروة بن الزبير أسماء بنت أبي بكر	ذو القعدة، 72هـ، مكة المكرمة
213/2 حو52	الخلافة الأموية	حرب الحجاج مع ابن الأشعث	الحجاج، أسماء بنت أبي بكر الصديق، عامر بن سعيد الشعبي	مكة المكرمة

219/2 حو53	الخلافة الأموية	قتل سعيد بن جبير	الحجاج بن يوسف، سعيد بن جبير	95هـ
223،222/2 حو54	الخلافة الأموية	بيعة الوليد و سليمان ابني عبد الملك	سعيد بن المسيب، عبد الرحمن بن عبد القاري	دمشق 84هـ
246/2 حو55	الخلافة الأموية	خلافة سليمان و ما صنع بموسى بن نصير.	سليمان بن عبد الملك، موسى بن نصير.	96هـ
249/2 حو56	الخلافة الأموية	تولية سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة	سليمان بن عبد الملك، موسى بن نصير	
257،256/2 حو57	الخلافة الأموية	مقتل عبد العزيز بن موسى	سليمان بن عبد الملك، موسى بن نصير	97هـ
259،258/2 حو58	الخلافة الأموية	سؤال سليمان بن عبد الملك موسى بن نصير	سليمان بن عبد الملك، موسى بن نصير	
266،263/2 حو59	الخلافة الأموية	سؤال سليمان أبا حازم	سليمان بن عبد الملك، عبد الجبار بن عبد العزيز بن أبي حازم	
269،267/2 حو60	الخلافة الأموية	وفاة سليمان بن عبد الملك و استخلافه عمر بن عبد العزيز	سليمان بن عبد الملك، عمر بن عبد العزيز، رجاء	صفر، 99هـ
273/2 حو61	الخلافة الأموية	دخول الخوارج على عمر بن عبد العزيز	عمر بن عبد العزيز، ممزوج مولى بن شيبان، صليبة بني يشكر	101هـ
284،283/2 حو62	الخلافة الأموية	بدء الفتن و الدولة العباسية	سليمان بن عبد الملك، عبد الله بن محمد بن علي	دمشق،96هـ
284/2 حو63	الخلافة الأموية	دخول محمد بن علي على هشام بن عبد الملك	هشام بن عبد الملك، محمد بن علي بن عبد الله بن عباس	دمشق،105هـ
287،286/2 حو64	الخلافة الأموية	وثوب أهل دمشق على الوليد بن يزيد و قتله	يزيد بن خالد بن عبد الله القسري، الوليد بن يزيد بن سليمان بن عبد الملك	دمشق، 126هـ
289،288/2 حو65	الخلافة العباسية	خروج أبي مسلم الخراساني	أبو مسلم الخراساني، إبراهيم بن محمد	126هـ
295/2 حو66	الخلافة العباسية	قتل أبي سلمة الخلال	أبو العباس(الأمير)، الوزراء	132هـ
307،306/2 حو67	الخلافة العباسية	اختلاف أبي مسلم على أبي العباس	أبو العباس، أبو جعفر المنصور	136هـ

310،309/2 حو68	الخلافة العباسية	قتل أبي مسلم الخراساني	أبو جعفر المنصور ، أبو مسلم الخراساني	136هـ
315،313/2 حو69	الخلافة العباسية	اجتماع شبيب ابن شبيبة مع أبي جعفر المنصور قبل ولايته و بعدها	أبو جعفر المنصور ، شبيب بن شيبة	
317،316/2 حو70	الخلافة العباسية	حج أبي جعفر المنصور	أبو جعفر المنصور، مالك بن أنس، سفيان الثوري، سليمان بن الخواص	منى، 148هـ
319،317/2 حو71	الخلافة العباسية	دخول ابن أبي ذؤيب و مالك و ابن سمعان على أبي جعفر	أبو جعفر المنصور، مالك بن أنس، ابن أبي ذؤيب ، ابن سمعان	ذي الحجة، منى
320/2 حو72	الخلافة العباسية	اجتماع أبي جعفر مع عبد الله بن مرزوق	أبو جعفر المنصور، عبد الله بن مرزوق	ذي الحجة، البيت الحرام، مكة المكرمة
323،322/2 حو73	الخلافة العباسية	دخول مالك بن أنس على أبي جعفر المنصور	أبو جعفر المنصور، مالك بن أنس	منى، 163هـ
324/2 حو74	الخلافة العباسية	موت أبي جعفر المنصور و استخلاف المهدي	محمد المهدي، مالك بن أنس	مكة، 166هـ
325/2 حو75	الخلافة العباسية	استخلاف هارون الرشيد	المهدي ، هارون الرشيد	173هـ
329/2 حو76	الخلافة العباسية	مسير الرشيد إلى الفضل بن عياض	الفضل بن عياض ، الرشيد	الغيران، الحجاز
338،336/2 حو77	الخلافة العباسية	ذكر الأعرابي مع هارون الرشيد	الأعرابي، هارون الرشيد	
341،339/2 حو78	الخلافة العباسية	قتل جعفر بن يحي بن برمك	سهل بن هارون، هارون الرشيد، /هارون الرشيد، أم جعفر (أم الرشيد)	صفر،187هـ
345/2 حو79	الخلافة العباسية	استخلاف الأمين	زبيدة، هارون الرشيد، عبد الله المأمون، محمد الأمين.	195هـ

تتميز هذه الحوارات السياسية بمسار متدرج تميزه أطوار أربعة[1] يمر منها الحوار قبل الوصول إلى حله، وهذه الأطوار هي كالتالي:

[1] ينظر رشيد الراضي ، السفسطات في المنطقيات المعاصرة، ص152

1.2.1 الطور التنازعي:

يتم في هذا الطور الإعلان عن وجود حالة تنازع، ويتم بسط الخلاف وتعيين المسألة التي يدور حولها النقاش، أو باصطلاح عربي أصيل تحرير محل النزاع.

2.2.1 الطور الانفتاحي:

يتم في هذا الطور اتخاذ القرار بحل النزاع عن طريق محادثة موجهة بقواعد حجاجية، ولأجل ذلك يقوم أحد الطرفين باتخاذ موقع **العارض**، وهو ما يعني استعداده لأن يحاجج من أجل الدفاع عن وجهة نظره، بينما يلعب الطرف الآخر دور **المعترض** وهو ما يعني أنه مستعد لمواجهة العارض بصورة منظمة لكي يجبره على الدفاع عن رأيه **المعروض**. إن السير الناجح لهذه المحاورة يقتضي التواضع على معطيات الانطلاق وقواعد المحاورة، أي الاتفاق حول الطريقة التي ستتبع في إدارة التنازع وتوجيه المحاورة، ويقوم الطرفان معا باختيار نمط المحادثة الذي سيتم الأخذ به، أو على الأقل التصريح بقبولهم الإرادي أن يكونا طرفا في نمط من أنماط المحاورة.

3.2.1 الطور الحجاجي:

يتصدى في هذا الدور العارض للدفاع عن معروضه، أما المعترض فيقوم بالإلحاح في طلب المزيد من الحجج، خصوصا إذا بدا له تقصير من طرف العارض في الوفاء بمهمته. إن هذا الطور من المحاورة قد يعتبر هو المحاورة ذاتها، وذلك بالنظر إلى دوره الحاسم في حلها.

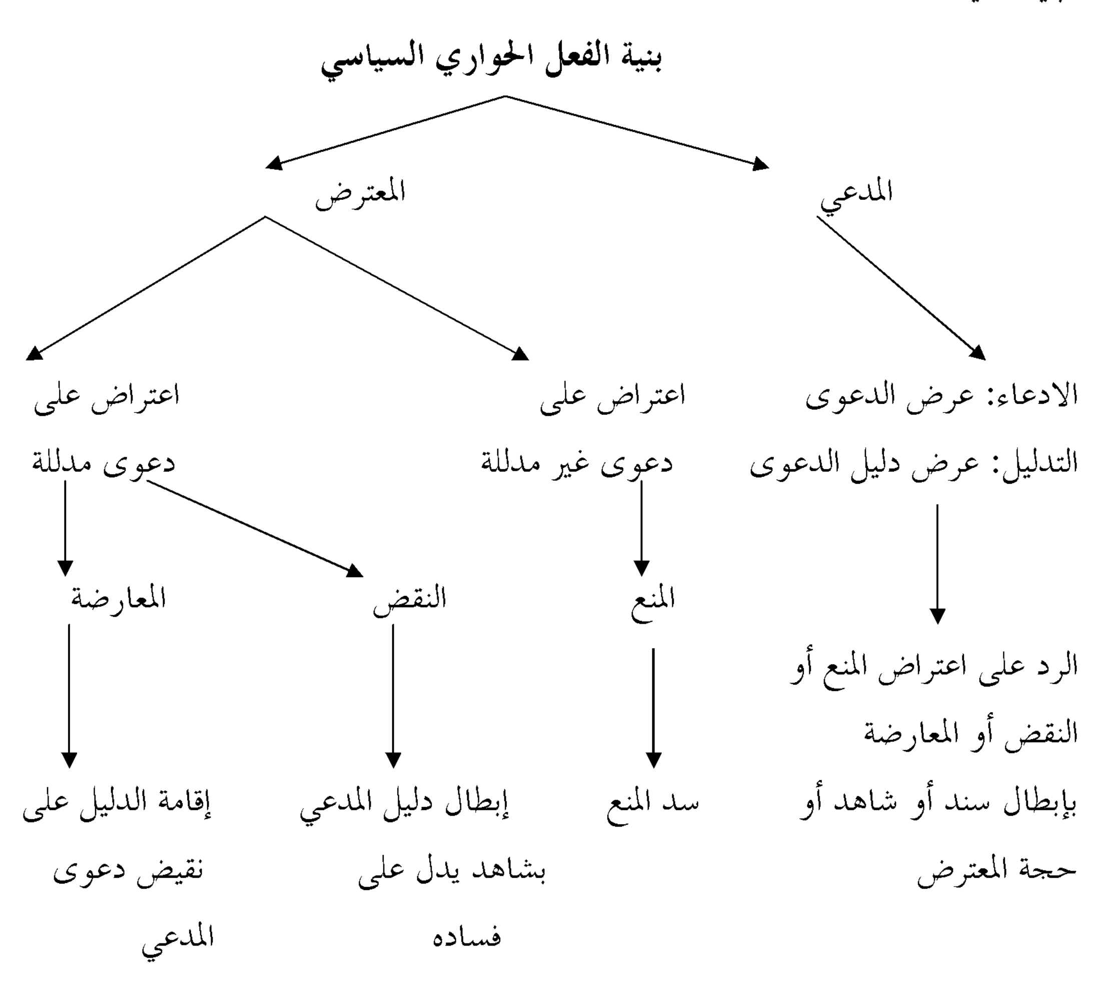
4.2.1 الطور الختامي:

يتم حل المحاورة في هذا الطور، وذلك بأن يقع **الإعراض** l'abandon، وهذا الإعراض إما عن الرأي المعروض، وإما عن الاعتراض الذي وجه لهذا الرأي. فإن كان الإعراض عن الرأي المعروض يكون النجاح في المحاورة من نصيب المعترض، وإن كان الإعراض عن الاعتراضات الموجهة للرأي المعروض، يكون النجاح قد حالف العارض. وتنتهي المحاورة في الحالة الأولى – أي الإعراض عن الرأي المعروض – إلى تقلد العارض رأيا معارضا لرأيه السابق، أو تقويم رأيه وتعديله، أو تقلد رأي محايد. أما في الحالة الثانية ـــ أي الإعراض عن الاعتراضات ـــ فإن المعترض يجد نفسه ملزما بوضع لا بديل عنه، وهو قبول وجهة نظر العارض.

3.1 بنية الفعل الحواري السياسي

إن عناصر بنية الحوار متعددة و تتمثل في : الدعوى و جملة القضايا التي تثبتها و العلاقة التي تدل على الصلة الحجاجية بين الدعوى و بين هذه الجملة من القضايا و تعين كلا من وظيفتيهما و موقعيهما[1]:

و تختلف هذه العناصر باختلاف أصناف/ أنماط الحوار السياسي، إلا أنها تشترك عموما في البنية الآتية:



وفيما يلي تفصيل لعناصر الفعل الحواري السياسي :

1.3.1 أطراف الحوار

-المدعي:

هو من نصب نفسه لإثبات حكم دعوى أو أطروحة ما .

---

[1] ينظر اللسان و الميزان ، ص270

-المعترض (أو السائل):

هو من نصب نفسه لنفي حكم دعوى المدعي.

2.3.1 أفعال التكلم

1.2.3.1 الادعاء:

و هو فعل تكلمي عرضي ، أي عرض دعوى أو أطروحة ما...ومن شروطه:

- أن يعتقد المدعي صدق ما يدعي.
- أن يطالب المدعي المخاطب بأن يصدق بدوره هذه الدعوى.
- أن يكون للمدعي بينة أو دليل أو حجة أو بينات على ما يدعي.
- أن يكون للمخاطب حق المطالبة بهذه البينات و تقويمها .
- أن يكون منطوق الادعاء أنه صادقا ، و مفهومه أنه قابل للتكذيب[1].

2.2.3.1 التدليل:

وهو عرض المدعي لبينة أو حجة أو دليل لإثبات ما يدعي... فالتدليل عبء يتحمله كل مدع ، ولا يسقط عنه إلا إذا نصب الدليل و أقام الحجة على الوجه المطلوب و من شروطه:

- أن يكون مبنى التدليل على مجموعة من الادعاءات في صورة مجموعة من القضايا.
- أن يعتقد المدعي صدق قضايا دليله و صحة هذا التدليل.
- أن يعتبر المدعي المعترض صادقا في اعتراضه و مصدقا بقضايا دليل الاعتراض و بوظيفتها التدليلية.
- أن يقصد المدعي بتدليله إقناع المعترض بالعدول عن منعه[2].

3.2.3.1 الاعتراض:

يختلف الاعتراض المنطقي على دعوى المدعي بحسب اقتران الدعوى بدليل أو عدم اقترانها به و يسمى الاعتراض على الدعوى غير المقرونة بدليل المنع ، و يشمل الاعتراض على الدعوى المقرونة بدليل أصنافا ثلاثة: المنع و النقض و المعارضة[3]:

---

[1] ينظر في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، ص.76

[2] ينظر المرجع نفسه، ص77.

[3] ينظر شوقي مصطفى، المجاز و الحجاج في درس الفلسفة بين الكلمة و الصورة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص 47

1.3.2.3.1 المنع:

هو الاعتراض على الدعوى غير المقرونة بالدليل، أو الاعتراض على مقدمة من مقدمات دليل الدعوى المدللة باعتبار هذه المقدمة دعوى غير مدللة.. و اعتراض المنع يعني مطالبة المدعي بالدليل على دعواه ، و ما يذكر لتقوية المنع يسمى السند.

2.3.2.3.1 النقض :

هو الاعتراض على دعوى أثبتها المدعي بدليل، فيتجه المعترض أو الناقض نحو إبطال دليل المدعي و بيان عدم صلاحيته للاستدلال به على دعوى المدعي... و ما يذكر لبيان فساد دليل المدعي يسمى الشاهد.

3.3.2.3.1 المعارضة :

و هي إقامة الدليل على نقيض دعوى المدعي

3.3.1 أفعال التكلم الإلتزامية

تتمثل هذه الأفعال في السمع و هو قبول المنع، و في الاتفاق على الحوار و الشروع فيه و على قواعده و توزيع الأدوار فيه[1].

4.3.1 أفعال التكلم التوجيهية

تتمثل هذه الأفعال في الاستفسار و المطالبة بالتدليل[2].

5.3.1 أفعال التكلم الإعلانية

يقصد بها تعيين الطريق و هو ترجيح طريق في التدليل يبدو للمانع أفضل من الطريق الذي سلكه المدعي[3].

4.1 أصناف الحوار السياسي و بنيتها الاستدلالية الحجاجية

يرى محمد العمري أن الحوار السياسي يجري داخل دائرة الممكن و دائرة ما يتطلب إنجازه و يتطلب أخذ "الآخر" بعين الاعتبار، متعاونا (مشاورات) أو منازعا (مناظرات)، أو منقادا دون رؤية (استهواء). وخارج هذه الدائرة توجد دائرة المطلق (أو المطلقات).

---

[1] ينظر في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، ص77

[2] ينظر المرجع نفسه، ص77

[3] ينظر المرجع نفسه، ص77

و لكل صيغة من صيغ الحوار، أو جنس من أجناسه امتداد: ففي امتداد التشاور توجد المعرفة في بعدها التخزيني، أي نشاط الذاكرة بشكل أساسي، وفي امتداد المناظرة يوجد التأمل والاعتبار والمعرفة المنطقية والبرهانية، أي نشاط العقل بصفة أساسية. وفي امتداد الاستهواء يوجد العنف السيكولوجي والرمزي، أي نشاط الوجدان بشكل أساسي.

يجري الحوار السياسي إذن داخل دائرة الممكن، ولكنه قد يتزلق خارج الدائرة حين يصادر أحد الطرفين حق الآخر في المعرفة أو النظر أو الاعتبار (حيث يستغفله أو يستخف به). وقد يتم الانزلاق من مقام إلى مقام فيختل الحوار أو يضطرب، كما يحدث حين القفز من المشاورة إلى المنازعة، أو من المناظرة إلى الاستهواء[1].

على هذا الأساس فإن الشواهد النصية للحوار السياسي في كتاب "الإمامة و السياسة" تنتظم في أصناف مختلفة، سيتم تحديدها حسب أمور هامة و حاسمة هي:

- الهدف المقصود من الحوار
- المنهج المتبع
- الوضع لحظة الانطلاق[2] .

و لقد ارتبط إنتاج هذه الأصناف الحوارية بأحداث تاريخية لها دور رئيس في بلورة الحركات السياسية و نظام الحكم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و سلم، و تجسدها (الأصناف) شخوص سياسية تختلف في تكوينها المذهبي و الاجتماعي و الثقافي ، و تعتمد في غالب الأحيان في بناء خطابها حججا للدفاع عن أرائها و تبريرها و لإقناع الآخر بها ، و ترد هذه الحجج في مقام حواري استحضاره يعين التعرف على بنيتها.

1.4.1 البنية الاستدلالية الحجاجية للمحاورة النقدية السياسية

تعود البذور الأولى للمحاورة النقدية /للمناظرة السياسية إلى ما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و سلم مباشرة يوم وقف الفرقاء في سقيفة بني ساعدة[3] يحتج كل لأسبقيته في الخلافة بكل ما

---

[1] ينظر محمد العمري، بلاغة الخطاب السياسي، الهوية و الرسالة، جريدة الاتجاه الاشتراكي، 2007/10/02.
http://medlomari.free.fr/discourpo.htm

[2] ينظر رشيد الراضي ، عن الأصول المنطقية للحوار.

[3] هي سقيفة بني ساعدة، و هي ظلة كانوا يجلسون تحتها، و هي لبني ساعدة بن كعب من الخزرج، و كانت دار سعد بن عبادة مما يلي سوق المدينة و عندها السقيفة، و تعد موئلا مركزيا للإعلام و التواصل، و إطارا حيويا لإنتاج الخطابات و تلقيها، ينظر نجيب بن حيرة، التاريخ الإسلامي ، تاريخ الخلافة الراشدة، دار الهدى للنشر ،

يبرر غرضه من قيم دينية و اجتماعية ، ثم استؤنف هذا الصنف الحواري بعد مقتل الخليفة عمر بن الخطاب،و بداية الفتنة الكبرى و ظهور المعارضة السياسية في شكل أحزاب سياسية مختلفة.

إن ما دار في "سقيفة بني ساعدة" من حوار في شأن ولاية الأمر و عن الأحق بها ، يدل على وعي المسلمين السياسي بضرورة وجود خليفة لرسول الله يخلفه في شأن قيادة الدولة و استمرارية تنفيذ الأحكام ، كما يدل على رحابة صدورهم للمناقشات و تقبلهم للرأي الآخر دون منازعة ، فحوار السقيفة شاهد تاريخي على مشروعية المعارضة في الفكر السياسي الإسلامي[1].

و تسمح الأسس الثلاثة : الوضع لحظة الانطلاق و المنهج و الهدف من تحديد المحاورة النقدية السياسية من بين مجموع الحوارات المحددة في الجدول 1 و تتمثل في الآتي:

الوضع لحظة الانطلاق	المنهج	الهدف	المحاورة النقدية السياسية في الكتاب
اختلاف الآراء	حجج داخلية و خارجية	إقناع الطرف الآخر	حو1،حو7،حو8،حو10،حو12،حو13،حو14،حو16،حو17 حو18،حو20،حو34،حو38،حو40،حو41،حو43،حو45،حو50 حو52،حو55،حو60،حو61،حو69،حو72،حو74،حو79،حو81

إن "المحاورة النقدية السياسية في كتاب الإمامة و السياسة آلية حجاجية ذلك أنها خطاب استدلالي يقوم على المقابلة و التفاعل الموجه و هي نوع من الجدال/ النزاع بالتي هي أحسن بين فريقين وصولا للحق و الصواب.

لقد كانت غاية هذا الصنف الحواري هو حل الخلاف حول القضايا المتنازع حولها ، إذ تمت المواجهة بين طرفين أو أكثر ، و كان هدف كل طرف هو إقناع الطرف الآخر بدعواه ، لأجل ذلك تم في غالب الأحيان اعتماد مسلك التدليل عل الدعوى ، الذي روعيت فيه جملة من القواعد

الجزائر،= =ط3، 2002، ص50 و ينظر السعيد يقطين ، من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جمالية الإبداع التفاعلي المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت، ط1، 2005، ص179 .

[1] محمد الصالح روان، المعارضة السياسية في الفقه الإسلامي و تطبيقاتها المعاصرة، رسالة ماجستير، معهد الشريعة جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1998، ص41.

التي حصل التسليم بها من الطرف الآخر. فكل من انخرط في هذا الضرب من الحوار التزم بالسعي لإقناع محاوره بالاستناد إلى المقدمات التي يقبل بها هذا المحاور.

و تبعا لذلك فإن هناك نوعين من الحجج تم التوسل بهما في المحاورة النقدية/المناظرة السياسية في الكتاب و هي كالآتي:

1.1.4.1 الحجج الداخلية

و يتعلق الأمر بالعمل على انتزاع الحجج من القضايا التي يسلم بها المحاور في المحاورة ذاتها، أذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

الحوار	التدليل/المدعي	الحجج الداخلية/المعترض
حو1	ح1:المهاجرون أولُ من عبد الله على الأرض(أبوبكر الصديق). ح2:الأنصار أهل الإيواء و النصرة(الحباب بن المنذر)	حَ1: ما عبد المهاجرون الله علانية إلا في بلاد الأنصار(الحباب بن المنذر) حَ2: أنتم [الأنصار] أول من نصر و آوى فلا تكونوا أول من يبدل و يغير (أبو عبيدة)
حو11	ح1:نرى أن نردها شورى (طلحة بن عبيد الله)	حَ1: لن يردها إلا أولئك الذين حكموا فيها (عبد الله بن عمر)

إن المعترض في المحاورات النقدية المذكورة في الجدول أعلاه اعتمد على انتزاع الحجج من القضايا التي أوردها المدعي و بذلك بنى دليله، فالحباب بن المنذر في تقديمه لحججه التي تؤيد الدعوى "الأنصار هم الأحق بالخلافة" قد استخرجها من حجج المدعي أبي بكر الصديق صاحب المعارضة "المهاجرون هم الأحق بالخلافة" ، و حتى أبو عبيدة استعمل حجة الحباب لينتزع حجته. فكل من المدعي و المعترض يسلمان بمصداقية الحجج المقدمة، و يستعملانها في الوقت نفسه لانتزاع الحجة النقيض.

و أما المدعي في "حو11" و إن كانت حجته في مقاتلة علي هي " الدعوى إلى الشورى" فإنها حجة اعتمدها "عبد الله بن عمر" ليبين موقفه من المعارضة و هو موقف لا يؤمن بالتحرك إلا انطلاقا من قاعدة الإجماع.

2.1.4.1 الحجج الخارجية

هي القضايا و الوقائع الجديدة التي يستدعيها أحد أطراف الحوار ، و يتم قبولها لأنها بديهيات أو معطيات يقطع بها أهل الخبرة الذين يمثلون في هذا السياق طرفا ثالثا يتخذ كمصدر محايد للخبرة و مثال ذلك النماذج الآتية:

الحوار	الدعوى-المدعي/المعارضة-المعترض	الحجج الخارجية
حو1	-المهاجرون هم الأحق بالخلافة-(أبو بكر الصديق)	ح1:المهاجرون أول الناس إسلاما ح2:المهاجرون عشرة رسول الله ح3:المهاجرون أوسط العرب أنسابا
حو7	- معاوية سيطلب الثأر لعثمان (الحسن بن علي)	ح1:ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا
حو34	- البقاء في الموادعة (سفيان بن ثور) - الاستمرار في القتال (حريث بن جابر)	-ح1:أكلتنا هذه الحرب -حَ1 : لا يلحد في هذا الأمر إلا راجع على عقبيه حَ2: لا يلحد في هذا الأمر إلا مستدرَج مغرور حَ3: ما بيننا و بين من طعن علينا إلا السيف

إن الحجج المقدمة في كل من "حو1،حو7،حو34" على التوالي تمثل بديهيات لا يمكن أن ينكرها إلا جاحد ، ذلك أن الحجج التي قدمها أبو بكر الصديق حقيقة يعلمها كلا أطراف الحوار "المهاجرون و الأنصار" و حتى غيرهم.

و أما الحجة / الآية القرآنية التي قدمها الحسن بن علي فهي أيضا قول صادق لا يحتمل الكذب يستطيع أهل الخبرة أن يقطعوا بها ، كما تمثل حجة سفيان بن ثور في قبول الموادعة من المعطيات و البديهيات الظاهرة للعيان وهي سقوط الكثير من القتلى . و في المقابل فإن الحجج التي قدمها حريث بن جابر في عدم قبول الموادعة تعد أيضا من أهم المعطيات التي يقوم عليها خلُق المجاهد المسلم.

2.4.1 البنية الاستدلالية الحجاجية للمنازعة الجدلية السياسية

لقد تحول الحوار السياسي في كثير من الأحيان من محاورة نقدية تهدف إلى إظهار الصواب إلى منازعة جدلية تهدف إلى هزم الخصم من خلال رد فعلي تحكمه حوافز الغضب و التعصب للذات أو الفكر.

فالهدف الأساسي بالنسبة للمتحاورين في هذا النمط من الحوار هو الظفر في هذه المنازعة، و الـــذي عادة ما يكون على حساب القيمة المنطقية و العقلانية للحجج بحيث تكثر المكابرة و المعاندة[1].

فأما المكابرة فهي أن ينازع المحاور برغبة إظهار مزاياه و فضله و ليس بهدف إظهار الحـــق، لذلك لا يتورع المكابر عن منع البديهيات و الإعراض عن التصديقات النظرية و إن أقـــام المحـــاور الدليل على صدقها. و أما المعاندة فهي المجادلة بغير علم و المدافعة و لو بالباطل[2].

و يحدد الجدول الآتي المنازعات الجدلية السياسية في الكتاب:

الوضع لحظة الانطلاق	المنهج	الهدف	المنازعة الجدلية السياسية في الكتاب
الحاجة إلى الرأي	المدافعة بالقول/تقصد ذات الشخص	كسب الجمهور و قهر الخصم	حو4،حو5،حو9،حو20،حو31،حو46،حو47، حو48،حو49،حو52،حو53،حو62،حو63،حو73 حو32

و يمكن تحديد الأنواع الآتية من الحجج في المنازعة الجدلية السياسية في الكتاب:

1.2.4.1الحجاج وجه الذات Ad hominem

هو نوع من الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على بيان موقع التناقض بين أقـــوال الشـــخص و أفعاله و تمثلها النماذج الآتية:

الحوار	التدليل-المدعي	الحجج وجه الذات-المعترض
حو32	ح1: أنتَ نفسي دون وزيري (معاوية بن أبي سفيان)	حَ1: لم تلحقني (عمرو بن العاص) به في العطاء حَ2: لم تلحقه بي في الحرمان حَ3: أعطيته ما في يدك حَ4: منيتني ما في يديْ غيرك (مروان بن الحكم)

إن مروان بن الحكم قدم مجموعة من الحجج ليدحض بها قول معاوية ، ذلك أن أفعال معاوية تناقض قوله ،فلو صحت حجة معاوية لكان فعل هذا الأخير كما ذكر مروان: لألحقه في العطـــاء كما ألحق عمرو بن العاص و ألحق هذا الأخير في الحرمان كما ألحق مروان .

[1] ينظر رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة، ص149

[2] المرجع السابق، ص179

2.2.3.1 التبكيت فوق الحجاجي

هو نوع من الحجج شبه المنطقية التي تعتمد بيان التناقض في حجاج الخصم دون اعتبار أفعاله أو شخصه و تمثلها النماذج الآتية:

الحوار	التدليل-المدعي	الحجج وجه الذات-المعترض
حو9	ح1: قتل عثمان مظلوما ح2: آخر قولي خير من أوله(عائشة)	حَ1: أنتِ أول من طعن عليه و أطمعَ الناس فيه حَ2: عُذرٌ و الله ضعيف يا أم المؤمنين (عبيد بن أبي سلمى)

لقد قدم عبيد بن أبي سلمى الحجة " أنت أول من طعن عليه و أطمع الناس فيه " ليبين وجه التناقض في قول عائشة فهي في أول الأمر قد حرضت على قتل عثمان ثم رجعت تطلب بدمه. حتى أنه ذكر قولها " اقتلوا نعثلا فقد فجر" و هي إشارة إلى تحميلها رضي الله عنها بشكل غير مباشر جزءا من مسؤولية التحريض على الخليفة الشهيد.

أما المدعي في "حو9" فأقام الدليل على الدعوى "معاقبة قتلة عثمان و الانتصاف لأهل المدينة" إلا أن المعترض "عبيد بن أبي سلمى" انتزع الحجة من الحجة المقدمة ليقدم النتيجة " عائشة حرضت على قتل عثمان" و أن الحجة التي قدمتها ليست بأضعف من الأولى.

3.4.1 البنية الاستدلالية الحجاجية للمشاورة السياسية

تمثل المشاورة نمطا حواريا قائما على تبادل الآراء للتوصل إلى الرأي الصواب، ذلك أن المشاور يطلب ممن يظن فيه صواب الرأي و التدبير أن يشير عليه بما يراه في حصول الفائدة المرجوة. و هكذا يتم استخراج الرأي بعد مراجعة أطراف الحوار.

وتكون المشاورة في المجال السياسي خاصة، إذ يعد هذا النمط الحواري ركيزة أساسية في بناء الدولة، خاصة فيما يتعلق إعداد القيادة و المصالح المصيرية من السلم و الحرب و المعاهدات و غيرها. فهي بذلك وسيلة للكشف عن الكفاءات و لا سيما في شؤون الحكم و السياسة.

إن المشاورة آلية للتوصل إلى توافق بخصوص **البديل الأمثل** من عدة خيارات معروضة ،إنها آليـة المشاركة مع الإبقاء على التعددية و التمايز[1].

و يحدد الجدول الآتي المشاورات السياسية في الكتاب:

---

[1] ينظر السيد عمر، نواة الشورى و الديمقراطية، مجلة المسلم المعاصر، س23، ع9، ص137-139.

الوضع لحظة الانطلاق	المنهج	الهدف	المشاورة السياسية في الكتاب
افتقاد المعلومة/اختلاف الآراء	التعاون	المشاركة في النتيجة	حو2،حو3، حو20،حو11،حو15،حو21، حو23،حو24،حو25،حو26،حو27،حو29،حو33 حو35،حو36،حو37،حو42،حو44 حو51،حو54، حو57،حو64،حو66،حو68،حو80.

إن المستشير في المشاورات أعلاه يحاول أن يعرض مشكلته بطرحه الدعوى و الفعل الاستشاري "ماذا ترى/ماذا ترون" و ينتظر من المستشار أن يعطيه حلا مقبولا لذلك. أما عن أهم أنواع الحجج التي تميز هذا النمط الحواري فتتمثل في الآتي:

1.3.4.1 حجة الاتجاه

تتمثل حجة الاتجاه في التحذير من مغبة اتباع سياسة المراحل التنازلية و تمثلها النماذج الآتية:

المشاورة	الحجة/المستشار	النتيجة /المستشير
حو25	ح1:أنت شيخ قريش ح2: أنت صاحب أمرها /محمد بن عمرو بن العاص	- يصغر أمرك / عمرو بن العاص
حو51	ح1:عش كريما و مت كريما /أسماء بنت أبي بكر	- يلعب بك صبيان بني أمية/ عبد الله بن الزبير

تقدم المشاورة"حو25" تحذير محمد بن عمرو والده عمرو بن العاص من نتيجة عدم التحاقه بمعاوية بعدما انتهى إليه كتابه .فاللحاق بمعاوية خير لعمرو بن العاص في نظر ابنه محمد.

أما الحجة "ح1: عش كريما و مت كريما" في المشاورة "حو51" فتمثل أيضا تحذيرا من إتباع سياسة المراحل التنازلية والتي تكون نتيجتها « يلعب بك صبيان بني أمية » .فموت عبد الله بن الزبير شهيدا خير له من الحياة في ظل بني أمية حسب نظر والدته "أسماء بنت أبي بكر".

1.3.4.1 حجة النموذج

تمثل هذه الحجة أحد أنواع الحجج المؤسسة لبنية الواقع، و مقتضاها أن نموذجا يصلح للإقتداء به، وتمثلها المشاورتان التاليتان:

المشاورة	النتيجة/المستشير	الحجة
حو02	لا استخلف عليكم/عمر بن الخطاب	ح1: لقد ودع من هو خير مني
حو51	تنازل عن حقك/عروة بن الزبير	ح1:تنازل الحسن لمعاوية

لقد قدم عمر بن الخطاب حجة نموذجية يصلح الإقتداء بها في رفضه تعيين خليفة للمسلمين ممثلة في عدم تعيين الرسول صلى الله عليه و سلم لخليفة يلي أمرهم و الحجة في ذلك أنه لا يريد أن يحمل تبعات الخلافة حيا و ميتا، و أما "عروة بن الزبير" فقد حاول أن يقنع أخاه بالتنازل مقدما تنازل الحسن لمعاوية نموذجا و أسوة حسنة

4.4.1 البنية الاستدلالية الحجاجية للمفاوضة السياسية

يعد التفاوض سلوكا طبيعيا يستخدمه الإنسان عند التفاعل مع محيطه، و هو عملية حوارية تخاطبية تميزه الاتصالات المستمرة بين طرفين أو أكثر بسبب وجود نقاط اتفاق واختلاف في المصالح المشتركة؛ يهدف للوصول إلى اتفاق يفي بمصالح الطرفين .

و يمثل التفاوض مرحلة من مراحل حل القضية محل النزاع إذ يستخدم في أكثر من مرحلة وغالباً ما يكون تتويجاً كاملاً لهذه المراحل، فالتفاوض كنمط حواري قد يكون أشد تأثيرًا من الوسائل الأخرى لحل المشكلات.

و يرتبط التفاوض بمجالات مختلفة و يقوم على أسس عامة من أهمها:

- التركيز على حل المشكلات و تجنب التعرض للأشخاص بأي نوع من التشويه.
- تنمية حاسة الاستماع الجيد للآخرين.
- تأمل أساليب إقامة الحجج المختلفة.
- استخدام الحجج إيجابيا لصالح التفاوض و ليس لصالح هزيمة الخصم.
- تجنب أساليب المغالطات و الدفاع عن الأوضاع الخاطئة.
- تحديد النقاط التي يمكن التفاوض بشأنها و التي تؤسس الأرضية المشتركة مع الآخرين قدر الإمكان.

- تحديد أولويات التفاوض.
- مراعاة قدر المعلومات التي يلقى بها على ساحة الحوار.[1]

إن الهدف الأساسي في الحوار التفاوضي هو المصلحة الذاتية ، و المنهج المعتمد فيه هو المساومة حيث يسعى كل طرف من أطراف الحوار للربح الشخصي ، و لذلك فإن القيمة الصدقية للمسائل التي ترد في سياقه و أحقية الاعتقاد بها لا تحتفظ بموقعها المركزي كما أن الضوابط المنطقية التي ينبغي أن تخضع لها صياغة الحجج لا تعود لها الأهمية نفسها، و يصبح الاهتمام الأكبر منصبا على القدرة على جني أكبر قدر من الربح عبر المساومة، كما أن الطرفين يكونان ملزمين بالتنازل ، إذ أن الكسب في هذا الظرف يقابله بالضرورة خسارة في الطرف الآخر[2] .

و لقد شكل الصراع السياسي حول السلطة أرضية خصبة لظهور هذا النمط الحواري قصد وصول الأطراف المتنازعة إلى حل يرضي الطرفين بدل المواجهة العسكرية التي أدت إلى إزهاق عدد من أرواح الصحابة والمسلمين.

أما عن أهم المفاوضات السياسية في الكتاب فتتمثل في الآتي:

الوضع لحظة الانطلاق	المنهج	الهدف	المفاوضة السياسية /الحوار التفاوضي في الكتاب
مصالح مختلفة	المساومة	المنفعة الشخصية	حو30، حو39

يبين مؤتمر التحكيم "حو30" نقاش المفاوضين حول جوانب الخلاف بين علي و معاوية رضي الله عنهما تمشيا مع ما أوردته وثيقة التحكيم "ث2" حتى يتوصلا إلى حل ينقذ الأمة مما أصابها من وهن و فرقة .

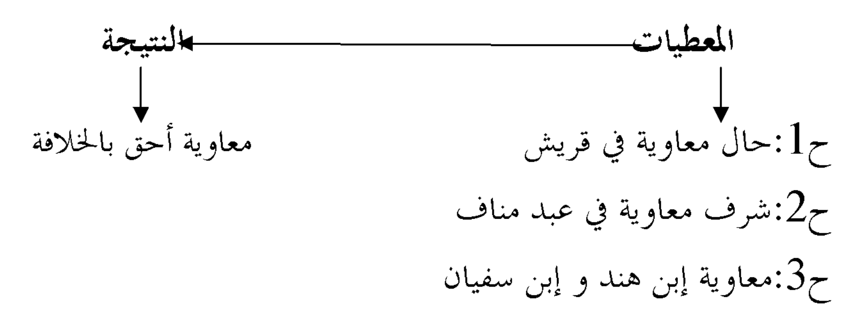
إلا أن المفاوضة السياسية "حو30" قد تحولت إلى خداع و تآمر على "علي رضي الله عنه" و حقه و مثلت نموذجا لصياغة الحجج التي لم يتم إخضاعها للضوابط المنطقية و لا حتى مراعاة قيمتها الصدقية مادام الهدف هو المصلحة الذاتية و فيما يلي تفصيل لأهم المقاطع الحجاجية التي تحدد الحوار التفاوضي "حو30":

[1] ينظر حسن محمد وجيه، مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي و السياسي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، ع 190، 1994، ص 18.

[2] ينظر رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة، ص149.

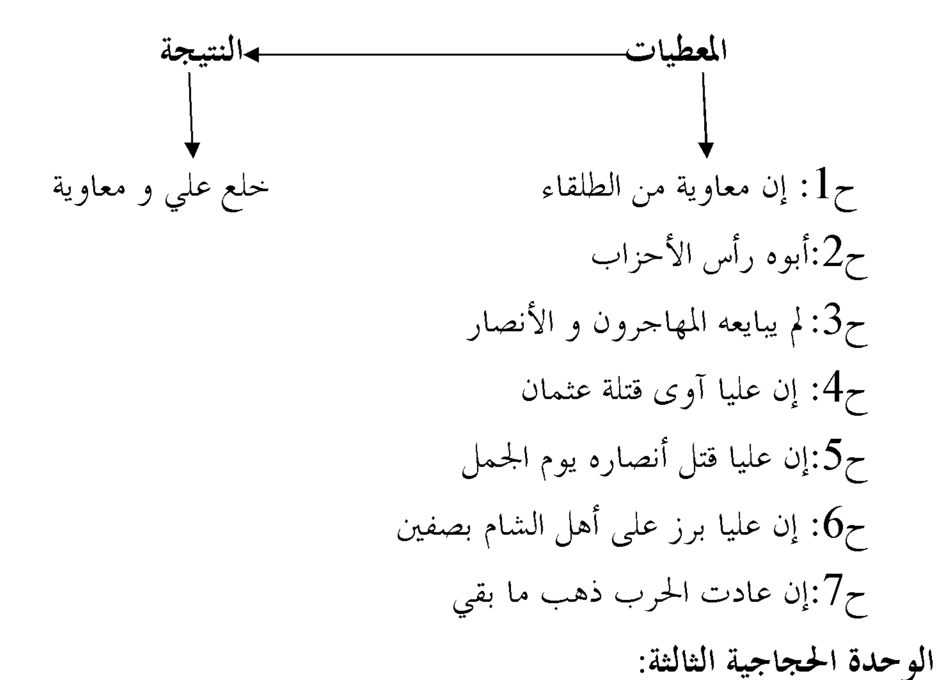
الوحدة الحجاجية الأولى:

يقدم المفاوض عمرو بن العاص مجموعة من الحجج و هي حجج شبه منطقية ، يحاول من خلالها الربط بين أحكام مسلم بها (ح1، ح2، ح3) و حكم يسعى إلى تأسيسه "معاوية أحق بالخلافة"



إن الحجج التي قدمها عمرو بن العاص ليثبت أحقية معاوية في الخلافة ليست قوية بما فيه الكفاية لإقناع مفاوضِه "أبي موسى الأشعري" مما جعله يحاجج لدعوى أخرى هي خلع "علي و معاوية " مقدما بذلك حججا أخرى كان الهدف من ورائها إقناع مفاوضه بأية طريقة .

الوحدة الحجاجية الثانية:



الوحدة الحجاجية الثالثة:

بعد أن اقتنع "أبو موسى الأشعري" بحجج عمرو بن العاص، اتفق الطرفان على إعادة الأمر للمسلمين ، و ذلك بعرض منصب الخلافة للشورى و استبعاد "علي و معاوية" رضي الله عنهما أو

على الأكثر تجريدهما من منصبيهما[1].ويقترح المفاوض الأول "عبد الله بن عمر" خليفة للمسلمين، و يستعين في صياغة النتيجة بالحجج الآتية:

المعطيات ← **النتيجة**

ح1:عبد الله بن عمر صاحب رسول الله — عبد الله بن عمر هو الأحق بالخلافة

ح2:لم يبسط في هذه الحرب يدا ولا لسانا

ح3:هو فاضل و زاهد و ورع و عالم

لقد استند المفاوض عمرو بن العاص في بناء حججه على علاقة الشخص بعمله و هي حجج قائمة على الاتصال التتابعي.

الوحدة الحجاجية الرابعة:

لما كان الهدف الأساسي للمفاوض عمرو بن العاص المصلحة الشخصية فقد اعتمد اللجوء إلى الحيلة و الخدعة لإقامة الحجة على مفاوضه أبي موسى الأشعري و من ثم هزمه مستخدما قدرته و ذكاءه وسيلة لذلك؛ مقدما حججا مرتبة حتى يقنعه بالتكلم أولا و هي كالآتي:

المعطيات ← **النتيجة**

ح1: قدمك (أبو موسى الأشعري) الله قبلي في الإيمان و الهجرة — الأولوية لأبي موسى في التكلم أولا

ح2: أنت وافد أهل اليمن إلى رسول الله

ح3: أنت وافد رسول الله إلى أهل اليمن

ح4: بك هداهم الله و عرفهم شرائع دينهم و سنة نبيه

ح5: أنت صاحب مغانم أبي بكر و عمر

يستند "عمرو بن العاص" إلى حجة الشخص و أفعاله مرة أخرى حتى يثبت النتيجة المتوخاة و هي حجة ذات طاقة حجاجية توجه المتلقي نحو السلوك المرجو.

[1] ينظر المؤرخون العرب و الفتنة الكبرى، ص286.

الوحدة الحجاجية الخامسة:

بعد أن أورد أبو موسى الأشعري الدعوى " نخلع عليا و معاوية و نجعلها لعبد الله بن عمر" قدم عمرو بن العاص حججا أخرى لإثبات الدعوى " أنا أخلع علي و أثبت معاوية" دون أن يخلع هو معاوية:

المعطاة ← **الضامن** ← **النتيجة**

- أبو موسى الأشعري خلع عليا ح1: أبو موسى شيخ المسلمين أنا أخلع عليا و أثبت معاوية

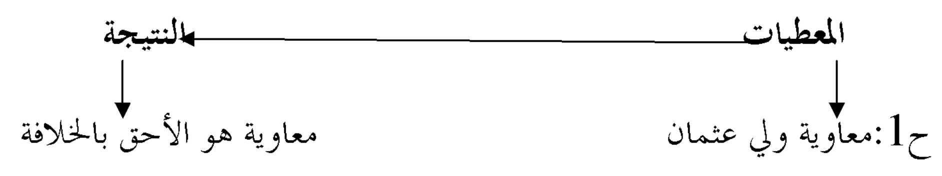
ح2: أبو موسى حكم أهل العراق

ح3: أبو موسى لا يبيع الدين بالدنيا

و هكذا ينجح عمرو بن العاص في الوصول إلى النتيجة المبتغاة" أخلع عليا و أُثْبِتُ صاحبي معاوية" مستعينا بصنف من الحجج المنطقية القائمة على مبدأ التماثل، فالسلوك الذي اختاره يماثل سلوك أبي موسى الأشعري، و يقدم مجموعة من الأدلة (ح1،ح2،ح3) التي تجعل المعطاة أقوى مصداقية عند المتلقين.

الوحدة الحجاجية السادسة:

وحتى يثبت "عمرو بن العاص" الأحقية الشرعية لخلافة معاوية يقدم الحجج التالية :



ح2: معاوية الطالب بدم عثمان

ح3: معاوية أصلح سياسة و أحزم رأيا من غيره.

5.4.1 الحوار الإنهاضي و الحوار الاستعلامي

يكشف اعتماد الأسس الثلاثة في تصنيف أنماط الحوار المذكورة آنفا تحديد أنماط أخرى من الحوار يحويها الجدول 1 و تتمثل في الآتي :

نمط الحوار	الوضع لحظة الانطلاق	المنهج	الهدف	رمز الحوار
حوار إنهاضي	الحاجة إلى العمل	التوجيه الأمري	حصول العمل	حو22،حو28،حو65،حو75،حو77
حوار استعلامي/مخابرة	افتقاد المعلومة	التساؤل	الحصول على المعلومة	حو19،حو58،حو59،حو70،حو71

يهدف الحوار الإنهاضي / التفعيلي في الكتاب إلى حمل المخاطَب على إنجاز فعل ما و حثه على السلوك بوجه يرتضيه الطرف الأول ، أما الحوار الاستعلامي فيكون هدف أحد الطرفين هو الوصول إلى علم يعتقد الطرف الثاني أنه محيط به[1].

2. البناء الاستدلالي الحجاجي للخطابة السياسية

1.2 أطوار الخطابة السياسية

تعد الخطابة السياسية في كتاب "الإمامة و السياسة" خطابا حجاجيا، إنها قول للإقناع في مجال المحتمل و المسائل السياسية الخلافية القابلة للنقاش، و هي أهم شكل خطابي يتخذه الخطيب السياسي لبسط آرائه السياسية و أهم وسيلة للتأثير في جمهوره سواء أكان هذا الخطيب إمام المسلمين و خليفتهم أم أحد ولاته عبر الأمصار الإسلامية المختلفة أم أحد أفراد الأحزاب السياسية المعارضة .

يكتسي هذا الشكل الخطابي طبيعة الخطاب الشفوي و مظاهره التواصلية ، إذ أن الصوت المركزي هو الذي يحتل الصدارة و يتحكم في زمام الكلمة، إنه المتحدث و الآخرون مستمعون فالخطيب سيد المقام و يظل الجمهور مستمعا إلى كلامه حتى النهاية[2].

أما عن مقام أهم الخطب السياسية في كتاب الإمامة و السياسة فيمثلها الجدول الآتي:

جزء الكتاب و صفحته / رمز الخطبة	العصر السياسي	الحدث التاريخي/موضوع الخطابة	الخطيب السياسي/المرسل	المتلقي	زمكان الخطابة السياسية
19/1 خ1	الخلافة الراشدة	بيعة أبي بكر الصديق	أبو بكر الصديق	جماعة المسلمين	13 ربيع الأول 11هـ ، المسجد

[1] ينظر السفسطات في المنطقيات المعاصرة، ص151.

[2] ينظر سعيد يقطين ، من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، ص177.

					النبوي الشريف
31/1– خ2	الخلافة الراشدة	الإقرار بالخطيئة	عثمان بن عفان	أهل المدينة	المدينة، 35هـ
52/1 خ3	الخلافة الراشدة	نصرة علي	عدي بن حاتم	بنو طيء	36هـ
53/1 – خ4	الخلافة الراشدة	نصرة علي	زفر بن زيد	بنو أسد	36هـ
59/1 خ5	الخلافة الراشدة	القعود عن نصرة علي	أبو موسى الأشعري	أهل الكوفة	المسجد،
59/1 – خ6	الخلافة الراشدة	نصرة علي	عمار بن ياسر	أهل الكوفة	36هـ
19/1 خ7	الخلافة الراشدة	نصرة علي	الحسن بن علي/ عمار بن ياسر/قيس بن سعد	أهل الكوفة	36هـ
61/1 – خ8	الخلافة الراشدة	نصرة عثمان	عائشة رضي الله عنها	جماعة الناس	البصرة،36هـ
63/1- خ9	الخلافة الراشدة	اعتزال القتال	الأحنف بن تميم	معشر بني تميم	
46/1- خ10	الخلافة الراشدة	بيعة علي رضي الله عنه	علي بن أبي طالب	جماعة المسلمين	المسجد النبوي الشريف،35هـ
69/1،70- خ11	الخلافة الراشدة	مبايعة أهل الشام معاوية بالخلافة	معاوية بن أبي سفيان	أهل الشام	المسجد، 35هـ
72/1 – خ12	الخلافة الراشدة	طلب البيعة لعلي	الحجاج بن عدي	أهل الشام	36هـ
78/1 – خ13	الخلافة الراشدة	جواب على كتاب جرير	زفر بن قيس	الناس	36هـ
78/1- خ14	الخلافة الراشدة	نصرة علي	جرير بن عبد الله البجلي	الناس	36هـ
79/1- خ15	الخلافة الراشدة	نصرة علي	زياد بن كعب	الناس	36هـ
79/1- خ16	الخلافة الراشدة	نصرة علي	الأشعث بن قيس	الناس	36هـ
87/1- خ17	الخلافة الراشدة	التعبئة للقتال	معاوية بن أبي سفيان	رؤساء أهل الشام	36هـ
91/1،92- *خ18حوار	الخلافة الراشدة	موقعة صفين	النعمان بن بشير	قيس بن سعد	بين الصفين
94/1- خ19	الخلافة الراشدة	موقعة صفين	علي	الناس	36صفين،هـ
117/1- خ20	الخلافة الراشدة		ابن عباس	أهل البصرة	36هـ
1/ 117 - خ21 حوار			علي	أهل الكوفة(رؤساء الناس، أمراء	36الكوفةهـ

				الأجناد، وجوه القبائل)	
122/1،124-خ22	الخلافة الراشدة	المسير للجهاد	علي بن أبي طالب		النخيلة ،36هـ
120/1-121خ23		المسير إلى الجهاد	الخوارج	أهل النهروان	38هـ
143/1- خ23	الخلافة الأموية	عزل مروان	مروان بن الحكم	معاوية بن أبي سفيان	الشام، 49هـ
168/1- خ24	الخلافة الأموية	إخراج بني أمية	يزيد بن معاوية	أهل الشام	63هـ
186/2- خ25	الخلافة الأموية	إخراج بني أمية	يزيد بن معاوية	الناس	63هـ
204/2- خ26	الخلافة الأموية	ولاية الحجاج على العراقيين	الحجاج بن يوسف الثقفي	أهل العراق	الجمعة، 75هـ البصرة،المسجد

يشارك خصائص هذا الشكل الخطابي نموذج تواصلي آخر هو " الوصية " باعتبارها مواجهة المخاطبين بالقول ، و القصد منها الإقناع و الاستمالة ، أما متلقيها فعادة ما يكون مخصوصا، و قد يكون حاضرا أو غائبا[1] .

و تتمثل أهم الوصايا السياسية في الكتاب في الآتي:

جزء الكتاب و صفحته / رمز الوصية	العصر السياسي	الحدث التاريخي/موضوع الوصية	الوصي /الخطيب السياسي	الموصى/المتلقي	زمكان الوصية السياسية
26/1-ص1		تأسيس مجلس الشورى	عمر بن الخطاب	علي بن أبي طالب عثمان بن عفان	23هـ
108/1-ص2	الخلافة الراشدة	المسير للتحكيم	شريح بن هانىء	أبو موسى الأشعري	38هـ
108/1- ص3	الخلافة الراشدة	المسير للتحكيم	الأحنف بن قيس	أبو موسى الأشعري	38هـ
108/1-ص4	الخلافة الراشدة	المسير للتحكيم	معاوية بن أبي سفيان	عمرو بن العاص	38هـ
109/1-ص5	الخلافة الراشدة	المسير للتحكيم	شرحبيل بن سميط	عمرو بن العاص	38هـ
225/2-ص6	الخلافة الأموية	الاستخلاف	عبد الملك بن مروان	بنو عبد الملك	86هـ
325/2-ص7	الخلافة العباسية	استخلاف هارون الرشيد	المهدي	هارون الرشيد	173 هـ

وتتميز الخطابة السياسية/ الوصية السياسية في الكتاب بمسار متدرج تميزه أطوار أربعة هي:

[1] ينظر محمد طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، دار المعارف، القاهرة،ج1، ط2، 1968، ص168.

1.1.2 المقدمة:

و تتجلى أهميتها في جعل السامع منتبها متقبلا.

2.1.2 السرد(الحكي):

و فيه تقدم الوقائع إلى المستمع تقديما مركزا واضحا و مقبولا.

3.1.2 الحجاج:

تبرير يتميز بالموضوعية و الانفعال تبعا للتأثير الذي يرغب الخطيب في إحداثه.

4.1.2 النهاية:

تضم ملخصا موجزا للبرهنة المقدمة.

2.2 البنية الحجاجية للفعل الخطابي السياسي

يتعدد الفعل الخطابي حسب موضوع الخطبة السياسية/ الوصية السياسية و مرسِلها و يمكن التعامل معه في واحد من التقسيمات الآتية:

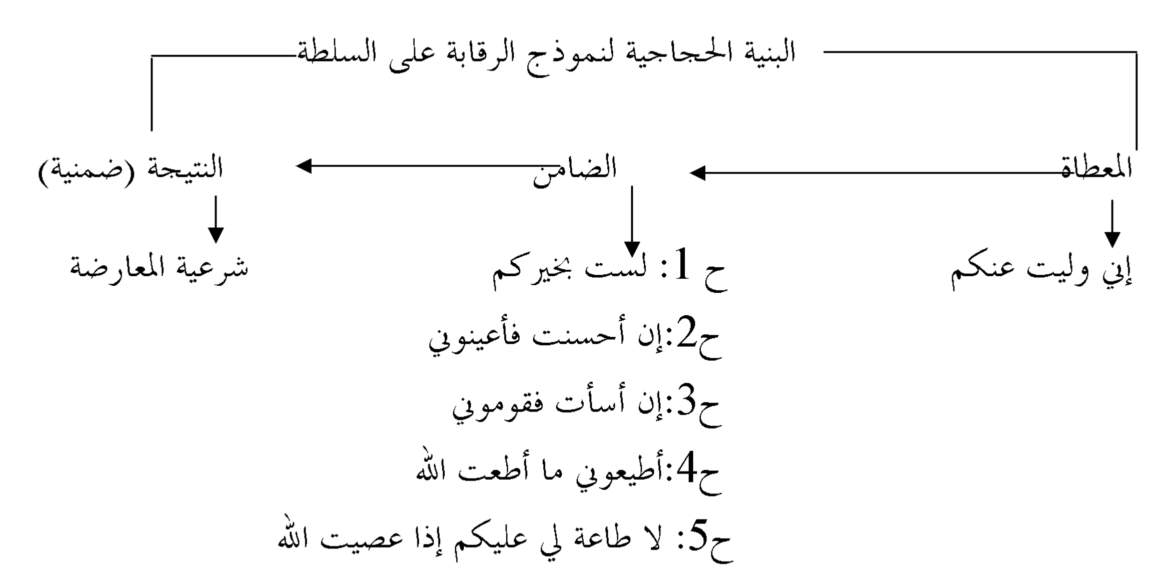
موضوع الخطبة/الوصية السياسية	الخطبة/الوصية السياسية
- تحديد السياسة في الحكم و النهج المتبع	خ1، خ2، ص1،،ص2،ص3،ص4،ص5 ص6، ص7 (أ)
- الدعوة إلى الطاعة	خ2، خ12 (ب)
- الدعوة إلى النصرة	خ3،خ4،خ6،خ7،خ8،خ14،خ15،خ16(ج)
- التثبيط على النصرة / اعتزال القتال	خ5،خ9 (د)
- الاستنفار للجهاد و القتال	خ17،خ19،خ20،خ22،خ24 (هـ)
- التحريض و الدعوة إلى العصيان	خ23 (و)
- التهديد و الوعيد	خ26 (ز)

1.2.2 البنية الحجاجية لفعل تحديد البرنامج السياسي

تُظهِرُ بعض الخطب و الوصايا (أ) المصنفة في الجدول أعلاه سياسة بعض الخلفاء التي اختطوها لأنفسهم والنهج المسطر الذي ارتضوه لأولياء عهودهم، معتمدين في صياغة الخطبة /الوصية بنية استدلالية حجاجية، حتى يتم إقناع الطرف الآخر، أوضح إحداها من خلال المثال الآتي:

بعد أن تمت البيعة لأبي بكر الصديق من عامة المسلمين، وقف الخليفة خطيبا ليحدد سياسته في الحكم و ليوضح نهجه المتبع فيما سيأتي من أيام خلافته، مقدما بذلك عرضا تفصيليا لبرنامجه

السياسي و عرضا آخر لنموذج الرقابة في قيادة الخلفاء الراشدين؛ مشيرا إلى أهمية المعارضة في الرقابة على السلطة. وفيما يلي توصيف للبنية الحجاجية لنموذج الرقابة:



لقد قدم أبو بكر الصديق مجموعة من الحجج التي تبرهن على صلاحية النتيجة و مدى علاقتها بالمعطاة، فالحجج إشارة إلى أنه حاكم لا يميزه عن رعيته إلا عظم المسؤولية ،فهي تكليف و ليست تشريف "ح1"، و ما نالها إلا لأنهم اتفقوا جميعا أن يكلفوه بها فهو نائب عنهم في ولاية أمرهم و هو فرد من مجموع الناس قد يخطىء و قد يصيب. وهي أيضا دعوة منه لأفراد الدولة كي يشاركوا في إبداء الرأي "ح2،ح3" ،إنها توجيه منه إلى المعارضة بأن تكون معه في الحق لا في الباطل و الزيغ[1] ، وأن لا سلطة إلا فيما أمر الله عز وجل"ح4،ح5".

2.2.2 البنية الحجاجية لفعل النصرة/ لفعل التثبيط

لقد دعا كل من أنصار علي و عائشة إلى نصرة معسكريهما كما دعا آخرون إلى اعتزال القتال و بالتالي تثبيط الناس عن نصرة أحد قادة المعسكرين أو كليهما، و انتهج الخطيب في ذلك بنية استدلالية حجاجية لإقناع المتلقي في كلا الموقفين، أبين نماذج منها فيما يلي:

1.2.2.2 البنية الحجاجية لفعل النصرة

حاول بعض رؤساء القبائل أن يستميلوا قبائلهم مع معسكر علي في موقعة الجمل كما توضحه الخطبة السياسية "خ4"،حيث يتمتع الخطيب "زفر بن زيد" بسلطة سياسية كونه من سادة بني أسد ؛ سمح له ذلك بجمع بني أسد و استنفارهم لنصرة علي رضي الله عنه.

[1] ينظر المعارضة السياسية في الفقه الإسلامي ، ص51

وجاءت الخطبة في وحدات حجاجية ثلاث تؤدي الأولى إلى الثانية والثانية إلى الثالثة حتى يثبت النتيجة الكبرى "أنصروا عليا"و ذلك كالآتي:

الوحدة الحجاجية الأولى:

النتيجة ← المعطيات

ن1: أجابت بنوطيء عدي بن حاتم

ح1: لم يعتل الغني بالغنى

ح2: لم يعتل الفقير بالفقر

ح3: بنو طيء واسى بعضهم بعضا

ح4: بنو طيء كأنهم المهاجرون في الهجرة و الأنصار في الأثرة

الوحدة الحجاجية الثانية:

المعطيات ← النتيجة (ضمنية)

ح َ1: بنو طيء جيرانكم في الديار

ح َ2: بنو طيء خلطاؤكم في الأموال

ح َ3: الجار يقاس بالجار كالنعل بالنعل

ح َ4: لا يقول الناس غدا نصرت طيء و خذلت بنو أسد

ن2: أنتم مثل بني طيء في الأخلاق

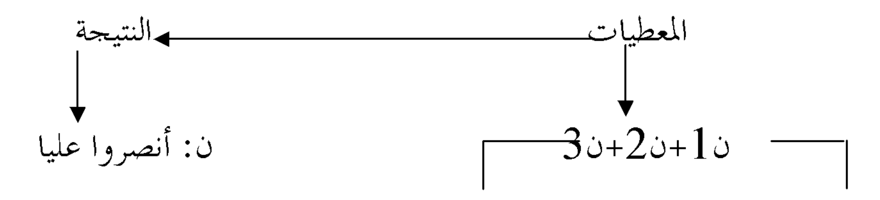
الوحدة الحجاجية الثالثة:

المعطاة ← النتيجة

ح َ1: إجابة الدعوة

ن3: هي دعوة لها ثواب من الله في الدنيا و الآخرة

الوحدة الحجاجية الكبرى:



ح1: أجابت بنوطي عدي حاتم

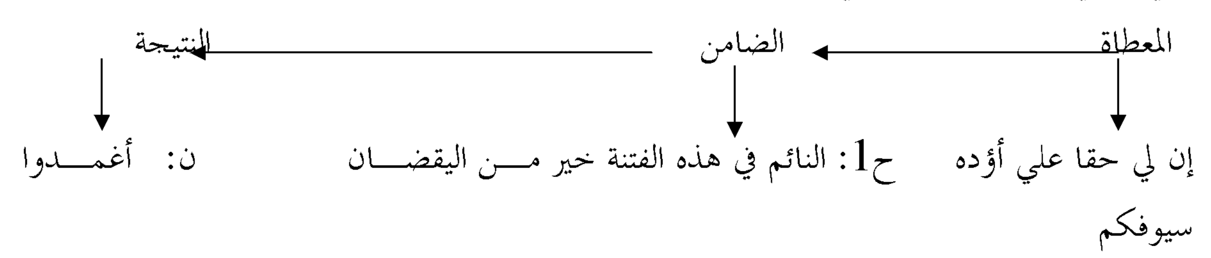
ح2:أنتم مثل بني طيء

ح3: دعوة لها ثواب من الله في الدنيا و الآخرة

لقد تحقق فعل النصر من خلال تقديم ثلاث حجج أساسية و التي تمثل نتائج جزئية لوحدات حجاجية صغرى، وكانت حجة التشبيه من أقوى الحجج التي شكلت الوحدات الحجاجية الثلاثأدى ذلك إلى استجابة المتلقي (بنو أسد) ،حيث سارت جماعة مع زفر بن زيد حتى قدم بها على علي كرم الله وجهه[1] .

2.2.2.2 البنية الحجاجية لفعل التثبيط

تعد الكوفة مستقر أعلام و رجال العرب، لذا فقد حرص الإمام علي رضي الله عنه على الاتصال بها و كسبها إلى جانبه في موقعة الجمل ، فأرسل عمار بن ياسر و محمد بن أبي بكر إلى أبي موسى الأشعري وهو والي عثمان على الكوفة و إلى أهل الكوفة ، فدعوا الناس إلى نصرة علي ،إلا أن الوالي "أبا موسى الأشعري" اتخذ موقفا مضادا و حاول في خطبته تثبيط أهل الكوفة عن دعم علي رضي الله عنه. و فيما يلي وصف للبنية الحجاجية لفعل التثبيط:



ح2: القاعد خير من القائم

ح3:القائم خير من الساعي

ح4: الساعي خير من الراكب

إن المعطاة التي قدمها أبو موسى الأشعري ليست إلا نتيجة لحجة مضمرة /حجة السلطة : " أنا ولي أمركم" وهي ترتبط ارتباطا منطقيا بالنتيجة " أغمدوا سيوفكم / الطاعة لولي الأمر"، إلا أنه لم يكتف بحجة السلطة و راح يبرهن على صلاحية النتيجة مستعينا في ذلك بمجموعة من الحجج (ح1،ح2،ح3،ح4) المركبة بدورها كالآتي:

[(م1) خير من (م2)]   إذن ——— (م1)

[1] ينظر كتاب الإمامة و السياسة، ص53.

حيث: (م1): الحجة الأولى، (م2): الحجة الثانية، (خير من): الرابط الحجاجي، (ن): النتيجة، إن استعمال الرابط الحجاجي "خير من " له طاقة حجاجية في توجيه النتيجة نحو الملفوظ الأول .

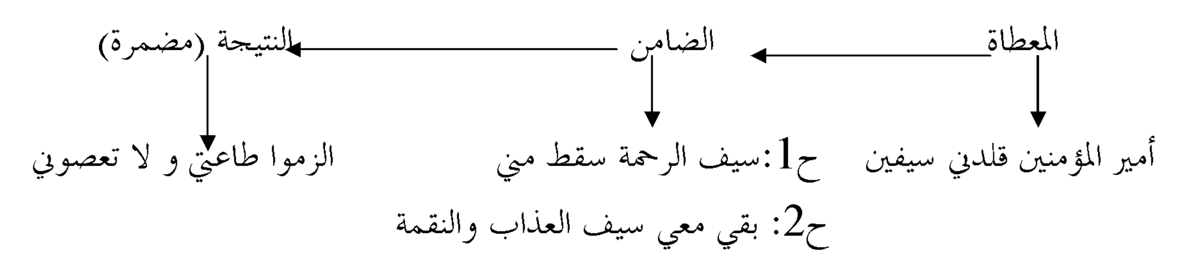
ويُرجِع المؤرخون العرب معارضة أبي موسى الأشعري من خلال تثبيطه لأهل الكوفة إلى أسباب شخصية بحتة ، حيث عزله "علي بن أبي طالب" حين تولى الخلافة حتى توسط له "الأشتر" بعد مقتل "عثمان رضي الله عنه"[1].

3.2.2 البنية الحجاجية لفعل التهديد

شكل خطاب التهديد و الوعيد مع تشخيص العقاب أحد ميزات الخطاب السياسي في الخلافة الأموية،و قد مثل خطاب الحجّاجُ بن يوسف الثقفي نموذجا للخطاب السياسي الذي يحمل وزر الفتنة الكبرى، باغتصاب الحق،و الملوح بعذاب الخليفة و نعيمه[2] .

اعتمد الحجّاُج في ذلك صور الإرهاب و التخويف من عواقب العودة إلى الفتنة، يقول مهددا متوعدا: « ... و أخبركم أنه قلدني بسيفين حين توليته إياي عليكم: سيف رحمة، و سيف عذاب و نقمة؛ فأما سيف الرحمة فسقط مني في الطريق، و أما سيف النقمة فهو هذا »[3] .

لإثبات النتيجة المضمرة /فعل التهديد " الزموا طاعتي و لا تعصوني" ، يفصِّل والي العراق حججه المرصودة للإرهاب و يعمد إلى ترتيبها حتى يوقع الإقناع في نفوس متلقيه و يثير مشاعر الخوف:



إن الحجتين ح1، ح2 تقودان إلى النتيجة ذاتها: الطاعة المطلقة لولي الأمر.

[1] ينظر المؤرخون العرب و الفتنة الكبرى، ص207.

[2] محمد العمري ،في بلاغة الخطاب الإقناعي،ص59.

[3] الإمامة و السياسة، ص 204.

3. البناء الاستدلالي الحجاجي للرسالة السياسية

1.3 مفهوم الرسالة السياسية

جاء في لسان العرب: الإرسال: التوجيه، وقد أرسل إليه، والاسم: الرسالة والرسول الرسل... والرسول بمعنى الرسالة يؤنث ويذكر، والرسول: الرسالةُ والمرسّل. وسمي الرسول رسولا لأنه ذو رسول أي ذو رسالة[1]. وجاء في المعجم الأدبي الرسالة هي ما يكتبه امرؤ إلى آخر معبرا فيه عن شؤون خاصة أو عامة[2].

من مفاهيم المعاجم العربية يمكن أن نستخلص مفهوما مركزا للرسالة وهو أنها تمثل موضوعا معينا يبلغه شخص ما إلى آخر أو آخرين بنفسه أو برسول.

و يكتسي هذا الشكل الخطابي طبيعة الخطاب المكتوب ذلك أنه يتصل بأشكال الوسائط " القلم، الورق، معمار الصفحة و مقاديرها و أحجامها".

و تمثل الرسائل السياسية / الديوانية نموذجا تواصليا في كتاب" الإمامة و السياسة" و تختص بتصريف شؤون الدولة وما يصدر عن خليفتها ووزاراتها ومصالحها الحكومية، أو يَرِد إليها متعلقا بأمور الإدارة والسياسة والقانون والوظائف.

2.3 أطوار الرسالة السياسية

لقد عد ضبط أمور الدولة الداخلية و التعامل مع الثائرين و الخارجين و المعارضين و تولية القضاة و الولاة و قادة الجند والمفاوضات العسكرية من أهم مواضيع و مضامين الرسالة السياسية في كتاب "الإمامة و السياسة"، ولقد تعدد مُرسِلها و مُستقبِلها ، وعدا أطرافا أساسية في الصراع السياسي القائم عبر العصور السياسية المختلفة. فكانت الرسالة السياسية من الرئيس إلى المرؤوس كما كانت من المرؤوس إلى الرئيس.

أما عن أهم الرسائل/ الكتب السياسية في كتاب الإمامة و السياسة فتتمثل في الآتي:

جزء الكتاب و صفحته رمزالرسالة	العصر السياسي	الحدث التاريخي/موضوع الرسالة السياسية	المرسل/ المرسل إليه	جواب الرسالة: المرسل/المرسل إليه
34/1 س1	الخلافة الراشدة	حصار عثمان	المهاجرون الأولون و بقية الشورى/ من بمصر من الصحابة	

[1] لسان العرب مادة رسل.

[2] جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط1،دت،ص 122.

			و التابعين	
35،34/1 س2، سَ2، سَ2	الخلافة الراشدة	حصار عثمان	عثمان/علي،أهل مكة، أهل الشام عامة و معاوية و أهل دمشق خاصة	
36/1 س3	الخلافة الراشدة	قتل الوفد	عثمان بن عفان/ عبد الله بن أبي سرح	
45/1 س4	الخلافة الراشدة	بيعة علي	علي بن أبي طالب/معاوية بن أبي سفيان	
50،51/1 س5	الخلافة الراشدة	خروج علي من المدينة	عقيل بن أبي طالب/علي بن أبي طالب	علي بن أبي طالب/عقيل بن أبي طالب
52،51/1 س6	الخلافة الراشدة	مسير عائشة مع طلحة و الزبير	أم سلمة/عائشة	عائشة/ أم سلمة سَ6
55،54/1 س7	الخلافة الراشدة	قتال علي	طلحة و الزبير/كعب بن سور، الأحنف بن قيس، المنذر	كعب بن سور، الأحنف بن قيس، المنذر/طلحة و الزبير ، سَ7
56/1 س8	الخلافة الراشدة	خروج عائشة و طلحة و الزبير	قثم بن عباس/علي بن أبي طالب	
59/1-س9	الخلافة الراشدة	طلب النصرة	علي بن أبي طالب/أهل الكوفة	
63/1 س10	الخلافة الراشدة	الرجوع إلى المدينة	علي بن أبي طالب/عائشة ، طلحة، الزبير	عائشة،طلحة و الزبير/ علي ، سَ 10
70/1- س11	الخلافة الراشدة	المبايعة بالخلافة	معاوية /كورالشام	شرحبيل بن السمط الكندي/معاوية، سَ 11
70/1- س12	الخلافة الراشدة	التوبيخ	معاوية/علي	علي / معاوية ، سَ12
76،75/1 س13	الخلافة الراشدة	نصرة علي	أهل العراق/ مصقلة	مصقلة/ قومه
77،76/1- س14	الخلافة الراشدة	نصرة معاوية	معاوية/ ابن عامر	ابن عامر/ معاوية
77/1 –س15	الخلافة الراشدة	نصرة علي	علي/جرير بن عبد الله	
78/1- س16	الخلافة الراشدة	نصرة علي	علي/الأشعث بن قيس	
79/1- س17	الخلافة الراشدة	نصرة علي و قبول البيعة	جرير/الأشعث	
1/-80-س19	الخلافة الراشدة	قبول البيعة	علي/ معاوية	
81/1-س20	الخلافة الراشدة	طلب القدوم	معاوية/ عمرو بن العاص	

82/1–س21	الخلافة الراشدة	قبول البيعة	علي/ جرير بن عبد الله	
83/1،84– س22	الخلافة الراشدة	نصرة معاوية	معاوية/ أهل مكة و المدينة	أهل مكة و المدينة/ معاوية
84/1– س23	الخلافة الراشدة	طلب الإعانة	معاوية/ ابن عمر	ابن عمر/ معاوية
84/1،85– س24	الخلافة الراشدة	نصرة معاوية	معاوية/ سعد بن أبي وقاص	سعد بن أبي وقاص/معاوية
85/1– س25	الخلافة الراشدة	الثأر لعثمان	معاوية/ محمد بن مسلمة الأنصاري	محمد بن مسلمة/معاوية
85/1،86،س26	الخلافة الراشدة	دفع قتلة عثمان	معاوية/علي	علي /معاوية، سَ26
91/1–س27	الخلافة الراشدة	القصاص من أبي أيوب الأنصاري	معاوية/أبو أيوب الأنصاري	أبو أيوب الأنصاري /معاوية ،سَ27
92/1،93– س28	الخلافة الراشدة	وقف القتال	عمرو بن العاص/عبد الله بن عباس	عبد الله بن عباس/عمرو بن العاص،سَ28
97/1– س29	الخلافة الراشدة	موقعة صفين	معاوية/علي	علي/معاوية،سَ29
112/1 – س30	الخلافة الراشدة	التأنيب	عبد الله بن عمر/أبو موسى	أبو موسى/ابن عمر
112/1 – **س**31	الخلافة الراشدة	الالتحاق بمعاوية	معاوية/أبو موسى	أبو موسى/معاوية
113/1 – س32	الخلافة الراشدة	العفو	علي/أبو موسى	أبو موسى /علي
115/1 –س 33	الخلافة الراشدة	الطاعة لولي الأمر	علي/الخوارج	الخوارج /علي، سَ33
116/1 –س34	الخلافة الراشدة	المسير إلى العدو	علي/ ابن عباس	
125/1،129 – س35	الخلافة الراشدة		علي/ أهل العراق	
144/1،147 – س36،س37 س38،س39، س40	الخلافة الأموية	بيعة يزيد	معاوية/سعيد بن العاص، ابن عباس، عبد الله بن جعفر، الحسين بن علي، عبد الله بن الزبير	عبد الله بن عباس، عبد الله بن جعفر، عبد الله بن الزبير، الحسين بن علي/معاوية (سَ36،سَ37،سَ38، سَ39)
164/1 –س41	الخلافة الأموية	بيعة يزيد	يزيد /خالد بن الحكم	
1/ 167، س42	الخلافة الأموية	بيعة يزيد	يزيد / أهل المدينة	
175/1 –س43	الخلافة الأموية		مسلم بن عقبة/ يزيد	
182/2 –س44	الخلافة الأموية	ولاية الوليد المدينة	أهل الكوفة /الحسين بن علي	
205/2 –س45	الخلافة الأموية		الحجاج / عبد الرحمن بن محمد	ابن الأشعث/ الحجاج

			بن الأشعث	سَ 45
219/2- سَ49		ضرب الأعناق	عبد الملك بن مروان/ الحجاج	
2/ 231 –س46	الخلافة الأموية	تولية موسى بن نصير	عبد الملك بن مروان/عبد العزيز بن عبد الملك	عبد العزيز /عبد الملك سَ46
231/2 – س47	الخلافة الأموية	بلوغ الفتح	عبد العزيز/ عبد الملك بن مروان	عبد الملك/عبد العزيز
289/2 –س48	الخلافة الأموية	خروج أبو مسلم الخراساني	نصر بن سيار/ مروان بن محمد	مروان بن محمد/ نصر بن سيار، سَ48
307/2 –س49	الخلافة العباسية	التأنيب	أبو مسلم الخراساني/ أبو جعفر المنصور	
307/2–س50	الخلافة العباسية	الموافقة على الرأي	أبو جعفر المنصور/العباس	

و تتميز الرسالة السياسية في الكتاب بمسار متدرج يتمثل فيما يلي:

1.2.3 المقدمة:

هي بداية الرسالة، و تحوي عبارات السلام (الاستهلال بالبسملة أو بالسلام على من اتبع الهدى أو أما بعد)،ثم ذكر اسم المرسل أولا ثم المرسل إليه .

2.2.3 السرد(الحكي):

تقدم الوقائع إلى القارئ تقديما مركزا واضحا و مقبولا.

3.2.3 الحجاج:

تبرير يتميز بالموضوعية تبعا للتأثير الذي يرغب المرسل في إحداثه.

4.2.3 النهاية:

الختام بالسلام.

3.3 بنية الفعل الحجاجي في الرسالة السياسية

تنوع الفعل الحجاجي في الرسالة السياسة باختلاف موضوعها و اعتمد مرسلها مختلف آليات الإقناع اللغوية حتى يتمكن من التأثير في مرسله، فتنوعت بذلك الحجج المستخدمة كما تنوعت بنيتها و أسلوبها حتى يتحقق الانفعال المنشود لدى المرسل إليه. و يمكن التعامل مع الرسالة السياسية في كتاب الإمامة و السياسة في واحد من التقسيمات الآتية:

موضوع الرسالة السياسية	الرسالة السياسية
– الدعوة إلى الطاعة	س9، س10، س13، س19، سَ26، س33، س45
– الدعوة إلى النصرة	س7، س14، س15، س16، س17، س27، س31، س34
التحريض	س1، س3، س22، س23، س24، س25، س44
– الاستنجاد	س2، سَ2، سً2
– العصيان	س12، س26، س28
– الدعوة إلى البيعة	س4، س11، س36، س37، س39، س40، س41، س42
الدعوة إلى وقف القتال	س29
– رفض الدعوة إلى النصرة/الطاعة/ العصيان/وقف القتال/ أخذ البيعة/النصح	سَ27، سَ28، سَ29، سَ31، سَ33، سَ36، سَ37، سَ38، سَ39، سَ6، سَ7، سَ10
قبول الدعوة إلى النصرة/أخذ البيعة/ الطاعة....	سَ11
–النصح	س6، سَ45
– التأنيب	س30
– الإنذار و التحذير	س12، س 48، س49

إن بنية الرسالة السياسية بنية حجاجية ثرية تحكمها روابط و علاقات حجاجية كثيرة و متنوعة تجعل العلاقات بين أقسام الخطاب كثيفة و معقدة، ولإبراز المسلك الحجاجي الذي يتبعه هذا الشكل الخطابي حتى يتم الإقناع بصواب القضية التي يطرحها و بطلان نقيضها، نحاول وصف بنية الفعل الحجاجي المتعدد بحسب تعدد موضوعات الرسالة السياسية، و أبين على سبيل المثال لا الحصر النماذج الآتية:

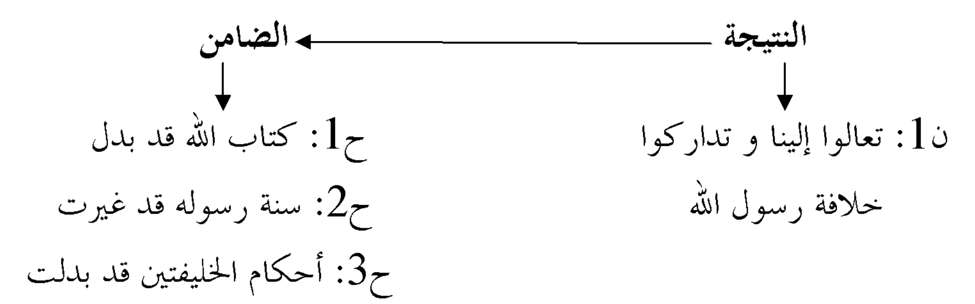
1.3.3 البنية الحجاجية لفعل التحريض

يتطلب فعل التحريض التأثير في المرسل إليه و دفعه إلى اتخاذ موقف ما من القضية التي تشكل موضوع الرسالة السياسية، وقد شكلت المعارضة أهم العناصر الرئيسة المنتجة لهذا النوع من الأفعال الكلامية، و تمثل الرسالة (س1) نموذجا لرسائل التحريض المقدمة من طرف المعارضة السياسية.

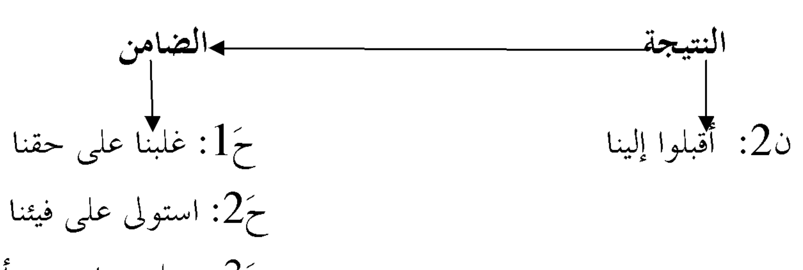
لقد عرفت السنوات الست الثانية من خلافة عثمان رضي الله عنه توترا و اضطرابا، نتيجة تراكم مجموعة من الوقائع التي اتخذت اتجاها و معنى صار غير قابل للتسامح، منها مجموعة القرارات التي أصدرها الخليفة بشأن تغيير عماله في مختلف الجهات، و سياسته في تسيير الاقتصاد . مما جعل عددا من الشخصيات الرئيسية تنتقد سياسته حتى وصل نقدها له إلى مرحلة التأليب و التجليب و كتابة الرسائل التحريضية.

و فيما يلي وصف لأهم الحجج التي مثلت المطاعن التي استخدمت لتعبئة الرأي العام ضد عثمان رضي الله عنه و المحددة لفعل التحريض من خلال الرسالة (س1):

الوحدة الحجاجية الأولى:



الوحدة الحجاجية الثانية



إن فعلي الأمر اللذين حددا النتيجتين "تعالوا ، أقبلوا " على التوالي، يحملان معنى الدعوة و هما يتصلان اتصالا وثيقا بالحجاج، لأنهما يهدفان إلى توجيه المرسل إليه إلى سلوك معين. و يستعين المرسل في ذلك برصد الحجج .

إن الحجج المقدمة في الوحدة الحجاجية الأولى و الثانية تمثل مجموع أفعال و أعمال الخليفة و التي حسبت عليه لا له، إذ تقوم هذه الحجج على إظهار مسؤولية الشخص المطلقة على أفعاله و تعد مبررا لفعل التحريض الذي يضطلع بقيمة حجاجية .

2.3.3 البنية الحجاجية لفعل الاستنجاد

لقد أسفرت الرسائل التحريضية التي أرسلت إلى الأمصار عن قيام حركة احتجاجية ضد الخليفة "عثمان بن عفان" و هي حركة احتجاجية شعبية شاملة شاركت فيها مختلف الأمصار بهدف وضع حد لتجاوزات السلطة المركزية في المدينة[1]، انتهت هذه الحركة الاحتجاجية بحصار الوفد المصري للمدينة و من ثم حصاره للخليفة عثمان بن عفان في قصره.

و تمثل الرسائل (س2، سَ2، سَ2) نموذجا لرسائل الاستنجاد في كتاب "الإمامة و السياسة" و هي رسائل الخليفة عثمان بن عفان إلى أهل مكة وأهل الشام عامة و معاوية و أهل دمشق خاصة بعد وقوع الحصار.

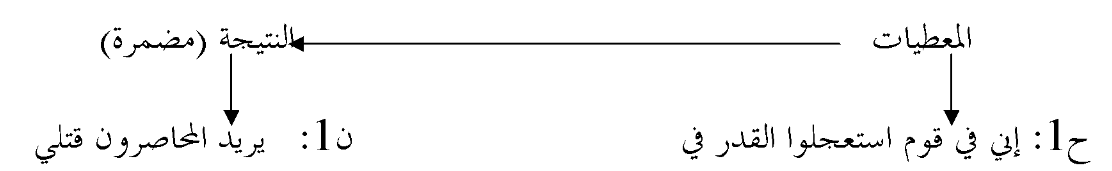
لقد توسل الخليفة عثمان بن عفان في الرسالة (سَ2) بصيغ لغوية لها القدرة على الإقناع، هذه الصيغ هي أفعال لغوية تضطلع بدور في تحقيق التواصل التفاعلي بين طرفي التواصل و تتمثل في أفعال الاستغاثة و الندبة الآتية:

- يا غوثاه يا غوثاه
- العجل العجل يا معاوية
- أدرك ثم أدرك.

إن طلب الغوث و الدعوة إلى الاستعجال في إرسال المدد لفك الحصار و إدراك الخليفة قبل أن يدركه المحاصرون، هي أفعال توجيهية، يتمثل إنجازها في محاولة دفع المرسل إليه للقيام بفعل الاستنجاد.

و لكي يتحقق فعل الاستنجاد/ الاستغاثة يقدم الخليفة المحاصر مجموعة من الحجج ليدعم بها الدعوى المضمرة " فك الحصار" وذلك عبر الوحدتين الحجاجيتن الآتيتين:

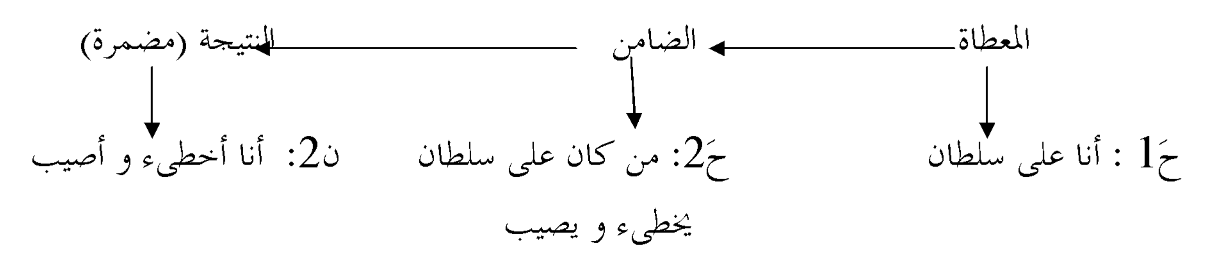
الوحدة الحجاجية الأولى



[1] الفتنة الكبرى و المؤرخون العرب ، ص150.

ح2: خيرني القوم بين أن أُحْمَل إلى دُخْل أو
أنزع لهم رداء الله أو أن أقيدهم ممن قتلت

الوحدة الحجاجية الثانية



يبرر الخليفة وقوعه في الخطأ، حتى يكون ذلك حجة أقوى على بطلان الحصار و العقوبات التي خيره المحاصرون في النزول عندها، حتى يخدم الدعوى المتوخاة " أنجدوني".

4.البناء الاستدلالي الحجاجي للوثيقة السياسية

1.4 مفهوم الوثيقة

جاء في لسان العرب لابن منظور « وثقه: ائتمنه، و الوثيقة في الأمر إحكامه ، و الوثيق و الموثق و الميثاق العهد و المواثقة المعاهدة ، و يقال استوثقت من فلان و توثقت من الأمر إذا أخذت فيه بالوثاقة»[1] ، و في الصحاح استوثقت منه أي أخذت منه الوثيقة و أخذ الأمر بالأوثق أي الأشد الأحكم[2].

أما في المعاجم العربية الحديثة فثمة تعريفات عدة للوثيقة متقاربة الدلالة لعل أهمها: الوثيقة الصك بالدين أو البراءة منه. و الوثيقة: المُستَنَد وما جرَى هذا المجرى وهو ما استعمله الناس قديما بعد عصر الرواية والجمع: وَثَائِق[3] . والوثيقة : «مستند مكتوب يُستدل به لِدَعم دَيْن أو حُجَّة »[4].

نستخلص من هذه التعاريف أن الوثيقة هي العقود التي يسجلها الموثوقون العدول، وتدل في معناها الشامل على أثر مكتوب أو محفور أ ومنقوش على الرق والنسيج والقرطاس ...الخ. إنها كل

[1] لسان العرب، مادة وثق

[2] الصحاح، مادة وثق

[3] ينظر المعجم الوسيط، إبراهيم أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق مجمع اللغة العربية، القاهرة، (كتاب إلكتروني)، http://up.ahlalalm.net/ccfiiles/ps088583.rar

[4] المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، مادة : وثق

ما يعتمد عليه لأحكام أمر و تثبيته و إعطائه صفة التحقق و التأكد من جهة أو يؤتمن علـــى وديعـــة فكرية أو تاريخية تساعد في الكشف عن جوهر واقع ما أو تؤكد على عقد بين اثنين أو أكثر[1].

و ترجع أهمية التوثيق وحجيته في تنظيم سير المعاملات وإقامتها على أساس وطيد، لكشـــف نوايا المتعاقدين أو المتصرفين واضحة جلية في معاملاتهم، والمحافظة على المحررات التي تثبتها وصيانتها على مر الأيام، لأن إثبات التصرفات والعقود والوثائق والتصديق على التصرفات القانونية الـــواردة منها، والحكم بصحتها ولزومها لتكون لها الصفة الرسمية والقوة التنفيذية يكفل تحقيق الطمأنينة التامة علـــــــــــــــــــــــــــى الحقـــــــــــــــــــــــــــــــوق واستقرار المعاملات و إغلاق باب الشر و المنازعات[2].

و تعد الوثيقة السياسية أحد أهم أشكال الخطاب السياسي في كتاب الإمامة و السياسة، وقد اعتمدها منتج الخطاب ممثلا في الجهاز الرسمي للدولة حتى يكتسي خطابه سمة المســـتند المكتـــوب و بالتالي المستند الرسمي الموثق ، والقوة التنفيذية التي تكفل تحقيق الطمأنينة التامة علـــى الحقـــوق. فيحفظ بذلك عن الضياع، ومن ثم يستدل به هو و غيره لدعم موضوع خطابه.

أما عن أهم الوثائق السياسية في كتاب الإمامة و السياسة فتتمثل في الآتي:

جزء الكتاب و صفحته / رمزالوثيقة	العصر السياسي	موضوع الوثيقة السياسية	منج الخطاب	زمكان إنتاج الخطاب
22/1، ث1	الخلافة الراشدة	عهـــد أبي بكـــر الصديق لعمر بـــن الخطاب بالخلافة	أبو بكر الصديق	المدينة المنورة جمادى الأولى، 13هـــ
107/1، ث2	الخلافة الراشدة	صحيفة الصلح بين علي و معاوية	علي و معاوية	دومة الجندل 37هـــ
269/2، ث3	الخلافة الأموية	عهد سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز بالخلافة	سليمان بن عبد الملك	الشام صفر، 96هـــ

[1] ينظر مصطفى أبو شعشع، دراسات في الوثائق و مراكز المعلومات الوثائقية، العربي للنشر و التوزيع،القاهرة،دط، دت، ص6-7 .

[2] ينظر المرجع نفسه، ص 22-24.

301/2، ث4	الخلافة الأموية	كتاب الأمان	أبو جعفر المنصور	الشام 132هـ

2.4 بنية الفعل الحجاجي في الوثيقة السياسية

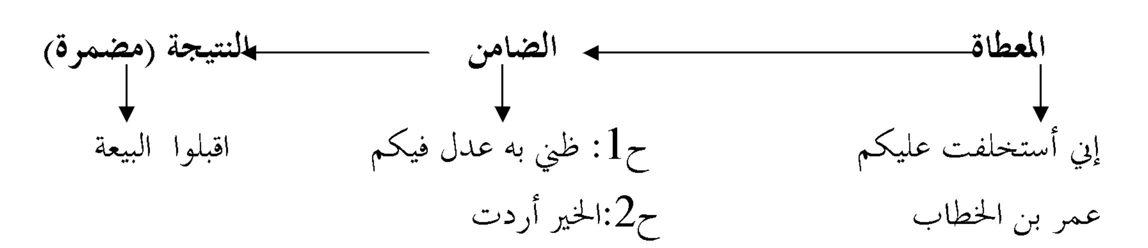
سمحت عملية استقراء الوثائق السياسية في كتاب الإمامة و السياسة إلى رصد الأفعال الكلامية الآتية:

1.2.4 البنية الحجاجية لفعل العهد بالبيعة / الاستخلاف

يعد العهد و الاستخلاف أحد الوسائل التعبيرية المعتمدة في اختيار الخليفة في عهد الخلافة الإسلامية، و تمثل الوثيقتان (ث1، ث3) صيغة البيعة التي عقدها كل من الخليفة أبي بكر الصديق و سليمان بن عبد الملك لـ عمر بن الخطاب و عمر بن عبد العزيز على التوالي؛ لقد اعتمد الخليفتان في إثبات دعوتهما على مسار حجاجي يخدم غايتهما الحجاجية: إقناع المتلقي ممثلا في خاصة الناس و عامتهم بالخليفة المرشح.

و حتى يتم تكييف الفكرة مع أهداف الخطاب، يأخذ الخليفتان بعين الاعتبار المقدمات التي تلائم المقام و تنسجم مع المتلقي، و عملية اختيار المقدمات التي ينبني عليها الحجاج و تؤسس عليها مختلف الحجج يعد عاملا أساسيا في نجاعة الخطاب الحجاجي؛ ذلك أن منتج الخطاب يسعى من خلالها إيقاع فعل و سلوك سياسي و إيجاده باللغة.

إن **الضامن** المحدد في الترسيمة أدناه، يمثل مبررات اختيار أبي بكر الصديق عمرا بن الخطاب كمرشح لخلافة المسلمين، و من ثم يتوج ببيعة عامة في المسجد، فقبول البيعة من طرف عامة المسلمين يرجع إلى الشهادة الشخصية التي قدما الخليفة أبو بكر الصديق "حجة السلطة" وتنتمي مبرراته إلى حجة الشخص و أفعاله ، باعتبارها ممثلة لتجليات الجوهر ، لقد تنبأ بحكمه (عمر بن الخطاب) العادل انطلاقا من علاقة التعايش الحجاجية.



و تتجلى العلاقة الحجاجية التعايش في الوثيقة "ث4" في اعتماد الخليفة عبد الملك بن مروان تبريره لاستخلافه لعمر بن عبد العزيز إلى ما يعلمه عن باطنه و ظاهره و معرفته بصلاحه، فتنبأ فيه الكفاية و حسن السياسة ومن ثم صلاح خلافته .و تمثل الترسيمة الآتية المقطع الحجاجي في الوثيقة "ث3":

المعطيات ← الضامن ← النتيجة

- إن ولي عهدي فيكم و صاحب أمري بعد موتي في كل من استخلفني الله عليه الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز

حَ1: بلوتُ باطن أمره و ظاهره

حَ2: ما رأيت منه إلا خيرا

حَ3: لا اطلعت له على مكروه

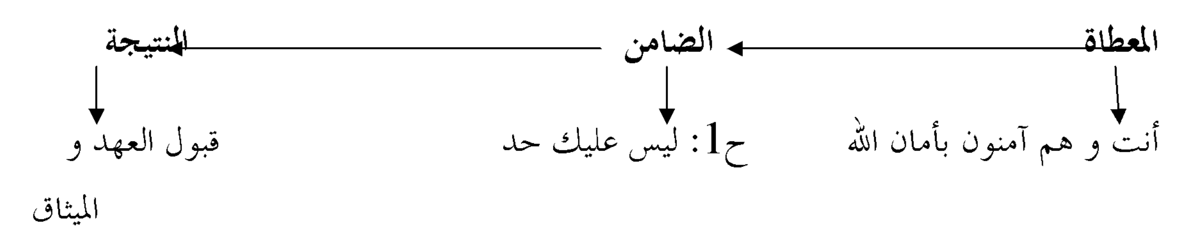
اقبلوا البيعة

2.2.4 البنية الحجاجية لفعل العهد بالأمان

تحتوي الوثيقة "ث4" على مجموعة من الصيغ و الألفاظ التي تعبر عن تعهد الخليفة أبي جعفر المنصور بمنح الأمان لابن هبيرة و إلزام نفسه بمعاقبة من يخلف عهده، و تتمثل هذه المعطيات فيما يلي:

- إني أمنتكم بأمان الله الذي لا إله إلا هو.
- أنت و هم (أهل خراسان) آمنون بأمان الله
- لك الله الذي لا إله إلا هو
- اطمئن إلى ما جعلت لك من الأمان و العهود و المواثيق
- لك علي الوفاء بهذه العهود و المواثيق و الذمم
- جعلت لهم أمانا صحيحا و عهدا وثيقا.

و يفصِّل الخليفة في نوعية الأمان المقدم مستندا في ذلك إلى مجموعة من الحجج التي تجعل المقدمات أقوى مصداقية عند متلقي الخطاب. و فيما يلي توصيف لأحد المقاطع الحجاجية :



ح2: لا تؤاخذ بذنب أتيته

ح3: أذنت لك في المقام في المدينة الشرقية

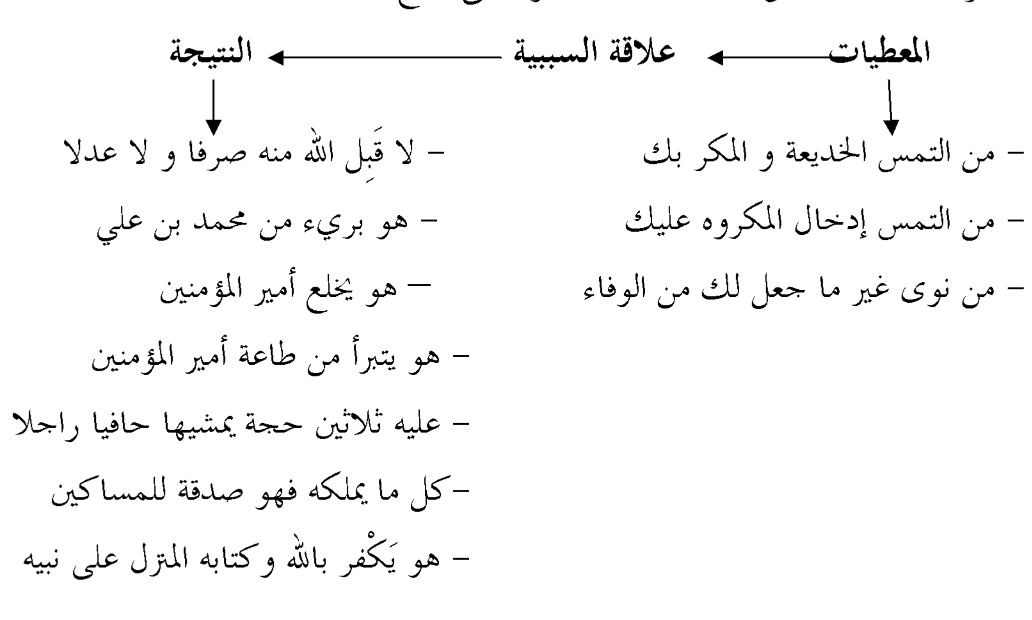
ح4: انزل حيث شئت من الأرض

ح5: لا ينالك أمر تكرهه

ح6: لا أدخل لك في أماني غشا و لا خديعة و لا مكرا

تندرج الحجج التي قدمها الخليفة أبو جعفر المنصور لابن هبيرة ضمن الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية و هي الحجاج بالتقسيم، حيث فصَّل في موضوع الأمان حتى يُقنِع مخاطِبَه بقبول عهده؛ فالحجج المتنوعة (ح1، ح2، ح3، ح4، ح5، ح6) هي أقسام الأمان التي يقدمها الخليفة لفائدة الأطروحة "اقبل عهدي بالأمان".

و حتى يتم الإقناع بشكل أفضل، يصف الخليفة أوجه العقاب التي يتعرض إليها ناكث الميثاق و العهد، و قد اختار علاقة حجاجية تعكس استراتيجيته في الإقناع تتمثل في علاقة السببية ، ذلك أنه يراها كفيلة بتحقيق غاية الخطاب، قادرة على تبليغ مقاصده.



إن النتائج المحددة في الترسيمة أعلاه و التي فصَل فيها الخليفة، تربطها علاقة سببية بالمعطيات المقدمة، وهي علاقة لها تأثير مباشر في توجيه السلوك و العمل .

الفصل الثاني

الموجهات الحجاجية في الخطاب السياسي

تمهيد

يُعتبَر علماء المنطق أول من أبدع مفهوم المُوَجِه Modalité و عَدُّوه فرعا كاملا من فروع المنطق و عرفوه بأنه « التعبير في الحكم عن مرتبته من حيث تقرير الوجود أو الإمكان أو الضرورة أو الامتناع، ويتم ذلك في طبيعة الموضوع أو المحمول أو الرابطة ، يوجهها إلى غير ما كانت عليه، فالحكم إما أن يكون ضروريا أي معبرا عن ضرورة الصلة بين الموضوع و المحمول و إما أن يعبر عن أن هذه الصلة من الممكن وجودها بين طرفي القضية و يمكن أن تكون الرابطة رابطة امتناع بمعنى أنه من المستحيل أن ينسب المحمول إلى الموضوع و هذا ما يسمى في المنطق بجهة الحكم»[1]

و تتمثل الموجهات الأساسية عند علماء المنطق في الموجهات الأخلاقية و هي التي تتعلق بمضمون الجمل و تحددها الصفتان " الضروري، الممكن" ، و الموجهات المعرفية و تحددها الوحدات المعجمية "مؤكد، محتمل، مستبعد، مشكوك" و الموجهات الوجوبية و تحددها الوحدات المعجمية " إجباري، مسموح، ممنوع، اختياري" و المكممات المتمثلة في الظروف الزمانية و المكانية و التي تحيل إلى تعديل الجملة كلها مثل: " دائما، أبدا، أحيانا..."[2]

و لما كان اللسانيون يبحثون في اللغة بشكل دائم عما ينشأ عن علم المنطق وعن أهم المفاهيم و التعليلات و الصيغ المنطقية التي يمكن تطبيقها على وصف الألسن و إلى أي مدى يمكن أن يصل هذا التطبيق، فقد اضطروا إلى إفراد مكان هام لدراسة الموجهات في أبحاثهم، خاصة بعد الاهتمام المتنامي بتحليل ما يقوم به المتكلم حينما يتكلم، و قد أدت دراسة القوة الإنجازية لأفعال الكلام إلى دراسة الموجهات (علاقة الموجهات بأفعال اللغة)[3] .

إلا أن غالبية اللسانيين قد وجدوا صعوبة في الإحاطة بها المفهوم، فقدموا بذلك وجهات نظر مختلفة، و عرفو الموجه بأنه « وجهة نظر الفاعل الناطق حول المقول في ملفوظ ما»[4] حيث يمثل المقول المضمون الجملي و وجهة النظر هذه هي حُكم على حُكم أي أنه حُكم من درجة

---

[1] معجم مصطلحات المنطق و فلسفة العلوم، ص83 .

[2] ينظر جون سرفوني، الملفوظية، ص45.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص41.

[4] المرجع نفسه، ص40.

ثانية فالقول "هو يعدو سريعا" قول موجه، ذلك أن " يعدو " حُكم، و هو نفسه محكوم عليه بحكم آخر هو " سريعا "، فكل قول عادي هو قول مُوَّجه[1].

و بذلك فالجملة الأقل توجيها تنطوي على موجه في حدودها الدنيا ، فجملة "الأرض تدور حول الشمس" يظهر الموجه بفضل صيغة الفعل أي صيغة الإدلال indicatif .

و استلهاما من المنطق صنف اللسانيون الموجهات اللسانية و حددوها في:

أ- النواة الصلبة: و تحددها الموجهات الجملية و الفعلان المساعدان للصيغة و المكافئات.

ب- الموجه المختلط: و تمثلها الوحدات المعجمية الكلامية، الصيغ و الأزمنة[2].

و يحدد الموجه في النحو الوظيفي بأنه ما يعبر عن موقف المتكلم من:

أ- العلاقة التي تربط بين تحقق الواقعة و أحد المشاركين فيها(علاقة قدرة، علاقة وجوب...)

ب- تحقق الواقعة نفسها بالنظر لمعارفه عن أنماط الوقائع و ما يضبط تحققها من قواعد اجتماعية و شرعية و غيرها.

ج- صدق أو كذب القضية التي يتضمنها الخطاب.

أما عن الوسائل التي تسخرها اللغات لتحقيق التوجيه فتتمثل في:

أ- وسائل معجمية ترد في شكل لواحق ظرفية.

ب- وسائل نحوية تكون إما أدوات مثل : إن، قد، أو لواصق فعلية كنوني التوكيد.

ج- أفعال معلومة[3].

أما في حقل لسانيات التلفظ ، فنجد تصنيف شابرول Chabrol ؛حيث قسم الموجهات إلى موجهات إثبات modalisateurs d'assertion و موجهات تقويمية modalisateurs valorisants.

إن غاية المتكلم هي التأثير و الإقناع، لذا فإنه يلجأ إلى توظيف مجموعة من الموجهات اللسانية و التي هي مجموعة من العوامل و الروابط الحجاجية والوحدات المعجمية ذات أبعاد حجاجية تظهر في مستويات الخطاب المختلفة و من ثم تؤهله إلى تحقيق الغاية المنشودة.

---

[1] ينظر عبد الله صولة،الحجاج في القرآن ص315.

[2] ينظر جون سرفوني،الملفوظية، ص47-55.

[3] ينظر أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي- التركيبي، دار الأمان، الرباط دت، دط، ص 35.

فالموجهات اللسانية تضطلع بوظيفة حجاجية حيث تسمح بتوجيه الملفوظ حسب مقاصد المتكلم و متطلبات التلقي؛ ففي خضم التفاعل بين أطراف التخاطب يلجأ المتكلم إلى وسم خطابه بشارات الحجاجية /موجهات لسانية قصد توجيه القول و المقول فضلا على توجيه الطرف المقابل إلى فعل عمل ما.

لقد اضطلع الخطاب السياسي في كتاب "الإمامة و السياسة" بوظيفة التوجيه و اصطبغ بمجموعة من الموجهات الحجاجية التي تحقق الإقناع و التأثير و من ثم توجيه المتلقي نحو فعل ما أو تركه (الإقناع أو الإذعان)، و فيما يلي بيان لأهم الموجهات الحجاجية التي كان لها حضور بارز في تشكيل الخطاب السياسي في الكتاب و التي اضطلعت بوظائف حجاجية:

أولا : الموجهات اليقينية

تعد الموجهات اليقينية الضمان لحقيقة الكلام و لإمكان أن يكون هذا الكلام مقنعا على الرغم من اصطباغه بالذاتية، ذلك أن الإقناع يحصل لدى المتلقي بمجرد أن القضية المعروضة عليه جاءت موجهة توجيه إثبات[1].

و تتمثل الموجهات اليقينية في مجموعة من العوامل الحجاجية أذكر منها: "الحق أن" ، "أعرف أن كذا هو كذا" ، "الأكيد أن"، "اليقين أن"، "أعد بأن أفعل كذا"، "بديهي أن"،إضافة إلى "أدوات التوكيد"، "أفعال اليقين" ....إلخ.

و تتمثل مهمتها في إثبات القضايا المنكرة، و حمل المخاطَب على الاقتناع و ترك الشك و التردد و الإنكار؛ يقول مايير « إن قولنا بقوة: يقين أن (أو بديهي أن) كذا و كذا ... عوض أن نقول ما نريد قوله مجردا (عاريا من مظاهر التوكيد) قد يكون من أجل أن نجتنب الجدل و ما يترتب عليه من شقاق، فمن في العالمين لا يحب الحقيقة، أو يقبل أن يقال إنه عريض القفا ؟ »[2]

فالتأكيد أو الزيادة في تأكيد مضمون القضية عبر الموجهات اليقينية هو وسيلة للتعبير عن موقف المتكلم من القضية التي يعرضها[3] .

---

[1] ينظر عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص317.

[2] Meyer,logique,langage et argumentation,p115.

[3] ينظر أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأمان، المغرب، دط، 1995، ص181.

أما عن أهم الموجهات اليقينية التي كانت قاطعة و حازمة و التي نهضت بوظيفة توجيه الإثبات في الخطاب السياسي في كتاب "الإمامة و السياسة" فتتمثل في الآتي:

1. القسم

يعد القسم صنفا من أصناف الفعل الكلامي التأكيدي يلجأ إليه المتكلم في كثير من الأحيان لتوكيد كلامه ، ذلك أن القسم فعل حجاجي يثبت القضية و يوجبها و يقيم الحجة على المخاطَب و يلزمه بها في الوقت نفسه، و لا يراد القسَم بذاته و إنما يُراد لغرض تواصلي هو دفع المخاطَب إلى الوثوق بكلام المخاطِب[1] .

ولقد تحقق أسلوب القسم في الخطاب السياسي في كتاب "الإمامة و السياسة" من خلال مجموعة من العوامل الحجاجية مثلت المقسم به و استطاعت أن توجه الملفوظ وجهة حجاجية كما ورد (القسم) في تراكيب مختلفة، حددتها العملية التواصلية و ما يميزها من أطراف معينين و واقعة معينة و موقف و غرض معينين.(متكلم، مخاطَب، زمان، مكان).

تنقسم التراكيب اللغوية المتضمنة لأسلوب القسم في الخطاب السياسي من الناحية الحجاجية إلى قسمين اثنين هما:

1.1 العامل الحجاجي :

يمثل العامل الحجاجي المقسم به، و من مميزاته أنه يؤثر في التركيب حتى ينهض في الخطاب بوظيفة الحجاج، كما أنه يعمل على توجيه الملفوظ و إثباته و جعله مما يحمل على أنه واقع لا محالة، ذلك أن للمقسم به قوة في تحقيق قيمة الكلام التأثيرية. إنه يمثل المعلوم القديم الذي لا يمكن إلا أن يقبل[2] و يتحدد في الخطاب السياسي في الآتي:

- **الله**
- **الله العلّي العظيم**
- **الله الذي لا إله إلا هو**
- **الذي نفسي بيده**
- **الذي تعنو له الوجوه و تخشع دونه الأبصار**
- **الذي فلق الحبة و برأ النسمة**

[1] ينظر الحجاج في القرآن، ص320.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص323.

- الذي نحلف به و نحج إليه

إن العوامل الحجاجية / المقسَّم به تُمثل المشترَك بين المتنـــازعين، و هـــي مـــن الناحيـــة الحجاجية ضرورية جدا لإنتاج الإقناع أو لاحتمال حصوله على الأقل، خاصـــة و أن عظمتـــها (العوامل الحجاجية) قد حصل حولها إجماع ضمني.

و ترجع عظمة المقسَّم به إلى ما تحمله هذه العوامل الحجاجية من مقتضيات معجمية ناجمة عـــن معناها؛ ذلك أن "الله" هو خالق الإنسان و رازقه ، و هو عالم الغيب و الشهادة و هو بكل خلق عليم و هو كذلك مريد و فعال لما يريد، و هو الواحد الصمد الذي لا يحيط به الزمان و المكان و هو محيط بالزمان و المكان، فالعوامل الحجاجية المذكورة بخصوصياها الدلالية لهـــا وظيفـــة حجاجية في المحيط العقدي للمخاطَب، لأن مجمل ما يقال في عقيدة الذات الإلهية التي جاء بهـــا الإسلام، أن الذات الإلهية غاية ما يتصوره العقل البشري من الكمال في أشرف الصفات[1]، ممـــا يجعل المتلقي يقتنع بفحوى جواب القسم.

كما تبين هذه العوامل الحجاجية مدى انفتاح الخطاب السياسي على عالم خطاب المتلقين و على عوالم إيماهم ، إذ ينطلق من مكوناهما و يعتمد إياها ليقيم الحجة على صحة القضايا التي يعرضـــها عليهم و ليوجهها توجيها إقناعيا مخصوصا[2].

و لقد اختلفت أدوات القسم المحددة لجملة القسم في الخطاب السياسي و انقســـمت إلى ثلاثة أقسام: الحروف ممثلة في "الواو"، الأسماء ممثلة في " أيمن، أيم، عمـــر" و الأفعـــال ممثلـــة في "أحلف، أقسم".

2.1 الدعوى:

و تمثل المقسم عليه /جواب القسم و هي **البؤرة** التي جاء القسم ليسلط الأضواء عليهـــا باعتبارها المعلومة الجديدة و موضوع النزاع و الاختلاف؛ إنها المكون الحامل للمعلومـــة الأكثـــر أهمية.

و قد ساهمت في تحديد أنماط الدعوى أشكال التواصل السياسي في الكتاب (المحـــاورة النقديـــة، المنازعة الجدلية،) فجاءت بذلك في أنماط لغوية مختلفة: خبرية و تكون (مثبتة، مؤكدة، منفية) و إنشائية و تكون (شرطية،أمرية...). و فيما يلي بيان لأهم الأنماط التركيبية للدعوى.

---

[1] ينظر عباس محمود العقاد، الله جل جلاله، المكتبة العصرية، بيروت، دت، دط، ص259-160.

[2] ينظر الحجاج في القرآن، ص95-97.

1.2.1 النمط الخبري المثبت

يمثل جواب القسم النمط الخبري المثبت في الملفوظات الآتية:

م1 : و الله مازلتم مؤثرين إخوانكم المهاجرين

م2: هي لعمر الله إلى من يصلح لها أمرها أحوج.

2.2.1 النمط الخبري المؤكد

يُمثِّلُ جواب القسم النمط الخبري المؤكد في الملفوظات الآتية:

م3: و الله ما كنا في خير إلا كنتم معنا فيه.

م4: أما و الله لكأني بأبنائكم على أبواب أبنائهم قد وقفوا يسألونهم بأكفهم و لا يسقون الماء.

م5: و الله إن رأيي لك أن يجل سنك و يعرف قدرك و سابقتك.

م6: و أيم الله يا أبت ليظهرن عليك معاوية.

م7: أما و الله إن سيوف بني عبد المطلب طوال حداد يحملها فتية أنجاد.

م8: لا و الله و لكني كرهت أن أنازع قوما حقا لهم.

م9: فو الذي نفسي بيده لأجدك في كتاب الله الخليفة المظلوم.

م10: و أيم الله إن الحسن لأحب إلى أهل العراق من علي.

م11: فإني و الله قد رأيت الغدر في رؤوسهم وفي وجوههم النكث و الكراهية.

م12: لا و الله يا بني و لكن أقاتل بمن أطاعني من عصاني.

م13: إني أحلف بالله لقد خلفت بالشام خمسين ألف شيخ خاضبين لحاهم من دموع أعينهم تحت قميص عثمان.

م14: و لعمري يا معاوية ما طلبت إلا الدنيا.

م15: و أيم الله لينجلين عنك حمقاها، و لينقشعن عنك غوغاؤها انقشاع السحاب عن السماء.

م16: أما و الله لكأني بك قد نفرت في هذه الفتنة و كأني بحوافر خيلي قد شدخت وجهك.

م17:لعمر الله لنحن خير من أهل الشام.

م18: أما و الله ما به إلا الحياء.

م19: إنه و الله لا يرضي العرب أن تؤمركم و نبيها من غيركم.

3.2.1 النمط الخبري المنفي

يمثل جواب القسم النمط الخبري المنفي في الملفوظات الآتية:

م20: و الله ما نحسدكم على خير ساقه الله إليكم.

م21: و أيم الله ما حرصت عليها ليلا و لا نهارا و لا سألتها الله قط في سر و لا علانية.

م22: أحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت الكتاب و لا أمرت به و لا اطلعت عليه.

م23: و الله ما ظلمناه ، و لا أمرنا و لا نصرنا عليه.

م24: و الله إني لا أظن.

م25: و الله ما فارقت أحدا في جاهلية و لا إسلام.

م26: و أيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبدا.

م27: و الله لا أفعل ذلك ما لاح في السماء نجم.

م28: أما و الله ما نخاف غضب رجالك و لا خضر خيلك.

4.2.1 النمط الطلبي

يمثل جواب القسم النمط الطلبي في الملفوظات الإنشائية التالية:

م29: و أيم الله لو أمرني بالقتال لقاتلت دونه أو أموت بين يديه.

م30: لا و الله لو أن الجن اجتمعت معكم مع الإنس ما أبايعكم حتى أعرض على ربي و أعلم حسابي.

م31: أما و الله لئن مات عمار من ضربه هذا لأقتلن به رجلا عظيما من بني أمية .

م32: و الله لو لم يستنصر بنا لنصرناه سمعا و طاعة.

م33: و أيم الله لو لم ينصره أحد لرجوت أن أكون فيمن أقبل معه من المهاجرين و الأنصار.

3.1 الطاقة الحجاجية للقسم

تتجاوز الطاقة التعبيرية الكاملة لأنماط للدعوى أعلاه دلالة النمط إلى آفاق دلالية و تداولية، حيث تبين الملفوظات المؤكدة بالقسم محاولة المتكلم لإقناع الخصم بوسم خطابه بأعلى درجات التأكيد و من ثم يصبح للملفوظ درجة حجاجية عالية. إذ تكشف الملفوظات المؤكدة بالقسم صورتين متعارضتين حددتهما في كل الأحوال أشكال التواصل السياسي المختلفة في الكتاب حيث تزيد درجة إثبات الدعوى بارتفاع درجة الإنكار.

و تطابق الجمل أنماطا مقامية مختلفة تتمايز بموقف المخاطَب من فحوى القضية انطلاقا من مجـــرد التردد في قبول هذا الفحوى إلى الإنكار التام ، فكلما ازداد الإنكار احتيج إلى مضاعفة التوكيد[1].

و يتجلى ذلك في ظهور الدعوى في أنماط بنيوية مختلفة و ذلك حـــتى تكـــون مطابقـــة لطبقات مقامية متمايزة أبينها فيما يلي:

1.3.1. الطبقة المقامية الأولى:

و هي الطبقة التي يكون فيها المخَاطَب جاهلا بالمعلومة التي يقصد المتكلم إعطاءه إياها أو يعتبر المتكلم أن المخاطَب يجهلها، أي أن المعلومة المقدمة لا تدخل في القاسم الإخباري المشـــترك بين المتكلم و المخاطَب[2] و تمثلها الملفوظات الآتية:

م2: هي لعمر الله إلى من يصلح لها أمرها أحوج

م4: أما و الله لكأني بأبنائكم على أبواب أبنائهم قد وقفوا يســـألونهم بـــأكفهم و لا يســـقون الماء."حو1"

م6: و أيم الله يا أبت ليظهرن عليك معاوية.

م29: و أيم الله لو أمرني بالقتال لقاتلت دونه أو أموت بين يديه.

م32: و الله لو لم يستنصر بنا لنصرناه سمعا و طاعة.

م33: و أيم الله لو لم ينصره أحد لرجوت أن أكون فيمن أقبل معه من المهاجرين و الأنصار.

تمثل الدعوى في الملفوظات أعلاه المعلومة التي يجهلها المخاطَب بالنسبة للمتكلم، لذا يلجأ إلى إثباتها بالقسم .و كأن المتكلم يدفع بالمخاطب إلى الوثوق بكلامه حيث يقدم له معلومة يجهلها لكنها مؤكدة بأعلى درجات الإثبات، وجلية ذلك في توضيح الأمثلة الآتية:

يمثل الملفوظ "م4: «**أما و الله لكأني بأبنائكم على أبواب أبنائهم قد وقفوا يســـألونهم بأكفهم و لا يسقون الماء**»."حو1" الحجة التي قدمها الحباب بن المنذر لرفضه مبايعة أبي بكـــر الصديق بالخلافة، و قد دعم القسم بمجموعة من العوامل الحجاجية (لام التوكيـــد + كـــأن + قد).

---

[1] أحمد المتوكل ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، البنية التحتية أو التمثيـــل التـــداولي نموذجـــا، ص 188.

[2] أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985 ،ص29.

تدخل العوامل الحجاجية "**لام +كأن + قد**" على الإسناد لتوكيد مضمون الخبر في الجملة سالكة بذلك سلوك الأدوات المعبرة عن الاعتقاد. و يؤكد "الحباب" أن خوفه المؤكد ليس من الخليفة " أبي بكر" و إنما ممن سيأتي بعده « **هيهات يا أبا بكر، إذا ذهبت أنا و أنت، جاء بعدك من يسومنا الضيم** » (**حو1**)و هي الحجة ذات الدرجة العليا التي دعم بها حجته الأولى"م4". فالحباب يتخوف مما قد يقع في المستقبل من نزاع حول السلطة بين الأجيال المسلمة و ما قد يحصل بينهما من تناحر حول قضايا سياسية.

ومن الأدوات التي ساهمت أيضا في تأكيد الدعوى جنبا إلى القسم العامل الحجاجي " اللام" الجارية لتوكيد الإثبات أي توكيد مضمون الخبر في الجملة، حيث عملت(اللام) في الملفوظ "**م6**: «**و أيم الله يا أبت ليظهرن عليك معاوية** »على توزيع شحنة التوكيد بالتساوي على قسمي الجملة.

كما حقق هذا العامل الحجاجي توكيد حضور المتكلم ممثلا في "الحسن بن علي" رضي الله عنهما في كلامه من حيث هو عمل له فيه. يبين ذلك حرف النداء "يا " و هي إشارة مزدوجة إلى دورها؛ تنبه فتمثل فاتحة القول و هي كذلك تعيّن، من حيث تقترن بموضوع لها كائن في مجال الإدراك المحيط بعملية التخاطب[1] ، فالإشارة المقترنة ب" يا" هي إشارة تعيينية تنبيهية فضلا على أنها قد حققت معنى التهديد يبين ذلك السياق الحواري "حو7" .

إن"الحسن بن علي" يتهم أباه و يرى بأنه من المحرضين على قتل "عثمان"؛ ذلك أنه شارك في مواقف الاحتجاج الموجهة ضد الخليفة بعد أن عاد من المدينة و تقاعس في حمايته[2] ،و يؤكد أن "معاوية" سيقف معارضا له مطالبا بدم الخليفة المقتول. و هي إشارة لوجود معارضة ملموسة لـ"علي"رضي الله عنه و بيعته.

2.3.1. الطبقة المقامية الثانية

هي الطبقة التي يتوفر فيها المخاطَب على المعلومة التي يعتبرها المتكلم معلومة غير واردة، و يعمل المتكلم على تصحيحها[3] و تمثلها الملفوظات الآتية:

[1] ينظر الأزهر الزناد، الإشارات النحوية، بحث في تولد الأدوات و المقولات النحوية من الأصول الأحادية الإشارية في اللغة العربية، منشورات كلية الآداب و الفنون و الإنسانيات، منوبة، دط، 2005، ص483.

[2] ينظر المؤرخون العرب و الفتنة الكبرى، ص162.

[3] أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص29-30.

م22: أحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت الكتاب و لا أمرت به و لا اطلعت عليه "خ2"
م27: أما و الله ما نخاف غضب رجالك و لا خضر خيلك. "حو20"
م19: إنه و الله لا يرضي العرب أن تؤمركم و نبيها من غيركم. "حو1"
م20: و أيم الله ما حرصت عليها ليلا و لا نهارا و لا سألتها الله قط في سر و لا علانية. "خ1"
م7: أما و الله إن سيوف بني عبد المطلب طوال حداد يحملها فتية أنجاد. "حو17"
م8: لا و الله و لكني كرهت أن أنازع قوما حقا لهم. "حو1"

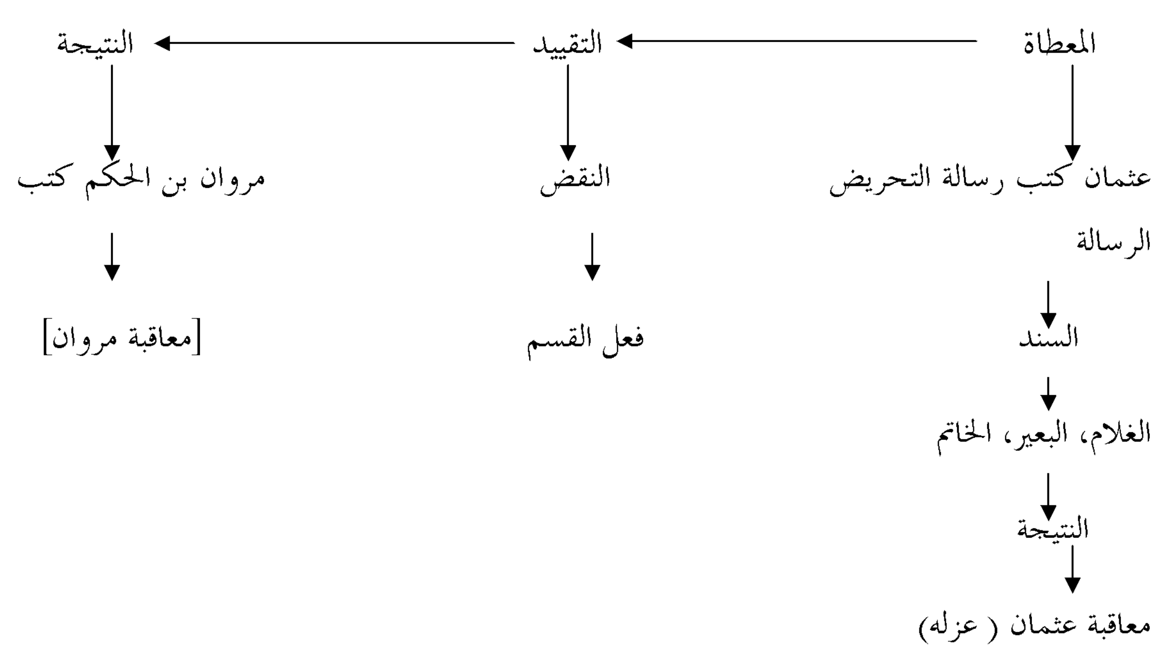
إن الملفوظات أعلاه هي جواب المتكلم على القضايا التي وجهت إليه، فلكي يرُد على خصومه يوجه إليهم الخطاب مباشرة، و كان الخطاب المثبت و المؤكد بالقسم خير ما جوهوا به. حسب ما يوضحه الجدول الآتي:

الدعوى/المدعي	الاعتراض/المعترض
- كتابة رسالة التحريض/المعارضة السياسية	م22/عثمان بن عفان
-الأنصار أولى بالخلافة/الحباب بن المنذر	م19/عمر بن الخطاب
- خف سيوف بني عبد المطلب/ عائشة (ض)	م7/ الزبير بن العوام
-معسكر علي يخاف من قوة معسر معاوية/رسول معاوية (العبسي)	م27/الصلت بن الزفر
حسدت ابن عمك على الإمارة/الحباب بن المنذر	م8/ بشير بن سعد
التخطيط لنيل الإمامة / الأنصار	م20/ أبو بكر الصديق

إن **الملفوظ م22**: « **أحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت الكتاب و لا أمرت به و لا اطلعت عليه**» يبين بوضوح البعد الحجاجي للقسم في هذه الطبقة المقامية و الذي نسوق شرحه في هذا المقام:

لما وجد القوم (المعارضة السياسية) رسالة التحريض "س3" مع غلام عثمان ومعه بعيره و خاتمه حقنوا عليه و فزعوا منه و أحاطوا به، و منعوه الماء و الخروج.ثم دخلوا عليه مبدين غضبهم موجهين التهمة إليه لثبات الأدلة عليه، فخطب عثمان معلنا توبته و حلف بالله الذي لا إله إلا هو أنه ما كتب و لا أمر و لا علم بالأمر كله؛ مستغلا الكفاية العقدية و الثقافية للمخاطِب مما جعل القوم يشكون في أمره و قد علموا أنه لا يحلف بالباطل. فكان القسم كافيا

لدحض حجتهم ، فتوجهت بذلك إدانتهم إلى مروان بن الحكم و هي إدانة لرموز الدولة الأموية.
و يمكن أن نرسم المسار الحجاجي الذي حدده الملفوظ المؤكد في الآتي:



هذا و يعد الرابط الحجاجي "لكن" من أهم أدوات التوكيد و الإثبات التي صحبت القسم في الخطاب السياسي، يبين ذلك الملفوظ "م8" :« **لا و الله و لكني كرهت أن أنازع قوما حقا لهم**» "حو1" الذي جاء في بنية تركيبية كالتالي:(لا+واو القسم+المقسم به+المقسم عليه) .

و استخدام "لا" قبل القسم هو أسلوب من أساليب الكلام عند العرب، يقصد به الرد على كلام سابق[1] فقد عمد بشير بن سعد إلى نفي التهمة الموجهة إليه " لم أحسدك " ثم ارتقى بحجاجه درجة و هي إثبات حق الخلافة للمهاجرين و كرهه منازعتهم إياها، و ذلك عن طريق الربط ب"لكن" ، و الرابط الحجاجي "لكن" يدل عل الاستدراك بتوسطه كلامين متغايرين معنى في النفي و الإثبات. فهو رجوع عن معنى الكلام الأول إلى معنى آخر و تداركه، فيكون من هذه الزاوية أداة تعبر عن عدول المتكلم عما يسبقه و تعويض له بما يلحق عليه، و التغاير لا يعني

[1] مصطفى النحاس، دراسات في الأدوات النحوية، شركة الربيعان، القاهرة،، ط1، 1979، ص76.

التضاد و إنما هو التنافي بوجه ما[1]. والحجة التي وردت بعد لكن هي أقوى من الحجة التي وردت قبلها بحيث استطاعت أن توجه الخطاب بمجمله.

كما عمد المتكلم في كثير من المواقف إلى تأكيد نفي ما يخطر في بال مخاطبه و دحض ما يعتقده عبر القسم حتى يكون الوقع الحجاجي أشد عليه و أعمق أثرا فيه مما لو كان الجواب عاريا من مظاهر التوكيد، و جلية الأمر في الأمثلة الآتية:

م20: «**و أيم الله ما حرصت عليها ليلا و لا نهارا و لا سألتها الله قط في سر و لا علانية**»

يلجأ الخليفة "أبو بكر الصديق" إلى القسم حتى يثبت عدم حرصه على الخلافة و من ثم يدحض معتقدات الأنصار القائلة بأن الخلافة قد أخذت منهم عنوة، و أن حزب قريش قد حرص منذ البداية على أن تنتقل إليهم خلافة الأمة الإسلامية، و يعضد القسم ورود الوحدة المعجمية "قط" التي عملت على تأكيد النفي.

و تحقق النفي بوساطة ازدواج العاملين الحجاجيين "ما" و "لا" اللذين يعدان من العناصر المكونة لنظام النفي في الفعل في الملفوظ نفسه، و تحقق "ما" بعدا دلاليا هو نفيها فعلا ماضيا منقضيا مثبتا مؤكدا و هو نفي شامل لجنس الحدث الذي يعبر عنه الفعل بعدها، أما "لا" فقد عملت على نفي القصد و هو أبلغ من نفي الفعل:

الإثبات: والله لقد حرصت عليها ←———— **النفي**: و الله ما حرصت

الإثبات: و الله لقد سألتها الله ←———— **النفي**: و الله ما سألتها الله

إن هذه المبالغة في توكيد النفي هي بمثابة جواب جاهز يرد وجوه الإنكار كلها و يبطل الإيغال في هذا الإنكار مهما تنوع و تعدد. و من ثم الذهاب في توكيد النفي إلى أقصى مداه.

كما عمل العامل الحجاجي "ما"، في الملفوظ **م28**: «**أما و الله ما نخاف غضب رجالك و لا خضر خيلك**» على نفي نسبة المسند " الخوف" إلى المسند إليه "أنصار علي"، ذلك أن

[1] الأزهر الزناد، الإشارات النحوية، بحث في تولد الأدوات و المقولات النحوية من الأصول الأحادية الإشارية في اللغة العربية، ص467.

« ما تنفي الفعل المضارع المثبت الذي يزامن فيه حدث القول من حيث المظهر، يعني أنها تنفـــي فعلا ينقله المتكلم من زاوية التحقق المطلق في التصور و الحدوث الفعلي»[1] .

و يمثل هذا الفعل جواب "الصلت بن زفر" أحد أنصار الخليفة "علي رضي الله عنه" على تهديدات العبسي حيث قال: «إني أحلف بالله لقد خلفت بالشام خمسين ألف شـــيخ خاضـــبين لحاهم من دموع أعينهم تحت قميص عثمان.....و أحلف بالله ليأتينكم من خضر الخيل اثنا عشر ألفا، فانظروا كم الشهب و غيرها»[2]. و يعد النفي بِـــ "ما" أقوى من النفي بِـــ" لا ".

و هكذا حقق الملفوظ م28" ذو البنية التركيبية : "أما + الواو + الله+ المقسم عليه" تأثيرا في مخاطبه " العبسي" حيث أقام بالعراق عند "علي" حتى اتهمـــه معاويـــة، و لقيـــه المهـــاجرون و الأنصار فأشربوه حبه (علي)؛و حدثوه عن فضائله، حتى شك في أمره.

2. القصـــر

يعد القصر من أهم الوسائل اللغوية التي يلجأ إليها المخاطِب السياسي حتى يوجه خطابه توجيه إثبات، و القصر لغة الحبس و في الاصطلاح تخصيص أمر بأمر بأسلوب معين أي حبسه عليه وجعله ملازما له.و هو أداة توكيد و تخصيص و كلما قويت الحاجة إليهما كان القصر أبلغ[3]

فأما التوكيد فيكون بنفي الغير و إثبات الحكم للموضوع ويكون صراحة بحرف النفي و إلا و ضمنا ب"إنما"، و أما التخصيص فهو اختصاص أحد العنصرين دون غيره بالآخر و من ثم تأكيد النسبة بينه و بين الأخر[4].

إن التوكيد بالقصر هو عمل لغوي/كلامي يأتيه المتكلم فيجعل عمل الخصم الكلامي يسير في الاتجاه الذي يرسمه له، كما يدفع هذا العمل اللغوي في سياقات أخرى يدفع المتلقي دفعا إلى إعمال طاقة الاستنتاج لديه.

و لقد تحقق القصر في الخطاب السياسي عن طريق مجموعة من العوامل الحجاجية "ما...إلا"، "ما...غير"، "لا...إلا"، "إنما" و قد عملت على تعديل القيمة الحجاجية للملفوظ

---

[1] الأزهر الزناد، الإشارات النحوية، ص179.

[2] الإمامة و السياسة، ص73.

[3] وليد قصاب البلاغة العربية علم المعاني دار القلم للنشر والتوزيع الأمارات ط1 1998 ،ص161.

[4] ينظر تمام حسان البيان في روائع القرآن، دراسة لغية وأسلوبية للنص القرآني،ج2، عالم الكتب، القـــاهرة، ط2، 2000، ص136.

(قيمة الإثبات و قيمة التخصيص)، فضلا على أنها حملت المخاطَب على الاقتناع، وحققت وظائف حجاجية مختلفة في الخطاب السياسي.

و يعود استعمال عامل حجاجي دون الآخر إلى وجود مقامين مختلفين و يتعلق الاختلاف بين المقامين بمكونات المقام من ظروف و ملابسات فضلا على اختلاف في معارف المتخاطبين إذ هما يشتركان في بعض الملابسات و لكنهما يختلفان في معرفة بعضها البعض.

و فيما يلي سأحاول أن أبين البعد الحجاجي للأداة المتقطعة "ما ...إلا" و الأداة "إنما" لـــا تتضمنه البنية القصرية لهما من قوتين إنجازيتين مواكبتين للمحتوى القضوي للجملة و التي تمثل في معظم الأحوال الحجج التي يسوقها المرسل في خطابه.

1.2.القيمة الحجاجية للعامل الحجاجي " ما......إلا"

يوجه العامل الحجاجي "ما...إلا" عادة الملفوظ وجهة واحدة نحو الانخفاض، هذا ما جعل المتكلم يستثمره لإقناع مخاطِبه بفعل شيء ما، كما تبينه الملفوظات الآتية:

م1:ما أنا إلا كأحدكم "خ1"

م2:ما تجيبون إلا الله "س3"

م3: لا يدرك الحق إلا بالجد و الصبر "خ22"

م4:ما أظن هؤلاء القوم من أهل الشام إلا ظاهرين عليكم "خ22"

يسوق أبو بكر الصديق الملفوظ "**م1**" في معرض خطبته حتى يؤكد لرعيته شرعية معارضتهم لخليفتهم ما دام هذا الأخير يخطيء و يصيب فهو بالتالي يتقاطع معهم في صفة الإنسانية و ينزه نفسه عن صفة النبوة.و هو تواضع منه مع رفيع منزلته و سمو مكانته بين المهاجرين و الأنصار. فالملفوظ "م1" يتضمن قوة إنجازية هي :

ما أنا إلا كأحدكم ⟵ شرعية المعارضة

أما الملفوظات "**م2**، "**م3**/ **م4**" فهي بمثابة الحجج التي يقدمها الإمام "علي" رضي الله عنه حتى يحصل على استجابة من مخاطِبه، المتمثل على التوالي في: أهل الكوفة في "معركة الجمل" الجبهة العراقية (معسكر علي)" في معركة صفين" الذي توانى عن القيام بمهامه المنوطة له. هذه الملفوظات هي بمثابة الحجج التي جاءت في بنية قصرية حتى تكون موغلة في الحجاج.

إن "عليا" كرم الله وجهه في رسالته الموجهة إلى أهل الكوفة يؤكد على أن إجابتهم لدعوته هي إجابة لله ذلك أنهم سوف يحاربون ناكثي العهد و الخارجين عن طاعة الإمام. فالإجابة هي لله دون غيره.و المقصور عليه "الله " له وقع حجاجي على نفسية المتلقي .

و لما كان المخاطَب في "خ**22**" يمثل الجبهة العراقية و التي من مميزاتها أنها تضم عناصر متباينة في الآراء و المفاهيم و الاتجاهات ، فهناك الأنصار و المهاجرون ، أشراف القبائل و أهل القادسية و الأيام و جماعات الروادف و مجموعات القراء[1]؛ فإن الإمام "علي رضي الله عنه" عمد إلى استنفارهم لمواجهة عدوهم و قد ساق الملفوظين "م3/ م4" لرد اعتقاد من يعتقد أن نيل النصر سيكون دون جد و صبر و أن أهل الشام قد توقفوا عن محاربتهم .

إن عناصر معسكر علي تختلف في درجة تقديرها لمصالحها و في نظرتها لقريش و لسلطان المدينة و فهمها لأبعاد الصراع الذي تخوضه، و شخصية مثل شخصية الإمام علي كرم الله وجهه بأبعادها المعرفية و العلمية و بمكانتها القوية أعلم بسمات هذا المعسكر و حتى ترتفع قدرة التأثير فيه، يوجه خطابه توجيها حجاجيا.

إن الملفوظين "**م3/ م4**" يندرجان في سياق حجاجي يمثله إنكار المخاطَب كون أهل الشام قد توقفوا عن محاربتهم و إقناع المتكلم باستعمال أسلوب القصر ما هو إلا قلب لمعتقد المخاطَب.

و في سياق تحاور و جدال يَظْهَرُ من خلاله المخاطَب مجِدا في الإنكار، يقدم المتكلم ممثلا في "محمد بن طلحة الملفوظ" **م5** : «**ما قلت إلا حقا و لن أعود**»"**حو14**"

لقد بدأ الملفوظ بنفي الحكم عن غير المقصور عليه ثم جيء بهذا المقصور عليه بعد "إلا" ليحصر فيه الحكم و يقصر عليه و يفرد به خاصة و أن المخاطَب (طلحة بن عبيد الله) قد صدر عنه ما من شأنه أن يكون له تأثير على المتكلم « يا محمد أتزعم عنا قولك إني قاتل عثمان، كذلك تشهد على أبيك؟ كن كعبد الله بن الزبير، فو الله ما أنت بخير منه و لا أبوك بدون أبيه، كف عن قولك هذا ، و إلا فارجع فإن نصرتك نصرة رجل واحد و فسادك فساد عامة »[2].

فالملفوظ"**م5**" واضح القيمة الحجاجية و هو يبين أن مرسِل الخطاب شخصية تجهر فيما تراه حقا و فيما تراه مخالِفا.

2.2. القيمة الحجاجية للعامل الحجاجي "إنما"

[1] الفتنة الكبرى و المؤرخون العرب، ص263.

[2] الإمامة و السياسة، ص58.

يرى إمام النحاة عبد القاهر الجرجاني أن "إنما" يؤتى بها لخبر لا يجهله المخاطَب و لا يدفع صحته، و لكن لمن يعلمه و يقر به[1]، و من ثم يوظفها المتكلم في خطابه لما لها من طاقة حجاجية في تنبيه المتلقي للذي يجب عليه من حق، و جلية الأمر في توضيح الأمثلة أدناه:

م1:« **إن الخلافة ليست شرطا مشروطا و إنما هي في قريش عامة لمن كان لها أهلا مما ارتضاه المسلمون لأنفسهم، من كان أتقى و أرضى** »[2].

يقدم "عمر بن عبد الله" الملفوظ "م1" بمثابة الحجة و قد بين من خلاله قصر الخلافة في قريش دون غيرها من العرب، و هو تنبيه منه إلى الرأي الأول الذي أجمع عليه الصحابة يوم السقيفة حيث احتجت قريش على الأنصار لما هموا يومئذ ببيعة "سعد بن عبادة" بقول الرسول:{الأئمة من قريش}[3] (حجة السلطة)، و بأن النبي صلى الله عليه و سلم أوصاهم بأن يحسنوا إلى محسنهم و يتجاوزوا عن مسيئهم.و قد استند المهاجرون في ذلك إلى مجموع الأحاديث الواردة عن الرسول صلى الله عليه و سلم:{ لا يزال هذا الأمر في قريش، ما بقي من الناس اثنان}[4]، كما أثر عن النبي أنه قال: {الملك في قريش، و القضاء في الأنصار }[5].

و قد نشر المهاجرون كل هذه الأحاديث و روجوا لها مع أن القرآن لم يشر إلى تولي قريش وحدها الخلافة أو أي قبيلة أخرى.

أما الملفوظ " **م2**:« **إنما هذا المال لمن غزا فيه و قاتل عليه** »[6] فيمثل الحجة التي قدمتها المعارضة السياسية للخليفة "عثمان رضي الله"، و هي تذكير الخليفة بأمر سها عنه فكانت ردة فعله الاستغفار و التوبة ومن ثم أمر أهل المدينة بالرجوع إلى أعمالهم.

و يتجلى التنبيه في الملفوظ (**م2**) في أن كلا من طرفي التواصل يعلمان أن المال يكون للغازي في سبيل الله و لكن المعارض يريد تنبيه المخاطَب (الخليفة عثمان بن عفان) بمعارفه السابقة و تأكيدها في نفسه و هذا مما يندرج ضمن مبادىء الإقناع عموما.

---

[1] دلائل الإعجاز، ص222.

[2] الإمامة و السياسة، ص141.

[3] أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، الميمنية، ج3، ص183.

[4] مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، خرّج الأحاديث صدقي جميل العطار، دار الفكـــر، بـــيروت، 2004، ص925.

[5] مسند أحمد بن حنبل، ج2، ص364.

[6] الإمامة و السياسية، ص33.

كما حددت "إنما" في الملفوظ **م3**:« **اتركوه فليس تركه بضاركم و إنما هو رجل واحد**»"**حو1**" قيمة التنبيه الحجاجية، و تتأسس الحجة / الملفوظ على قاعدة ترجع إلى موضع الكم "**رجل واحد**". فالمحاور "بشير بن سعد" يحاول تذكير أطراف الحوار و تنبيههم إلى أمر معلوم قد غاب عنهم، فالخارج عن البيعة هو رجل واحد "سعد بن عبادة" و خروجه عنها لن يحدِث ضررا بها.

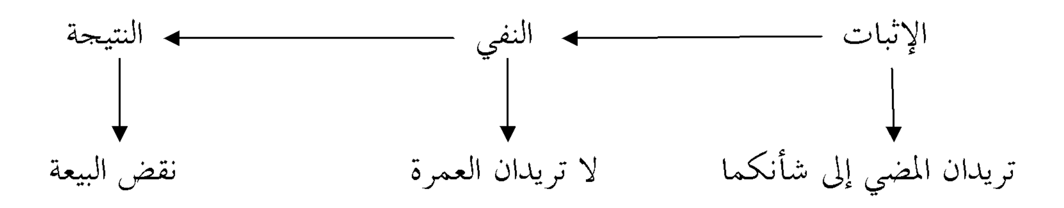
و قد بقي "سعد بن عبادة" على موقفه المعارض حتى توفي رحمه الله، و ما هذا إلا دليل على أن قيادة الخلافة الراشدة قد تركت الحرية كاملة للمعارضة في أن تبدي رأيها المخالف و أن تدعو له دو أن يمارس عليها أي ضغط أو عنف ما دامت في إطار الدولة و تعيش تحت لوائها.

و يلجأ المخاطب إلى استعمال التراكيب القصرية بوساطة الأداة "إنما" حتى يحقق الغرض التخاطبي ممثلا في الرد على من يعتقد أن مجموعة من المعلومات كلها واردة بينما الوارد منها هو المؤكد بأداة القصر "إنما"، ومن ثم توجيه المخاطب، حسب ما تبينه الملفوظات الآتية :

م4: «**و إنه و الله ما منك يطلب الأمان يا معاوية، وإنما يطلب الأمان من الله رب العالمين**»

يحاول المرسل "عبد الله بن عباس" في الخطاب السياسي "سَ36" الرد على الخطاب المرسل إليه من طرف الخليفة "معاوية بن أبي سفيان"، و يعمل على تجسيد مقاصده في بنية مؤكدة بوساطة العامل الحجاجي "إنما" حيث يقصر الأمان على الله سبحانه و تعالى و حده و لا يطلب إلا منه، مؤكدا بذلك معرفته المسبقة بنوايا الخليفة نحوه.

كما تظهر الطاقة الحجاجية للأداة "إنما"في المشهد الحواري : "حو8"حيث يقدم الإمام "علي كرم الله وجهه الملفوظ **م5**: «**نعم و الله ما العمرة تريدان و إنما تريدان أن تمضيا إلى شأنكما، فامضيا**» حتى يقيم الحجة على مخاطبيه الزبير بن العوام و طلحة بن عبيد الله و يعمد إلى تقديمها/ الحجة في بنية قصرية بواسطة الأداة "إنما" مثبتا بذلك ما جاء بعدها نافيا لما سواه:



إن الملفوظ م5 ذو قيمة حجاجية حيث تظهر النتيجة من عبارتي النفي و الإثبات متضمنة و غير صريحة ممثلة في: "طلحة و الزبير نقضا البيعة". مما يسمح أن يحكم على حركتهما بحركة الناكثين لبيعتهم.

3. أفعال اليقين

تعد أفعال اليقين من النواسخ ، و تدل على اعتقاد المتكلم أمرا لا يعارضه دليل، سواء أكان هذا الاعتقاد صحيحا مطابقا للواقع أم غير ذلك، و من هذ الأفعال : :رأى، علم وجد،ألفى، درى[1] .

إن المتكلم يسم خطابه السياسي بهذه الأفعال قصد توجيهه توجيه إثبات،ذلك أنها (الأفعال) تفيد التحقق من نسبة الخبر للاسم و تدل على تمام الاعتقاد و اليقين و القطع بالمحتوى القضوي للملفوظ. و تعتبر هذه الدلالة قيمة توجيهية، و من ثم فإن هذه الأفعال تندرج ضمن أفعال القوة verbes puissanciels.

تعبر أفعال القوة عن مجموعة من المفاهيم تمثل ما يملكه المفهوم الأساسي للوجود،و لها أسبقية منطقية بالقياس إلى المفاهيم التي تعبر عنها الأفعال الأخرى، أسبقية من نوع أسبقية الشرط بالقياس إلى النتيجة أو القوة بالنسبة للأثر، فلكي نتمكن من الفعل أو التأثر ينبغي أولا مع وجود الفارق المطلوب تبعا للحالة المعتبرة أن نتمكن أو أن نعرف[2] .

تحمل إذن هذه الموجهات اليقينية طاقة حجاجية توجه متلقي الخطاب إلى الاقتناع أو الإذعان خاصة و أن الملفوظات الموسومة بها يتجلى فيها حضور المتكلم في كلامه من حيث هو عمل فيه ، إذ تُظهِر الملفوظات الموسومة درجة الشدة للغرض المتضمن في القول. و فيما يلي بيان للطاقة الحجاجية لأهم هذه الموجهات في الخطاب السياسي:

1.3 الموجه اليقيني "عــلِم"

العلم هو إدراك الشيء على ما هو عليه و يطلق على إدراك المركب و هو خلاف الجهل و الفعل "علِم" من حيث التدرج العقلي سابق على الفعل "عرَف". و يحقق الفعل "علم" قوة إنجازية يوضحها الرسم الآتي:

---

[1] عزيزة فوال بابتي، المعجم المفصل في النحو العربي، دار الكتب العلميــة، بــيروت، ط1، 1992، ج1، ص213.

[2] ينظر جون سرفوني، الملفوظية،49-50.

و أنت تعلم ←الحمل على الإذعان ←نفي الإنكار

إن هذه القوة الإنجازية يتوصل إليها عبر عمليات ذهنية بسيطة .أبينها من خلال تحليل الملفوظات أدناه:

يظهر الملفوظ "**م1**:« **و علي خلف حسنا و حسينا و أنت تعلم من هما و ما هما**» "**حو45**" ضمن مجموعة الحجج التي وجّهها عبد الله بن الزبير في محاورته لمعاوية، حيث يرفض ضمنيا المرشح "يزيد بن معاوية " للخلافة في وجود عدد من أبناء كبار الصحابة، و يرشح بدله "الحسن و الحسين" لنسبِهما و أخلاقهما، و يسم خطابه بالفعل " **تعلم**" حتى يكون للملفوظ درجة عالية من التوكيد و يكون بذلك مستعدا للرد على أي نفي محتمل؛ ذلك أن من شروط العلم أن يكون العالِم محيطا بأحوال المعلوم إحاطة تامة، فالحسن و الحسين كما يعلم "عبد الله بن الزبير" و "معاوية" و غيرهما سِبْطا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وريحانتاه ، وسيدا شباب أهل الجنة و هما أولى من "يزيد" بتولي خلافة الأمة الإسلامية.

و لقد جوبهت حركة عائشة و علي و طلحة بمعارضة واسعة من قبل الصحابة و أمهات المؤمنين و عامة الناس سواء في مكة أم في المدينة. و تمثل الرسالة "س6" خطاب استنكار ضد هذه الحركة (مسير عائشة مع طلحة و الزبير و نصبهم الحرب لعلي)، و حتى يؤثر المرسل "أم سلمة" رضي الله عنها" في قرار المرسل إليه "عائشة رضي الله عنها" يعمد إلى تذكيره بمكانته في هذه الأمة، مقدما مجموعة من الحجج تسير في اتجاه حجاجي واحد و تخدم نتيجة واحدة و تؤدي إليها .

و النتيجة هي الغاية المقصودة من الرسالة كلها. (المكوث في المدينة و تجنب المسير للحرب)، و لتحقيق الغرض الإنجازي " النصح" تعمد أم المؤمنين "أم سلمة" بوسم أحد الحجج بالفعل "**علم**" كما يبينه الملفوظ **م2**: «**و قد علمت أن عمود الدين لا يثبت بالنساء إن مال، و لا يرأب بهن إن انصدع، حماديات النساء غض الأبصار و ضم الذبول**»"**س6**" و يحمل هذا الموجه الحجاجي "**علمت**" شحنة حجاجية تؤثر على متلقي الخطاب و توجهه توجيه إثبات.

إن "أم سلمة" تعلم أن " عائشة" رضي الله عنها تعلم علم اليقين أن كرم المرأة و شرفها في لزومها بيتها و لا قدرة لها في سياسة الأمة. و هي بذلك تكون مهيأة للرد على أي نفي محتمل.

أما الملفوظ **م3**: «**و قد علمتَ أن وطأة هذا الأمر لصاحبك**»[1] فيمثل الحجة الأولى في السلم الحجاجي في خطاب "شرحبيل بن السمط" الموجه "لعمرو بن العاص" ، فحتى يشحذ همته و يشد أزره، يقدم له الملفوظ "م3" الموسوم بالموجه اليقيني "**علمت**" حتى يكون موقنا بقلبه من تحقق نسبة الخلافة لمعاوية ، فلا يتوانى عن الظفر بالحكم لصالح معاوية، ذلك أن الغاية تبرر الوسيلة.

و في رسالة "س10" موجهة إلى الشيخين طلحة و الزبير يؤكد "علي" شرعية خلافته ويستنكر خروج طلحة و الزبير عليه عنه الحجة م4:« **فقد علمتما أني لم أرد الناس حتى أرادوني و لم أبايعهم حتى بايعوني و إنكما لمن أراد و بايع**» في إثبات ذلك.

إن الشيخين يدركان إدراكا تاما شرعية بيعة علي، يدركان أنه قبِل البيعة خشية منه على الدين و المسلمين من الفتنة و التمزق خاصة بعد أن التف كبار الصحابة حوله نظرا لقدمه و سابقته في الإسلام و قرابته من رسول الله ، فالبيعة لاقت دعما من قبل الصحابة مهاجريهم و أنصارهم و عامة الناس و أن طلحة و الزبير بايعا طواعية و لم يجبرا تحت تهديد السلاح و هتان الحجتان قد وردتا بعد الرابط الحجاجي "حتى" في الملفوظ "**م4**" و هما أقوى الحجج و "حتى" في هذا السياق قد استعملت للحجاج و الإقناع، و الملفوظ المشتمل عليها لا يقبل الإبطال و التعارض الحجاجي، و يدعم التوجيه الإثباتي الموجه "**قد علمتما**"، فالحجج القوية المقدمة يعلمها كل من طلحة و الزبير و عليه لا يمكنهما إنكارها، و من ثم تبطل حجتهما.

2.3.الموجه اليقيني "وَجـــد"

يعد الفعل "وجد" من الموجهات اليقينية التي وجهت الخطاب توجيه إثبات و يدل على العلم و الاعتقاد الذي يحصل بالحس الداخلي[2] و قد حقق هذه الوظيفة الحجاجية في الملفوظ **م1**: « **و إني لأجده في التوراة التي أنزل الله على موسى عليه السلام، و كتب بيده عز وجل إليكم بالعبراني و بالعربي خليفتكم المظلوم الشهيد**»[3] فحتى يحمل "عبد الله بن سلام" مخاطبيه على الاقتناع و ترك الشك و الإنكار يسم حجته بالموجه الحجاجي "**أجد**" المدعم بلام التوكيد

---

[1] الإمامة و السياسة، ص109.

[2] ينظر محمد سعيد إسبر، و بلال جنيدي، الشامل، معجم في علوم اللغة العربية و مصطلحاتها، دار العـــودة، بيروت،ط2، 1985، ص1018

[3] الإمامة و السياسة، ص40.

قصد تأكيد المعلومة المقدمة ومن ثم يكون له وقع حجاجي،غرضه ثني المعارضة عن مهاجمة عثمان رضي الله عنه، خاصة و أن متلقي الخطاب (المعارضة) يحتاج إلى حجج مؤكدة و لا يكتفي بالتلميح.

3.3 الموجه اليقيني "رأى"

لقد كان من أبرز أهداف "معاوية رضي الله عنه" في صراعه مع "علي رضي الله عنه" السيطرة على العراق و تسخير أهله لمصلحة أهل الشام خاصة بعد أن أيدته قبائل أهل الشام و قياداته و رجالاته معلنة بذلك الدعم المطلق ، فانسجام المعسكر الشامي و تجانسه و انضباطه وسهولة انقياده لقادته صار أمرا ظاهرا للعيان، و حتى يوصل الخليفة الرابع هذا المعنى لمعسكره و يستنفره للقتال يعمد إلى وسم خطابه بمجوعة من الموجهات اليقينية، و يمثل الملفوظ م**1** : «**إني أرى أمورهم قد علت، و أرى أموركم قد خبت، و أراهم جادين في باطلهم، و أراكم وانين في حقكم، و أراهم مجتمعين، و أراكم متفرقين، و أراهم لصاحبهم معاوية مطيعين، و أراكم لي عاصين** »[1] حججا من قبيل التنبؤ، و هي أهم الحجج المقدمة

فلتحقيق وظيفة توجيه الإثبات، تسم الذات المتكلمة ممثلة في "علي كرم الله وجهه" خطابها بالموجه اليقيني "**أرى**" الذي يفيد اليقين و العلم الجازم[2]، فهي بذلك موقنة بقلبها ما تقول و أنها بذلك تتحمل مسؤولية الإمضاء على صحة القضية التي تعلنها، خاصة و أن المتلقي تخاذل في الاستجابة، و "علي" بمكانته القيادية و منزلته العلمية التي تؤهله ليكون خليفة المسلمين ، يعلم أن المخاطَب متفاوت الكفاءة و الانتماء و أنه ليس من أولي الألباب الذين يقنعهم التلميح، لذا فهو يوجه الخطاب توجيها إثباتيا يحمل متلقيه على تصديقه و الاقتناع به.

ثانيا الموجهات التقريبية أو موجهات الشك

تعبر عن الموجهات التقريبية modalisateurs approximatifs أو موجهات الشك modalisateurs d'incertitudes العوامل الحجاجية: "يبدو أن"،"كأن"، "لعل" "أفعال الرجحان"،علاوة على الأسوار:"كل"،"بعض"،"جميع"... و هذه العوامل الحجاجية

---

[1] الإمامة و السياسة، ص124.

[2] ينظر محمد سعيد إسبر، و بلال جنيدي، الشامل، معجم في علوم اللغة العربية و مصـــطلحاتها، ص 498-499.

و الوحدات المعجمية تجعل الملفوظ ذا مسحة ذاتية من خلال الإعلان عن حضور صاحبه حضورا بارزا للعيان ،و تكسبه صبغة موضوعية[1] .

إن الموجهات التقريبية أو المفيدة شكا عندما تدخل على القضايا تكون لغاية الإقناع بهذه القضايا، تقول أوروكيوني:« إننا بإعلاننا عن شكنا و عدم يقيننا و بجعل حكاياتنا حكاية تقريبية نكون قد برهنا على درجة من النزاهة الفكرية تفضي إلى جعل الحكاية في مجملها حكاية صادقة»[2] .

إن الموجهات التقريبية تجعل الخطاب الذي ترد فيه ذا بعد موضوعي يبعث على التصديق و يولد الإقناع، و وسم المتكلم خطابه بهذه الموجهات يعني أنه يقف موقف الحياد من مضمون القضايا التي يعرضها على السامع بحجة الموضوعية و النزاهة.

و فيما يلي محاولة تبيين البعد الحجاجي الذي حققته بعض الموجهات التقريبية في الخطاب السياسي في الكتاب:

1.الموجه الشكي "زعـــم"

يُستعمل الفعل "زعم" ومشتقاته في الغالب للظنِّ الفاسد، أي ما يُشكّ فيـــه، أو يُعتقـــدُ كذبُهُ[3] ولذلك يقولون: "زَعموا مطِيَّة الكذب"و قد وَسَم هذا الموجه الحجـــاجي "**زعـــــم**" عددا من الملفوظات في الخطاب السياسي و استعمل قصد توجيه الخطاب الوجهة الـــتي يريـــدها المتكلم و اقتحام عالم المتلقي و تغييره. و هو بذلك يعد رافدا حقيقيا يرفد الحجـــاج فيـــؤثر في المتلقي و يستميله إلى ما يقصده المتكلم و ما يروم تحقيقه عبر الخطاب، و جلية الأمر في توضـــيح الأمثلة أدناه:

يمثل الملفوظ **م1**:«**و قد زعما أنهما بايعا مستكرهين**»[4] أهم حجة قدمها "عثمان ابن حنيف" عامل البصرة لـــ"علي بن أبي طالب" في خطابه حتى يضمن النتيجة المتوخاة، وقد سمحت وحدة الإطار المرجعي بين المرسل والمتلقي ممثلا في أهل البصرة من جعل الحجة أقوى مصداقية عند هذا الأخير.

---

[1] ينظر الحجاج في القرآن، ص 317.

[2] Orecchioni, L'énonciation:De la subjectivité dans le langage,armand colin,Paris,1980 p143-144.

[3] ينظر محمد سعيد إسبر، و بلال جنيدي، الشامل، معجم في علوم اللغة العربية و مصطلحاتها، ص 514.

[4] الإمامة و السياسة، ص57.

إن "عثمان بن حنيف" يُبطِل من خلال حجته حجة "طلحة و الزبير" بأنهما بايعا مستكرهين فقولهما باطل يعتقد كذبه، حيث تتضافر دلالة الموجه "**زعم**" و العامل الحجاجي "**قد**" الذي يفيد التحقق المؤكد في تحقيق الغاية المنشودة، فقام بذلك "حكم بن جبل العبدي" مجيبا لدعوة عثمان بن حنيف مضيفا قبيلة "ربيعة" إلى أنصار علي.

و في السياق نفسه ينتقي المرسل "علي بن أبي طالب" الموجه الشكي عينه لإقناع متلقيه بأمر ذي علاقة وطيدة بالخطاب ،ذلك أن الانتقاء قانون حجاجي عام يسمح بتبليغ مقاصد المرسل و تيسيرها في النفوس:

م1: «و قد زعمتما أني قتلت عثمان........ وزعمتما أني آويت قتلة عثمان» "س10

م2: « ثم زعمت أني قتلت طلحة و الزبير، فذلك أمر غبت عنه و لم تحضره.... و زعمت أنك زائري في المهاجرين ، و قد انقطعت الهجرة حين أسر أخوك» س12

إن "عليا رضي الله عنه" من خلال الملفوظات أعلاه يُكذِّبُ صراحة ادعاءات المعارضة السياسية ممثلة على التوالي في شخص "طلحة و الزبير و معاوية" حيث يبطل أقوالهم بوسم خطابه بالموجه "**زعم** "ومن عادة العرب أنّ من قال كلاماً، وكان عندهم كاذباً، قالوا: "زَعَمَ فلانٌ" و هو وَسْمٌ بأعلى درجات الإنكار.

و رغبة في تحقيق التبدل و التغيير في أفكار المتلقي و مواقفه و حتى يكون له سلوك واقعي ملموس يقدم علي بن أبي طالب الحجة **م3:« و قد زعم معاوية أن أهل الشام أهل صبر و نصر»خ18**" كي يضمن نجاعة خطابه (تعبئة أهل العراق لقتال العدو).

إن المتكلم يعلم أنه يخاطب متلقيا خاصا، لذا فهو ينتقي الحجج المؤثرة، و لينشد الفعل في الآخر (أهل العراق) يعبر عن موقفه من فحوى القضية بواسطة الفعل الشكي **زعم** الذي يبطل من خلاله قول معاوية، مهوِّنا بذلك من شأن معاوية و عصابته، فجَّد بذلك جيشُه و نشط و تأهَّب، و سار به علي من الكوفة في مئة ألف و تسعين ألفا.

2. الموجه الشكي "ظــن"

الظن هو أحد طرفي الشك بصفة الرجحان[1] ؛و يعد من الأفعال التلميحية التي تقع في مرتبة دون مرتبة أفعال اليقين، و يعبِّـــرُ به المتكلم عن موقفه من فحوى القضية، و قد وسم مجموعة من الحجج في الخطاب السياسي و حقق معاني حجاجية أبينها في الآتي:

جاء في كتاب "عبد الله بن عمر" إلى "أبي موسى الأشعري" يعاتبه خلعه عليا : « أما بعد يا أبا موسى، فإنك تقربت إلي بأمر لم تعلم هواي فيه، أكنت **تظن** أني أبسط يدا إلى أمر نهاني عنه عمر ؟ أو كنت تراني أتقدَّم على علي و هو خير مني ؟ لقد خبتُ إذن و خسرت و ما أنا من المهتدين....»[2]

لقد وسم "ابن عمر" خطابه بالموجِّه الشكي "تظن" حتى يشكك في مضمون القضية "توليته أميرا على المسلمين و خلعه عليا كرم الله وجهه"؛ نافيا بذلك الفعل الرئيس "انتخاب عبد الله بن عمر" .

و حتى لا يتورط المخاطب "ابن أبي ذؤيب" في معلومة لا يعلم مدى صحتها و لئلا يعد كاذبا في حالة عدم صحتها؛ يسم خطابه بالموجه الشكي "ظن" في حواره مع الخليفة "أبي جعفر المنصور": «**إني لأجد رائحة الحنوط عليك .قلت أجل: لما نمي إليك عني ما نمي ، و جاءني رسولك في الليل ظننته القتل فاغتسلت و تطيبت، و لبست ثياب كفني» "حو "72**

إن ابن أبي ذؤيب يشك في ما سيفعل به الخليفة، لذا فهو يقدم الموجه الظني ، و ذلك لوجود دليلين متساويين في القوة بحيث لا يستطيع ترجيح أحدهما و ترك الآخر ، و هما القتل أو الصفح .

كما أفاد الموجه التلميح أي توجيه متلقي الخطاب ممثلا في الخليفة إلى التفكير في الأوامر التي سيصدرها في حق مواطنه.

3. الموجه التقريبي "لعــــلَّ "

يَسِم المتكلم خطابه بالموجه "**لعل**" عادة عندما يريد التعبير عن موقفه من فحوى القضية التي يطرحها، و لكي يحدد توجهه نحو محتواها، و "لعل" حرف مشبه بالفعل يكون به إنشاء التوقع، و هي بذلك تحيل على الموقف الشخصي للمرسل من مضمون القول، فاستعمالها في الخطاب هو درء للجزم بمحتواه. و من ثم تكسب الخطاب صبغة موضوعية.

[1] ينظر الشامل، معجم في علوم اللغة العربية و مصطلحاتها، ص 583.

[2] الإمامة و السياسة، ص112.

و من أشكال الخطاب التي ظهر فيها هذا الموجه التقريبي وصية "عمر بن الخطاب" "ص1" لـــ"علي بن أبي طالب" و "عثمان بن عفان" عند تأسيسه لمجلس الشورى، جاء في الكتاب « ثم التفت [عمر بن الخطاب] إليهم و قال: قد قومت لكم الطريق فلا تعوجوه، ثم التفت إلى علي بن أبي طالب، فقال: **لعل هؤلاء القوم يعرفون لك حقك و شرفك و قرابتك من رسول الله، و ما آتاك الله من العلم و الفقه و الدين فيستخلفوك**، فإن وليت هذا الأمر فاتق الله يا علي فيه، و لا تحمل أحدا من بني هاشم على رقاب الناس، ثم التفت إلى عثمان فقال: يا عثمان، **لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله و سنك و شرفك و سابقتك فيستخلفوك**، فإن وليت هذا الأمر فلا تحمل أحدا من بني أمية على رقاب الناس»[1]

يعتبر المسلك الذي وضعه الخليفة عمر بن الخطاب في اختيار الخليفة أحد وسائل التعبير في عهد الخلافة الراشدة و هو مسلك الاختيار بين عدة مترشحين حيث يسند الأمر إلى مجموعة من الأشخاص تتولى ترشيح واحد منها لمنصب الخلافة فيعرض الخليفة أمام الأمة لانتخابه.

لقد فوض أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الأمر إلى الستة الذين مات الرسول صلى الله عليه و سلم و هو عنهم راض "علي بن أبي طالب و عثمان بن عفان و سعد بن أبي وقاص و عبد الرحمن بن عوف و الزبير بن العوام و طلحة ابن عبيد الله. "و هم من أبرز زعماء قريش المهاجرة و من العشرة المبشرين بالجنة و الذين توفي رسول الله و هو عنهم راض.[2]

و أما وسم الملفوظين: **م1**:« **لعل هؤلاء القوم يعرفون لك حقك و شرفك و قرابتك من رسول الله، و ما آتاك الله من العلم و الفقه و الدين فيستخلفوك**» و **م2**: « **يا عثمان، لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله و سنك و شرفك و سابقتك فيستخلفوك**» بالموجه التقريبي" **لعل**" فهو توقع عمر رضي الله عنه إلى أن يتجه الاختيار في مجلس الشورى لصالح علي أو عثمان ، و هكذا يصبح القول تطلعا أو توقعا و رجاء مجاله زمان ما بعد القول.

إنه تطلع ذهني يفارق الواقع الراهن زمن القول إلى ما يفترضه الذهن قبل حصوله و هو تطلع متصل باعتقاد المتكلم فيكون بذلك إنشاء لعمل الرجاء و التوقع.

---

[1] الإمامة و السياسة، ص26.

[2] ينظر التاريخ الإسلامي، ص64 و ينظر أبو زهرة محمد،تاريخ المذاهب الإسلامية، ص25-26.

إن الخليفة عمر بن الخطاب بهذا الوسم الحجاجي يستبق الأحداث قبل وقوعها بتصوره و توقعه و هو بذلك يوجه متلقيه إلى اختيار "علي" أو "عثمان بن عفان" رضي الله عنهما بصورة غير مباشرة.

ثالثا: الموجهات التقويمية

ترى "أوروكيوني" أن قسما من الكلمات تلتبس بشحنة ذاتية عالقة بها في الأصل اللغوي و تنقسم إلى وحدات معجمية عاطفية Affectifs و وحدات معجمية تقويمية Evaluatifs. تضطلع هذه الأخيرة بوظيفة توجيه الخطاب فضلا عن توجيه المتلقي.

و التقويم في اصطلاح الفلاسفة هو تحديد قيمة الشيء و ذلك بإطلاق حكم قيمي jugement de valeur عليه يرفعه أو يحطه بالنسبة إلى معايير أو مبادىء كونية قوامها العقل أو التواضع الاجتماعي أو ذاتية عاطفية خاصة[1] .

و ينقسم الحكم القيمي عند فلاسفة الأخلاق و عند علماء اللسان أيضا إلى قسمين هما :

أ- تقويم غير أخلاقي يتعلق بالمقادير مثل: كثير /قليل، و الأحجام مثل: كبير /صغير، و المسافات مثل بعيد/ قريب، و درجات الحرارة مثل: حار/ بارد، و غير ذلك و هذه كلها كلمات تفيد تقويما.

ب- تقويم أخلاقي: و هو إلقاء بحكم قيمي و أخلاقي على الأشياء مثل حسن و قبيح.

إن المقومات الأخلاقية و غير الأخلاقية هي عبارة عن وحدات معجمية (أفعال، صفات، أسماء) ذات محتوى تقويمي، من شأنها إذ ترد في ملفوظ ما أن توجه توجيها تقويميا مخصوصا يبرز موقف المتكلم من الأشياء التي يتحدث عنها حديثا تقويميا. إنه موقف يقفه المتكلم في خضم التفاعل بينه و بين أطراف التخاطب الأخرى فهو من أجل ذلك يبطن ضربا آخر من التوجيه غير توجيه القول و المقول، هو توجيه الطرف المقابل إلى فعل ما و ليس هذا التوجيه إلا نتيجة حتمية لتوجيه القول و المقول[2].

فالكلمات التقويمية تتجاوز إذن البعد النفسي الانفعالي (تعبير المتكلم عن انفعاله إزاء العالم و نقل عدوى ذلك الانفعال إلى المتلقي) إلى إنشاء الأوامر، إذ يمكن من خلالها أن نشتق صيغة الأمر. فيكون لها بذلك خصائص اقتضائية و تقويمية معا.

---

[1] ينظر عبد الله صولة،الحجاج في القرآن ص130.

[2] ينظر المرجع نفسه ، ص324.

1. البعد الحجاجي للموجهات التقويمية غير الأخلاقية

تعددت المقومات غير الأخلاقية في الخطاب السياسي و قد عملت على توجيه الخطاب الوجهة التي يريدها المتكلم فضلا عن توجيه المتلقي وقد وسمت مجموعة الحجج التي انتقاها المخاطِب السياسي سواء أكان رجل سلطة أم معارضا لها في خطبته أو رسالته أو حواره و حققت أبعادا حجاجية أبينها فيما يلي:

يتمركز العامل الحجاجي "**القليل**" في سلم النقص في حين يتمركز العامل الحجاجي "**الكثير**" في سلم الزيادة، و من ثم فإن الوجهة الحجاجية في كلمة القليل موجهة نحو نتيجة معينة هي عكس الكثير. و لقد وسم المخاطِب السياسي خطابه بهذه الموجهات متكئا في ذلك إلى موضع الكم:

لقد و سم عبد الله بن عمرو بن العاص حجته م 1:«و لا تزيد أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا **قليلة**»[1] بالموجه الحجاجي "**قليلة** " حتى يحمل أباه على رفض عرض معاوية بن أبي سفيان ،ذلك أن القليل فانٍ و من ثم فهو يوجهه نحو نتيجة ضمنية هي " إن الدنيا فانية" .

أما النتائج التي تؤدي إليها الحجج أدناه فهي عكس الفرضية المقدمة أعلاه و جلية الأمر فيما يأتي:

م2: **فقليل** ممن معك **خير** من **كثير** ممن معه

م3: إنه من لم يكفه **القليل** لم يكفه **الكثير**

م4:و قد و الله كاثروكم **بالقلة** فكيف لو كانوا مثلكم في **الكثرة** ؟

م5: و أيم الله ما **المكثر** المنكر بأعلم بها من **المقل** المعترف[2]

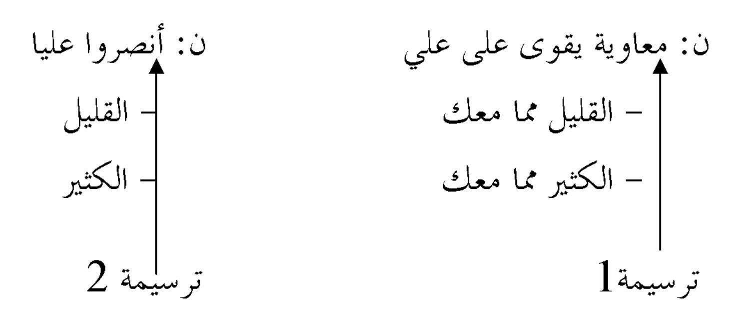
إن الحجج المقدمة و الموسومة بالموجهات غير الأخلاقية "قليل/ كثير" في الملفوظات (م2، م3،م4،م5) هي في الحقيقة تبكيت لنتيجة ضمنية هي:" أن القليل يبقى دائما دون الكثير " حيث عمل المخاطِب السياسي ممثلا على التوالي في : " الحجاج بن خزيمة، زياد بن كعب، النعمان بن بشير الأنصاري، عبد الله بن حجل" على توجيه الخطاب و من ثم المخاطَب (معاوية بن أبي سفيان، جماعة الناس، قيس بن سعد، علي بن أبي طالب) نحو نتيجة إيجابية بواسطة الموجه

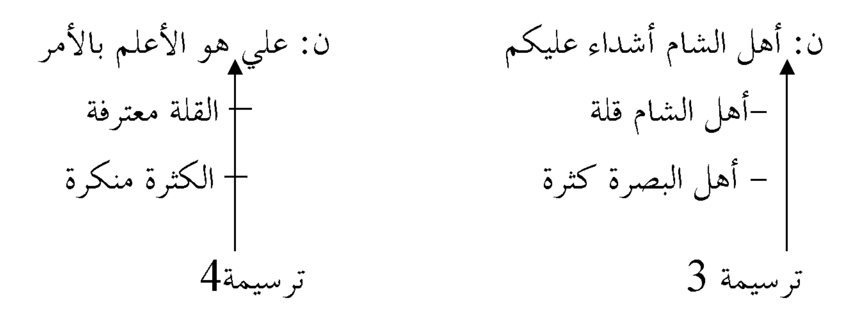
---

[1] الإمامة و السياسة، ص82.

[2] ينظر الإمامة و السياسة، ص72-79-92-100.

الحجاجي "**قليل**" و العوامل الحجاجية: "خير، أعلم، النفي"؛ مما جعل الحجة الموسومة بالموجه "**قليل**" في أعلى السلم الحجاجي حسب ما تبينه الترسيمات الآتية:





و في رسالة "س13" و جهها أهل العراق إلى مصقلة، و ليحملوه على العودة إلى معسكر "علي رضي الله عنه" و الابتعاد عن "معاوية"رضي الله عنه ، يقدم المرسل الحجة: م6:« و إن أقرب ما تكون مع الله، أبعد ما تكون مع معاوية»[1] الموسومة بالموجهين الحجاجيين أقرب / أبعد ؛ اللذين يقودان المتلقي إلى نتيجة واحدة قصد إليها مرسل الخطاب (أنصر عليا).
فتحقيق القرب من الله و هو غاية منشودة لكنها مشروطة بالبعد عن معاوية رضي الله عنه باعتبار هذا الأخير « قوي و فاجر و خائن و داهية العرب»[2] حسب رأي أهل العراق.

2.البعد الحجاجي للموجهات التقويمية الأخلاقية

[1] الإمامة و السياسة، ص75.

[2] المؤرخون العرب والفتنة الكبرى، ص277.

قامت النظرية الأخلاقية[1] لـ "هير Hare " كرد فعل للنظرية الانفعالية و مقتضاها دراسة الملفوظات الأخلاقية على اعتبار الملفوظ الأخلاقي توجيها للعمل لا مجرد تعبير عن انفعال أو دعوة إلى عمل شيء، فهو بذلك كلام إلزامي يلزم بالعمل و لا يكتفي بالدعوة إليه بوساطة الترغيب و التنفير[2] .

إن "هير" يرى أن الألفاظ التقويمية الأخلاقية خاصة توجه سلوكنا و تقتضي أمرا بفعل شيء ما شأنها في ذلك شأن الأوامر العسكرية و الإدارية .إذ يجوز على سبيل المثال إن يستنتج من قولنا هذا الشيء حسن أمرٌ منا لمخاطِبنا بأن يأخذ ذلك الشيء أو يجب أن يؤخذ. إنه تعبير عن استحسان عملي منا و أن قولنا عن شيء آخر هو قبيح يعني أننا ضده فنحن نعبر عن استقباحنا إياه.

و يخضع "هير " الكلام الأخلاقي للمنطق و يجعل الملفوظ الأخلاقي ذا بناء منطقي أو ينبغي حسب رأيه أن يكون كذلك.على أن يكون هذا البناء المنطقي مفضيا إلى نتيجة ملموسة نستفيد منها في حياتنا العلمية . و هذا البناء المنطقي لما كان بناء ضمنيا أمكن أن نقول عنه إ،ه بناء حجاجي. فالفضاء الضمني الذي يظهر فيه معنيا: الاستحسان و الاستقباح يمثل بضمنيته البعد الحجاجي الذي للألفاظ ذات أحكام القيمة الأخلاقية[3].

تتضمن الكلمات ذات أحكام القيمة الأخلاقية إذن قيمة لاقولية نستنبطها منطقيا منها. و مدار هذه القيمة اللاقولية على الأمر بفعل ما لكونه حسنا، و النهي عن فعل آخر لكونه قبيحا.فالكلمات ذات التقويم الأخلاقي لها وظيفة توجيه العمل.

يكثر في الخطاب السياسي في المدونة الوحدات المعجمية ذات الطابع التقويمي الأخلاقي و بالأخص الصفات، ذلك أن الصفة أكثر استعدادا من الأفعال و الأسماء لا لتقويم العالم و الحكم عليه فحسب، و إنما أيضا لوضع هذا العالم في مراتب متفاوتة، و لقد أكسب هذا التقويم

---

[1] الموجهات التقويمية الأخلاقية هي في الظاهر ترجمة لملفوظ من قبيل " أستحسن"، " أستهجن"، أما من جهة المتلقي فإن صفتي حسن قبيح تأتيان من زاوية النظرية الانفعالية هذه لتحسين الأشياء الموصوفة أو تقبيحها في نظر المتلقي و لإثارة عواطفه و انفعالاته بترغيبه في أمور و تنفيره من أخرى و لإقناعه بوجهة نظر معينة و حثه على عمل شيء ما و دعوته إليه، ينظر الحجاج في القرآن ، ص151 .

[2] المرجع نفسه، ص151.

[3] الحجاج في القرآن، ص150.

الخطابَ السياسي بعدا حجاجيا أظهر و أعمق مما لو كان مجردا من الكلمات التقويمية الأخلاقية. و بيان ذلك فيما يلي:

1.2 البعد الحجاجي للصفة المشبهة

تمثل الصفة أداة في الفعل الحجاجي و علامة عليه، فلا يقتصر المرسل على توظيف معناها المعجمي أو تأويله، بل يبتغي التقويم و التصنيف و اقتراح النتائج التي يريد حصولها أو فرضها. و هذا ما يعطيها الطواعية و المرونة التي هي من صلب خصائص الخطاب الطبيعي في الممارسة الحجاجية ليمارس المرسل أكثر من فعل واحد؛ بالتصنيف و بتوجيه انتباه المرسل إليه إلى ما يريد أن يقنعه به في حاجته[1].

و تعرف الصفة المشبهة بأنها « ما اشتق من فعل لازم للدلالة على اتصاف الذات بالحدث على وجه الثبوت و الدوام»[2] و لقد نهضت الصفة المشبهة بدور حجاجي في الخطاب السياسي إذ عدت بيانا لوجهة نظر المخاطِب السياسي و موقفه من الموضوع و جلية الأمر فيما يلي:

لقد حاول الشيخان "طلحة و الزبير" رضي الله عنهما كسب تأييد أهم أعلام البصرة و رجالها و دعوتهم إلى الانضمام إليهم في محاربة "علي" كرم الله وجهه؛ فأرسلا رسائل الاستنفار إلى كعب بن سور و الأحنف بن قيس و المنذر بن ربيعة و كلهم سيد مطاع، و لكي تتحقق النتيجة المتوخاة ينتقيان الحجج المؤثرة و المؤدية إلى الإقناع و الاستمالة حتى يضمنا رد فعل المتلقي حسب ما تبينه الملفوظات الآتية و المحددة في "**س7**":

م2:« **فإنك قاضي عمر بن الخطاب و شيخ أهل البصرة، و سيد أهل اليمن، غضبت لعثمان من الأذى فاغضب له من القتل و السلام**».

م3:«.....**فإنك وافد عمر و سيد مضر و حليم أهل العراق و قد بلغك مصاب عثمان، و نحن قادمون عليك، و العيان أشفى لك من الخير و السلام**» .

---

[1] ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004، ص487-488.

[2] سيف الدين طه الفقراء، المشتقات الدالة على الفاعلية و المفعولية،دراسة صرفية دلالية إحصائية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2005، ص 40.

م4:« ... **فإن أباك كان رئيسا في الجاهلية و سيدا في الإسلام و إنك من أبيك بمنزلة المصلي من السابق. يقال كاد أو لحق، و قد قتل عثمان من أنت خير منه، و غضب له من هو خير منك و السلام**».

لقد تم انتقاء الصفات " **شيخ، سيد، حليم، رئيس** " حتى يتم توجيه المخاطَب نحو النتيجة المرجوة " الانضمام إلى معسكر عائشة"، خاصة و أن الصفات المنتقاة تحمل معاني الاستحسان و هذا المعنى ذو بعد حجاجي يوجه المخاطَب الوجهة التي يريدها المرسل، و هو بذلك يضع مخاطِبَه في مرتبة عليا.

كما وسم "معاوية بن أبي سفيان" حجته المقدمة لـــ"عمرو بن العاص" بمجموعة من الصفات المشبهة و المحققة للتقويم التوجيهي الأخلاقي : **م5**: «**و قد ضم إليك رجل طويل اللسان قصير الرأي و له على ذلك دين و فضل فدعه يقل** »[1]

فلكي يتحقق فعل النصح ينتقي الناصح الموجهات التقويمية الأخلاقية "**طويل اللسان، قصير الرأي**" المفضية إلى النتيجة المنشودة " عمرو بن العاص يفوز على أبي موسى الأشعري".و لقد شكلت هذه الصفات التقويمية سلما تقويميا ذا درجات متفاوتة في الاتصاف بالصفة.

أما الملفوظ م6: «**أما ابن عمر فضعيف و أما سعد فحسود و ذنبي إلى محمد بن مسلمة أني قتلت أخاه يوم خيبر: مرحب اليهودي**»[2]. فيمثل الحجج التي قدمها علي كرم الله وجهه لتبرير موقف كل من "عبد الله بن عمر" و "سعد بن أبي وقاص" و "محمد بن أبي سلمة" اتجاهه. و هي بمثابة مهاجمة شخصية للذين خذلوا عليا ، و تقدم الموجهات التقويمية الأخلاقية " **ضعيف، حسود**" فضاء ضمنيا يظهر معنى الاستقباح و يحمل بعدا حجاجيا يفضي إلى النتيجة المصرحة "**دع هؤلاء الرهط**".

ومن الموجهات التقويمية الأخلاقية التي انتقاها المعارض السياسي ليسم بها خطابَه و من ثم يوجه متلقيه الوجهة المنشودة و يحقق النتيجة التي قصد إليها الصفة "**عضوض**" في الملفوظ الآتي:

م7: « أقيموا الحق على المنهاج الواضح الذي فارقتم عليه نبيكم، و فارقكم عليه الخلفاء....وكانت الخلافة بعد نبينا خلافة نبوة و رحمة و هي اليوم مُلك **عضوض**»[3].

---

[1] الإمامة و السياسة، ص 108.

[2] الإمامة و السياسة، ص49.

[3] الإمامة و السياسة، ص34.

فحتى يحمل مرسل الخطاب متلقيه على الاستجابة لدعوته يوظف في رسالته الموجه التقويمي الأخلاقي "**عضوض**" واصفا به خلافة عثمان بن عثمان رضي الله عنه ، نافيا بذلك صفة خلافة النبوة و الخليفتين قبله ، و هذا الموجه التقويمي الأخلاقي قد وضح المقصد عمل على تجلية الغاية الحجاجية (قدوم أصحاب رسول الله و التابعين من مصر إلى المدينة).

2.2 اسم المفعول

يعد هذا النوع من الصفات أحد الأوصاف الحجاجية المستعملة في الخطاب السياسي و مقتضاه « صفة مشتقة من الفعل المضارع المبني للمجهول المتصرف، للدلالة على الحدث (الفعل) و من عليه (مفعولا) دلالة تفيد الحدوث في الغالب دون الثبوت »[1] ، و قد وسم مجموعة من الحجج و حقق أبعادا حجاجية في الخطاب السياسي أبينها فيما يلي:

يمثل الملفوظ م1: «قتل عثمان **مظلوما**»[2] الحجة الموظفة في خطاب المعارضة السياسية: (معسكر عائشة و معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما) و هو يعد شعار حركتهما و الذي اعتبر أحد روافد الإقناع و تقنية من تقنيات الاستمالة و التأثير، فالمعارضة السياسية تضع الخليفة المقتول "عثمان" رضي الله عنه في مرتبة تستدعي الإنصاف من الآخرين، حقق هذا المعنى الحجاجي اسم المفعول "**مظلوم**".

كما يظهر هذا الوصف الحجاجي في الجواب الذي قدمه "علي" رضي الله عنه لأصحابه عندما استفسروه عن الموقف السياسي للشيخين من معركة الجمل « ... و أما طلحة فقد فسألته عن الحق فأجابني بالباطل، و لقيته باليقين و لقيني بالشك، فو الله ما نفعه حقي و لا ضرني باطله، و هو **مقتول** غدا في الرعيل الأول»"حو16" ، إن اسم المفعول "**مقتول**" في هذه الحجة يخدم نتيجة ضمنية ": معسكر "علي" هو المنتصر في معركة الجمل، ذلك أن الإمام "علي رضي الله عنه" يتنبأ لـ"طلحة بن عبيد الله" بالقتل في الزمن المستقبلي"غدا"، و من ثم فهو يوجه محاوِرَه نحو النتيجة المتوخاة .

3.2اسم الفاعل

يعد اسم الفاعل من نماذج الوصف التي أدرجها المرسل في خطابه بوصفه حجة ليسوّغ لنفسه إصدار الحكم الذي يريد، و من ثم تنبني عليه النتيجة التي يروم إليها. و يعرف اسم الفاعل

[1] سيف الدين طه الفقراء، المشتقات الدالة على الفاعلية و المفعولية، ص60.

[2] الإمامة و السياسة، ص 61.

بأنه « وصف مشتق من فعل لازم أو متعد أو مجرد أو مزيد، صحيح أو معتل ، يدل على ذات و وصف قائم بهذه الذات التي قامت بالفعل أو صدر منها الفعل بشرط أن يكون الوصف قابلا للمفارقة أو متغيرا أو على حد تعبير أصحاب التصنيف في أحوال النفس البشرية فهو وصف يدل على عارض متغير لا مقام ثابت»[1]

إن هذا الصنف من الصفات يوجه المخاطَب نحو النتيجة المنشودة لذا فقد وسم مجموعة من الحجج في الخطاب السياسي أبين أهمها فيما يأتي:

تصنف الحجة التي قدمها علي بن أبي طالب في حواره للزبير في موقعة الجمل في صنف حجة السلطة و يهدف الخطاب القائم على هذا النموذج من الحجج إلى جعل المخاطَب يقبل النتيجة بموجب أن الخطاب ذو بعد سلطوي في أصله: « ... أنشدك الله يا زبير، هل تعلم أنك مررت بي و أنت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم، و هو متكيء على يدك فسلم عليَّ رسول الله صلى الله عليه و سلم، و ضحك إليَّ ، ثم التفت إلي، فقال لك م1:{ **يا زبير إنك تقاتل عليا و أنت له ظالم** }»[2].

لقد عرض "علي" كرم الله وجهه النتيجة "الزبير **ظالم** عليا" متكئا في ذلك على سلطة الدليل الحجاجي الأقوى "النص الديني " ممثلا في الحديث النبوي الشريف و الذي جاء موسوما بالموجه الأخلاقي "**ظالم**" الذي ألزم المخاطَب "الزبير رضي الله عنه" بإنتاج رد فعل حسب رغبة المخاطِب " اعتزال القتال".

أدت حجة السلطة إلى ظهور النتيجة الإيجابية، حيث رد "الزبير" قائلا: «نسيتها و الله، و لو ذكرتها ما خرجت إليك، و لا قاتلتك»[3].

و في رسالة "سَ44"موجهة لوالي العراق "الحجاج بن يوسف الثقفي"، يؤكد الخليفة "عبد الملك بن مروان" في بنية قصرية وظيفة الوالي ، نافيا عنه الشفاعة منبها إياه لخطأ ما ذكره في رسالته. و حتى يتحقق توجيه العمل يقدم المرسل الحجة: **م2**:« **لم أبعثك مشفعا و إنما**

---

[1] صبري المتولي، علم الصرف العربي، أصول البناء و قوانين التحليل، دار غريب، القاهرة ،دط، دت، ص43.

[2] جاء معنى الحديث في دلائل النبوة للبيهقي و في تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر باللفظ الآتي:{يا زبير أما و الله لتقاتلنه و أنت ظالم له}، ينظر دلائل النبوة للبيهقي، دار الكتب العلمية، ج6، ص415، و ينظر تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر، ج5، ص366.

[3] الإمامة و السياسة، ص64.

بعثتك مناجزا لأهل الخلاف و المعصية» ؛ و أما و سم الحجة بالموجهين الأخلاقيين "**مشفعا، مناجزا** "فيرجع إلى بعدهما الحجاجي إذ يلزمان بالعمل و لا يكتفيان بالدعوة إليه و من ثم يفضيان إلى إنشاء فعل الأمر الآتي :

- لا تتجاوز عن الذنوب و الجرائم
- قاتل أهل الخلاف و المعصية.

و في رسالة أخرى موجهة من "الحجاج بن يوسف" الثقفي إلى عامله في سجستان "عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث" يطلب منه أن يقاتل حصن كذا و كذا ،كتب هذا الأخير إلى "الحجاج" «**إني لا أرى ذلك صوابا، إن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب** » فكتب إليه الحجاج :**م3**:« **أنا الشاهد و أنت الغائب، فانظر ما كتبت به إليك ، فامض له و السلام** »[1].

فحتى يضمن الحجاج بن يوسف النتيجة المتوخاة و يلزم متلقيه بإنشاء العمل ، يقدم الحجة "م3 : أنا **الشاهد** و أنت **الغائب** "الموسومة بالموجهين الأخلاقيين **الشاهد** / **الغائب** حتى يسوغ لنفسه صياغة النتيجة "امض للقتال"؛ إذ يثبت لنفسه الشهادة و من ثم الحضور و ينفي الغياب و بالتالي ينفي عدم المعرفة و الإطلاع على مجريات الأمور السياسية.

4.2 أفعل التفضيل

تمثل صيغة التفضيل أحد الآليات اللغوية التي استثمرها المخاطِب السياسي قصد توجيه خطابه و حمل متلقيه على الاقتناع و تعرف بأنها « وصف أو اسم مشتق جيء به على وزن "أفعل" للموازنة بين شيئين اشتركا في صفة واحدة أو معنى واحد و زاد أحدهما عن الآخر و الشيئان هما المفضل و المفضل عليه»[2] ،و يترع الخطاب السياسي إلى التقويم و المفاضلة بين الأشخاص و الأعمال و الأشياء و لقد أكسب هذا التقويم التفاضلي الخطاب بعدا حجاجيا أبينه فيما يلي:

1.4.2 التقويم التفاضلي للأشخاص

لكي يثبت المهاجرون أحقية "أبا بكر الصديق" في الخلافة و شرعية ترشحه لأعلى منصب في الدولة يقدم "عمر بن الخطاب" الحجج المؤثرة المقنعة و الموسومة بصيغة "**أفضل**" حتى يصنف المفضل في أعلى درجات السلم الحجاجي، يقول: « معاذ الله أن يكون ذلك و أنت بين أظهرنا،

[1] الإمامة و السياسة، ص205.

[2] محمد أبو الفتوح شريف، علم الصرف دراسة وصفية، دار المعارف، القاهرة، دط، 1985، ص127.

أنت أحقنا بهذا الأمر، و **أقدمنا صحبة لرسول** الله صلى الله عليه و سلم ، **و أفضل** منا في المال، و أنت **أفضل** المهاجرين **و ثاني اثنين**، و **خليفته على الصلاة**، و **الصلاة أفضل** أركان دين الإسلام ، فمن ذا ينبغي أن يتقدمك ، و يتولى هذا الأمر عليك؟»[1] ، و يوضح ذلك الترسيمة الآتية:

النتيجة : أبو بكر الصديق الأحق بالخلافة

- ح4: أنت خليفته على الصلاة و الصلاة أفضل أركان الدين
- ح3: أنت أفضل المهاجرين و ثاني اثنين
- ح2: أنت أفضل منا في المال
- ح1: أنت أقدمنا صحبة لرسول الله

كما يظهر التقويم التفاضلي للأشخاص في رسالة "علي" إلى "معاوية" رضي الله عنهما، حيث يقدم الإمام "علي" الحجة: «و أما قولك : ندفع إليك قتلة عثمان فما أنت و عثمان؟ إنما أنت رجل من بني أمية، و **بنو عثمان أولى بعثمان منك** »[2] ،حتى يسقط حجة معاوية في طلبه دم" عثمان" رضي الله عنه. و يختار الإمام "علي" الموجه التقويمي الأخلاقي **"أولى"** الذي يؤكد على الكلية و العموم، و يضع هذا الموجه التقويمي "معاوية" في أدنى السلم الحجاجي بينما يضع "بنو عثمان" في أعلى درجات السلم الحجاجي؛ و من ثم فهو يوجه الخطاب نحو النتيجة المضمرة "طلب معاوية ليس إلا شعارا للوصول إلى السلطة و الجاه و إبعاد "علي" عنها.

توضح ذلك الترسيمة التالية:

النتيجة: إبعاد علي عن السلطة

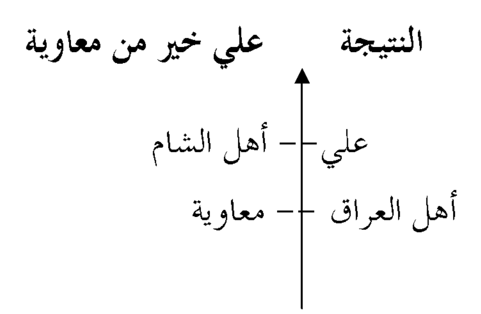
- ح2: بنو عثمان أولياء عثمان
- ح1: معاوية ولي عثمان

[1] الإمامة و السياسة، ص13.

[2] الإمامة و السياسة، ص86.

و من الحجج التي استعان بها "عبد الله بن عباس" كي يثبت حقَّ "علي" رضي الله عنه في الخلافة و يُفنِّد حجج "عمرو بن العاص" الملفوظ « ليس أهل الشام كأهل العراق، بـايع أهـل العراق عليا و هو **خير** منهم و بايع أهل الشام معاوية و هم **خير** منه»[1]. حيث ينتقـي المرسـل الموجه التقويمي الأخلاقي "**خير**" الذي يعمل على توجيه الخطاب الوجهة التي يريدها و يثبـت النتيجة المتوخاة، خاصة و أنه يحمل " الموجه" ضمنيا قوة حجاجية و يثبت الذات المفضـلة في أعلى السلم الحجاجي و من ثم يرتب الأشخاص ترتيبا معينا.

لقد استطاع المرسل "عبد الله بن عباس" من إيجاد العلاقة بين أطراف ليس بينها أي علاقة بطبعها بتوظيفه لصيغة أفعل التفضيل الحجاجي في بناء حجته ، موجها المتلقي نحو نتيجة ضـمنية "علي خير من معاوية".



2.4.2 التقويم التفاضلي للأعمال

يُظهِرُ التقويم التفاضلي للأعمال في مواضع كثيرة من الخطاب السياسي في الكتاب وِجْهَةَ نظر المخاطِب السياسي في الأفعال السياسية التي قامت بها المعارضة السياسية تجاه السلطة المنتخبة، ويمثل ذلك خطابُ "جارية بن قدامة" لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها « يا أم المؤمنين، لقتلُ عثمان كان **أهون** علينا من خروجك على هذا الجمل **الملعون**، إنه كانت لك من الله تعالى حرمة و سِتر فهتكت سترك، و أبحت حرمتك، إنه من رأى قتالك فقد رأى قتلك، لإن كنت يا أم المؤمنين أتيتنا **طائعة** فارجعي إلى مترلك، و إن كنت أتيتنا **مستكرهة** فاستعتبي الله »[2]

إن "جارية بن قدامة" لا ينتقي الحجج المؤثرة فحسب، بل يعمل على انتقاء الموجهات التقويمية الأخلاقية " أهون، الملعون، طائعة، مستكرهة" التي بنى بها الحجج ،حتى يضمن النتيجة المتوخاة، فأما صيغة التفضيل الحجاجي "**أهون**" فقد أقامت التفاضل بين عملين منجزين هما "قتل

[1] الإمامة و السياسة، ص 93.
[2] الإمامة و السياسة، ص61.

عثمان" و "خروج عائشة لمحاربة علي" و قد ثبتت العمل الأخير في أعلى درجات السلم الحجاجي مفضية بذلك إلى شناعته.

النتيجة: رجوع عائشة إلى منزلها

- خروج عائشة على الجمل
- قتل عثمان

هذا و قد استعمل المخاطِب السياسي أفعل التفضيل المقرون بـِ"أل" حتى يضع عمل المخاطَب في أدنى السلم الحجاجي، جاء في جواب "عبد الله بن عباس" ل"عمرو بن العاص" « أما بعد، فإني لا أعلم رجلا أقل حياءً منك في العرب، إنك مال بك الهوى إلى معاوية، و بعته دينك بالثمن **الأوْكَس**، ثم خبطت الناس في عشواء، طمعا في هذا الملك ... »[1].

لقد ارتبط الموجه الأخلاقي بالمورفيم المقيد الاستغراقي "أل" الذي أفاد الشمول الكمي لصفة النقص ، مما جعل حجة "ابن عباس" أشد وقعا على متلقيه، مبينا بذلك أن التحاقه بـــ"معاوية" رضي الله عنه هو عمل يقع في أدنى السلم الحجاجي، مفضيا إلى النتيجة المصرَّحة: "عمرو بن العاص طامِع في المُلْك ".

3.4.2 التقويم التفاضلي للأشياء

فضلا عن التقويم التفاضلي للأشخاص و الأعمال، فاضل المخاطِب السياسي بين الأشياء حتى يحقق الإقناع و التأثير و يظفر باستمالة المتلقي، و جلية ذلك في مجموعة الحجج التي قدمها "عبد الله بن عمر" ل"طلحة و الزبير":« ...اعلما أن بيت عائشة خير لها من هودجها و أنتما المدينة خير لكما من البصرة و الذل خير لكما من السيف و لن يقاتل عليا إلا من كان خيرا منه... »[2]

لقد فاضل عبد الله بن عمر بين الثنائيات: (بيت عائشة و هودجها)، (المدينة و البصرة) و جعل المكون الأول للثنائيتين في أعلى السلم الحجاجي بوساطة العامل الحجاجي "**خير**"، حتى يوجه متلقيه إلى النتيجة المنشودة " توقفوا عن قتال علي".

[1] الإمامة و السياسة، ص93.

[2] الإمامة و السياسة، ص55.

5.2صيغ المبالغة

تعد صيغ المبالغة من الموجهات الأخلاقية الموظفة حجاجيا باعتبارها أوصافا تستلزم فعلا معينا ذا درجات سلمية و مقتضاها: « صيغ مشتقة من الفعل للدلالة على الحدث و فاعله دلالة تفيد التكثير و المبالغة »[1] و بحكم تكوينها اللغوي و مهارتها التداولية فقد انتقاها المخاطب السياسي لوسم مجموعة من الحجج أبين بعدها الحجاجي فيما يلي:

لقد أبدى عدد من الصحابة استياءهم من مسير "عائشة ، طلحة و الزبير" رضي الله عنهما نحو البصرة لقتال علي كرم الله وجهه، و حتى يثبت "قيس بن سعد بن عبادة" شرعية قتال "طلحة و الزبير" يقدم الحجة المبينة و يسمها بالموجه التقويمي الأخلاقي "**حلاّلا**" حتى يحقق الإقناع و يضمن التأثير و من ثم ينهض المتلقي بالعمل المنشود "القتال" :« إنه و الله ما غمَّنا بهذين الرجلين كغمنا بعائشة،لأن هذين الرجلين **حلاّلا** الدم عندنا، لبيعتهما و نكثهما »[2] .إن عملية نكث البيعة أصبحت مسوِّغا لقتالهما.

كما يمثل خطاب "علي" -عندما مر بالقتلى بعد موقعة الجمل- إشارات واضحة قصد بها إظهار تسامحه تجاه الذين رفعوا السلاح في وجهه و حرصه على عدم معاملته بمثل ما عوملوا به. لقد نظر علي كرم الله وجهه إلى محمد بن طلحة و هو صريع في القتلى، و كان يسمى السجَّاد، لما بين عينيه من أثر السجود .فقال:« رحمك الله يا محمد، لقد كنت في العبادة مجتهدا آناء الليل **قوّاما** و في الحرور **صوّاما** »[3] .

إن الاعتراف الذي قدمه "علي" تجاه أحد أقطاب المعارضة السياسية هو بمثابة الحجة على أن القتال بين المسلمين و إن كان محرما فهو لا يخرج أطرافه عن ملة الإسلام، و لقد انتقى رضي الله عنه الموجهين التقويميين الأخلاقيين "**قوّاما، صوّاما**" حتى يصنف معارضه السياسي في أعلى درجات السلم الحجاجي من حيث مكانته الدينية، موجها بذلك متلقيه نحو النتيجة الضمنية "محمد بن طلحة من عُبَّاد الناس".

---

[1] المشتقات الدالة على الفاعلية و المفعولية، ص17.

[2] الإمامة و السياسة، ص56.

[3] المرجع نفسه، ص68.

الفصل الثالث

المقتضى و وظيفته الحجاجية في الخطاب السياسي

تمهيد

يعتبر ديكرو المقتضى عنصرا أو مكونا لسانيا صرفا.يمكن إدراكه في الملفوظ أعزل عن كل تدخل للمقام باعتباره حدثا لغويا و باعتباره مركوزا في البنية اللسانية و الوحدة المعجمية للكلم، و يعرفه بأنه « جزء لا يتجزأ من معنى الملفوظات... و يكون سابقا لحدث التخاطب و المسؤول عنه عون جماعي هو "نحن"»[1] .

إن المقتضى هو قضية أو مضمون، و هو في معظم الأحيان يصمد أمام النفي، ومن أجل ذلك تصاغ عادة المعلومات التي يرام فرضها على السامع في شكل مقتضيات. لذا فهو يعد من أهم الأشكال الحجاجية الكامنة في اللغة، إنه منغرس في اللغة نفسها.

و يعتبر "كارتونان" kartuneen المقتضى وسيلة حجاج ناجعة يقول: « إنَّك إذ تقتضي شيئا ما بصفتك المتكلم، تعتبر حقيقة ذلك الشيء على أنها مما لا مراء فيه و تقدر أن تلك الحقيقة هي في نظر المتلقي أيضا مما لا جدال فيه»[2] .

و توافق أوركيوني أيضا على أن للمقتضى بعدا حجاجيا، تقول:« إن صوغ المضامين الجديدة في قالب مقتضى يسمح لك بأن تعتبرها مما دخل بعد في حيز الحقائق التي بات مخاطبك يقر بها و لو مؤقتا، فالمقتضيات تقدم على أنها غير قابلة للدفع أو الدحض ذلك أنه بإمكاننا أن نرفض المنطوق أما المقتضى قد فاتتنا مبدئيا، ساعة رفضه »[3].

و يرى معظم الدارسين أن المقتضى من ضرورة اللفظ ، و أكثر ما يكون ظهوره في التركيب (يحصل من الكلمة و أيضا من التركيب) و في حالات التفاعل بين الأطراف المشاركة في المحادثة ، فهو موجود في مستويات اللغة جميعها (المعجمي، التركيبي، التداولي)[4]، و يكتسب المقتضى بعدا حجاجيا بتضافر المقال و المقام، ذلك أنه يومىء إلى ما لا يكاد يحصى من المعاني الحجاجية.

[1] Ducrot,Le dire et le dit,p13-31.

[2] Paul Larreya, Enoncés performatifs, présupposition,p44 نقلا عن الحجاج في القرآن، (الهامش)، ص118.

[3] Orecchioni, l'énonciation,p114.

[4] ينظر الحجاج في القرآن ، ص 89.

فأما المقتضى الحاصل من الكلمة فيسميه الدارسون المقتضى المعجمي présupposé lexicale و أما المقتضى الحاصل من التركيب فهو المقتضى التركيبي و فيما يلي بيان لأبعاد الوظائف الحجاجية للمقتضى المعجمي و التركيبي في الخطاب السياسي:

أولا: المقتضى المعجمي و بعده الحجاجي

يُعرَّف المقتضى المعجمي بأنه ما ينشأ عن معنى الوحدة المعجمية، و يشكل محتواه ملفوظا ضمنيا يقبع تحته المحتوى الملفوظ المنطوق، و هو يسم الملفوظ الذي يحمله بميسم دلالي و حجاجي خاص (وقع الكلمة المعنوي).

و يرى الباحثون أن المقتضى المعجمي مأتاه معنى الكلمة المعجمي و هذه الأخيرة هي قائمة الكلمات (الأسماء، الصفات، الأفعال) و هي وحدات معجمية – صرفية- إعرابية معا لها في ذاتها مقتضى ذلك أنها هي المسؤولة عن ظهور المقتضى في تراكيب الخطاب انطلاقا من معناها المعجمي، و من ثم فهي مؤهلة لتكون ذات صبغة حجاجية.

و يسوق الباحث "عبد الله صولة" المثال الذي قدمه "زوبير" Zuber لتوضيح ظهور المقتضى انطلاقا من المعنى المعجمي للكلمات في الجملتين: "رفض فلان أن يأتي/ وافق فلان على المجيء". حيث يرى أن المسؤول عن ظهور المقتضى فيهما فعلا "رفض" و "وافق".

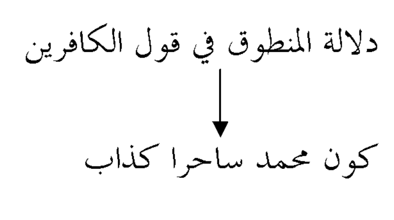
و يرى (عبد الله صولة) أن منشأ المقتضى في الفعلين "رفض" و "وافق" ليس وضعهما الإعرابي و إنما معناهما المعجمي، فمعنى الفعلين المعجمي هو الذي نشأ عنه المقتضى؛ إذ يقتضي "رفض فلان" شيئا ما أنه طلب إليه ذلك الشيء، و يقتضي "وافق فلان" على شيء ما أن شيئا ما عرض عليه و طُلِب إليه؛ و هذا المقتضى ناجم عن المعنى المعجمي لا عن عملية الإسناد[1].

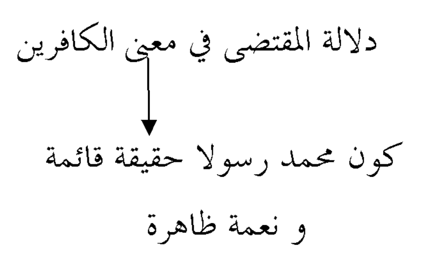
أما فيما يخص المقتضى المعجمي الناشىء من الصفة فنسوق مثالا قدمه عبد الله صولة عند دراسته لدور الخصيصة الاقتضائية في صنع بعد الكلمة الحجاجي للكلمات الأكثر تواترا في القرآن الكريم، إذ يرى أن المقتضى من الكلمة/ الصفة "الكافرون" في الآية ﴿و عَجبوا أن جَاءهُم مُنذِر مِنهُم و قال **الكَافِرون** هذا سَاحر كَذَّاب﴾[2] هو " حقيقة كون الله واحدا و كون محمدا رسوله" و كون ذلك هو النعمة المكفور بها و هذا المقتضى أسهم بقسط كبير في صنع الوقع الدلالي و الحجاجي للآية؛ حسب ما تبينه الترسيمة الآتية:

---

[1] ينظر عبد الله صولة، الحجاج في القرآن ، ص 89.

[2] ص/4.





أما ما نهض له المقتضى المعجمي من وظيفة حجاجية في الخطاب السياسي في كتاب الإمامة و السياسة فأبينه فيما يلي:

1. المقتضى المعجمي للأسماء/ المصطلحات السياسية و بعده الحجاجي

تمثل الوحدات المعجمية المشكلة لمعجم الخطاب السياسي في الكتاب مصطلحات سياسية تنطوي في معظمها على مقتضى ما؛ يجعلها ذات بعد حجاجي داخل الخطاب السياسي، إذ تسجن المتلقي في وضع ذهني يكون فيه في موقف الضعيف العاجز حيث لا يمكنه أن يرفض ما قدَّمه له المخاطِب.

و من أهم هذه المصطلحات السياسية التي حقق مقتضاها هذه الوظيفة الحجاجية في الخطاب السياسي المصطلحات السياسية: الأمر، الشورى، الخلافة، الإمامة، الأمير، الوزير...إلخ. وفيما يلي بيان للبعد الحجاجي للخصيصة الاقتضائية للمصطلحات السياسية أعلاه:

1.1 البعد الحجاجي لمصطلح "الأمر"

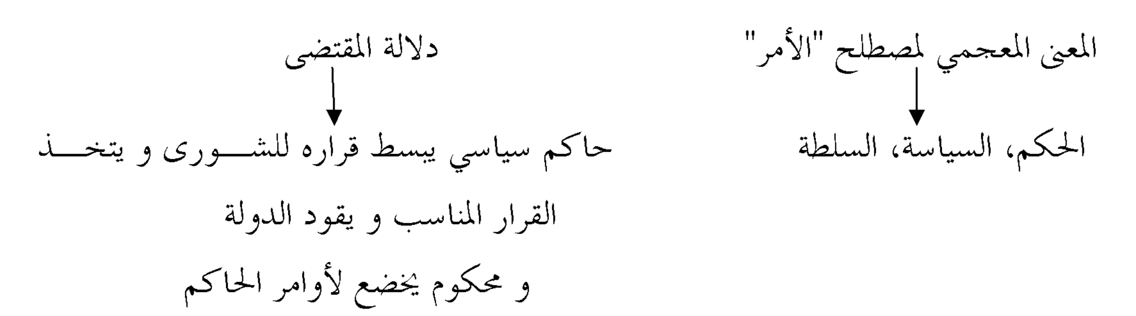
إن مصطلح "**الأمر**" يعني الخضوع للرأي و الفكر و تكون فيه الشورى و اتخاذ القرار[1] و يعد من المصطلحات السياسية التي كان يستعملها الصحابة في محاوراتهم، و قد شاع تداوله في مناقشات السقيفة:

عمر بن الخطاب: ... لكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم....

بشير بن سعد: و أيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبدا فاتقوا الله و لا تنازعوهم و لا تخالفوهم. "حو1"

إن مصطلح "**الأمر**" هو اللفظ الذي استخدمه القرآن الكريم للتعبير عن السلطة و الحكم و السياسة، و هذا المعنى له مقتضى هو "وجود حاكم و محكوم" ، و هذا الأخير (المقتضى) قد وسم الملفوظات أعلاه بميسم حجاجي، قُصِد به التأثير في متلقي الخطاب:

[1] ينظر محمد عمارة، الإسلام و فلسفة الحكم، دار الشروق، القاهرة، دط، 1989، ص43.



ا

لقد اتكأ المحاوران السياسيان "عمر بن الخطاب" و "بشير بن سعد" على الوظيفة الحجاجية للمقتضى المعجمي للمصطلح السياسي "الأمر" ليجعلا محاوريهم يـــذعنون للفكـــرة المطروحـــة التالـــية: المهاجرون هم أصحاب الحق في خلافة رسول الله صلى الله عليه و سلم، ذلك أنهم هم القادرون على سياسة الدولة و اتخاذ القرار و استنباط الأحكام سياسية كانت أو مالية، أو إدارية أو غيرها المناسبة لصالح الأمة، ولهم حق الطاعة من المحكوم، و على هذا الأخير الامتثال لأوامرهم و نواهيهم.

2.1 البعد الحجاجي للمصطلحات: "الخلافة، الإمامة، الشورى"

من المصطلحات السياسية التي كان لمقتضاها وظيفة حجاجية في الخطاب السياسي، أذكـــر الثلاثية التي وردت في خطاب "علي" لـــ"معاوية" رضي الله عنهما، ألا وهي: " الخلافة، الإمامة الشورى".

فحتى يجعل الخليفة "علي" كرم الله وجهه معارضه السياسي " معاوية بن أبي سفيان" يذعن لخطابه يتكىء على البعد الحجاجي للخصيصة الاقتضائية للمصـــطلحات السياســـية: الخلافـــة، الإمامة، الشورى، إذ يسم بها كتابه الثاني إلى معاوية: «... **و لعمري لئن نظرت بعقلـــك دون هواك، لتجدني أبرأ الناس من دم عثمان، و اعلم يا معاوية أنك من الطلقاء، الذين لا تحل لهم الخلافة، و لا تعقد معهم الإمامة، و لا تعرض فيهم الشورى...**»[1]

إن "**الخلافة**" في الأصل مصدر خلف، يقال خلفه في قومه أي يخلفه ومنه قولـــه تعـــالى: ﴿ وقَال مُوسى لأَخِيه هَارُون اخْلُفني في قَومِي و أصْلِح و لا تتبع سَبِيل المُفسِدين﴾[2]،

[1] الإمامة و السياسة، ص80.

[2] الأعراف/142.

و يعبر عن هذا المعنى الراغب الأصفهاني بقوله « نيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه و إما لموته و إما لعجزه، و إما لتشريف المستخلَف، و على هذا الوجه استخلف الله أولياؤه في الأرض قال تعالى ﴿هُو الذِي جَعلكُم خَلائِف في الأَرضِ﴾[1]»[2].

و في الاصطلاح يعرفها "ابن خلدون" بأنها «حمل الكافة على مقتضى النظـر الشـرعي في مصالحهم الأخروية و الدنيوية الراجعة إليها (...) فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشـرع في حراسة الدين و سياسة الدنيا به »[3].

فالخلافة قد أطلقت في العرف العام على الزعامة العظمى، وهي الولاية العامة على كافـة الأمة والقيام بأمورها والنهوض بأعبائها.

إن المعنى اللغوي و الاصطلاحي للفظ "**الخلافة**" يقتضي وجود "**خليفة**"، ويقتضي في هذا الخليفة **شروطا و صفات؛** يجب أن يتوفر عليها حتى يصلح أن يكون خليفة و يتولى بذلك سياسة أمور المسلمين، تمثل هذه المواصفات التيارين الرئيسيين في المجتمع، إذ كان بعضها إسلاميا مثـل: السابقة في الإسلام، و القرب من الرسول صلى الله عليه و سلم و التقوى و الفقه، بينمـا كـان بعضها الآخر عربيا مثل السن و الحنكة و الخبرة و القدرة و النسب، أما القرشية فهي مسـتقرة عمليا في الصفات المطلوبة من المرشح[4].

إن "عليا كرم الله وجهه" يعضد خطابه بوسمه بالمصطلح السياسي "الخلافة" ذي الخصيصـة الاقتضائية " أنت لا تتوفر على صفات و شروط الخليفـة الـتي اصـطلح عليهـا المهـاجرون و الأنصار" (المذكورة سابقا) و هذا المقتضى ذو وظيفة حجاجية، إذ يُقدَّم على أنه معلومة مُسلَّم بها غير مجادل في شأنها و من ثم فهو حجة على معاوية رضي الله عنه.

---

[1] فاطر/39.

[2] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ت صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشـامية بيروت، ط3، 2002، ص294.

[3] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، دط، ص151.

[4] ينظر خير الدين يوجه سوي، تطور الفكر السياسي عند أهل السنة، فترة التكون من بدايته حتى الثلث الأول من القرن الرابع الهجري، دار البشير، الأردن، ط1، 1993، ص45.

أما مصطلح "**الإمامة**" فهو اللفظ المتفق في المعنى العام مع مصطلح "الخلافة"؛ يقول الماوردي: « الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين و سياسة الدنيا و عقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع »[1]. فأما حراسة الدين حفظه من كل زيادة أو نقص و من ثم فإن القائم بهذه الوظيفة تكون مهمته حفظه من البدع و تطبيق تعاليمه بكل حرص و صدق و إخلاص لله تعالى[2] .فالمهمة الأساسية "للإمام" إقامة الدين و تطبيق أحكام الله و المحافظة على وحدة المسلمين و الدفاع عن الأمة. و أما وجوبها بالإجماع فيعني أن فرضها على الكافة كالجهاد و طلب العلم، فإذا قام بها من هو من أهلها سقط، ففرضها على الكافة[3] .

و تنعقد "**الإمامة**" من وجهين: أحدهما باختيار أهل العقد و الحل، و الثاني بعهد الإمام من قبل. و لا يجوز الاشتراك فيها لأن البيعة للإمام قد صرفت الإمامة عمن عداه، إذ اصطلح الفقهاء المحققون أن الإمامة لِأَسْبَقِ الأئمة بيعة و عقدا[4].

إن شرط انعقاد الإمامة المذكور بما له من مقتضى يجعله ذا بعد حجاجي:

شرط انعقاد الإمامة	**المقتضى**
-اختيار أهل العقد و الحل -العهد من الإمام -الإمامة لأسبق الأئمة بيعة و عقدا	- معاوية بن أبي سفيان لم يتم اختياره من أهل العقد و الحل و لا بعهد من الإمام - علي بن أبي طالب تمت له البيعة من كافة المسلمين

إن توظيف العبارة "**و لا تعقد معهم الإمامة**" فيه محاجة لمتلقي الخطاب "معاوية بن أبي سفيان" إذ يجعل هذا الأخير مُلزَما بقبول الحجة و من ثم طاعة الإمام " علي كرم الله و جهه" و الدخول في بيعته.

---

[1] الماوردي، الأحكام السلطانية و الولايات الدينية، تحقيق القاضي نبيل عبد الرحمن حياوي،مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت،ص63.

[2] ينظر المعارضة السياسية في الفقه الإسلامي، ص 37.

[3] الأحكام السلطانية و الولايات الدينية، ص64.

[4] المرجع نفسه، ص68.

و لمعرفة الوقع الحجاجي لمقتضى مصطلح "**الشورى**" في الخطاب السابق نستعين بمعناه اللغوي و الاصطلاحي:

جاء في لسان العرب لابن منظور:« شار العسل يشوره شورا و شيارا... استخرجه من الوقبة و اجتناه... و شرت العسل و اشترته: اجتنيته و أخذته من موضعه. و أشار عليه بأمر كذا، أمره به، و هي الشورى. و المشورة بضم الشين؛ مفعلة و لا تكون مفعولة؛ لأنها مصدر و المصادر لا تجيء على مثال:مفعولة، و إن جاءت على مثال مفعول. وكذا المشورة... و فلان خير شيِّر أي يصلح للمشاورة. و شاوره مشاورة و شوارا، و استشاره: طلب منه المشورة... و أشار الرجل يشير إشارة : إذا أومأ بيده... و أشار عليه بالرأي، و أشار يشير: إذا ما وجه الرأي»[1].

فكما أن النحل يعد العسل و يقدمه طيبا في خليته، حتى يرد إليها طالبه فيأخذه للإفادة منه.فكذلك الشورى بمعنى المشاورة.فإن المشير عالم ناضج حكيم، تحضره الآراء السديدة و الحلول الناجعة للمشكلات العويصة. فإذا ورد إليه طالبها، و هو المستشير، قدمها العالم الناصح إليه هدية قيمة، فأخذها المستشير مستفيدا منها[2].

فأطلق على ذلك اسم الشورى ليفيد التبادل بين طرفين فأكثر، كما هي الحال في إطلاق النجوى على متناجيين فأكثر، كما تفيد الحصول على شيء عظيم النفع من دون عوض مادي.

أما في الاصطلاح فيعرفها "الراغب الأصفهاني" في كتابه "مفردات ألفاظ القرآن" « و التشاور و المشاورة و المشورة: استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض من قولهم شرت العسل إذا اتخذته من موضعه و استخرجته قال تعالى: ﴿و شَاوِرهُم في الأمْر﴾[3] و الشورى: الأمر الذي يُتشاور فيه. قال تعالى ﴿و أَمرُهم شُورى بينهُم﴾[4] »[5]

---

[1] لسان العرب، مادة شور.

[2] حسن ضياء الدين محمد عتر، الشورى في ضوء القرآن و السنة،دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث، دبي، ط1، 2001، ص30.

[3] آل عمران/159.

[4] الشورى/38.

[5] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص470.

أما العلامة "الطاهر بن عاشور" فيرى أن الشورى هي:« أن قاصد عمل يطلب ممن يظن فيه صواب الرأي و التدبير أن يشير عليه مما يراه في حصول الفائدة المرجوة من عمله»[1].

إن "**الشورى**" هي توجه بعض المسلمين إلى بعض العدول الأكفاء للإفادة من ثاقب رأيهم في أمر ذي بال يهم جماعة المسلمين أو بعضهم. و هي من جملة أحكام السياسة الشرعية المتصلة بسلطة الحاكم المسلم على رعاياه.

يمتاز هذا التعريف بتبيان صفة المستشار، من عدالة ، ثم كونه كفؤا للموضوع المستشار فيه، كما يذكر التعريف الغرض من الشورى و هو الاستفادة من علم و خبرة الخبراء، ولا بد أن يكون الأمر ذا أهمية معتمدة شرعا، و أنه من الأمور المهمة لدى المسلمين، أو لدى بعض أفرادهم[2].

من خلال المعنى اللغوي و الاصطلاحي لمصطلح الشورى نستنتج المضمون الذي يقبع تحت المعنى المعجمي، و هو بمثابة المقتضى، فمصطلح الشورى يقتضي مستشيرا و يقتضي أن يكون لهذا المستشير صفات حتى تجوز استشارته لعل أهمها ما حدده الإمام الماوردي، يقول: « فإذا عزم على المشاورة، ارتاد لها من أهلها من استكملت فيه خمس خصال، إحداهن عقل كامل مع تجربة سالفة.....،و الخصلة الثانية أن يكون ذا دين و تقى....، و الخصلة الثالثة أن يكون ناصحا ودودا....، و الخصلة الرابعة أن يكون سليم الفكر....، و الخصلة الخامسة ألا يكون له الأمر في الأمر المستشار غرض يتابعه و لا هوىً يساعده....، فإن استكملت هذه الخصال الخمس في رجل كان أهلا للمشاورة، و معدنا للرأي، فلا تعدل عن استشارته، اعتمادا على ما تتوهمه من ذي الحاجة أسلم و من الصواب أقرب لخلوص الفكر و خلو الخاطر، مع عدم الهوى و ارتفاع الشهوة »[3].

إن مصطلح "الشورى" في قوله " و لا تعرض فيهم الشورى" يكمن وقعه الحجاجي فيما يؤديه ضمنيا من معنى هو:

-**المقتضى المعجمي الأول:**"معاوية بن أبي سفيان" ليس نخبة من المهاجرين القرشيين، و لا أحدا من بقايا الشورى العمرية.

---

[1] التحرير و التنوير، ج25، ص112.

[2] ينظر الشورى في ضوء القرآن و السنة، ص31-32.

[3] الماوردي، أدب الدنيا و الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ص260-263.

-**المقتضى المعجمي الثاني:** "معاوية بن أبي سفيان" له غرض في الأمر المستشار .

إن هذين المقتضيين يؤديان إلى نتيجة حتمية هي: معاوية بن أبي سفيان لا تجوز له الإمامة و الخلافة.

3.1 البعد الحجاجي لمصطلحي: "الأمير و الوزير"

تعد الحجة « فنحن الأمراء و أنتم الوزراء لانفتات دونكم بمشورة، و لا تنقضي دونكم الأمور»[1] من أشهر العبارات التي قدمها الخليفة أبو بكر الصديق في حوار السقيفة، و هي بمثابة وعود سياسية للأنصار، بتقليدهم منصب الوزارة، و هي أعلى منصب في السلطة؛ متكئا في ذلك على المقتضيات التي يقدمها المصطلحان "الأمير" و "الوزير".

و للكشف عن هذا المضمون، نرجع إلى معناهما اللغوي و الاصطلاحي:

جاء في لسان العرب : « الوَزِيرُ: حَبَأُ المَلِكِ الذي يحمل ثِقْلَه ويعينه برأْيه، وقد اسْتَوْزَرَه، وحالَتُه الوَزارَةُ والوِزارَةُ، والكسر أَعلى. و وَازَرَه على الأَمر: أَعانه وقوّاه، والأَصل آزره. ...... وفي التنزيل العزيز: واجْعَلْ لي وَزيراً من أَهلي؛ قال: الوزير في اللغة استقاه من الوَزَرِ، والوَزَرُ الجبلُ الذي يعتصم به لِيُنْجى من الهلاك، وكذلك وَزِيرُ الخليفة معناه الذي يعتمد على رأْيه في أُموره ويلتجئ إِليه، وقيل: قيل لوزير السلطان وَزِيرٌ لأَنه يَزِرُ عن السلطان أَثْقال ما أُسند إِليه من تدبير المملكة أَي يحمل ذلك.... وقد استُوزِرَ فلان، فهو يُوازِرُ الأَمير ويَتَوَزَّرُ له. و الوزراء، جمع وزير وهو الذي يُوازِرُه فيحمل عنه ما حُمِّلَه من الأَثقال والذي يلتجئ الأَمير إِلى رأْيه وتدبيره، فهو ملجأٌ له ومَفْزَعٌ»[2] .

و يطلق مصطلح "الوزير" على المساعد الأول للحاكم في تدبير شؤون الدولة، وقد حدد ابن الطقطقي في كتابه "الفخري في الآداب السلطانية" دوره و صفاته، إذ يقول:« الوزير وسيط بين الملك و رعيته، فيجب أن يكون في طبعه شطر يناسب طباع الملك و شطر يناسب طباع العوام، ليعامل كلا من الفريقين بما يوجب له القبول و المحبة [و أما صفاته فهي] الأمانة و الصدق رأسماله.... و الكفاءة و الشهامة من مهماته، و الفطنة و التيقظ و الحزم من

[1] الإمامة و السياسة، ص11.

[2] لسان العرب، مادة وزر.

ضرورياته.... و الرفق و الأناة و التثبت في الأمور، و الحلم و الوقار و التمكن و نفاذ القول مما لا بد منه »[1].

أما مصطلح الأمير فهو لفظ يدل على الحاكم لكثرة ما يأمر و بنفاذ أوامره، جاء في لسان العرب: « أمر: الأَمْرُ: معروف، نقيض النَّهْيِ. أَمَرَه به وأَمَرَهُ؛ الأَخيرة عن كراع؛ وأَمره إِياه، على حذف الحرف، يَأْمُرُه أَمْراً وإِماراً فأْتَمَرَ أَي قَبِلَ أَمْرَه؛ وأَمرتُه بكذا أَمراً، والجمع الأَوامِرُ. والأَمِيرُ: ذو الأَمْر. والأَميرُ: الآمِر؛ والأَميرُ: المِلِكُ لنَفاذِ أَمْرِه بَيِّنُ الإِمارة والأَمارة، والجمعُ أُمَراءُ »[2].

إن الدلالات اللغوية و الاصطلاحية للمصطلحين تسمح بصياغة المقتضيات ذات قيمة حجاجية هي:

- السلطة لقريش و الوزارة للأنصار.
- الأنصار هم الأنسب للوزارة لأنهم أهل أمانة و صدق و رفق و أناة و حلم و وقار و تمكن.
- الأنصار هم الأنسب للوزارة لأنهم أهل المفزع و الملجأ و الإعانة و الاعتصام.
- الأنصار هم الأقدر لهذا المنصب.

أما ارتباط المصطلحين بالعنصر الإشاري "أنتم" فقد وفر للخطاب معاني حجاجية هي:

– التعميم: و ذلك بجعل المخاطَب جمهورا (جميع الأنصار) لا فردا و أفضل الحجاج ما كان للجمهور الواسع، حتى يتجاوز المتكلم السياسي الحدود الضيقة و يتعدى ذلك الجمهور الخاص (أهل السقيفة) و إلى جماهير أخرى أي (الأجيال اللاحقة) ، واضعا في حسبانه (المتكلم السياسي) ضمنيا ما تنتظره تلك الجماهير و ما يمكن أن تعترض عليه ، إنه سبيل من سبل مجاوزة الحدود الضيقة.

- جعل الطرف المتلقي معنيا مباشرة بالقضية المعروضة "الحباب بن المنذر".
- جعل الطرف المعني بالخطاب طرفا منقطعا متجددا دائما.

---

[1] ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص130، نقلا عن الجهشياري، كتاب الوزراء و الكتاب، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي،تق عطية أحمد القوصى، الذخائر، عدد 126، أكتوبر 2004، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ص 6-7.

[2] لسان العرب، مادة أمر.

2. المقتضى المعجمي للصفات و بعده الحجاجي

تنطوي الصفات " المهاجرون، الأنصار، السابقون الأولون، الطليق / الطلقاء، أصحاب رسول الله، على دلالات ذات طاقات حجاجية تكمن فيما تؤديه ضمنيا من معنى. ولقد اعتمد المخاطِبُ السياسي على البعد الحجاجي لهذا الضمني؛ فراح يسم خطابه بها حتى يضمن التأثير في متلقيه. و جلية الأمر في الآتي:

1.2 البعد الحجاجي للصفات: المهاجرون، الأنصار، التابعون بإحسان

لقد علم الإمام "علي كرم الله وجهه"و أنصاره أثر هذه الوحدات المعجمية/ الصفات على المتلقي فوظفوها في خطاباتهم، مستغلين بذلك بعدها الحجاجي حتى يضمنوا الرد الإيجابي من المخاطَب.

جاء في خطاب "جرير بن عبد الله البجلي" : « أيها الناس، هذا كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. و هو المأمون على الدين و الدنيا.و كان من أمره و أمر عدوه ما قد سمعتم فالحمد لله على أقضيته. و قد بايعه **السابقون الأولون من المهاجرين و الأنصار و التابعون بإحسان** ...»"خ14".

يوظف "جرير بن عبد الله البجلي " أحد أنصار "الإمام علي" صفتي "المهاجرون و الأنصار"في خطبته "خ14" حتى يضمن نجاح العملية التواصلية "الاستنفار" التي يسعى إلى إقامتها مع المتلقي " أهل همذان" وِفْقا لمقاصده و أهدافه الحجاجية، و وفقا لشروط و متطلبات السياق التخاطبي. و لمعرفة البعد الحجاجي لهذه الصفات نستعين بمعناها اللغوي و الاصطلاحي:

جاء في لسان العرب لابن منظور« الهجر ضد الوصل، و الهجرة الخروج من أرض إلى أرض، و **المهاجرون** الذين تركوا ديارهم و مساكنهم التي نشؤوا بها لله و لحقوا بدار ليس لهم بها أهل و لا مال حين هاجروا إلى المدينة»[1]. فالمهاجرون الأولون هم السبعون الذين بايعوا الرسول في بيت عبد المطلب في عقبة مكة و هم يسمون العقبيون.

أما "**الأنصار**" فوصف مشتق من النصر و «... النصر إعانة المظلوم، بنصره على عدوه، ينصره و نصره نصرا و رجل ناصر من قوم نصار و نصر من صاحب و صحب و أنصار و الاسم النصرة و هي حسن المعونة، و النصير الناصر و الجمع أنصار مثل شريف و أشراف و الأنصار

[1] لسان العرب،مادة هجر.

أنصار النبي صلى الله عليه و سلم»[1] و الأنصار هم بنو الأوس و الخزرج ، ابني حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن ابن الأزد دراء بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ عامر بن يشجب ابن يعرب بن يقطن قحطان.

أما التابعون فهم الذين لهم فضيلة الإتباع؛ و هم الذين لقوا الصحابة؛ أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم و هي أمنية عظيمة و كرامة؛ فتشرفوا بهذا اللقاء و أخذوا عنهم و حذو حذوهم في العلم و الجهاد و الفقه و الدين قولا و فعلا فأفلحوا. فالتابعون هم الذين اتبعوا المهاجرين الأولين والأنصار بإحسان، و أسلموا لله إسلامهم، وسلكوا مناهجهم في الهجرة والنصرة وأعمال الخير.

لقد مدح الله عز وجل قوما من المهاجرين وقوما من الأنصار فأنزل فيهم قرآنا تعظيما لهم ، فقال تعالى عن المهاجرين: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [2]
و قال تعالى عن قوم من الأنصار﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ والإنجيل وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[3]
و جمع الفريقين بقوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[4]

جاء في صفوة التفاسير في تفسير الآية مائة من سورة التوبة :« أي السابقون الأولون في الهجرة و النصرة الذين سعوا إلى الإيمان من الصحابة و التابعون أي سلكوا طرقهم و اقتدوا بهم في سيرتهم الحسنة و هم التابعون و من سار على نهجهم إلى يوم القيامة، وعد بالغفران و الرضوان أي رضي الله عنهم و أرضاهم و هذا أرقى المراتب التي يسعى إليها المؤمنون و يتنافس فيها

[1] لسان العرب، مادة نصر.
[2] الحشر/8.
[3] التوبة/111.
[4] التوبة/100 .

المتنافسون أن يرضى الله و يرضيهم، قال الطبري رضي الله عنهم لطاعتهم إياه و إجابتهم لنبيه و رضوا عنه لما أجزل لهم من الثواب على الطاعة و الإيمان»[1].

تتمثل أهم المقتضيات الناجمة عن الدلالات اللغوية و الاصطلاحية للصفات:" المهاجرون، الأنصار، التابعون بإحسان" و التي لها وقع حجاجي على متلقي الخطاب فيما يلي:

المعنى الدلالي	المقتضى
السابقون من المهاجرين والأنصار	- من بايع "عليا" هم قوم مدحهم الله في كتابه.
و التابعين لهم بإحسان	- هم قوم رضي الله عنهم.
بايعوا عليا إماما و خليفة لهم	- هم قوم أعدَّ الله لهم الجنة.

تقود هذه المقتضيات إلى نتيجة مفادها: علي كرم الله وجهه هو الأحق بالنصرة؛ لأن السابقين من المهاجرين و الأنصار و التابعين لهم بإحسان بايعوه و نصروه، و هم من يُكوِّنون جيشه.

2.2 البعد الحجاجي للصفتين "صاحب"، "أم المؤمنين"

تنطوي "**صاحب رسول الله**" في الخطاب السياسي على ثراء دلالي ذي صبغة حجاجية، و لقد انتقى المخاطِب السياسي هذه الصفة دون اسم العلم حتى يضمن التأثير في مخاطِبه، ذلك أن اسم العلم و محتواه الوصفي لئن كانا سيان من الناحية الدلالية، إذ يمكن أن ينوب أحدهما عن الآخر، فإنهما من الناحية الحجاجية مختلفان .ففي مقامات الخطاب و المحادثة و الحوار و التفاعل بين المتخاطبين قد لا يمكن أن يؤدي اسم العلم الدور نفسه الذي يؤديه محتواه الوصفي أو معينه[2].

و وردت فيها هذه الصفة في نصوص كثيرة ، منها خطاب "قيس بن سعد بن عبادة" للإمام علي في موضوع توجه عائشة و طلحة و الزبير إلى البصرة خارجين عليه:«... لأن عائشة من علمت مقامها في الإسلام، و مكانها من رسول الله، مع فضلها و دينها و أمومتها منا و منك، و لكنهما يقدمان البصرة، و ليس كل أهلها لهما، و تقدم الكوفة، و كل أهلها لك و تسير

[1] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الفيصلية، مكة المكرمة، مجلد 1 ،دت، دط، ص559.
[2] ينظر الحجاج في القرآن،ص177.

بحقك إلى باطلهم، و لقد كنا نخاف أن يسيرا إلى الشام، فيقال: **صاحبا رسول الله** و **أم المؤمنين**، فيشتد البلاء و تعظم الفتنة»[1].

إن انتقاء "قيس بن سعد" لصفة "صاحبا رسول الله" بدلا من طلحة و الزبير كان لغرض حجاجي، يحققه المقتضى الناجم عن محتواها الدلالي؛ جاء في لسان العرب لابن منظور:« صحب: صَحِبَه يَصْحَبُه صُحْبة، بالضم، وصَحابة، بالفتح، وصاحبه: عاشره. والصَّحْب: جمع الصاحب مثل راكب وركب. والأَصْحاب: جماعة الصَّحْب مثل فَرْخ وأَفْراخ. والصاحب: المُعاشر»[2] .

إن الصاحب يقتضي صاحبا و صحبة، فأما الصاحب فهو محمد نبي الله و رسوله صلى الله عليه و سلم، و أما الصحبة فهي الملازمة و المرافقة و المعاشرة و الانقياد لرسول الله و الغزو معه، و لهذه الصحبة شرف عظيم إذ تضفي على الصاحب صفات منها ثبوت العدالة[3]. و قد ذكر النبي صلى الله عليه و سلم فضل الصحابة فقال:{ الله الله في أصحابي}[4] .

و صاحبا رسول الله هما "طلحة و الزبير" و هما من العشرة الذين بشرهم الرسول بالجنة و من أصحاب الشورى الستة الذين وكل إليهم عمر بن الخطاب اختيار الخليفة من بعده ، و هما من قال فيهما رسول الله (ص) {طلحة و الزبير جاراي في الجنة}[5]. و كان حظهما من حب الرسول و تقديره عظيما، إذ لقب طلحة بن عبيد الله بـ "طلحة الخير" و "طلحة الجود" و "طلحة الفياض" إطراء لجوده المفيض، و هو صقر يوم أحد، أما الزبير بن العوام فكان يقول صلى الله عليه و سلم عنه:{ إن لكل نبي حواريا و حواري الزبير بن العوام}[6]، فهو (الزبير) أول من سل سيفا في الله عز وجل و لم يكن ابن عمة الرسول (ص) و زوج أسماء بنت أبي بكر ذات

---

[1] الإمامة و السياسة، ص56.

[2] لسان العرب، مادة صحب.

[3] ابن الأثير، أُسْد الغابة في معرفة الصحابة، ت خليل مأمون، دار المعرفة، بيروت، ج1، ط1، 1997، ص8

[4] أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، الميمنية، ج5، ص54.

[5] الترميذي، سنن الترميذي، الجامع الصحيح ،دار الحلبي، ص 3741.

[6] البخاري، صحيح البخاري، المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم، و سننه و أيامه، رقم كتبه و أبوابه، محمد فؤاد عبد الباقي، راجعه قصي محب الدين الخطيب، دار إحياء التراث العربي، ج 3،ص26 ، و أخرجه ابن حنبل في مسنده باللفظ الآتي: {إن لكل أمة حواري و حواري الزبير}، مسند أحمد بن حنبل، ج1، ص89.

النطاقين فحسب ، بل كان ذلك الوفي القوي، و الشجاع الأبي، و الجواد السخي، و البائع نفسه و ماله لله رب العالمين[1].

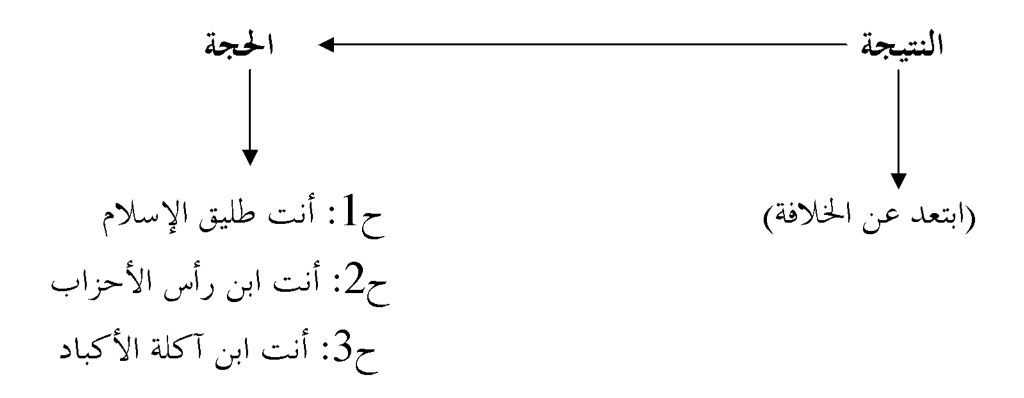
إن المعاني التي تحققها صفة "**صاحبا رسول الله**"و المذكورة أعلاه تقتضي أن الناس عامتهم و خاصتهم يعلمون فضائل الرجلين و مدى قربهما من الرسول (ص) و أحاديثه التي قالها فيهما فيصدقانهما و يلتفون حولهما.

يعضد هذا المعنى الحجاجي ورود الصفة "**أم المؤمنين**" التي تقتضي الاحترام و التبجيل و عُلُو القدر و أكبر الفضائل، ذلك أن "طلحة و الزبير" قد خرجا بمعية **أم المؤمنين** "عائشة رضي الله عنها" و هي زوج النبي صلى الله عليه و سلم و حبيبته و الحافظة لأغلب أحاديثه و ليس لأحد من النساء فضل مثل فضلها، و هذا المقتضى يحقق نتيجة هي: سيصدق الناس (أهل البصرة) معارضيك و ينصرونهم دونك. إن هذا الثلاثي (طلحة و الزبير و عائشة) يعد حجة على "علي كرم الله وجهه" لا حجة له.

3.2 البعد الحجاجي للصفة "طليق/ طلقاء"

جاء في جواب كتاب "عبد الله بن عباس" إلى "معاوية بن أبي سفيان" رضي الله عنهما: «... **و إن الخلافة لا تصلح إلا لمن كان في الشورى فما أنت و الخلافة؟ و أنت طليق الإسلام و ابن رأس الأحزاب و ابن آكلة الأكباد من قتلى بدر**»"س36".

انتقى المعارض السياسي "عبد الله بن عباس" مجموعة من الحجج حتى يضمن النتيجة المتوخاة حسب ما تبينه الترسيمة الآتية:



[1] ينظر أُسْد الغابة في معرفة الصحابة، ج2، ص210-212، 490.

لقد جاءت الحجج (ح1، ح2، ح3) مترقية بالمتلقي في السلم الإقناعي عبر درجات العطف ذلك أن الطرف المعطوف عليه/ الصفة **"طليق"** على وجه الخصوص جاء لفظا ذا خصيصة اقتضائية لها بعد حجاجي يوجه دلالة الملفوظ وجهة محددة، و يوجه تبعا لذلك سلوك المتلقي الوجهة التي يريدها المخاطِب أن يسير فيها.

و "**الطليق**" الأسير، يطلق فعيل بمعنى مفعول و هو الذي أطلق عنه إساره و خلي سبيله، و الطلقاء هم الذين خلي عنهم يوم فتح مكة و أطيلقهم فلم يسترقهم واحدهم طليق، و في الحديث {الطلقاء من قريش و العتقاء من ثقيف}. و الطلقاء الذين أدخلوا في الإسلام كرها[1].

إن انتقاء هذه الصفة و استخدامها في الخطاب يرجع إلى معرفة مُرسِل الخطاب" عبد الله بن عباس" بمدى تأثير معناها و شدة وقعه على مخاطبِه ذلك أن العرب أباة الضيم شم الأنوف فقد يحذرون الإهانة أكثر مما يحذرون القتل. فضلا عن أن مقتضاها ذو بعد حجاجي، إذ يشير إلى مسألة دستورية مهمة وجديدة اكتسبت شرعيتها من الرسالة الإسلامية التي نسفت الأعراف الجاهلية السابقة، و هي حق المهاجرين والأنصار في اختيار الإمام، وعدم صلاحية الطلقاء (أهل مكة الذين عفا عنهم الرسول الأكرم بعد الفتح) في المشاركة في الشورى أو تولي الخلافة. وهذه مسألة كانت مفهومة أيضا في ظل ظروف تأسيس الدولة الإسلامية الأولى، وتمثل انقلابا على النخبة السياسية الأموية التي اعتبرها الإمام علي رضي الله عنه و أنصاره معادية له وللنخبة الرسالية (المهاجرين والأنصار)[2].

4.2 المقتضى المعجمي للصفة "الطاغية"

تعد صفة "الطاغية" من الصفات التي اتكأ المتكلم السياسي على الوقع الحجاجي لمقتضاها المعجمي، قال "عبد الله بن الزبير" مخاطبا جيش"الحجاج": « يا أهل الشام، يا محرقي بيت الله، يا مستحلي حرم الله، علام تقاتلون؟ و قد مات طاغيتكم يزيد بن معاوية»[3].

فحتى يبين "عبد الله بن الزبير" مدى شناعة الفعل الذي أقدم عليه "الحجاج" و جيشه ينسبهم عن طريق العنصر الإشاري "أنتم" لأهمّ صفة في أميرهم "الطغيان"، محققا بذلك المعادلة الآتية:

---

[1] لسان العرب، مادة طلق.

[2] ينظر المؤرخون العرب و الفتنة الكبرى، ص254-255.

[3] الإمامة و السياسة، ص190.

يزيد بن معاوية طاغية ←—— يقتضي ←—— الحجاج و جيشه طغاة.

و يحقق هذا المصطلح السياسي مجموعة من المقتضيات ذات وظيفة حجاجية مستمدة من معناها المعجمي؛ أذكرها فيما يلي:

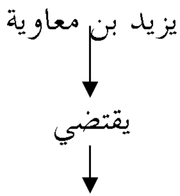
- طغى فلان أي أسرف في المعاصي و الظلم و الطاغية الجبار و الأحمق و المتكبر و الصاعقة، و المراد به من تولى حكما فاستبد و طغى و تجاوز حدود الاستقامة و العدل تنفيذا لمآربه[1] .

- الطاغية الحاكم المتعسف؛ و هو رجل يصل إلى الحكم بطريق غير مشروع، يغتصب الحكم بالمؤامرات أو الاغتيالات أو القهر أو الغلبة بطريقة ما.

- الطاغية شخص لم يكن من حقه أن يحكم لو سارت الأمور سيرا طبيعيا، لكنه قفز إلى منصة الحكم عن طريق غير شرعي.

تسمح هذه المقتضيات بصياغة الرسم التخطيطي الآتي:

يزيد بن معاوية



يقتضي

حاكم متعسف مسرف في المعاصي، وصل إلى الحكم بطريق غير مشروع

ليس من حقه الخلافة.

3. المقتضى المعجمي للأفعال و بعده الحجاجي

يحتوي الخطاب السياسي في الكتاب على قائمة من الأفعال تحمل في طبقاتها الدلالية مقتضى ذا بعد حجاجي، لما يوفره من طاقة تأثير أَعْرِضُ لبعضها بالإجراء فيما يلي:

لقد أثار "معاوية رضي الله عنه" في خطابه عدة نقاط يبرر من خلالها سبب تمرده على الإمام "علي كرم الله وجهه" و هي: الطلب بدم عثمان، وحقه في الشورى، وعدم إلزامية البيعة له وهو في الشام.فأرسل له "علي" كتابا جاء فيه: « أما بعد، فإن بيعتي بالمدينة **لزمتك** و أنت بالشام، لأنه بايعني الذين بايعوا أبا بكر و عمر و عثمان على ما بايعوا، فلم يكن للشاهد أن يختار، و لا للغائب أن يرد، و إنما الشورى للمهاجرين و الأنصار...»"س19"

[1] إمام عبد الفتاح، الطاغية، دراسة لصور الاستبداد السياسي، عالم المعرفة، الكويت، مارس 1994 ع 183، ص42.

يَنْزَعُ الإمام "علي" إلى انتقاء الفعل "**لزم**" المؤسس للتركيب "لزمتك بيعتي" و الذي يَأْسَرُ متلقي الخطاب بما له من معنى معجمي و بما لهذا المعنى من مقتضى معجمي كفيل بالتأثير على المتلقي؛ جاء في لسان العرب « لَزِمَ يَلْزَمُ، والفاعل لازم والمفعول به ملزومٌ، لزِمَ الشيءَ يَلْزَمُه لَزْماً و لزوما و لازمه مُلازَمَةً ولِزاماً والتزَمَه وأَلزمَه إِيَّاه فالتزَمَه. ورجل لُزَمَةٌ: يَلْزَم الشيء فلا يفارِقه. و في اللغة الملازمة للشيء و الدوام عليه، وهو أَيضاً الفَصْل في القضية." فلزم الشيء ثبت و دام و لزم الأمر: وجب حكمه.»[1]

إن المعنى اللغوي للفعل "لزم" يقتضي أن البيعة تامة صحيحة و قد تم الفصل فيها و وجبت على كل مواطن في البلاد الإسلامية و لا يمكن لأحد أن يطعن أو يشكك فيها، فالإمام "علي" قد استشهد بالعرف الدستوري الذي استقر منذ انتخاب أبي بكر، وهو حق أهل المدينة المنورة " العاصمة" باختيار الإمام ولزوم بيعتهم لأهالي سائر الأقطار، و هو استشهاد ببيعة الخلفاء السابقين كسوابق دستورية متعارف عليها، رافضا حق الغائبين بالرفض.

و من الأفعال التي نهض مقتضاها المعجمي بوظيفة حجاجية الفعل "**نقض**" الذي ورد في السياق اللغوي في خطاب "علي" إلى أهل الكوفة:« ... و بايعني الناس غير مستكرهين، و هما أول من بايعني على ما بويع عليه من كان قبلي، ثم استأذنا إلى العمرة فأذنت لهما، **فنقضا** العهد و نصبا الحرب و أخرجا أم المؤمنين من بيتها ليتخذاها فتنة...»"س9"

إن النَّقْض هو إِفْسادُ ما أُبْرِمْ من عَقْدٍ أَو بِناء، وفي اللسان:« النقض إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء، و في الصحاح النقض نقض البناء و الحبل و العهد »[2] يقتضي هذا المعنى اللغوي أن الصحابيين الجليلين "طلحة و الزبير" قد أبرما عهدا مع الخليفة "علي كرم الله وجهه"؛ والعهد هو الموثق و اليمين و ما بين الأشخاص من المواثيق، و لقد انتقى الخليفة لفظ العهد دون البيعة للدلالة على أن البيعة انعقدت نهائيا و دخل الناس فيها و تحت لوائها فهي إذن عهد و ميثاقكما يقتضي أن الصحابيين باع كل واحد منهما ما عنده للخليفة و أعطاه خالصة نفسه و طاعته و دخيلة أمره[3].

---

[1] لسان العرب، مادة لزم.

[2] لسان العرب، مادة نقض.

[3] ينظر محمد بن معجوز، الخلافة في الإسلام، ندوة البيعة و الخلافة، العيون، المملكة المغربية، ج3، سبتمبر، 1985، ص856.

كما يقتضي هذا المعنى المعجمي أن نكثهما البيعة هو مفسدة لأمور الدولة الإسلامية و مصلحة المسلمين، و أن النقض ليس إلا نتيجة ليئْسِ "طلحة و الزبير" رضي الله عنهما من أن يكون لهما وضع مميز في ظل خلافة "علي رضي الله عنه".

إن هذه المقتضيات تساعد على إنجاح العمل اللغوي متمثلا في الاستنفار و النصرة لما لها (المقتضيات) من أبعاد حجاجية تجعل متلقي الخطاب "أهل الكوفة" يذعن للفكرة المطروحة.

ثانيا: المقتضى التركيبي و بعده الحجاجي

أجمع النحاة و اللغويون على أن التركيب هو « أن تركب كلمة مع كلمة تنسب إحداهما إلى الأخرى ... على السبيل الذي يحسن به موقع الخبر و تمام الفائدة»[1] ، فالتركيب ما تشكلت به الجملة أو ما تعالقت بواسطته الجملتان أو الجمل ، و هو بذلك يمثل مجموع العلاقات القائمة بين المونيمات (الكلمات).و تتمثل هذه العلاقات في التركيب (الإسناد) الخبري والتركيب الإنشائي.

و التركيب (الإسناد) بشقيه (الخبري و الإنشائي) متأثر بالمقام ، مؤثر فيه أو يرمي إلى التأثير فيه، إذ يُنتِجُ الدلالةَ و يعمل في معاني الجملة حسب المقام، خاصة و أن ظروف التلفظ أي الوقائع التداولية تتدخل بدورها في عملية منح المعنى للجمل التي ترد في سياقات استعمالية معينة. و من شأن التركيب الجيد الملائم للمعنى أن يستميل المتلقي و يفعل فيه أو يساعد الحجة على الفعل فيه فيكون رافدا مهما لها.

لذا يعمد المخاطِب إلى اعتماد تركيب دون الآخر لأنه يلتمس فيه القدرة على استمالة المتلقي و الفعل فيه و إقناعه بأمر ذي علاقة وطيدة بالخطاب في كليته و من ثم كانت الاختيارات التركيبية التي يوظفها المخاطِب لغاية حجاجية .

و يضطلع التركيب الإنشائي بدور هام في العملية الحجاجية إذ كثيرا ما تنبني الحجة في تركيب إنشائي و كثيرا ما تعضد التراكيب الإنشائية حججا؛ بما توفره من إثارة و ما تستدعيه من عواطف و أحاسيس . فالتركيب الإنشائي يثير المشاعر و يشحن من ثمة بطاقة حجاجية هامة، لأن إثارة المشاعر ركيزة كثيرا ما يقوم عليها الخطاب الحجاجي[2] .

---

[1] ابن يعيش، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دت، ص20.

[2] ينظر عبد الله صولة، ص140.

و تكمن الطاقة الحجاجية للتركيب الإنشائي فيما يؤديه ضمنيا، إذ يسهم المقتضى الناشىء عن التركيب الإنشائي في النهوض بوظائف حجاجية.

و يعد التركيب الاستفهامي أهم التراكيب الإنشائية في الخطاب السياسي التي تهدف إلى تحقيق عمل لاقولي يُؤدى بوساطة المقتضى ؛ **لذا** أحاول أن أفرد له بالدراسة و التحليل فيما يلي:

1. التركيب الاستفهامي و بعده الحجاجي

يتمتع التركيب الإنشائي الاستفهامي بأهمية كبيرة و بخاصة في إطار الخطاب الحجاجي و ترمي هذه الصيغة في الأصل إلى استعلام السائل عن أمر يجهله و لكنها غالبا ما تأخذ أهدافا أخرى تتنوع بحسب التركيب النحوي للجملة الاستفهامية، و تبتعد جدا عن الهدف الأصلي. و يمكننا من الناحية الشكلية التمييز مبدئيا بين شكلين من الاستفهام، فالجملة الاستفهامية هي: جملة غير كاملة منطقيا، تطرح سؤالا أو تعبر عن شك و تتخذ شكلين: أحدهما استفهام مباشر، يعتمد على استخدام أدوات الاستفهام؛ و الآخر استفهام غير مباشر، يعتمد على استخدام فعل يتضمن معنى السؤال أو الاستعلام ، أو يكشف عن جهل السائل[1].

استعمل السؤال مرادفا للاستفهام، و حل لفظ السؤال محل لفظ الاستفهام و اتخذ من السؤال حدَّه و أداته، في مجموعة من التعاريف عند اللغويين[2] ،كما اختص أداء السؤال بصيغة الاستفهام دون غيرها حتى أصبح يطلق على الطلب الذي يؤدى بلفظ الاستفهام، بل أصبحت صيغة الاستفهام هي الصيغة المميزة للسؤال و الدالة عليه دون غيرها، فالسؤال هو معنى قابل للتشكل في صيغ مختلفة، و لكن صيغته الخاصة هي صيغة الاستفهام[3].

---

[1] ينظر حسن الصديق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ط1، 2000، ص352.

[2] يقول السيوطي،قال الأنباري: السؤال طلب الجواب بأداته، و المسؤول به أدوات الاستفهام المعروفة، كتاب الاقتراح في علم أصول النحو، ت أحمد قاسم،دار الفكر ، بيروت، ط1، 1976ص165-166
و قال أبو هلال العسكري: و السؤال طلب الإخبار بأداته في الإفهام، و أدوات السؤال: هل و الألف الفروق في اللغة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1973، ص29 .

[3] ينظر بسمة بلحاج رحومة الشكيلي، السؤال البلاغي، الإنشاء و التأويل، دار محمد علي، المعهد العالي للغات، تونس، ط1، 2007، ص8-9.

و لقد اتفق الباحثون قديمهم و حديثهم على أن العمل الأساسي الذي ينجز بالسؤال هو عمل الحجاج، و هو دلالة قاطعة على أن الاستفهام يختص دون بقية الأعمال بأداء وظيفة ما قد ندرك قيمتها بالتأمل في قيمة العمل الحجاجي في المخاطبات عامة، كما توصل الباحثون إلى أن قيمة الاستفهام الحجاجية تعود إلى أسباب اختصاصه بإنجاز العمل الحجاجي[1]. سواء أتعلق ذلك بالاستفهام الحقيقي أم الاستفهام غير الحقيقي/ السؤال البلاغي.

يرى ديكرو و أنسكومبر أن الغاية من الاستفهام تتمثل في أن نفرض على المخاطَب بـه إجابة محددة يمليها المقتضى الناشىء عن الاستفهام، فيتم توجيه دفة الحوار الذي نخوضـه معـه الوجهة التي نريد، فالاستفهام يأتي في الكلام لإجبار المخاطَب على الإجابة وفق ما يرسمه له البعد الاستفهامي الاقتضائي[2].

و أقف في هذا المبحث عند بيان البعد الحجاجي للاستفهام الحقيقي و السؤال البلاغي في الخطاب السياسي، محاولة بذلك توظيف ما قُدِّم في دراسة طاقة السؤال الإقناعية و دوره في العملية الحجاجية:

2.الاستفهام الحقيقي و بعده الحجاجي

يرى صاحب الطراز أن الاستفهام « معناه طلب المراد من الغير على جهة الاستعلام، فقولنا: طلب المراد عام فيه و في الأمر ، و قولنا على جهة الاستعلام، يخرج منه الأمر ، بأنه طلب المراد على جهة التحصيل و الإيجاد، و آلاته على نوعين أسماء و حروف»[3] .

إن الاستفهام الذي يوقعه المتكلم هو لطلب حصول في الذهن إذ يطلب مـا هـو في الخـارج ليحصل في الذهن نقش له، و هذا يعني أن "السائل/ المتكلم" يوقع إذ يستفهم ذلـك الفـراغ الحاصل في ذهنه ليستدعي الكمال من الطرف المقابل، و إذا كان هذا يوجب أن المتكلم في موقع ضعف أمام المخاطَب المتلك لسلطة المعرفة، فإن هذا المخاطَب باعتباره مسـؤولا هـو ملـزم بالجواب و من هنا كانت دلالة الاستفهام على الإلزام و كان معنى الاستعلاء فيه و من ثم التأثير.

واجتماع الإلزام و الإمكان في السؤال يُحقِق ضربا من الاعتدال يكون به المستفهِم طالبا مُلزِما مخاطِبَه بالجواب، متحاورا متجاوبا معه في الآن نفسه، و يُمَكِّنه الإلزام من استدراج مخاطِبه

---

[1] بسمة بلحاج رحومة الشكيلي، السؤال البلاغي، ص302.

[2] Ducrot et Anscombre, L'Argumentation dans la langue, p30.

[3] يحي بن حمزة، كتاب الطراز، المتضمن أسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز، مراجعة و ضبط و تـدقيق، محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995، ص532 .

إلى المشكل فتكون له سلطة تقرير موضوع الحوار، و يمكّنه ترك فرصة الجــواب مــن دعــوة الآخر/المتلقي إلى التفاوض[1].

لقد حضر الزوج "سؤال/ جواب" في الحوار السياسي بأصنافه المختلفة و استطاع المقتضى الناشيء عنهما النهوض بالوظيفة الحجاجية، يبين ذلك الحوار "حو11":

مروان بن الحكم: أيها الشيخان، ما يمنعكما أن تدعوا الناس إلى بيعة مثل بيعة علي، فإن أجابوا كما عارضتماه ببيعة كبيعته، و إن لم يجيبوكما عرفتما ما لكما في أنفس الناس؟ "سا1"

طلحة: يمنعنا أن الناس بايعوا عليا بيعة عامة، فبمَ ننقضها؟

الزبير: و يمنعنا أيضا من ذلك تثاقلنا عن نصرة عثمان و خفتنا إلى بيعة علي.

يعلي بن منية: أيها الشيخان، قَدِّرا قبل أن ترحلا إن معاوية قد سبقكم إلى الشام و فيها الجماعة، و أنتم تقدمون عليه غدا في فرقة و هو ابن عم عثمــان دونكــم، أرأيــتم إن دفعكــم عــن الشام، أو قال أجعلها شورى، ما أنتم صانعون؟ أتقاتلونه أم تجعلونها شورى فتخرجــا منــها؟ و أقبح من ذلك أن تأتيا رجلا في يديه أمر قد سبقكما إليه، و تريدا أن تخرجاه منه."سا2"

تمثل الأسئلة أعلاه المقتضى أو المعطى الذي يشترك في العلم بــه كــل مــن الســائل و المسؤول و يمثل الجواب البؤرة إذ يمثل المعلومة الجديدة و مدار الكــلام في الجملــة "مركــز الاهتمام".

إن طرفي الحوار " مروان بن الحكم و يعلي بن منية" يدركان خطورة طرح السؤال في الحوار، إنه وسيلة هامة من وسائل دفع الشيخين إلى إعلان موقفيهما إزاء المشكل المطروح و همــا بــذلك يدعوانهما إلى اتخاذ قرار.

و تنبني الطاقة الإقناعية الكامنة في هذين النموذجين الاستفهاميين في قيامهما على افتراض ضمني يعمل على إلزام المستفهَم " الشيخين" بالإقرار و إلجائه إليه:

"سا1" ←————— المقتضى: هناك شيء يمنعكما من الدعوة بالبيعة لأنفسكما.

"سا2" ←————— المقتضى:معاوية يدفعكم عن الشام و يجعلها شورى بين المسلمين.

إن صيغة السؤال "سا1" تشعر المسؤول بالأمان فكأن بالسائل مروان بن الحكم يريد أن يستشعر عن قضايا يجهلها و هو بذلك يعول على الضمني المتخفي ليحصل على جواب المخاطَب. الذي يوقع به الوقوع في التناقض و من ثم فساد رأيه.

---

[1] ينظر بسمة بلحاج، السؤال البلاغي، ص301.

أما صيغة السؤال "سا2" فإن المقتضى الناشيء عنه يفرض على الشيخين إجابة محددة و يجبرهما على الوقوف على خطئهما.

أما في الحوار "حو5" فإن الخليفة عثمان بن عثمان رضي الله عنه يعمد إلى السؤال حتى تكون الافتراضات الضمنية وسيلة للتأثير، فكان الزوج "سؤال/ جواب" مستخدما على أنه جواب عن مشكلة معروضة:

عثمان بن عفان: أنت كتبت هذا الكتاب؟

عمار بن ياسر: نعم.

عثمان بن عفان: ومن كان معك؟

عمار بن ياسر: كان معي نفر تفرقوا فرقا منك.

عثمان: من هم؟

عمار بن ياسر: لا أخبرك بهم.

عثمان بن عفان:فلم اجترأت علي من بينهم؟ "سا3"

إن الخليفة يرمي من هذه الأسئلة إلى الاستعلام و توضيح ما هو غامض لديه، مستدرجا في خطة الإيقاع بالمعارِض السياسي "عمار بن ياسر"، حيث تقر صيغة السؤال "سا3" ضمنيا أن عمار بن ياسر من المساهمين في التأليب و التجليب هو أحد العناصر الأساسية التي وجهت الانتقادات السياسية للخليفة المغضوب عليه.

"سا3"————◄المقتضى: عمار بن ياسر رأس المؤلبين على الخليفة.

كما ينهض الزوج "سؤال/ جواب"في الحوار "حو8" بوظيفة حجاجية أبينها فيما يلي:

الزبير و طلحة: هل تدري على ما بايعناك يا أمير المؤمنين؟ "سا4"

علي: نعم، على السمع و الطاعة و على ما بايعتم عليه أبا بكر و عمر و عثمان."جا4"/ح1

طلحة و الزبير: لا، و لكن بايعناك على أنّا شريكاك في الأمر.

علي: لا، و لكنكما شريكان في القول و الاستقامة و العون على العجز و الأود.

إن القضية التي يدفع المعارض السياسي إلى الإقرار بها في صيغة السؤال "سا4"، لا يرى الصواب في غيرها، إذ هي من القضايا التي يؤمن بمحتواها و يعتقده:

"سا4" ————◄المقتضى: أحقية الشيخين في مقاسمة "علي" الخلافة.

إن المستفهِمين بطرحهما لصيغة السؤال "سا4" يدعوان ضمنيا الخليفة إلى اتخاذ القرار بشأن مركزهما السياسي في الدولة و حتى الجواب "جا4" يشير بدوره إلى سؤال موجه إلى المعارضة: "ألم تبايعوا على السمع و الطاعة؟". و هو بذلك "الخليفة" يُلزمهما بالإقرار بعد أن أنتج الحجة "ح1" التي يدعو من خلالها المعارض السياسي إلى التقيد بها. فالجواب قد نهض كذلك مثل السؤال بوظيفة حجاجية مبرزا مواطن الاختلاف بين الطرفين.

و قد أكسب المقتضى الناتج عن الاستفهام في الحوار "حو7"بعدا حجاجيا أبينه فيما يلي:

الحسن بن علي: أما و الله كنت أمرتُكَ فعصيتني.

علي بن أبي طالب: و ما أمَرتني فيه فعصيتُك فيه؟ "سا5"

الحسن بن علي: أمرتك أن تركب رواحلك، فتلحق بمكة المشرفة، فلا تتهم به، و لا تحل شيئا من أمره، فعصيتني، و أمرتك حين دعيت إلى البيعة ألا تبسط يدك إلا على بيعة جماعة، فعصيتني، و أمرتك حين خالف عليك طلحة و الزبير ألا تكرههما على البيعة، و تخلي بينهما و بين وجههما، و تدع الناس يتشاورون عاما كاملا، فو الله لو تشاوروا عاما ما زويت عنك و لا وجدوا منك بدا، و أنا آمرك اليوم أن تقيلهما بيعتهما، و ترد إلى الناس أمرهم، فإن رفضوك رفضتهم، و إن قبلوك قبلتهم، فإني و الله قد رأيت الغدر في رؤوسهم و في وجوههم النكث و الكراهية.

يَستفهِم الإمام علي كرم الله وجهه عن الأمور التي نهاه عنها ابنه، و قد ظهر في مظهر الجاهل الطالب للعلم من الطرف المقابل، منتجا بواسطة صيغة السؤال "سا5" مقتضى مهِمًّا من الناحية الحجاجية " أنا لم أعْصِك في أي شيء".

"سا5" ←المقتضى: أنا لم أعصك في شيء

أما الجواب الذي يقدمه المخاطَب و الذي هو بمثابة رأي سياسي خاص بالتعامل مع الأوضاع السياسية التي آلت إليها الخلافة الإسلامية، فهو لا يقل أهمية من الناحية الحجاجية من السؤال، إذ أبرز بوضوح مواطن الاختلاف بين طرفي الحوار، معمقا بذلك المسافة بينهما و مضخما الهوة بين تضارب آرائهما.

3. السؤال البلاغي و بعده الحجاجي

ميز التداوليون بين أنواع عديدة من الأعمال المشتقة من الاستفهام و حرصوا على تصنيفها تصنيفا لم يكن فيه السؤال البلاغي سوى شكل مخصوص من أشكال خروج الاستفهام أو عدوله عن أصل معناه.

و عرفوه (الاستفهام البلاغي) بأنه الاستفهام الذي لا يحتاج فيه صاحبه إلى الإجابة لبداهتها و اتفقوا على أن هذا النوع من الأسئلة له قيمة الخبر نفيا أو إثباتا. فالسؤال البلاغي هو كل استفهام خرج عن أصل معناه مهما كانت المعاني التي خرج إليها و مهما كانت أسباب الخروج أو العدول[1] .

و يسمي "بلونتين" السؤال البلاغي الاستفهام الحجاجي أو السؤال الحجاجي الذي ليس استخبارا و طلب جواب بل هو وسيلة حجاج. و يكون هذا السؤال عوضا عن جملة خبرية تكون منفية أو مثبتة[2].

إن السؤال البلاغي يقوم على خرق شرط الاستفهام الأساسي و هو جهل المستفهِم بما يطلب فهمه، الأمر الذي يجعل السائل عالما بوقوع المطلوب نفيا أو إثباتا، ذلك أن السؤال ضرب من الإثبات غير المباشر.

كما يلعب السؤال البلاغي تقريبا دور الإخبار عن الإجابة التي تكون بديهية للمتكلم و المخاطَب معا.باعتبار أن وظيفة السؤال لا تتعدى التذكير الجواب نفسه و من هنا كان الإقرار بأن السؤال عن الشيء بلاغيا يوازي نفيه أو إثباته.

و فيما يلي بيان للقوة الإنجازية الاستلزامية للسؤال البلاغي و التي مدارها على معاني التقرير و الإنكار في الخطاب السياسي.

1.3 معنى التقرير و بعده الحجاجي

يأتي الاستفهام للتقرير عندما يراد به الدلالة على أن المستفهَم عنه واقع مستقر معلوم عند من يتجه إليهم الخطاب[3].

فالتقرير استفهام يقرِّرُ المخاطَب أي يطلب منه أن يكون مقرا، و أن يعترف بأمر قد استقر عنده؛ و هو عمل يعمله المتكلم في مرحلتين لا تقوم أولاهما دون أن تتبعها الثانية و لا تقوم الثانية دون

---

[1] ينظر بسمة بلحاج، السؤال البلاغي، ص12-13.

[2] ينظر عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص425.

[3] إبراهيم بن منصور التركي ، البحث البلاغي عند ابن تيمية، نادي القصيم الأدبي، المملكة العربية السعودية، ط1، 2000، ص111.

المرور بالأولى هما: التحقيق و التثبيت و الثانية هي حمل المخاطَب على الإقرار بما يعرفه و إلجاؤه إلى ذلك الإقرار و إلزامه إياه[1].

فأما التحقيق فالمراد به تحقيق النسبة و تثبيتها أي تثبيت المستفهَم عنه المعلوم، فلا يطمع المخاطَب في الإنكار.

و أما الحمل على الإقرار« فهو طلب إقرار المخاطب به مع كون السائل يعلم، فهو استفهام يقرر المخاطَب أي يطلب منه أن يكون مُقِرا به»[2].

إن المستفهِم إذا لم يكن جاهلا بما يطلب الإقرار به، فإن طلب الإقرار و الإلزام يتسع ليتجاوز الحمل على الإقرار بما يجهله المستفهِم إلى الحمل على الإقرار مطلقا، فيصرف الاستفهام عن المستفهَم أو عن المستفهَم عنه دون أن يفقد صفة الإلزام المتصلة. و بذلك يصبح المخاطَب ملزما لا بالإقرار أي بالجواب فحسب، بل ملزما بالإقرار بما يعلمه المستفهِم و يعمل على تثبيته و تحقيقه، أي بالجواب الذي أقره المستفهِم و سبقه إليه[3].

ينشأ عن عمل التقرير مقتضى له وظائف حجاجية أبينها من خلال النماذج الآتية:

يُقدم الحوار "حوَ31" نموذجا للسؤال البلاغي الذي يهدف إلى إقرار المخاطَب بالجواب المحدد حتى يثبت عليه المستفهِم الحجة:

برد: يا عمرو، إن أشياخنا سمعوا رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: {من كنت مولاه فعلي مولاه}[4]، فحق ذلك أم باطل.

عمرو بن العاص: حقّ، و أنا أزيدُك أنه ليس أحد من صحابة رسول الله له مناقب مثل مناقب علي.، ففزع الفتى فقال عمرو: إنه أفسدها بأمره في عثمان.

برد: هل أمر أو قتل؟

عمرو: لا، و لكنه آوى و منع.

برد: فهل بايعه الناس عليها؟

عمرو : نعم.

[1] ينظر السؤال البلاغي ، ص243 .

[2] ينظر السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ت خليل إبراهيم خليل،دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد الأول، (1-2)، ص548.

[3] ينظر السؤال البلاغي، ص145.

[4] أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج1، ص84.

برد: فما أخرجك من بيعته؟

عمرو: اتهامي إياه في عثمان.

برد: و أنت أيضا قد اتهمت.

عمرو بن العاص: صدقت فيها، خرجتُ إلى فلسطين.

بُنِي المسار الحجاجي الضمني في الحوار أعلاه انطلاقا من السؤال البلاغي، الذي استخدِم في صيغ مباشرة وغير مباشرة بطريقة ذكية من طرف المحاور " بُرد"[1] حتى يثبت الحجة على محاوِرِه.

لقد جعل "برد" من محاوره مُسهِما في إنتاج الحجة، يصنعها و يتقيد بها، حيث أقرَّ عمرو بن العاص بقول رسول الله صلى الله عليه و سلم و بمناقب "علي" الحميدة، و بأحقية بيعته، فكان إقراره بذلك بمثابة الحجة التي لزمته.

اصطنع "برد" السؤال بالأداة "هل" « التي تأتي تقريرا و إثباتا فتحمل على أنها "قد"»[2] مشكلا بذلك اللبنة الأولى في دفع المخاطَب إلى الاقتناع بما هو أهم و بما هو موضوع الخلاف حقيقة، و ما الإقرار الحاصل منه إلا حجة على خطِل رأيه و فساد معتقده. و يمثل هذا الإقرار: [مناقب "علي" الحميدة و أحقيته بالخلافة] المقتضى الناشىء عن عمل التقرير.

و هكذا أخذ "برد " الحجة من فيه خصمه، إذ رجع إلى قومه قائلا:« إنا أتينا قوما أخذنا الحجة عليهم من أفواههم. علي مع الحق فاتبعوه»[3] خاصة و أن أبلغ الحجج و أشدها إلزاما للخصم و أكثرها إفحاما له ما نطق به هو نفسه و ساهم في صنعها من خلال إجابته عن الاستفهام الموجه إليه.

و في خطاب وجهه "عثمان بن عفان" إلى المعارضة السياسية من أعلى قصره، يتكىء الخطيب السياسي على السؤال البلاغي حتى يُنجِح خطابه الحجاجي: « يا معشر المسلمين أذكركم الله، ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه و سلم طلب دار بني فلان، ليوسع بها للمسلمين في مسجدهم، فاشتريتها من خالص مالي. و أنتم اليوم تمنعونني أن أصلي فيه.أذكركم الله يا معشر المسلمين. ألستم تعلمون أن بئر رومة كانت تباع القربة منها بدرهم، فاشتريتها من

---

[1] رجل من همذان قدم على معاوية، فسمع عمرا يقع في علي.

[2] السبكي ، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ص550.

[3] الإمامة و السياسة، ص91.

خالص مالي، فجعلت رشائي كرشاء واحد من المسلمين، و أنتم تمنعونني أن أشرب من مائها، و أنا اشتريتها، حتى إني ما أفطر إلا على ماء البحر؟ ألستم تعلمون أنكم نقمتم على أشياء فاستغفرت الله و تبت إليها منها...»" خَ2"

إن لجوء الخطيب السياسي إلى الاستفهام رغم علمه بثبوت مطلوبه هو شكل من أشكال الإلزام ، إلزام بالجواب و الإقرار بما عمل على تحقيقه و تثبيته.

إن القضايا التي يدفع المتكلم إلى الإقرار بها في التراكيب الاستفهامية في الخطاب "خَ2" مما يقر به المخاطَب / المعارضة السياسية و لا يرى الصواب في غيرها ذلك أنها ليست من القضايا الغريبة عنه و لا هو بمنكر إياها أصلا، فهي من قبيل المشهورات التي يقر الناس/ المعارضة السياسية بحقيقتها و يجمعون عليها، كما أنها من القضايا التي يؤمن المخاطَب بمحتواها و يعتقده و لا يسعه إلا الاعتراف به .

فالسؤال في الخطاب السياسي أعلاه ليس مقصودا لذاته، لأن المستفهِم لا يحتاج في الحقيقة إلى إجابة المخاطَب و لا هو منتظر له، وإنما وَظَّف السؤال حتى يكون مثبِّتا لذلك الجواب المفترَض محمِّلا بذلك مسؤولية الإثبات لمخاطبه

فالمقتضيات الناشئة من التراكيب الاستفهامية و الممثلة على التوالي في:

-[عثمان اشترى الدار ليوسع بها المسجد للمسلمين/ المعارضة تمنع عثمان من الصلاة في المسجد]

-[عثمان اشترى بئر رومة من خالص ماله/ المعارضة تمنع عثمان من الشرب من البئر]

-[عثمان استغفر و تاب من كل ذنب/ المعارضة تعلم أن عثمان تاب من كل ذنب]

تعمل على تحصيل الإقرار من المخاطَب لتتحول في سياق الخطاب إلى حجج تستميل المخاطَب و تعمل على إقناعه و التأثير فيه حتى يعود عن رأيه "حصار الخليفة".

هذا و قد استعان "الحجاج بن عدي الأنصاري" بالمقتضيات الناشئة عن عمل التقرير حتى يثبت الحجة و يظفر بالنتيجة المتوخاة في خطبته التي ألقاها على أهل الشام، و التي يطلب فيها البيعة لعلي كرم الله وجهه:

« يا أهل الشام، إن أمر عثمان أشكل على من حضره، المخبر عنه كالأعمى، و السميع كالأصم، عابه قوم فقتلوه و غدره قوم فلم ينصروه، فكذبوا الغائب و اتهموا الشاهد، و قد بايع الناس عليا على منبر رسول الله صلى الله عليه و سلم بيعة عامة، من رغب عنها رد إليها صاغرا داحرا،

فانظروا في ثلاث و ثلاث، ثم اقضوا على أنفسكم : **أين الشام من الحجاز**؟ و **أين معاوية من علي**؟ و **أين أنتم من المهاجرين و الأنصار و التابعين لهم بالإحسان** ؟ » "خ12"

إن المقصود بالتراكيب الاستفهامية هو دعوة المخاطَب إلى التفكير فيما يسأل عنه، و تنبيهه إلى السؤال الذي كان يفترض أن يطرحه هو على نفسه، ومن ثم يكون للسؤال بعد حجاجي هو محاصرة المخاطَب و إلزامه بإجابة واحدة هي الإقرار بالمقتضيات الناشئة.

إن "الحجاج بن عدي الأنصاري" إذ يتلفظ بالقول إنما هو يعيِّن لمخاطبه سؤالا كان يجب أن يطرحه على نفسه، فلا يجد المخاطَب بذلك أية فرصة لمخالفته فيما عمل على تثبيته و إقراره. بل يُثبِت و يُقِر هو أيضا بالقضية التي يدفع المخاطب إلى الإقرار بها، فتغدو المقتضيات الناشئة عن التراكيب الاستفهامية حججا مقنعة مؤدية إلى نتيجة مفادها "بايعوا عليا":



- [الشام خير من الحجاز]
- [علي خير من معاوية]
- [المهاجرون و الأنصار و التابعون
لهم بإحسان خير من أهل الشام]

كما أسهم السؤال البلاغي في إنتاج الحجج/ المقتضيات و تثبيتها و حمل المخاطَب على الإقرار بها، في الحوار "حو61" الذي عقده الخليفة "عمر بن عبد العزيز" و عناصر المعارضة السياسية الممثلة في حزب الخوارج:

عمر بن عبد العزيز: ما الذي أخرجكما علينا؟

الخارجي[1] : أما إنا لم ننكر عليك عدلك و سيرتك، و لكن بيننا و بينك أمر، هو الذي يجمع و يفرق بيننا، فإن أعطيتناه فنحن منك و أنت منا، و إن لم تعطنا فلسنا منك و لست منا .

عمر بن عبد العزيز: فما هو؟

الخارجي: خالفت أهل بيتك، و سميتهم الظلمة، و سميت أعمالهم المظالم، فإن زعمت أنك على حق وأنهم على الباطل، فالعنهم و تبرأ منهم.

عمر بن عبد العزيز: إنكم لم تتركوا الأهل و العشائر و تعرضتم للقتال إلا و أنتم في أنفسكم مصيبون، و لكنكم أخطأتم و ضللتم و تركتم الحق. أخبراني عن الدين: واحد أو اثنان.

الخارجيان: لا بل واحد.

---

[1] في تاريخ الطبري أحد الرجلين ممزوج مولى بن شيبان، و الآخر من صليبة بني يشكر.

عمر بن عبد العزيز: أفيسعكم في دينكم شيء يعجز عني؟

الخارجيان: لا.

عمر بن عبد العزيز: فأخبراني عن أبي بكر و عمر ما حالهما عندكم؟

الخارجيان: أفضل الناس أبو بكر و عمر.

عمر بن عبد العزيز: ألستما تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما توفي ارتدت العرب، فقاتلهم أبو بكر، فقتل الرجال، و سبي النساء و الذرية؟

الخارجيان: بلى.

عمر بن عبد العزيز: فلما توفي أبو بكر و قام عمر، و رد تلك النساء و الذراري إلى عشائرهما، فهل تبرأ من أبي بكر، و لعنه بخلافه إياه؟

الخارجيان: لا.

عمر بن عبد العزيز: فتتولونهما على خلاف سيرتهما.

الخارجيان: نعم

عمر بن عبد العزيز: فما تقولان في بلال بن مرداس؟

الخارجيان: من خير أسلافنا.

عمر بن عبد العزيز: أفليس قد علمتم أنه لم يزل كافا عن الدماء و الأموال و قد لطخ أصحابه أيديهم فيه، فهل تبرأت إحدى الطائفتين من الأخرى، أو لعنت إحداهما الأخرى؟

الخارجيان: لا.

عمر بن عبد العزيز: فتتولونهما على خلاف سيرتهما.

الخارجيان: نعم.

عمر بن عبد العزيز: أخبراني عن عبد الله بن وهب حين خرج بأصحابه من البصرة يريدون أصحابهم، فمروا بعبد الله بن خباب فقتلوه، و بقروا بطن جاريته، ثم عدوا على قوم من بني قطيفة، فقتلوا الرجال، و أخذوا الأموال و غلوا الأطفال في المراجل، ثم قدموا على أصحابهم من الكوفة و هم كافون عن الدماء و الفروج و الأموال، هل تبرأت إحدى الطائفتين من الأخرى، أو لعنت إحداهما الأخرى؟

الخارجيان: لا.

عمر بن عبد العزيز: فتتولونهما على خلاف سيرتهما.

الخارجيان: نعم

عمر بن عبد العزيز: فهؤلاء الذين اختلفوا بينهم في السيرة و الأحكام لم يتبرأ بعضهم من بعض، و لا لعن بعضهم بعضا، و أنتم تتولونهم على خلاف سيرتهم، فهل وسعكم في دينكم ذلك ، ولا يسعني حين خالفت أهل بيتي في الأحكام و السيرة حتى ألعنهم و أتبرأ منهم؟ أخبراني عن اللعن: فرض على العباد؟

الخارجيان: نعم.

عمر بن عبد العزيز: متى عهدك بلعن فرعون؟

الخارجي: مالي به من عهد منذ زمان.

عمر بن عبد العزيز: هذا رأس من رؤوس الكفار ليس لك عهد بلعنه منذ زمان، و أنا لا يسعني أن ألعن من خالفتهم من أهل بيتي، ألستم أنتم الذين تؤمنون من كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يخيفه، و تخيفون من كان رسول الله "ص" يؤمنه؟

الخارجيان: نبرأ إلى الله تعالى من هذه الصفة.

عمر بن عبد العزيز: بلى، فسأخبركما عن ذلك، ألستما تعلمان أن رسول الله "ص" خرج و الناس أهل كفر، فدعاهم أن يقروا بالله و رسوله، فمن أبى قاتله و خوفه، و من أقر بهما أمنه و كف عنه، و أنتم اليوم من مر بكم اليوم يقر بهما قتلتموه، و من لم يقر بهما أمنتموه و خليتم سبيله.

الخارجي العربي: تالله ما رأيت حجيجا أقرب مأخذا، و لا أوضح منهاجا منك، أشهد أنك على الحق و أنا على الباطل.

الخارجي الآخر: لقد قلت قولا حسنا، و ما كنت لأفتات على أصحابي حتى ألقاهم.

بدأ الخليفة مناظرته بعرض الأسئلة و هو طرح ينم عن الاعتراف بالخصم و التسليم بوجود الاختلاف و الرغبة في الوصول إلى اتفاق و تفاهم، فضلا على إشعاره بالأمان و من ثم استخراج الحق .

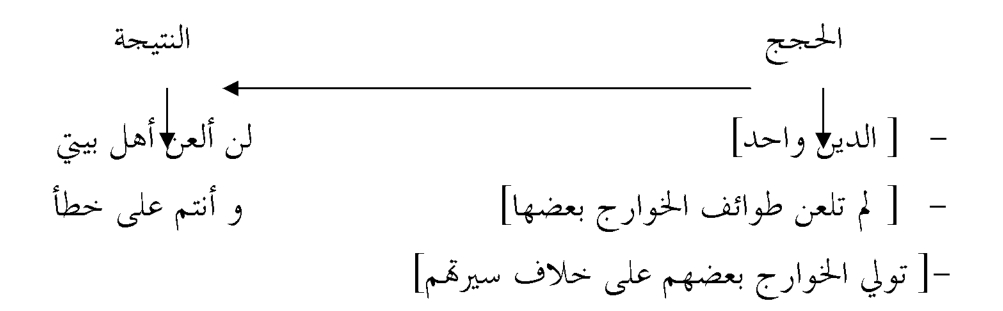
لقد عرض الخليفة من خلال الأسئلة احتمالات و جزيئات يريد تفسيرا لها [سبب الخروج على الخليفة، أحادية الدين أو تعدده، رأيهما في بلال بن مرداس، لعن فرعون...] مما أشعر الخصم بالثقة فقاده ذلك شيئا فشيئا إلى الوقوع في التناقض.

إن استخدام الاستفهام في هذه المناظرة لم يكن إلا شكلا ذكيا لتفكيك منهج التفكير عند الخصم مما أدى إلى هزيمته، إنه شكل من أشكال الحجاج لم يرم إلى الدفاع عن قضية تبناها السائل بقدر ما هدف إلى إظهار خطأ تلك التي تبناها المسؤول[1].ذلك أن الخليفة و هو يطرح الأسئلة لا تغيب عنه الأجوبة المرتقبة، فالجواب حاضر باستمرار.

لقد أدت التراكيب الاستفهامية إلى إنتاج المقتضيات / الحجج التي وجهت الحوار الوجهة التي أرادها الخليفة المحنك فغدا بذلك المخاطَب مجرد مقربِها ، مبارك لما حققه المتكلم و متجاوبا معه. و بذلك تحققت النتيجة المتوخاة "إقناع الخصم":

---

[1] ينظر المناظرة في الأدب العربي ، ص157.



2.3 معنى الإنكار و بعده الحجاجي

ذهب العرب إلى أن المعنى في الإنكار «على النفي و ما بعده منفي»[1]، فجعلوه بذلك مقابلا للتقرير الذي يكون المعنى فيه للإثبات، أما علاقة الاستفهام بالإنكار ففسروها بما يلي: « و العلاقة أن المستفهم عنه مجهول و المجهول منكر أي منفي عن العلم فاستعمل لفظ الاستفهام في الإنكار بهذه الملابسة المصححة للمجاز الإرسالي بمعونة القرائن الحالية»[2].

إن الاستفهام حسب هذا التحليل مقتضى للنفي، باعتبار أن المستفهم و إن بدا طالبا لإثبات وقوع النسبة أو نفيها، فإن استفهامه ذاته يوجب جهله و الجهل يوجب نفي العلم مطلقا، و هذا ما يجعل إطلاق دلالة الاستفهام على النفي أمرا ممكنا، و يجعل تقييده بأمر منفي جائزا[3].

أما ديكرو فقد سعى في مقال له عني فيه بالبحث في قيمة السؤال الحجاجية إلى إثبات أن الاستفهام يحمل في ذاته أصلا قيمة النفي، و استند في البرهنة على ذلك إلى مفهوم تعدد الأصوات، و بيَّن أن عمل الاستفهام يشمل ثلاثة عناصر دلالية تداولية هي [4]:

- **إثبات مسبق للقضية:** و يعني بذلك أن المتكلم إذ يطرح سؤالا ما على نحو: هل جاء زيد؟ فإنه في الآن نفسه يحضر صوت المتلفظ الذي أثبت أو يثبت أو يمكن أن يثبت القضية.

و أكد ديكرو أن الاستفهام يشترك في ذلك مع النفي باعتبار أن منجز عمل النفي هو في الحقيقة ناف لقضي مثبتة من متلفظ آخر يختلف عن المتكلم النافي.

---

[1] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص79.

[2] ابن يعقوب المغربي، مواهب المفتاح في شرح تلخيص المفتاح، دار السرور، بيروت، دت، دط،، ص296.

[3] ينظر بسمة بلحاج، السؤال البلاغي، ص247 .

[4] Ducrot et Anscombre, Interrogation et argumentation,p19-17-18-20
نقلا عن السؤال البلاغي، ص247.

- **الإفصاح عن الشك**: و يعني بذلك أن المتكلم إذ يستفهم إنما هو يفصح عن شكه في حقيقة القضية المثبتة سلفا، و الشك في قضية ما هو بصفة عامة نزوع إلى نفيها رغم أن إمكانيتي نفي المشكوك فيه و إثباته تبقيان منطقيا قائمتين.

-**الإلزام بالاختيار بين القضية و نفي القضية**: و يعني بذلك أن التلفظ بالسؤال ذاته هو الذي يخلق الإلزام بالجواب، لذا فإن هذا الإلزام باختيار جواب من قبيل "القضية" أو نفيها ينشأ داخل الخطاب وبه.

إن ما يؤكد أن قيمة الاستفهام هي النفي دون الإثبات حسب ديكرو هو أن المثبت للقضية يختلف لا محالة عن المفصح عن شكه في حقيقتها، سواء أكان ذلك المثبت شخصا آخر أم المتكلم نفسه في لحظة أخرى غير لحظة الاستفهام.لأن الشخص نفسه لا يمكن أن يكون في اللحظة ذاتها مثبتا لأمر شاكا فيه معا.ثم إن العنصر الموجب أي إثبات القضية هو نتيجة عمل إخبار في حين أن العنصر السالب هو نتيجة عمل إفصاح، إذ المستفهم لا يخبر عن شكه بل ينجزه لحظة تلفظه[1].

لقد فسر علماء اللغة العرب خروج الاستفهام إلى الإنكار باستلزامه أصلا للجهل و كون الشيء مجهولا يعني أنه منفي عن العلم.أما ديكرو فقد برهن على قيمة النفي تلك بأن الشك في شيء يعتبر بصفة عامة كأنه اتجاه إلى نفيه، و بذلك يكون استلزام الاستفهام للجهل أو الشك الموجبين لنفي العلم هو المبرر لاكتسابه قيمة النفي أصلا[2].

هذا و قد حقق معنى الإنكار قوة إنجازية استلزامية في الخطاب السياسي أبينها فيما يلي:

1.2.3إنكار التوبيخ

لقد عمد المتكلم السياسي في خطابه إلى استعمال السؤال البلاغي قاصدا به توبيخ مخاطبه و يقتضي الإنكار التوبيخي أن ما بعده واقع و لكنه قبيح و ما كان ينبغي أن يكون، و فاعله ملوم عليه، يقول الجرجاني « و اعلم أن الهمزة فيما ذكرنا تقرير بفعل قد كان و إنكار له لما كان و توبيخ لفاعله عليه»[3].

[1] ينظر بسمة بلحاج، السؤال البلاغي، ص247.

[2] المرجع نفسه، ص248.

[3] دلائل الإعجاز، ص141.

و تحقق المقتضيات الناشئة عن الاستفهام الإنكاري التوبيخي وظائف حجاجية أبينها من خلال أنماط الحوار السياسي الآتية:

لما نزلت "عائشة أم المؤمنين" على البصرة أقبل عليها "عمران بن الحصين" صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم و "أبو الأسود الدؤلي" فدخلا عليها فقالا: يا أم المؤمنين، ما هذا المسير؟(سا1) أمعك من رسول الله به عهد (سا2) ؟ قالت قتل عثمان مظلوما، غضبنا لكم من السوط و العصا، و لا نغضب لعثمان من المقتل؟ فقال أبو الأسود: وما أنتِ من عصانا و سيفنا وسوطنا؟ (سا3) "حو14"

إن "عمران بن الحصين" و "أبا الأسود الدؤلي" يُنكِرَان على عائشة رضي الله عنها "فعل المسير والخروج إلى البصرة" و هو إنكار أرادا به التوبيخ، و المنكَر "فعل المسير" أمرٌ يُنكِره الشرعُ و العُرف في رأيهما.

إن الغرض الإنجازي "الإنكار التوبيخي" الناشىء عن الأسئلة البلاغية في الحوار أعلاه توضحه المقتضيات الناشئة ذات البعد الحجاجي:

سا1 ←——— المقتضى: ما كان ينبغي عليك الخروج من بيتك و المسير إلى البصرة.

سا2 ←——— المقتضى: ليس لك من رسول الله عهد بهذا الأمر.

سا3 ←——— المقتضى: ليس لك علاقة بالأمور السياسية.

إن المحاوِرين ينكران الأمر/ المقتضيات على المخاطَب "عائشة رضي الله عنها"، و يثبتان في الوقت نفسه نفي الإنبغاء، كما يحملانه على الإقرار بهذا النفي، حتى أنها إذا أقرت بذلك يتحقق أثر التوبيخ و هذا الأثر هو ما عبر عنه الجرجاني بالخجل و الارتداع.

كما يبين السؤال البلاغي في الحوار"حو23" القائم بين "الأشعث" و ثقاته مدى إنكار هذا الأخير أمر لحوق "الأشعث" ب"معاوية" و توبيخهم إياه، منفيا بذلك أمر الإنبغاء. و ينطوي هذا الغرض الإنجازي "الإنكار التوبيخي" على علاقة جدلية بين الأشعث و ثقاته:

الأشعث: إن كتاب علي جاءني، و قد أوحشني، و هو آخذي بمال أذربيجان و أنا لاحق بمعاوية.

القوم: الموت خير لك من ذلك، أتدع مصرك و جماعة قومك، و تكون ذنبا لأهل الشام؟(سا4)

إن المقتضى الناشىء عن السؤال البلاغي (سا4) و المتمثل في:" لا ينبغي لك أن تلحق بمعاوية" ينطوي على علاقة جدلية بين الأشعث و ثقاته، و وضع القضية موضع المستفهَم عنه هو

على سبيل إنكارها أي تثبيت انتفائها تثبيتا لا يبقى بعده مجال لنقضه. فضلا على توبيخ المخاطَب بالأمر الذي أراده.

ومن الأسئلة البلاغية التي كان غرضها الإنجازي "الإنكار التوبيخي" سؤال أسماء بنت أبي بكر الصديق للحجاج بن يوسف الثقفي:

الحجاج بن يوسف: كيف رأيت ما فعل الله تعالى بابنك، عدو الله؟ الشاق لعصا المسلمين، المفني لعباده و المشتت لكلمة أمة نبيه؟

أسماء بنت أبي بكر: رأيته اختار قتالك، فاختار الله ما عنده، إذ كان إكرامه خيرا من إكرامك. و لكن يا حجاج بلغني أنك تنتقصني بنطاقيّ هذين. أو تدري ما نطاقاي؟ (سا5) أما النطاق هذا فشددت به سفرة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أما النطاق الآخر، فأوثقت به خطام بعيره، فقال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم:" أما إن لك به نطاقين في الجنة"، فانتقص علي بعد هذا أو دع ولكن لا أخالك يا حجاج، أبشر فإني سمعت رسول الله يقول " منافق ثقيف يملأ الله به زاوية من زوايا جهنم، يبيد الخلق، و يقذف الكعبة بأحجارها، ألا لعنة الله عليه»[1]

ينطوي المقتضى الناشىء عن صيغة السؤال (سا5) " ما كان ينبغي لك أن تنتقص من نطاقي" قصدا حجاجيا يتمثل في إضعاف موقف الخصم "الحجاج بن يوسف" معنويا، بالتنبيه على أنه لا حجة له في سلوكه ذاك، منكرا عليه، مثبتا انتفاءها،خاصة بعد أن أوردت الحجج الأخرى ممثلة في أقوال الرسول صلى الله عليه و سلم و التي هي بمثابة حجج السلطة. ومن ثم أفحم الحجاج و لم يحر جوابا.

2.2.3 إنكار التكذيب

يختلف إنكار التكذيب عن إنكار التوبيخ في أن المنكر في التكذيب هو أمر غير واقع و لذلك سمي إنكار إبطال بمعنى أن المستفهم يبطل وقوع النسبة أي ينفيه[2].

و لقد تحقق هذا الغرض الإنجازي من خلال المقتضى الناشىء عن صيغة السؤالين (سا1،سا2) في الحوار الآتي:

لما نزل "طلحة" و "الزبير" و "عائشة" بأوطاس من أرض خيبر، أقبل عليهم "سعيد ابن العاص" على نجيب له، فأشرف على الناس، و معه المغيرة بن شعبة، فنزل و توكأ على قوس له سوداء، فأتى "عائشة" فقال لها: أين تريدين يا أم المؤمنين؟ قالت: أريد البصرة، قال: و ما

[1] الإمامة و السياسة، ص213.

[2] وليد قصاب، البلاغة العربية، علم المعاني، دار القلم، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1998، ص66 .

تصنعين بالبصرة؟ (سا1) قالت أطلب بدم عثمان: فقال فهؤلاء قتلة عثمان معك. ثم أقبل على مروان، قال و أنت أين تريد أيضا؟ قال: البصرة. قال: و ما تصنع بها (سا2) ؟ قال: أطلب قتلة عثمان، قال: فهؤلاء قتلة عثمان معك، إن هذين الرجلين قتلا عثمان" طلحة و الزبير" و هما يريدان الأمر لأنفسهما."حو12"

لقد اتكأ المحاور "سعيد بن العاصي" على الضمني المتخفي وراء السؤالين البلاغيين (سا1، سا2) و الممثل في: "أنتما لا تطلبان دم عثمان و ما تدعونه كذب و إنما قولكما ليس إلا حجة للوصول إلى أغراضكما" ليحقق غايته، و المتمثلة في أن يعيا محاوره بالجواب فيجعله ناطقا بما يعتقده هو، ليصبح اعتقاده ذاك.

(سا1-سا2) ← المقتضى: حجتكما كاذبة.

الفصل الرابع

القول المضمر و وظيفته الحجاجية في الخطاب السياسي

تمهيد

لم يلجأ المخاطِب السياسي إلى الصريح من القول في تواصله مع متلقيه، بل عمد في كثير من الأحيان إلى استخدام المعنى الضمني في مختلف أشكال التواصل السياسي،حتى يوجهه (السامع، القارئ) إلى التفكير في الشيء غير المصرح به.

و يعد القول المضمر أحد أنواع الضمني التي سعى المتكلم السياسي إلى توظيفها و عمد إلى استخدامها حسب ظروف الخطاب لإحداث التأثير و الإقناع، و هو يحتوي كل الأخبار القابلة لأن تكون محمولة بواسطة الملفوظ المعطى.

و أرى أنها (المعلومات و الأخبار) تكون محمولة أيضا بواسطة شكل آخر من أنساق التواصل غير اللغوي، هذه الأنساق هي بمثابة بلاغات غير لفظية مصاحبة للفظ مكملة له يعتمدها المتكلم للإقناع و التاثير.

فلكي يتم الإقناع و التأثير انتقى المخاطِب السياسي الحجج اللازمة (أقوال مضمرة) لتحقيق الغاية المتوخاة، وهذه الحجج هي عناصر دلالية معطاة في أشكال مختلفة :لفظية و غير لفظية؛ إنها محتويات ضمنية تداولية، أي استنباطات مستخرجة من [المقام] من قبل المتلفظ المشارك [المتلقي] بفضل استدلال عفوي إن قليلا أو كثيرا ، يعتمد على مبادىء (قوانين الخطاب) تحكم النشاط الخطابي.

و يتميز هذا القول المضمر بثلاث خصائص هي: وجوده مرتبط بسياق معين [المقام]، و يفك بفضل حساب يجريه المتلفظ المشارك [المتلقي]، و يمكن أن يرفضه المتلفظ [المتكلم] و يحتمي وراء المعنى الحقيقي[1].

و قد رأينا في الفصل الخامس من الباب الأول كيف أن "ديكرو" قد ألح على ضرورة إدماج عنصر المقام كمساعد في فك شفرة القول المضمر من الملفوظ. ذلك أن المقام و السياق زوجان لابد منهما لإدراك القول المضمر المقصود من الملفوظ؛ لأن اللفظ كما يقول القدامى إنما ينتج لمقتضى الحال ،و هو بذلك يعد العنصر المقامي صاحب مناب في تحديد المعنى.

[1] ينظر دومينيك مونقانو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ت محمد يحياتن، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط1 ، 2005، ص 109

و أرى أيضا أن فك شفرة القول المضمر من "البلاغات غير اللفظية" يجب أن يعود أيضا إلى إدماج عنصر المقام ، و أنه يتم عبر سيرورة خطابية و ضرب من الاستدلال. و أن المتلقي هو المسؤول عن اكتشافه (الضمني/ القول المضمر).

و فيما يلي بيان لأهم البلاغات اللفظية ممثلة في الصورة البيانية، و غير اللفظية ممثلة في السلوك الحركي و بعض الإشاريات في الخطاب السياسي، التي اتكأ المخاطِب السياسي على القول المضمر (الحجج) الناشيء عنها لدفع متلقيه إلى الاقتناع بما يقدمه له.

أولا: البيان المجازي و وظائفه الحجاجية

يسعى المخاطِب السياسي إلى تضمين الخطاب دلالات غير حرفية، تضمن له التأثير و الإقناع، و ذلك عن طريق استعمال المجاز الذي يعد طريقة من طرائق إثبات المعنى و إقامة دليل عليه. و المجاز يُعوِّض الحقيقة (تصوير المعنى و تقديمه تقديما حسيا) دون أن ينتج عن عملية التعويض هذه تغيير في المعنى الحقيقي[1].

فالمجاز يقوم على مبدأ التعويض / الاستبدال[2]، و يعد هذا الأخير انتهاكا لجميع قواعد المحادثة التي حددها "جرايس" "قاعدة النوع: ليكن إسهامك في الحديث صادقا ، قاعدة الكم: ليكن إسهامك في الحديث إخباريا أكثر ما يمكن بحسب ما تتطلبه وضعية المحادثة، قاعدة الطريقة: كن واضحا، قاعدة المناسبة: ليكن إسهامك مناسبا لموضوع المحادثة" بحيث يجد المتلقي نفسه إزاء استلزام [مجموعة من الاستنتاجات المتتالية]، و يدرك بذلك أن المخاطِب يقصد شيئا آخر.

و قد قدَّم "سيرل" هذا المبدأ (الاستبدال) عند طرحه لمفهوم الدلالة غير الحرفية في نظريته، محددا بذلك الحالة العامة للتلفظ [المجازي] الاستعاري:

« يُعبِّر متكلم عن القضية (أ هي ب) باستعمال مقول بديل (أ هي ج) و على الرغم من القرابة بين (ب) و (ج) فالحاصل هو التنافر بين دلالة الملفوظ [الدلالة الحرفية] و دلالة التلفظ [الدلالة غير الحرفية]. و على السامع القيام باستدلالات لاستيعاب المقصدية »[3].

---

[1] ينظر الحجاج في القرآن، ص459.

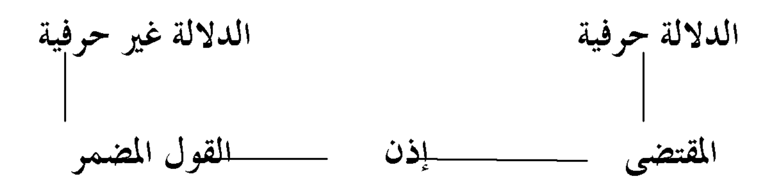
[2] يرى بعض الدارسين المحدثين أن منشأ المجاز هو التفاعل بين عنصرين لغويين متجاورين و ليس الاستبدال، فهو عدول نسقي لا جدولي.

[3] ينظر عبد الرحيم العماري، نسق التواصل بالمغرب المعاصر، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2001.

ينشأ عن هذا المبدأ الاستبدالي الوظيفة الاستدلالية / الحجاجية للمجاز و المتمثلة في تجسيد المعاني و جعلها مرئية مشاهدة و جعل حضورها في ذهن المتلقي أقوى و وقعها عليه أشد و أثرها فيه أعمق[1].

إن المجاز كلام نصفه -و هو المصرح به- من صنع المخاطِب ، و نصفه و هو الضمني [بؤرة الحجاج] من صنع المتلقي، هذا الأخير يضطر إلى استنتاجه (الضمني) بنفسه بواسطة مجهوده التأويلي، فلا يستطيع رده و من ثم لا يمكنه إنكار ما عرضه عليه المخاطِب.

و يمثل المجاز في الخطاب السياسي الأنواع البلاغية الآتية: الاستعارة (التصريحية، المكنية التمثيلية)، الكناية، وهي ملفوظات تُورِّط المتلقي في إنتاج الدلالة بواسطة المقام الذي يُلقى فيها و تحمله على استخراج المعنى الضمني و مواصلة منطق الحوار في الاتجاه الذي يفرضه المتكلم بوساطة أداة الربط و الاستنتاج "**إذن**"[2]، حسب ما يبينه الرسم التخطيطي الآتي:



و فيما يلي تحليل لأهم الطرائق التي حصل بها تأثير المجاز في متلقي الخطاب، و بيان للمسار الحجاجي (الاستدلالي) للقول المضمر الناشيء من الأنواع البلاغية المذكورة سابقا:

1. حجاجية الاستعارة التصريحية و المكنية

إن الاستعارة عملية ذهنية، تقوم على التقريب بين موضوعين أو وضعين، و ذلك بالنظر إلى أحدهما من خلال الآخر. ويسوغ التقريب بواسطة ملاحظة علاقة ذات طبيعة حوارية و تشبيهية .وتنتج وتدرك الاستعارة من خلال السمات المشتركة و السمات الخلافية ، حيث يتأسس التفاعل بين الطرفين الذي يؤدي إلى وحدتهما وبالتالي رفض دخول الأداة[3].

---

[1] ينظر الحجاج في القرآن، ص492

[2] المرجع نفسه، ص557

[3] عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، مقاربة معرفية، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2001، ص90.

و تكتسب الاستعارة تداوليتها من التأثير الذي تحدثه في المتلقي في سياق معين، حتى و إن صدرت عن موقف المتكلم و موقعه و موضعه الاجتماعي و انتمائه الإيديولوجي، فهي تفضي بالمتلقي إلى الوعي و الحصول على التجربة المعدلة للسلوك و المحاولة من الانفعال إلى الفعل[1].

و تعد هذه الصورة البيانية (الاستعارة) أهم الحجج التي اعتمدها المخاطب السياسي لإمداد الخطاب بقوة التأثير و الإقناع، جاء في كتاب الخليفة "عثمان بن عثمان" رضي الله عنه إلى أهل الشام عامة و إلى معاوية و أهل دمشق خاصة، يستنجدهم لنصرته و فك الحصار عنه: « أما بعد فإني في قوم طال فيهم مقامي، و استعجلوا القدر في، و قد خيروني بين أن يحملوني على شارف من الإبل إلى دحل و بين أن **أنزع لهم رداء الله الذي كسانيٍ...**»[2]

فحتى يحقق الخليفة الشهيد التأثير في نفوس متلقيه، يقدم لهم خيارات الثوار له، بين الموت أو العزل من المنصب/ الخلع، هذا الأخير الذي عبر عنه في صورة استعارية " **أنزع رداء الله الذي كساني**".

لقد عبر الخليفة "عثمان بن عثمان" رضي الله عنه عن منصب الخلافة / الإمامة بالرداء وشبه الخلع و العزل عن هذا المنصب بترع الرداء و خلعه. و هي استعارة تصريحية حذف أحد أركانها وهو المشبه "الخلافة". إذ شبه مزاولة الحكم بلبس الرداء أو القميص و أسند هذا الرداء لله تعالى مستندا في ذلك إلى حجة السلطة؛ و هي قوله صلى الله عليه و سلم: { يا عثمان **إن الله تعالى سيقمصك قميصا بعدي** ، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني}[3].

---

[1] محمد سويرتي، اللغة ودلالتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، عالم الفكر،الكويت، مج 28، ع3، 2000،ص41-42.

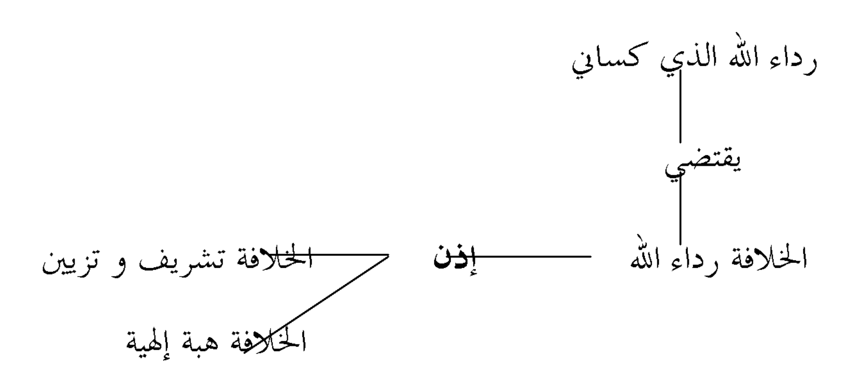
[2] الإمامة و السياسة، ص35.

[3] أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، الميمنية، ج6، ص86 و أخرجه الترميذي باللفظ الآتي:« عن عائشة قالت، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : {يا عثمان إن ولاك الله هذا الأمر يوما فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمصك الله فلا تخلعه}. يقول ذلك ثلاث مرات» ابن ماجة ،صحيح سنن ابن ماجة، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع، مجلد 1، الرياض، ط1، 1997، ص55. و جاء في موسوعة الحافظ ابن حجر العسقلاني عن عائشة أنه صلى الله عليه و سلم قال: {يا عثمان إنه لعل الله يقمصك قميصا، فإذا أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم}، رواه الترميذي عن عائشة و قال حسن غريب و صححه ابن حبان من هذا الوجه، و أخرجه الحاكم من وجه آخر عن عائشة ضعيف" موسوعة الحافظ=

وقمصه تقميصا: ألبسه قميصا، فتقمص هو ، أي لبسه. و يستعار فيقال: تقمص الإمارة، وتقمص الولاية، وتقمص لباس العز.

و معنى الحديث أن الله سيلبسك لباس الخلافة، أي يشرفك بها ويزينك كما يشرف ويزين المخلوع عليه بخلعته[1].

لقد تحولت الخلافة إلى قميص يقمصه الله لمن يشاء. وأصبحت (الخلافة) بذلك هبة ربانية لا اختيارات إنسانية، و هو الضمني الذي عول عليه المتكلم " الخليفة المحاصر" في إقناع معارضيه فضلا عن أنصاره، و كان تقرير هذا المبدأ بمثابة إلغاء للفارق الديني و الدنيوي من جهة و تحويل للسلطة السياسية إلى نص إلهي[2] .



إن استنتاج المتلقي سواء أكان معارضا أم مناصرا أن الخلافة هبة إلهية (و هو القول المضمر) سوف يمنعه من الاحتجاج ضد الخليفة ومن ثم يسحب شروطه. و يتأهب المناصر للدفاع عنه. بعد أن يقتنعا أن الخلافة هي مسألة ترد إلى القضاء الإلهي لا إلى اختيار الإنسان. و أن التنازل عنها (الخلافة) حسب رأي الخليفة هو تَبــرُء من جنة الله و خلافته. قال الخليفة الإمام من أعلى قصره: «... و قد علمت أنهم يريدون بذلك نفسي و أما أن أتبرأ من الأمر، فإن يصلبوني أحب إلي من أن أتبرأ من جنة الله و خلافته بعد قول رسول الله صلى الله عليه و سلم

= ابن حجر العسقلاني الحديثية، جمع و إعداد وليد أحمد الحسن الزبيدي و آخرون،سلسلة إصدارات الحكمة، بيرطانيا، مجلد 6، ط1، 2002، ص328.

[1] ينظر لسان العرب، مادة قمص.

[2] ينظر نصر حامد أبو زيد، الخطاب و التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2000، ص 131.

لي: يا عثمان **إن الله تعالى سيقمصك قميصا بعدي** ، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني...»[1] .

لقد أعلن الخليفة إذن مبدأ الحكم الثيوقراطي. مغيرا بذلك المقاييس التي يعتمدها المخاطَب في تقويم الواقع و السلوك.

و من الاستعارات الحجاجية الموظفة لتحريك همة المخاطَب إلى الاقتناع، مخاطبة "عقيل ابن أبي طالب" عبد الله بن أبي سرح و أربعين راكبا من الطلقاء و هم لاحقون بمعاوية: « أبمعاوية تلحقون؟ عداوة و الله إنها منكم ظاهرة غير مستنكرة، تريدون بها **إطفاء نور الله** و تغيير أمر الله »[2] .

لقد عَدَّ "عقيل بن أبي طالب" خروج عبد الله بن أبي سرح و جماعته على أخيه "علي بن أبي طالب" رضي الله عنه عداء ظاهرا للإمام وأمرا مستنكرا، و ليكون استنكاره لهذا الخروج شديد الأثر على متلقيه يقدم التعبير الاستعاري "**تريدون بها إطفاء نور الله**" حيث شبه بيعة "علي رضي الله عنه" التي أجمع عليها كافة الناس و هو المستعار له المحذوف بنور الله الهادي إلى الحق و الإيمان و الرشاد و الأمن و المُخرِج من الكفر و الغي و التيه. و هي بيعة صحيحة نافذة لا يصح نكثها و لا مقاطعتها لأن في ذلك تغيير لأمر الله. يوضح ذلك المخطط الآتي:

إطفاء نور الله

يقتضي

خروج عبد الله بن أبي سرح
على " بيعة (خلافة) علي" هو
إطفاء لنور الله

يقتضي

نور الله يهدي إلى الحق
و يخرج من الغي ——— **إذن** ——— بيعة علي هي نور الله
بيعة علي تحقق الحق و العدل

[1] الإمامة و السياسة، ص39.

[2] الإمامة و السياسة، ص50.

إن خروج "عبد الله بن أبي سرح" و جماعته على "علي" رضي الله عنه و التحاقهم "بمعاوية" هو طمس للحق و جور في الأرض و هي مفاهيم منحدرة من الملفوظ الرئيسي "إطفاء نور الله".

و من الحجج التي استعان بها المخاطِب السياسي لإمداد الخطاب بقوة التأثير و الإقناع الملفوظ الاستعاري " **فإنها مرة الرضاع و الفطام**"، حيث أنه عند اجتماع أبي موسى الأشعري مع عمرو بن العاص .أقبل الأشعث بن قيس و كان من أحرص الناس على إتمام الصلح من الحرب، فقال «يا هذان، إنا قد كرهنا هذه الحرب فلا ترداها إلينا ، فإنها **مرة الرضاع و الفطام** فكفاها»[1].

و يمثل هذا الملفوظ "مرة الرضاع و الفطام" استعارة تناسبية ذات قوة مجازية تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف العاطفي و الفعلي للمتلقي، و يعنى بالاستعارة التناسبية « وضع شيئين غير متشابهين في وضع المتشابهين اعتمادا على ربطهما بعلاقة متشابهة و هذا التشابه الطارىء في التناسب يكتسب بفضل هذا الربط»[2] .

أما عن أطراف التناسب التي يتوفر عليها الملفوظ الاستعاري فتتمثل في العناصر الآتية:
الحرب (أ) بدايتها جمع الأموال و الرجال و إبعادهم عن ذويهم و أهاليهم و نتائجها تيتم الصغار و ترمل النساء و ثكل الوالدات و افتقار العائلات و هي أمور مرة (ب)و هي تشبه إقبال الوليد على الرضاع و نهاية ذلك أي فطامه (ج) ، فالوليد لا يستسيغ أول الأمر الرضاعة و بعد مرور الحولين لا يقدر على مفارقتها، فالأمر مر و صعب عليه بداية و نهاية (د).
فالتناسب ذو كفاءة حجاجية نظرا لصيغته شبه الرياضية :

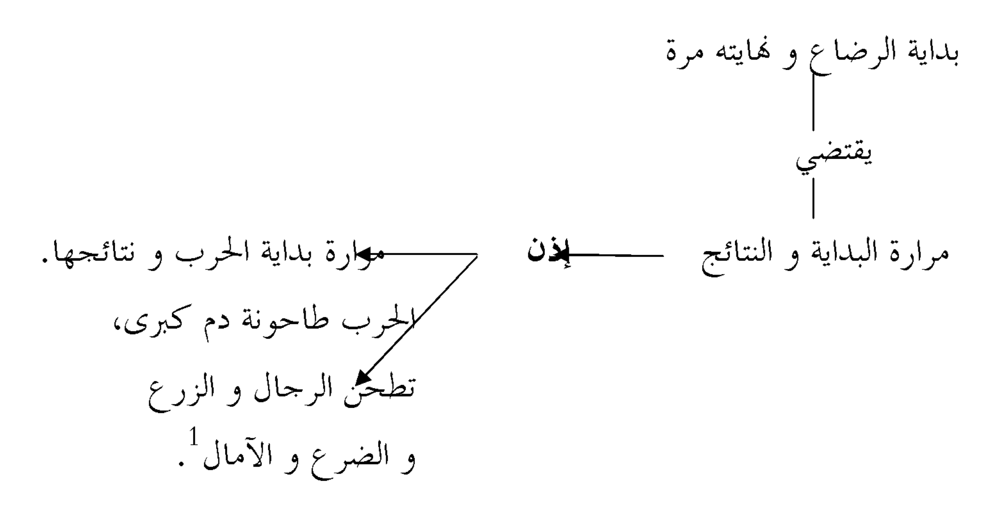
$$\frac{\text{بداية الحرب و نتائجها (أ)}}{\text{مرارة الرضاع و الفطام(د)}} = \frac{\text{بداية الرضاع و نهايته (ج)}}{\text{مرارة البداية و النتائج(ب)}}$$

إن هذا الملفوظ الاستعاري قد استمد طاقته الإقناعية من خلال ما يربطه بالواقع مما جعل وقعه الحجاجي على المتلقي (طرفي التفاوض) أكبر و أشد، إذ أن كلا المفاوضين يدركان الدلالة الحرفية للملفوظ؛ و من ثم لا يمكنهما إنكار الاستنتاج عبر العبور بالرابط "**إذن**".

---

[1] الإمامة و السياسة، ص109.

[2] محمد الولي، الاستعارة الحجاجية بين أرسطو و شايم بيرلمان، فكر و نقد، المغرب، ع61.



عبر سلسلة من الاستعارات المكنية عبَّــر بنو كنانة أخوال "مروان بن الحكم" عن تأييدهم المطلق له و مدى غضبهم لعزل "معاوية" لعامله على المدينة حيث قالوا له: « **نحن نبلك في يــدك و سيفك في قرابك فمن رميته بنا أصبناه و من ضربته بنا قطعناه الرأي رأيك و نحــن طــوع يمينك**»[2] .

لقد حاول المخاطِب أن يجسد معاني الانقياد المطلق لمتلقيه مستعينا في ذلك بــوعي هــذا الأخير لتأويل الصور البيانية (التشبيه البليغ و الاستعارة المكنية)، حيث يتشخص المســتعار لــه (أقرباء مروان بن الحكم و عشيرته) نبالا و سيوفا (المستعار منه المحــذوف) بقرينــة الفعلــين المستعارين (**رمى، قطع**)؛ كلما أرادهم وجدهم لا يفارقونه كما لا تفارق النبال و الســيف الفارس المحارب، و هم شداد حداد؛ و لكي يُكثِّف معنى الطاعة المطلقة يضيف صورة اســتعارية أخرى عبر تشييء المستعار له بقرينة اللفظ المستعار "**طوع يمينك**" كناية عــن مــدى مرونتــه و طواعيته فيكون (المخاطِب / المستعار له) بذلك سندا له في السراء و الضراء.

و بهذا التجسيد للمعاني يحقق الخطاب نجاعته، بمخاطبته وجدان المتلقي و فكره معا. بعــد ربطه (الخطاب) بالواقع الذي استمد طاقته الحجاجية منه. و هو (المخاطِب/ المستعار له) بذلك يتماهي في ضربة سيف أو رمية سهم في زمن العسر و الشدة.

إن القطع بالسيف كالسكين و الرمي بالسهم (النبل) ليس إلا تجسيدا لمعنى بث الفزع و الجــزع في نفوس الآخرين. و هي خلاصة تعد وليدة التجربة المتحققة في ميادين الضرب و الطعن.

[1] عبد الإله الصائغ، الخطاب الإبداعي الجاهلي و الصورة الفنية، المركز الثقافي العربي، الدلر البيضاء/ بيروت، ط1، 1997،ص107.

[2] الإمامة و السياسة، ص142.

و فيما يلي توضيح للقول المضمر المتستر في الصور الاستعارية من خلال الرسمين التخطيطيين الآتيين:

رسم تخطيطي1:

من رميته بنا أصبناه و من ضربته بنا قطعناه

تقتضي

بنو كنانة سيوف قاطعة و سهام نافذة

السيف و السهم عدة الفارس

أهمية العدة في السلم و الحرب ← **إذن** ← بنو كنانة عدة مروان بن الحكم

بنو كنانة يبثون الرعب و الفزع في نفوس أعدائهم.

رسم تخطيطي2:

نحن (بنو كنانة) طوع يمينك (مروان بن الحكم)

يقتضي

بنو كنانة طيِّعون ← **إذن** ← الانقياد و الوفاء المطلق لمروان بن الحكم.

المعاهدة على لزوم الطاعة.

و من الاستعارات التي زادت الخطاب السياسي تأثيرا على تأثير و أحدثت ردة فعل في نفس المتلقي قول "الحجاج بن يوسف الثقفي" في خطبته لأهل العراق « **إني أرى رؤوسا قد أينعت و حان قطافها** »[1].

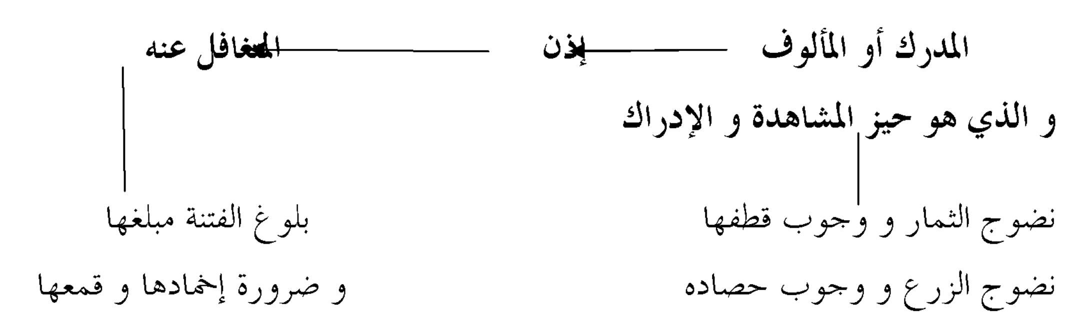
لقد استثمر المخاطِب السياسي القرينة الاستعارية كي يشخص من خلالها المستعار له حيث شبه الرؤوس بزرع أو ثمار و حذفه و دل عليه في (أينعت، قطافها)؛ موحيا بذلك ببلوغ الفتنة مبلغها و ضرورة العقاب و التهديد.

[1] الإمامة و السياسة، ص205.

و هذا الملفوظ (الاستعارة المكنية) يمثل السياسة التي رسمها الحجاج لأهل العراق بعد أن رماهم "عبد الملك بن مروان" به (الحجاج)، لما عُرفوا به من التمرد و الشقاق، و هي سياسة الحزم و القوة مع القسوة و البطش و الظلم و الجبروت.

لقد اشتد الحجاج و قسا و هدد و توعد وأبرق و أرعد ، و استعان على إرهابهم (أهل العراق) و التأثير فيهم بما اصطنع من عوامل التهديد و أسباب الترهيب حتى يثبِّت أركان الدولة الأموية[1].

و ترجع نجاعة الوظيفة الحجاجية للملفوظ الاستعاري إلى بناء المتغافل عنه عن الذهن (القول المضمر) على المدرك و المألوف و الذي هو في حيز المشاهدة (المقتضى)، حسب ما يبينه الرسم الآتي:



لقد كفَّ أهل الكوفة عن ضجيجهم و هابوا المخاطِب بعد أن أَوَّلُوا ما عرضَه عليهم مُستنتجِين بذلك المعلومة المضمرة و التي أحدثت فزعا و رهبة في نفوسهم.

2. حجاجية الاستعارة التمثيلية

الاستعارة التمثيلية هي تشبيه حالة بحالة بجامع إثبات العلاقة بين الحالتين، أو هي تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة[2]. إنها تركيب استعمل في غير ما وضع لـه (في غير معناه الحقيقي) لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي.

أما أصلها فهو تشبيه تمثيلي حُذِفَ منه المشبه (المستعار له) وهو (الحالة والهيئة الحاضرة) وصرح بالمشبه به وهو (الحالة والهيئة السابقة) مع المحافظة على كلماتها وشكلها وتكثر غالباً في

---

[1] ينظر محمد الطاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام ج2، ص212.

[2] ينظر محمد التونجي، المعجم المفصل في علوم اللغة، مراجعة إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ج1، ص35.

الأمثال عندما تشبه الموقف الجديد بالموقف الذي قيلت فيه. أما سر جمالهـــا فهـــو التوضـــيح أو التشخيص أو التجسيم.

و يعد المشبه به (المستعار منه) المذكور في أغلب الاستعارات التمثيلية في الخطاب السياسي يعد "مثلا"، و المثل حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتها و يراد استنتاج نهاية إحديهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها[1]. و له قيمة استدلالية و وظيفة إقناعية و إمتاعية.

و لقد أرجع عبد القاهر الجرجاني أنس النفوس بالتمثيل إلى ثلاثة أسباب هـــي: إقامـــة الحجـــة و المشاهدة و إبداع الخيال.

و من الاستعارات التمثيلية التي وظفها المخاطِب السياسي باعتبارها حججا قويـــة تخـــدم النتيجة المقصودة، ما جاء في كتاب "عثمان بن عفان" إلى "علي بن أبي طالب" رضي الله عنـــهما حين اشتد حصاره: « أما بعد فقد **بلغ السيل الزُّبى**، و **جاوز الحزام الطُّــبْــيَـــيْنِ**.و ارتفع أمر الناس في شأني فوق قدره....»[2] .

فحتى يخرج الخليفة المحاصر « ما لم يعلم ببديهة العقل إلى ما يعلم بالبديهة، و ما لم تجر بـــه العادة، و ما لا قوة له من الصفة إلى ما له قوة»[3]؛ يقدم الملفوظين الاستعاريين : "**بلـــغ الســـيل الزبى**" و "**تجاوز الحزام الطبيين**" لما لهما من وظيفة حجاجية؛ هي بناء المعنى على موضـــع بـــات استعارة في خطاب المتلقين، فهما (الملفوظان) يضربان للدلالة على شدة الأمر و تفاقمه، و همـــا كناية عن المبالغة في تجاوز حد الشر و الأذى.

فأما "**بلغ السيل الزبى**" فهو كناية عن أنه قد جل الأمر على أن يغير و يصـــلح؛ جـــاء في كتاب جمهرة الأمثال « الزبية حفيرة تحفـــر في نشـــز مـــن الأرض [رابيـــة لا يعلوهـــا المـــاء] و تغطى، و يجعل عليها طعم، فيراه السبع من بعيد، فيأتيه، فإذا استوى عليه انفـــض غطاؤهـــا، فيهوي فيها، فإذا بلغها السيل فقد بالغ»[4] فهي (الزبية) إذن لا يبلغها إلا سيل عظيم.

و أما "**تجاوز الحزام الطبيين**" فهو مثـــل يضـــرب للأمـــر الفظيـــع الفـــادح الجليـــل. وجاوز الحزام الطبيين يعني أن الحزام الذي يشد به الرحل في بطن البعير لئلا يؤذيه التصـــدير أو

[1] ينظر محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 82.

[2] الإمامة و السياسة، ص33.

[3] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص323.

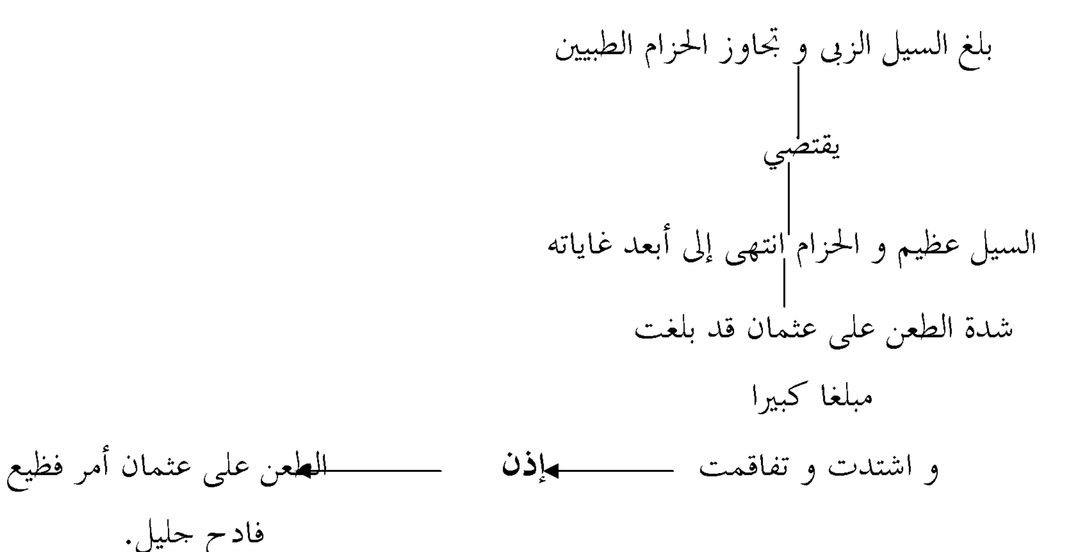
[4] أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال،حققه و علق حواشيه و وضع فوارسه محمد أبو الفضل إبراهيم، عبـــد المجيد قطامش، دار الجيل، بيروت، ج1، ط2، دت،ص220.

يجتذبه قد اضطرب من شدة السير حتى خلف الطبيين من اضطرابه ، فإذا بلغ الطبيين فقد انتهى في المكروه ؛جاء في تاج العروس « والطبي بالكسر والضم حلمات ... وفى المحكم حلمتا الضرع التي فيها اللبن (من خف وظلف وحافر وسبع) وفى الصحاح الطبي للحافر و للسباع كالضرع لغيرها وقد يكون أيضا لذوات الخف، والطبي بالكسر مثله وفى التهذيب قال الأصمعي للسباع كلها الطبي وذوات الحافر مثلها وللخف والظلف خلف (ج أطباء) ...و جاوز الحزام الطبيين أي اشتد الأمر وتفاقم لأن الحزام إذا انتهى إلى الطبيين فقد انتهى إلى أبعد غاياته فكيف إذا جاوزه»[1] .

إن تقديم المخاطِب لهذه الاستعارات التمثيلية يعود إلى وجه الشبه المنتزع من حالات يضم بعضها إلى بعض، مما أدى إلى وجه شبه متحد بين المعنى الأصلي للتركيب (الملفوظين الاستعاريين) و بين الحالة التي استعير لها التركيبان.

فأما وجه الشبه المنتزع فيتمثل في أن بلوغ السيل الزبية يعني أنه سيل عظيم و أما تجاوز الحزام الطبيين فهو انتهاؤه إلى أبعد غاياته و أما الطعن على "عثمان بن عفان" رضي الله عنه خاصة بعد خروج "علي" رضي الله عنه إلى بعض البوادي قد تفاقم و بلغ شدته.

إن الملفوظين الاستعاريين يحملان متلقي الخطاب على الإسهام في صنع الكلام الضمني و إماطة اللثام عنه، كما يستفزانه لإدراك العلاقات القياسية التي ينطويان عليها، بعد أن يعمل كفايته الثقافية.



[1] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس،دار صادر، بيروت، ج10، فصل الطاء من باب الواو و الياء، ص222.

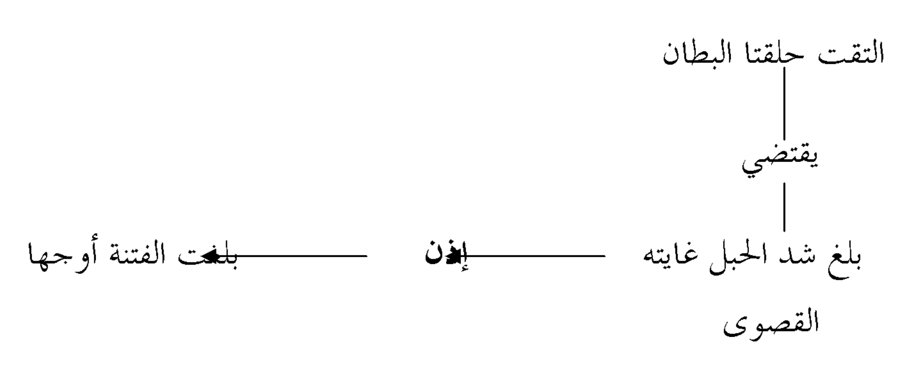
ومن الاستعارات التمثيلية المضروبة في التناهي و المبالغة؛ ما ذكره الحجاج في خطبته الـتي يأمر من خلالها قتال "عبد الرحمن بن الأشعث" بعد أن وصلته رسالة منه (ابن الأشعث) يـذكر فيها خلعان طاعة الحجاج و النهوض لمصاولته: « ... و من لم يذد عن حوضـه يهـدم، و أرى الحزام قد بلغ الطبيـين، و **التقت حلقتا البطان...**»[1]

إن الملفوظ الاستعاري **"التقت حلقتا البطان"** مثل يضرب للأمر يبلغ الغايـة في الشـدة، و أصله أن الجمَّال (أي من يسوق الجمال أو الإبل) حينما يريد أن يشد الرحل على الـبعير أو عندما يربط حمله يشد حزاما يدور على الحمل حتى يتصل بعضه ببعض من أسفل بطـن الـبعير و للحزام حلقة في طرف ، وحلقة أخرى تبتعد قليلا عن الطرف الآخر ، فـإذا ربـط الجمَّـال الطرفين بدون مبالغة في الشد فقد يرتخي الحزام فيقع الحمل، ولذا يظل يشد ويشد ويبالغ حـتى تتصل الحلقة بالحلقة و عند ذلك تكون نهاية الشد فيربط .و لذا يقال عند نهاية الشد التقت حلقتا البطان .

إن الحجَّاج يرى أن الفتنة قد بلغت أوجها و شدتها ، و هي حجة قوية تبرر حق استعماله للعنف و الإرهاب السياسي حتى يحفظ البنية الاجتماعية القائمة المعبر عنها بالصـورة الكنائيـة "و من لم يذد عن حوضه يهدم".

فحتى يجسد الحجاج المعنى " شدة الفتنة و بلوغها أوّجها" و يجعل حضورها في ذهن المتلقي أقوى و وقعها أشد يقدم الملفوظ الاستعاري "التقت حلقتا البطان" الذي يعني أن الشد قد بلغ أقصاه فلا يمكن الزيادة فيه لأن الحلقتين قد التقتا.

و لتبليغ المعلومة للمتلقي؛ يتكىء على ما ينشأ من مفهوم ضمني للملفوظ الاستعاري. حسب ما يبينه الرسم التخطيطي الآتي:



[1] الإمامة و السياسة، ص210.

هذا و قد اتخذ معاوية رضي الله عنه الاستعارة التمثيلية شاهدا لا يجرؤ المتلقي على الطعن فيه و وسيلة لتبليغ المعلومة التي هي في حكم الجديد بالنسبة إليه (المتلقي)، جاء في كتابه إلى "أبي أيوب الأنصاري" رضي الله عنهما: « فإني ناسيتك **ما لا تنسى الشيباء** »[1] .

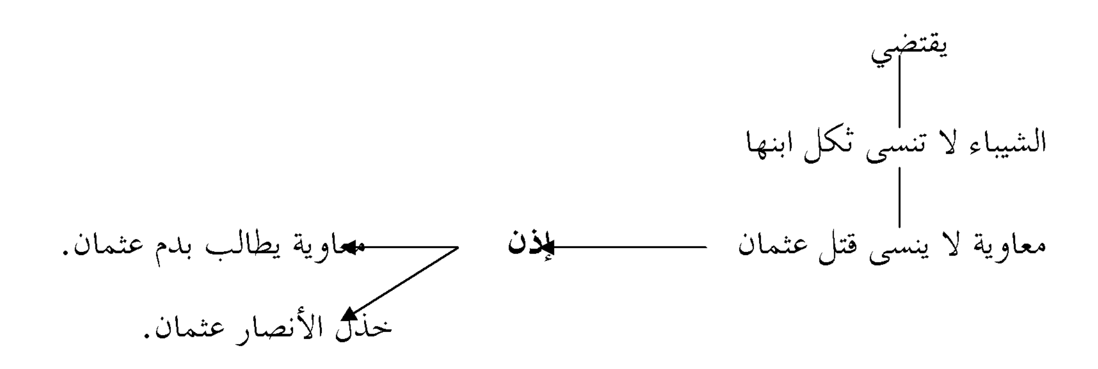
لقد أقرأ أبو أيوب الأنصاري كتابه "عليا" رضي الله عنه فتفطن عليه السلام لهذا الضمني الذي يقبع تحت هذا المنطوق و قال: « يعني بالشيباء المرأة الشمطاء لا تنسى ثكل ابنها، فأنا [معاوية] لا أنسى قتل عثمان»[2].

إن الملفوظ "**ما لا تنسى الشيباء**" استعارة تمثيلية تناسبية حيث تم وضع شيئين غير متشابهين (عدم نسيان الشيباء لوليدها المتوفى) و (عدم نسيان معاوية لدم عثمان) في وضع المتشابهين اعتمادا على ربطهما بعلاقة متشابهة وذلك كما يلي:

الشيباء (أ)		معاوية (ج)
	=	
لا ينسى دم عثمان(د)		لا تنسى قتل وليدها (ب)

يمثل العنصر (أ) المستعار منه و هو المرأة الشيباء إذا توفي وليدها و هي عجوز لا تنساه (ب)، ذلك أن نسيانه أمر صعب خلاف المرأة التي تثكل و هي شابة. في حين يمثل العنصر (ج) المستعار له (المحذوف) و هو معاوية لا ينس قتل عثمان رضي الله عنهما و هو يستمر في المطالبة بالثأر له (د). أما المسار الحجاجي فيمثله الرسم الآتي:

ما لا تنسى الشيباء



[1] الإمامة و السياسة، ص91.

[2] المرجع نفسه، ص91.

سمح هذا القول المضمر الذي أماط اللثام عنه "علي بن أبي طالب" لأبي أيوب الأنصاري أن يرد على كتاب "معاوية" في رسالة بين من خلالها أن الأنصار بريئون من دم عثمان و أن اللوم يقع عليه لا عليهم : « إنه لا تنسى الشيباء ثكل ولدها، وضربتها مثلا لقتل عثمان، فما نحن و قتلة عثمان؟ إن الذي تربص بعثمان، و ثبط أهل الشام عن نصرته لأنت، و إن الذين قتلوه غيرُ الأنصار، و السلام»[1] .

3. حجاجية الكناية

الكناية من كَنَيْت أو كنَوْت بكذا عن كذا، إذا تركت التصريح به. وهي في اللّغة: التكلّم بما يريد به خلاف الظاهر. وفي الاصطلاح: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى[2].

و يُعرِّفها صاحب كتاب الطراز بأنها « إذا أطلقت ، فالمعنيان ، أعني الحقيقة و المجاز، مفهومان معا عند إطلاقها ، و مثالها قولنا فلان كثير رماد القدر ، فإنك قد استعملت هذه الألفاظ في معانيها الأصلية، وغرضك إفادة كونه كثير رماد القدر إفادة معنى آخر يلزمه و هو الكرم »[3].

إن المتكلم قد يريد إفادة معنى من المعاني ، فلا يذكره بلفظه الصريح الذي وضع له في أصل اللغة، بل يتوصل إليه بذكر لفظ يدل على معنى من شأنه أن يكون متبوعا في التعقل و الفهم للمعنى المراد، و المعنى المتبوع هو المعنى الحقيقي للفظ و المعنى التابع هو المعنى الكنائي المراد من اللفظ و هو المقصود بالإفادة، و به يتعلق الإثبات و النفي ، و إليه يرجع الصدق و الكذب[4].

فالكناية تقوم كغيرها من الصور البيانية على مبدأ الاستبدال و لا تكون (الكناية) إلا بحيث يطوى ذكر المكنى عنه، فهي بذلك تخضع لعمليتي الطي و الذكر أي لمبدأ التعويض و الاستبدال. أما وظيفة الإثبات و الاستدلال للكناية؛ فيكون القصد بالإثبات فيها إلى معنى ليس هو معنى اللفظ و لكنه معنى يستدل بمعنى اللفظ عليه و يستنبط منه[5].

---

[1] المرجع السابق، ص91.

[2] ينظر عبد العاطي غريب، البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني و ابن سنان الخفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993، ص243.

[3] يحي بن حمزة، كتاب الطراز، المتضمن أسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز، ص200.

[4] البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني و ابن سنان الخفاجي، ص243.

[5] ينظر مفتاح العلوم، ص412- 413.

إن المتكلم الذي يتفادى التصريح و يُقبِل على التلميح يبتدع إذن الكناية و يـــراهن في الآن ذاته على ذكاء المتلقي وحدة ذهنه و سرعة فهمه للدلالات الباطنية المختفية وراء المعنى الظـــاهر. فهو بذلك (المخاطِب) يتكىء على المحل الشاغر (الضمني) الذي يحث المتلقـــي و يضـــطره إلى وجوب ملئه ، و هذا الحث و الاضطرار يؤديان به إلى الخضوع لمنطق الكلام .

و تعد الصورة الكنائية من أهم خصائص الخطاب السياسي البيانية المؤديـــة للإقنـــاع في الكتاب، و ترجع الطاقة الإقناعية لمادة /موضوع الصورة الكنائية إلى كونها منتزعة من عـــالم المتلقي / المخاطَب و يمثل هذا العالم تجارب المتلقي المادية و ممارسته المعيشية و مشاهداته العينيـــة و من سلوكه اليومي، فضلا عن معتقداته و فكره و ثقافته[1].

تمثل هذه الكفاءة المعرفية و العقدية للمخاطَب **مواضع حجاجية**[2] لكونهـــا محـــل إجمـــاع و فكرة عامة يؤدي استخدامها في الخطاب إلى اقتناع المتلقي بما يعرض عليه بواسطتها.

و لبيان المسار الحجاجي لأهم الكنايات المعتمدة في توليد الضمني في الخطـــاب السياســـي نعتمد على توضيح المواضع الحجاجية باعتبارها مادة الصورة الكنائية المستمدة منها لغاية الإقناع و التأثير :

1.3 المقوِّم الثقافي

شكَّل المقوِّم الثقافي أهم موضع حجاجي استمِد منه مادة الصورة الكنائيـــة في الخطـــاب السياسي، و يمثل حرمة البيت الحرام "الكعبة المشرفة" أحد هذه المقومات الثقافيـــة القائمـــة في أذهان كل من المخاطِب و المتلقي و المنغمسة في عمق تفكيرهما، ذلك أن "الكعبة الشريفة" تعـــد معلما من معالم القداسة؛ فهي تمثل بداية الخلق و النشوء ، إذ أن خلقها كان سابقا علـــى خلـــق الأرض و خلق آدم، و هي امتداد للبيت المعمور الذي خلقه الله تعالى في الســـماء لتطـــوف بـــه الملائكة بدلا من طوافها بالعرش[3].

---

[1] ينظر الحجاج في القرآن، ص500-501 .

[2] الموضع مبدأ حجاجي عام يستعمل ضمنيا للحمل على قبول نتيجة ما، و يتميز بخصائص عدة هي العمومية و التدرجية و النسبية...إلخ، ينظر الباب الأول، الفصل الخامس، ص164-167.

[3] ينظر هيثم سرحان، الأنظمة السيميائية، دراسة في السرد العربي القديم، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2008، ص73.

و لقد زادت قداسة البيت العتيق و حرمته بعد الإسلام، خاصة بعدما اقترن بأحد الأركان الأساسية لشعيرة الحج ، الطواف، و هو (الطواف) ممارسة تؤكد رغبة المؤمن الملحة باللحاق بمصاف الطائعين، و العودة إلى المكان الأول: الجنة.

حُرمة البيت المحرم إذن هي مجال من مجالات القوة التي تتيح للمخاطب السياسي ممارسة السلطة الثقافية، إلا أن والي مكة "خالد بن عبد الله القسري" يعبث بهذا المقدس و يهدم حرمته لأجل إرضاء أحزم بني أمية "عبد الملك بن مروان". حيث قال و ظهره إلى الكعبة قد استند عليها :« **و الله لو علمت أن عبد الملك لا يرضى عني إلا بنقض هذا البيت حجرا حجرا لنقضته في مرضاته**»[1] جوابا لرجل من أهل الشام الذي التمس منه أن يخلّي سبيل "سعيد ابن جبير" .

إن الملفوظ الكنائي أعلاه ذو وظيفة حجاجية، حيث عمل المخاطِب السياسي على بناء غير المسلّم به عند المتلقي" هدم البيت العتيق إرضاء لعبد الملك" على المسلّم به عنده "حرمة الكعبة المشرفة " ، يوضح المسار الحجاجي المخطط الآتي:

الكعبة المشرفة مقدسة في الجاهلية و الإسلام

يقتضي

حرمة المساس بقدسيتها

خالد القسري ينقض حجر الكعبة

إرضاء لعبد الملك ← **إذن** ← الولاء المطلق لسياسة عبد الملك بن مروان

← إرضاء عبد الملك أهم من قدسية الكعبة.

[1] الإمامة و السياسة، ص220.

2.3 المقوِّم العقدي

بعد أن خاطب الإسلام الكيان الإنساني كله عقلا و ضميرا و وجدانا ،أصبح القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف المصدرين الأساسيين لثقافة المسلمين الدينـــية و العقلية، إذ استضاءت عقولهم بهديهما و تأدبت نفوسهم بهما، مما جعل المخاطِب السياسي في كثير من الأحيان يوظف آيات القرآن حججا في حواره و يستمد من أخباره و قصصه مادة لبناء الصورة الكنائية .

فهذا "يزيد بن معاوية" يثير الحمية في نفس متلقيه "أهل الشام" و يقنعهم بما يعرض عليهم من خلال تصويره لحجم ما تعرض له أهله علي أيدي أهل المدينة، حيث صعد المنبر و قال: « يا أهل الشام، فإن أهل المدينة أخرجوا قومنا منها، **و الله لأن تقع الخضراء على الغبراء أحـــب إليَّ من ذلك** »[1].

إن مادة الصورة الكنائية أي مضمونها الذي يعتمد فيه لغاية الإقناع و التأثير مستمد مـــن الثقافة العقدية للمتلقي، إذ أن الملفوظ "تقع الخضراء (السماء) على الغبراء (الأرض)"و الذي هو كناية عن هول يوم القيامة أصبح يقينا في أذهان المتلقي، بعد أن أكد لهم الرســـول الكـــريم أن الموت لم يعد هو النهاية، بل سيبعث الناس يوم القيامة ليُجازوا عن أعمالهم ، فمضمون الصورة لم يصبح غريبا عنهم بل هو معلوم لديهم ، بعد أن ركزت كثير من الآيات الكريمة و الأحاديث الشريفة على بيان علامات يوم القيامة؛ قال تعالى: ﴿ **و يمسك السماء أن تقـــع علـــى الأرض إلا بإذنه**﴾[2] أي « و يمسك بقدرته السماء كي لا تقع على الأرض فيهلك من فيها إلا إذا شـــاء و ذلك عند قيام الساعة»[3] و قال أيضا: ﴿**و إذا النجوم انكدرت**﴾[4] أي «إذا تســـاقطت مـــن مواضعها و تناثرت»[5] ؛ « قال الكلبي وعطاء :تمطر السماء يومئذ نجوما فلا يبقى نجم إلا وقـــع

---

[1] الإمامة و السياسة، ص168.

[2] الحج/ 65.

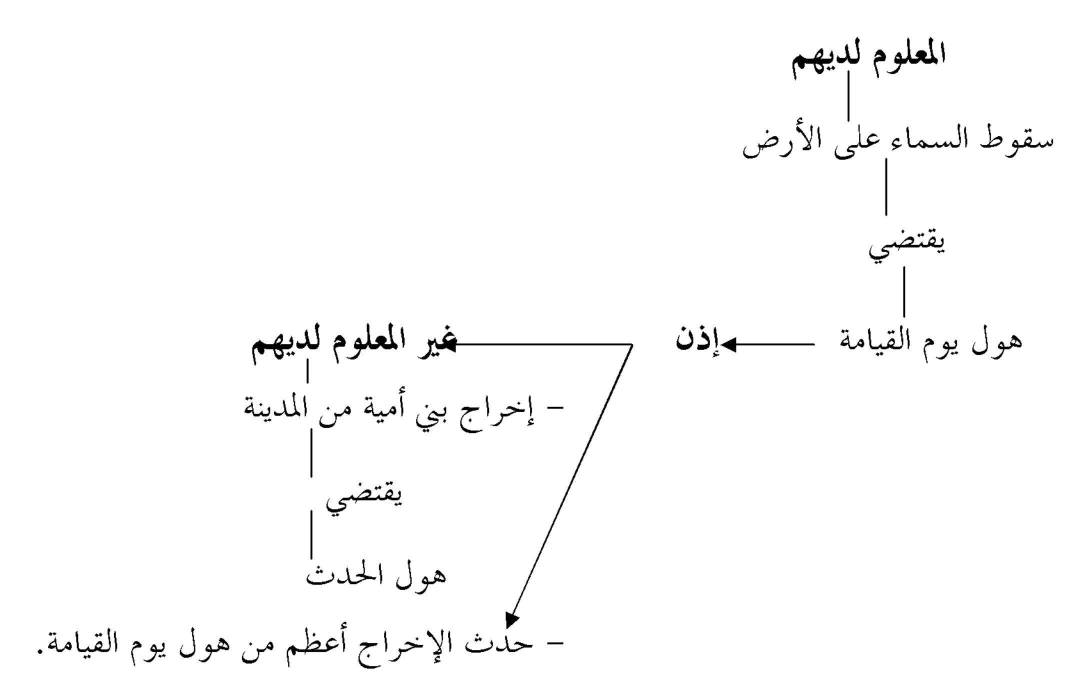
[3] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مجلد2، ص298.

[4] التكوير/2.

[5] محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير، مجلد3، ص524.

على الأرض»[1]، أما في الحديث الشريف فقد روى ابن هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال: { **يقبض الله الأرض و يطوي السماء بيمينه** }[2].

إن حادثة خروج بني أمية من المدينة المنورة حدث عظيم جلل في رأي "يزيد بن معاوية" و هو أعظم عنده من هول يوم القيامة ، يوم تفنى الحياة الدنيا ليقف الناس بين يدي ربهم لحسابهم، و إن كان عظم يوم القيامة معروفا واضحا جليا في ذهن متلقيه فهو يعتمد عليه "المفهوم" حتى يكون نفاذ هول الحدث "إخراج بني أمية من المدينة" إلى قلوبهم و عقولهم في سهولة و يسر و من ثم يحصل إقناعهم بما أراد دون صعوبة أو عسر. يوضح ذلك المخطط الآتي:



و من التعابير الكنائية التي اعتمد المخاطِب السياسي على الضمني الذي تنطوي عليه في صنع الحجة المفحمة المقنعة، جواب "الصلت بن زفر" للعبسي عندما خوّفهم هذا الأخير بغضب و حزن أهل الشام على مقتل "عثمان رضي الله عنه" و استعدادهم لقتال علي كرم الله وجهه و أنصاره: « ... يا أخا عبس، أتخوف المهاجرين و الأنصار بخضر خيلك، و غضب الرجال؟

[1] الشوكاني، فتح القدير ، الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، راجعه يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، مجلد2، ط3، 1997، ص477.

[2] البخاري، صحيح البخاري،دار الفكر، بيروت، 1981، ج6، ص158.

أما و الله ما نخاف غضب رجالك، و لا خضر خيلك، فأما بكاء أهل الشام على قميص عثمان، فو الله **ما هو بقميص يوسف و لا بحزن يعقوب...**»[1].

يتكىء إذن "الصلت بن زفر" على القصص القرآني جاعلا منه مادة و موضوعا في صنع الصورة الكنائية " **ما هو بقميص يوسف و لا بحزن يعقوب**"؛ التي **قـزّم** بها حزن و غضب أهل الشام على مقتل عثمان بن عفان (ض) ، ذلك أن حزنهم و بكاءهم وإن كان كبيرا و شديدا فهو لم يبلغ حزن و بكاء يعقوب عليه السلام على ابنه ، قال تعالى: ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[2].

لقد حزن يعقوب على يوسف عليه السلام حزن سبعين ثكلى و بكى عليه حتى َابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ؛ لما كان يذرفه من دموعٍ حارّةٍ حزينةٍ أثّرت على بصره حتى فقده، و لم يكن ذلك بفعل عنصر الجزع، بل بفعل الدموع التي كانت تنساب بهدوءٍ كتعبيرٍ صافٍ عن عمق الحزن الهادئ. إنه حزن على افتقاد قرة عينه وثمرة فؤاده، و ما كان يحمله من ألمعية الفكر، وروحانية الروح، وجمال النفس والجسد، وبما كان يُعدُّ له من الموقع العظيم الذي يمنحه الله لبعض عباده من ذرية إبراهيم(ع)، ممن تجتمع فيه الصفات المميزة التي تؤهِّله لحمل الرسالة والوصول إلى مستوى النبوة.

و أما قميص عثمان (ض) الذي نشره معاوية على المنبر ليُهيِّج به مشاعر أهل الشام فهو لا يبلغ -حسب رأيه- تأثيره فيهم ، كأثر قميص يوسف الملطخ بالدم في نفس يعقوب عليه السلام . قال تعالى: ﴿ وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَل سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ المستعان على ما تصفون ﴾[3].

إن القميص الملَّطخ بالدم هو الدليل الكاذب على اتهام بني يعقوب الذئب بأكله يوسف عليه السلام. و هو أيضا إشارة إلى أن حدث الافتراس ليس إلا إدعاء و هو قضية غامضة لا يمكن تفسير طبيعتها، و التي بقيت بين احتمال تصديق يعقوب لبنيه في افتراس الذئب يوسف و أكله إياه، و احتمال تآمرهم عليه[4].

---

[1] الإمامة و السياسة، ص73

[2] يوسف/ 84

[3] يوسف/18

[4] ينظر محمد بكر إسماعيل، قصص القرآن الكريم، من آدم عليه السلام إلى أصحاب الفيل، دار المنار، مصر، ط2، 1997، ص102-104.

لقد استعار إذن "الصلت بن زفر" قميص يوسف و حزن يعقوب للدلالة على قمة المأساة وشدة الحزن و نفى أن حدث قتل عثمان (ض) هو أكثر مأساة من مأساة يعقوب عليه السلام وأن حزن أهل الشام كشدة حزن يعقوب عليه السلام، فهم "معاوية و أنصاره" إن بكوا عليه بالشام فقد خذلوه بالحجاز.

إن " الصلت بن زفر" بهذا الملفوظ الاستعاري يضغط على المتلقي لإماطة اللثام عن الدلالة الباطنية و من ثم استخراج الأقوال المضمرة التي نحددها فيما يلي:

حزن أهل الشام ما هو بحزن يعقوب

و قميص عثمان ما هو بقميص يوسف

يقتضي

مأساة يعقوب و حزنه أشد و أكبر

من حادثة مقتل عثمان رضي الله عنه ← **إذن**

- الحزن و البكاء مصطنعان.
- البكاء و الحزن مكيدة لإعلان الحرب على علي..
- معاوية طامع في الخلافة.
- الثأر أو المطالبة بدم عثمان مجرد خدعة مكشوفة.
- غيرة بني أمية من سيادة بني هاشم.
- التضليل المتقن.

ثانيا: أنساق التواصل غير اللغوي و وظائفها الحجاجية

لم يكتف المخاطِب السياسي بالتعبير المجازي لظهور القول المضمر، بل استعان في ذلك بمجموعة من البلاغات غير اللفظية مصاحبة للفظ مكملة له، و التي تمثل أنساقا للتواصل غير اللغوي. وهي أيضا بمثابة مقومات عاطفية مؤثرة.

تخضع هذه الأنساق غير اللغوية بدورها للسيرورة الخطابية و يساعد على اكتشافها المقام و حيثيات القول و العناصر الباقية من المشهد التلفظي . و عليه فإن هذه البلاغات غير اللفظية

إذا كانت معزولة من حيثيات المقام فإنها تفقد التواصل وظيفته السجالية الذي قوام ارتكازه على القول المضمر.

و تعد أشكال التواصل الشفهي كالخطابة و الحوار بأصنافه المختلفة أهم موطن يبرز فيه استعمال هذه البلاغات غير اللفظية لما له (التواصل الشفهي) من خصائص و سمات، لعل أهمها: "خاصية حضور المخاطِب و المتلقي"، أي وحدة الإطار المرجعي بين المخاطب و المتلقي . ذلك أن القول المنطوق يصدر غالبا عن « شخص حقيقي حي إلى شخص أو أشخاص آخرين حقيقيين أحياء في لحظة زمنية نفسها و في موقف حقيقي يتضمن دائما ما يتجاوز مجرد الكلمات»[1]، مما يسمح بمخاطبة حاستي السمع و البصر للمتلقي و يتيح إمكانية أبرز و أفضل لإحداث تفاعل أشد و تأثير أعمق . فالمشاركون في التواصل لديهم ما يسمعونه حقيقة، و ما يرونه أيضا.

أما عن هذه البلاغات غير اللفظية[2] فيمثلها التواصل السلوكي و أقصد به السلوك الحركي أي استعمال أعضاء الجسد في التواصل، و بعض الأشياء المادية ذات دلالات و قيم معينة؛ و التي تتحول إلى حجج في التواصل يعتمدها المخاطب قصد التأثير و الاستمالة.

إذن، تتفاعل هذه البلاغات غير اللفظية مع التواصل اللغوي و تتكامل معه داخل العملية التواصلية الكبرى لتحقيق الأهداف المتوخاة، بوساطة الضمني المنطوي تحت المدلول و المعول عليه في الإقناع.

أما عن أهم النتائج التي حققتها هذه البلاغات غير اللفظية في الخطاب السياسي فأبينها فيما يلي:

1. السلوك الحركي و وظيفته الحجاجية

تعد السلوكيات الحركية الأساس الذي يبنى عليه الاتصال غير اللغوي ذلك أن نقل العلامات يتم إنجازه بوسائل أخرى غير الألفاظ المنطوقة أو المكتوبة و يتضمن هذا المصطلح تعبيرات الوجه و العينين، و حركات اليد و الذراع، و الهيئات و الأوضاع الجسمية و حركات الجسم المتنوعة: الأرجل و السيقان و الأقدام.

---

[1] والتر أونج، الشفاهية و الكتابية، ترجمة حسن البنا عز الدين، عالم المعرفة، الكويت، فيفري، ع182، 1994، ص73.

[2] لقد تم في الفصل الثاني من الباب الأول التطرق إلى موقف التراث العربي من أهمية البلاغات غير اللفظية في التأثير و الإقناع ينظر ص59-60.

و قد أقرَّ عددٌ كبير من اللغويين بأهمية الدور الذي تؤديه الأنظمة الخارجة عن نطاق اللغة (الحركة الجسمية) في التواصل و عن الأثر الذي تتركه في نفس المتلقي. يقول سوونسكي: « من الممكن حقا أن تعرض سياقات دلالية كبرى في شكل إيمائي، بحيث تستغنى عن اللغة اللفظية، و غالبا ما يكون للعلامات الإيمائية أو الجسمية وظيفة مصاحبة الأحاديث و أشكال الاتصال الشفهي الأخرى، و مع ذلك فإن هذه العلامات الإيمائية و الجسمية وظيفة دلالية تكميلية، من حيث أنها تظهر شكل العلاقة أثناء الاتصال و تقويه، كما أنها تشير إلى الموقف الشخصي و السلوك الانفعالي الذي يسلكه أحدهم تجاه الآخرين أو [ضدهم]»[1]

كما لاحظ "سالزمان" أن العلامات الحركية الجسمية تميل إلى أن تكون علامات أيقونية من حيث أنها تماثل ما يفترض أنها تنقله، أكثر من كونها علامات اعتباطية .

و يعد العالم "بيرد هويستل" أهم من عنى بالبرهنة على أن السلوك الحركي سلوك مقيد بالثقافة، إذ يرى أن قدرا لا بأس به من الحركات الجسمية و الإشارات و تعبيرات الوجه، يبدو مشتركا بين ثقافات متنوعة، في إنتاجه و مدلوله، لكن يظل قدر غير قليل منها مقيدا بالثقافة أو الثقافات الفرعية في جماعة كلامية بعينها، و ممارسا عمله من خلال الأعراف السائدة و الفاعليات الاجتماعية لتلك الجماعة.و من هنا يكون الاختلاف بين جماعة و أخرى في استقبال تلك الحركات الجسمية و قبولها و إدراك معانيها ، و ربما اتخذت حركات بعينها – في بعض المواقف الكلامية- مؤشرا على الطبقة الاجتماعية و المستوى الثقافي لمحدثها[2].

أما عن أهم الحركات الجسمية التي اعتمدها المخاطِب السياسي قصد التأثير و الاستمالة و الإقناع؛ فأذكر ما يلي:

1.1 تشبيك الأصابع

قدَّم المتكلم السياسي الخليفة الشهيد "عثمان بن عثمان" الحركة الجسمية "**تشبيك الأصابع**" حجة مصاحبة للحجج اللغوية المقدمة في خطابه للمحاصرين حتى يضمن النتيجة المتوخاة، جاء في الكتاب: «... يا قوم لا تقتلوني فإنكم إن قتلتموني كنتم هكذا، "و شبك بين

[1] محمد العبد، العبارة و الإشارة، دراسة في نظرية الاتصال، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2007، ص110.

[2] المرجع نفسه،ص 108-109.

أصابعه"، يا قوم إن الله رضي لكم السمع و الطاعة ، و حذركم المعصية و الفرقة، فاقبلوا نصيحة الله، و احذروا عقابه...» [1] .

إن تشبيك الأصابع والذي هو تداخل بين أجزاء العضوين المتداخلين هو حركة مركبة باعتبار العلاقة بين أصابع اليدين التي تصنع الهيئة المقصودة للحركة، حتى تكتسب مغزاها، و تدل في الغالب على معنى الخلط و التداخل و تعني أيضا القتال بالأيدي و العراك و تستعمل مجازا بمعنى التداخل في الأمور المعنوية (الأفكار و الآراء) و بمعنى التصارع و الاختلاف [2] .

لقد اعتمد الخليفة على هذه الدلالات المضمرة للحركة الجسمية "تشبيك الأصابع"، فكانت أصدق من غيرها و أدق في تصوير هيئة الأمة بعد اغتياله.يوضح ذلك الرسم التالي:

تشبيك الأصابع

|

يقتضي

|

هيئة الأمة بعد اغتيال الخليفة ← **إذن** ← اختلاف و تصارع مادي و معنوي

2.1 مدّ اليد و المعانقة (الضم إلى الصدر)

لم يكتف المفاوض "عمرو بن العاص" بتحضير الحجج اللغوية، بل استعان بجميع الأساليب و الطرق المساعدة على إقامتها ؛ و التي منها تنمية حاسة الراحة و الاطمئنان بامتياز لدى الطرف الثاني "أبي موس الأشعري" .

جاء في "الكتاب" أن أبا موسى الأشعري و عمرا لما اجتمعا بدومة الجندل و حضرهما من يليهما من العرب ليستمعوا قول الرجلين،-لأجل التفاوض في مسألة الحرب- فلما التقيا استقبل عمرو أبا موسى، فأعطاه يده و ضم عمرو أبا موسى إلى صدره، و قال: « يا أخي قبّح الله أمرا فرّق بيننا، ثم أقعد أبا موسى على صدر الفراش، و أقبل عليه بوجهه» [3].

[1] الإمامة و السياسية، ص39.

[2] ينظر محمد محمد داود، الدلالة و الحركة، دراسة لأفعال الحركة في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة،دار غريب، القاهرة، 2002، ص450.

[3] ينظر الإمامة و السياسة، ص109.

قبل أن يُقدِّم المفاوِض "عمرو بن العاص" الحجة ذات الموجه التقويمي "**يا أخي**" يستميل غريمه بحركة سلوكية إيجابية : تقديم اليد و الضم إلى الصدر" و يتلوها (الحجة التقويمية) بموقف سلوكي إيجابي آخر: "أقعده على صدر الفراش و أقبل عليه بوجهه".

إن المحنك "عمرو بن العاص" ليس بغافل عن أهمية هذه الحركات الجسمية و دورها في التأثير، لذا فهو يحسن استعمالها لاستمالة محاوره و بث الطمأنينة في قلبه؛ حتى لا يشك بعد ذلك فيما يعرض عليه.

إن الحركة الجسمية المركبة: "مدّ اليد " اتخذت علامة على دلالات "أقوال مضمرة" عدة أهمها "التحية"؛و المدّ الجذب و المطل و مدُّ جارحة اليد إشارة للترحيب و للسلام، و أما الضم إلى الصدر فهي حركة جسمية مركبة يشترك فيها أكثر من عضو في الأداء الحركي، تعبيرا عن الوُدِّ و المصالحة و هي أيضا تعبير عن الوحدة و الامتزاج[1].

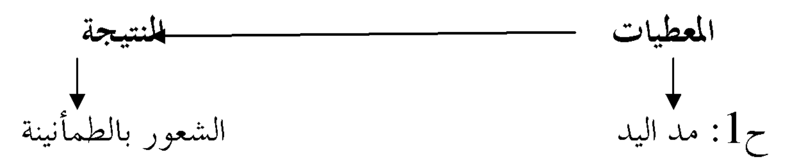
إن هذه الحركات الجسمية هي بديل سلوكي حركي عن منطوقات لفظية " أقوال مضمرة" يستنتجها المتلقي "أبو موسى الأشعري"، فتؤثر في عقله و عاطفته ومن ثم تهيئه للولوج في التفاوض و هو مطمئن البال قرير العين.

و لمَّا كانت تعبيرات الوجه المختلفة -بالهيئة العامة أو بالحركة الدالة- ما يرمي أحد المشاركين في الحوار إلى توصيله إلى غيره؛ كانت حركة الإقبال بالوجه أحسن سلوك حركي للتعبير عن الرغبة في الرؤية و قبول إقامة الاتصال[2] مع المحاور "أبي موسى الأشعري" و يعضد هذه الدلالة إقعاده على صدر الفراش، تعبيرا عن تحول جسد المفاوِض من وضع القيام إلى وضع الجلوس، أي انتهاء الحركة إلى الثبات و الاستقرار حتى يتم التفاوض في هدوء و أمان.

إن هذه الحركات الجسمية المذكورة أعلاه تنطوي على معان و دلالات اتكأ عليها المفاوض عمرو بن العاص حتى يستميل مفاوِضه و يستدرجه إلى النتيجة المتوخاة، حسب ما يمثله المخطط الآتي:

[1] ينظر الدلالة و الحركة، ص488.

[2] المرجع نفسه، ص 360.



ح2: الضم إلى الصدر

ح3: الإقعاد على صدر الفراش

2. التواصل الإشاري و وظيفته الحجاجية

إن التواصل الشفهي يفرض على المتكلم مقتضيات مختلفة، و من هذه المقتضيات أن المتكلم تُتَــاح له طائفة من المؤثرات "حجج غير لغوية" في التواصل، أي أنه يمكن أن يستعمل مجموعة من الأشياء المادية المختلفة يشير بها إلى دلالات مضمرة ، و يدعِّم بها أوضاع كلامــه و مـــن ثم يحمل المتلقي على القبول بالنتيجة المتوخاة . أما عن أهم هذه الماديات التي كانت أبلغ من الحجج اللغوية في التأثير على متلقي الخطاب السياسي أذكر ما يلي:

1.2 السيف

السيف اسم السلاح و هو علم على أسماء كثيرة و هو ضجيج الفارس و حبيبــه و لــه في حياة العربي الفاتك و مخيلته النصيب الأوفى بين مقتنياته فهو يطعن به كـــالرمح و يضـــرب بـــه كالعمود و يقطع به كالسكين و يجعله سوطا و متكأ و عصا و يتخذه جمالا في الملأ و فخرا في المنتدى و يحمله سراجا في الظلمة و أنيسا في الوحدة و يصاحبه جليسا في الخلاء و ضـــجيعا في المنام و يزامله رفيقا في السير و رديفا في الركوب[1] .

أما حين ينجرد السيف من غمده ليعاين ، فليس ثمة معنى له (السيف) بعيدا عن فعله و لا شـــك أن أهم أفعاله قطع الرقاب ثم الاستخفاف بالأعداء و تخويفهم و بث الرعب في نفوسهم.

هذه هي إذن أهم الدلالات التي عول عليها "أبو الحنيف" عندما سل سيفه ، حيـــث قـــام خطيبا في ملأ جمعه "معاوية" سعيا في ضمان ولاية العهد لابنه يزيد، إذ قال: يا أمير المؤمنين، إنـــا لا نطيق ألسنة مضر و خطبها، أنت يا أمير المؤمنين، فإن هلكت فيزيد بعدك، فمـــن أبى فهـــذا و سلَّ سيفه[2].

[1] ينظر الخطاب الإبداعي الجاهلي و الصورة الفنية،ص 114.

[2] الإمامة و السياسة، ص139.

إن هذه الخطبة يختلط فيها القول بالفعل، و تتحدد من خلالها ملامح العلاقة بين الأطراف و تبرز طبيعة السياسة الأموية التي تقوم على إعطاء المقارب و مداراة المباعد و ضرب رؤوس المخالفين[1] ، يبين ذلك الرسم التالي:

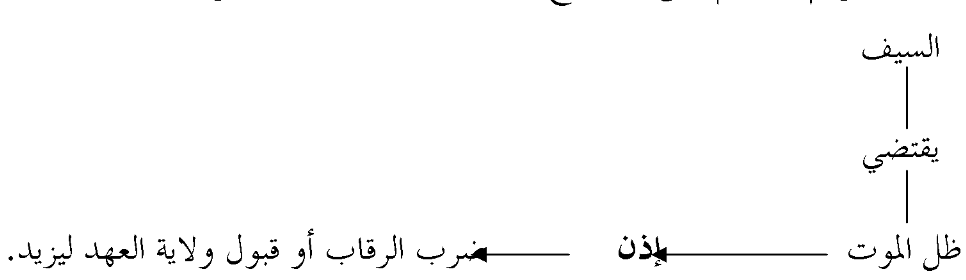
(ك) V (ب)

ليس (ب)

إذن (ك) حيث: (ك): البيعة ليزيد

(ب): ضرب الرقاب

يشير " السيف" الذي شهره "أبو الحنيف" إلى العنف الممارس في ظل الصراع السياسيي و التنازع على السلطة والسلطان بين الحاكم و الجماعات السياسية المعارضة، و قد استند المتكلم إلى القول المضمر "ضرب الرقاب" المنطوي تحت الإشارة المادية "السيف" حتى يبث الرعب في نفوس المخاطَبين ومن ثم يحملهم على الخضوع و قبول ولاية العهد ليزيد بن معاوية .



2.2 المصاحف على أسنة الرماح

أمر معاوية رضي الله عنه جنوده الذين كانوا على وشك الانهزام أن يرفعوا المصاحف للاحتكام إليها في حسم الصراع و قد كان "عمرو بن العاص" هو صاحب تلك الحيلة الإيديولوجية،حيث قال: «و الله لأدعوهم إن شئت إلى أمر أفرق به جمعهم، و يزداد جمعك إليك اجتماعا، إن أعطوكه اختلفوا، و إن منعوكه اختلفوا»[2] ، و هو بذلك واثق من نتيجة هذه الخطة في بلبلة عقول أتباع "علي" رضي الله عنه و اختلافهم، و هذا ما تحقق بالفعل.

و قد كانت هذه الحيلة موجهة القدر نفسه لجنود معاوية، تزييفا لوعيهم، بإقناعهم أن قوادهم يخوضون حربا دينية مقدسة، و ذلك إخفاء للأطماع و المصالح الدنيوية الطبقية المباشرة[3].

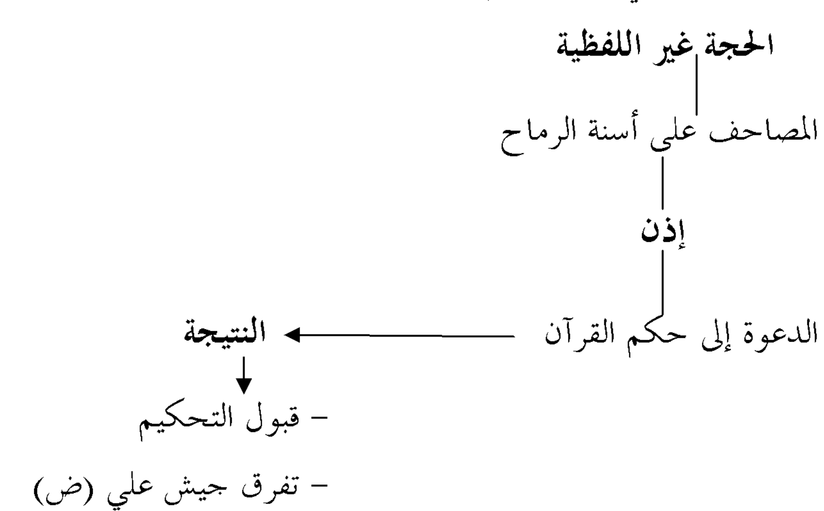
[1] محمد النويري، الأساليب المغالطية، مدخلا لنقد الحجاج ، ص 428.

[2] الإمامة و السياسة، ص95.

[3] نصر حامد أبو زيد، الخطاب و التأويل، ص130.

فحتى يؤثّر معاوية رضي الله عنه في نفوس أنصار "علي" و يستميلهم إلى وقف القتال يتكىء على الحجة غير اللفظية "**المصاحف على أسنة الرماح**" للدلالة على أن القرآن الكريم هو الحكم بين الفريقين .

لقد نجحت هذه الحجة في التأثير في المتلقي و تحقيق النتيجة المرجوة، إذ جاء زهاء عشرين ألف مقاتل من جيش الإمام علي رضي الله عنه حاملين سيوفهم على عواتقهم ، وقد اسودّت جباههم من السجود ، يتقدّمهم عصابة من القرّاء الذين صاروا خوارج فيما بعد ، فنادوه باسمه لا بإمرة المؤمنين : يا علي اجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت .



3.2 قميص عثمان و نتف لحيته

كتبت "نائلة بنت الفرافصة" إلى معاوية تصف دخول القوم على عثمان، و أخذه المصحف ليتحرم به، و ما صنع محمد بن أبي بكر، و أرسلت بقميص عثمان مضرجا بالدم ممزقا، و بالخصلة التي نتفها الرجل المصري من لحيته، فعقدت الشعر في زر القميص، ثم دعت "النعمان بن بشير الأنصاري" ليمضي بالقميص إلى "معاوية" رضي الله عنه[1].

لقد كان هذا القميص الذي عُقدت في زره الخصلة المنتوفة من لحية "عثمان بن عفان" رضي الله عنه أهم حجة قدمها "معاوية" رضي الله عنه لأهل الشام حتى يضمن استجابتهم لما يدعوهم إليه، جاء في الكتاب « صعد المنبر معاوية بالشام، و جمع الناس، و نشر عليهم القميص، و ذكر ما صنعوا بعثمان، فبكى الناس و شهقوا، حتى كادت نفوسهم أن تزهق، ثم دعاهم إلى

[1] الإمامة و السياسة، ص42.

الطلب بدمه، فقام إليه أهل الشام ، فقالوا: هو ابن عمك، و أنت وليه، و نحن الطالبون معك بدمه، فبايعوه أميرا عليهم»[1]

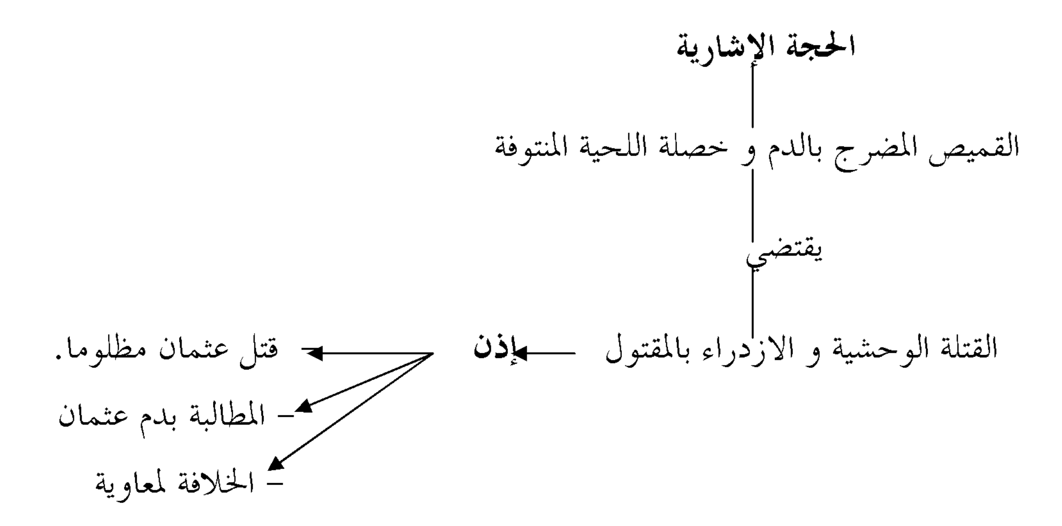
لقد استغل معاوية رضي الله عنه قميص عثمان المضرج بالدماء و الخصلة المعقودة في زره لتمرير أفكاره و تبرير سياسته. متكئا في ذلك على أهم الأقوال المضمرة التي تقدمها هذه الإشارات، لعل أهمها القتل الوحشي[2] الذي تعرض له "عثمان رضي الله عنه" فضلا عن الإهانة التي لحقته عند نتف لحيته ، ذلك أن اللحية عند العرب رمز الرجولة وزينتها وسيماء تكريم الرجل وتقديره. وإهانتها (اللحية) عند العرب من أعظم الإهانات التي لا تغتفر، وتقبيلها عندهم من علامات التقدير والاحترام والإجلال. ويعد نتف اللحية أو جزها أو حلقها إهانة كبيرة تنزل بصاحبها. يفعلها من يريد الازدراء بشأن الملتحي[3].

---

[1] الإمامة و السياسة، ص70.

[2] جاء في الكتاب عن مقتل عثمان رضي الله عنه: ...فدخل عليه محمد بن أبي بكر فصرعه و قعد على صدره، و أخذ بلحيته، و قال يا نعثل: ما أغنى عنك معاوية و ما أغنى عنك ابن أبي عامر و ابن أبي سرح فقال له= =عثمان: لو رآني أبوك رضي الله عنه لبكاني، و لساءه مكانك مني، فتراخت يده عنه، و قام عنه و خرج فدعا عثمان بوضوء فتوضأ، و أخذ مصحفا، فوضعه في حجره ليتحرم به و دخل عليه رجل من أهل الكوفة بمشقص (آلة حدة) في يده فوجأ به منكبه مما يلي الترقوة، فأدماه و نضح الدم على ذلك المصحف، و جاء آخر فضربه برجله، و جاء آخر فوجأه بقائم سيفه، فغشي عليه، ..... ثم دخل رجل من أهل مصر فأخذ بلحيته ، فنتف منها خصلة، و سل سيفه، و قال افرجوا لي، فعلاه بالسيف، فتلقاه عثمان بيده فقطعها، فقال عثمان: أما و الله إنها أول يد خطت المفصل و كتبت القرآن، ثم دخل رجل أزرق قصير مجدر، و معه جرز من حديد (السيف القاطع) فمشى إليه فقال، على أي ملة أنت يا نعثل، فقال لست بنعثل، و لكني عثمان بن عفان، و أنا على ملة إبراهيم حنيفا و ما أنا من المشركين، قال كذبت، و ضربه بالجرز على صدغه الأيسر فغسله بالدم، و خر على وجهه، ...... ثم دخل آخر معه سيف فقال افرجوا لي ، فوضع ذباب السيف في بطن عثمان فأمسكت نائلة زوجته السيف فحز أصابعها، و مضى السيف في بطن عثمان فقتله.ينظر الإمامة و السياسة، ص40، 41.

[3] ينظر جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،دار الساقي، ط4، 2001، ج1 /2446 http://www.raqamiya.org (كتاب إلكتروني).



4.2 الذوائب و الثنايا

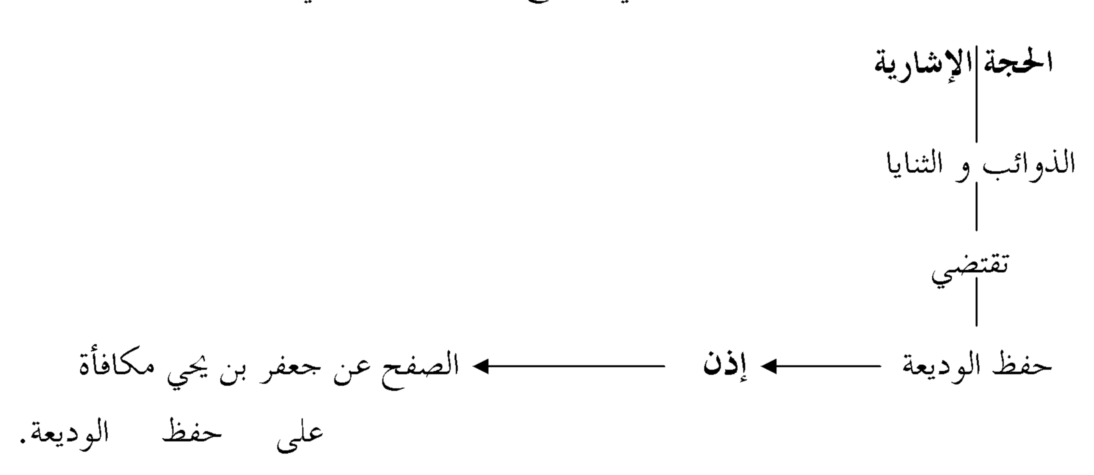
لمّـا أمر الخليفة "هارون الرشيد" بقتل "جعفر بن يحي بن برمك" خرجت إليه ضـئرُه "أم جعفر بن يحي " و هي كاشفة وجهها واضعة لثامها محتفية، متشفعة ليحي ، فلم يقبل هارون كل حججها و رفض شفاعتها، فلما رأته صرَّح بمنعها، و لاذ من مطلبها، أخرجت له حقا من زمردة خضراء، فوضعته بين يدي هارون الرشيد، وفتحت عنه قفلا من ذهب، فأخرجت منه خفضه و ذوائبه[1]و ثناياه قد غمست جميع ذلك في المسك، و قالت: يا أمير المـؤمنين أستشـفع إليـك و أستعين بالله عليك و بما صار معي من كريم جسدك، و طيب جوارحك، ليحي عبدك »[2] .

لقد فاقت هذه البلاغات غير اللفظية الحجة اللفظية في التأثير و الاستمالة، فقد استعبر الخليفة و بكى بكاء شديدا، و بكى أهل المجلس كذلك لما بث فيهم هذه الإشاريات من تأثير في نفوسهم.

[1] الذؤابة : ضفيرة الشعر المرسلة، حيث يضفر شعر رأس الأطفال ذوائب، أي ضفائر تتدلى على رأسه وعلى ناصيته. ومتى كبر الطفل وبلغ سنّ الرشد، أو شعر برجولته، ضفرت له ذؤابتان، وهي علامة الشباب والرجولة عندهم. وقد كان الساميوّن يحتفلون بحلق الذوائب، لأن هذا الحلق معناه انتهاء مرحلة من الحيـاة ودخـول الطفل مرحلة الرجولة، وهي مرحلة الحياة الصحيحة. والعادة أنهم يضفرون الأطفال سبع ضفائر. وهي عادة معروفة عند الجاهليين أيضاً،، ولا تزال متبعة عند الأعراب وأشباه الحضر. وقد يعلقون حلياً على كل ضفيرة، وذلك إمعاناً منهم في تدليل الطفل وفي إبراز جماله. فالزينة وتعليق الحلي من مظاهر التدليل والتجميل.ينظـر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.

[2] الإمامة و السياسة، ص342 .

إن أم الرشيد تتوسل بحفظها لجوارح الخليفة، فحجتها هي حفظ الوديعة، و هي تتعلل بهذه الحجة حتى تنال المكافأة من الخليفة و هي الصفح عن "جعفر بن يحي".



الفصل الخامس

الحجاج المغالط و أساليبه في الخطاب السياسي

تمهيد

لقد تم التطرق في الفصل الثاني من الباب الأول إلى عوامل نشأة الدرس الحجاجي و تطوره في منتصف القرن العشرين، و بيان كيف أن هذه النشأة جاءت نتيجة سلسلة من الأبحاث التي انصرفت إلى دراسة الأجناس اللاصورية و اللابرهانية من التراث اليوناني و الأرسطي خصوصا. و الذي تفاعلت مع التراث مختلف الأعمال التي أتت بعده.

و من ثم زخرت ساحة الدرس الحجاجي بإنجازات نظرية مهمة، جعل الدارسين يتطلعون إلى نقل الحجاج من مجرد نظرية خاصة ليتحول إلى تقنيات تطبيقية يمكن اعتمادها فعليا في الممارسة الحجاجية الواقعية.

و قد أكد عدد من الباحثين أن هذه الملكة الحجاجية لن تكتمل إلا بالانفتاح على درس السفسطة[1] ، أي تلك الأحوال التي يخرج فيها الحجاج من وجهه النموذجي ليتحول إلى ممارسة باطلة، منتجة لما اصطلح عليه بالحجج المعوجة، وهو ما يخل بما ينبغي أن يكون الهدف الأصلي من وراء كل ممارسة حجاجية عاقلة و يخرق القواعد و الأعراف الأساسية لهذا النشاط المتميز.خصوصا أن أي نشاط حجاجي هو من حيث طبيعته النوعية يكون في العادة مرشحا للانزلاق إلى ممارسة غير سليمة، بسبب ما يحيط به من معطيات نفسية و اجتماعية[2].

من هنا برز في الدرس الحجاجي المعاصر توجه يصطلح عليه بتوجه مقاربة السفسطة و هذا التوجه يعد عنصرا مكملا للدرس الحجاجي لا يتم هذا الدرس إلا به ، لأن البحث في السفسطة يمثل بعبارة كريستيان بلانتين Christian Plantin "الوجه السالب للحجاج مقابل الوجه الموجب"، الذي يدرس النشاط الحجاجي السليم.

فالدراسة التحليلية النقدية للسفسطة هي بمنزلة تكملة للنظرية الحجاجية العامة، و هذا ما يفسر ازدياد العناية بهذا المبحث في الحجاجيات المعاصرة[3].

---

[1] تم في الفصل الأول من الباب الأول الحديث عن نشأة السفسطة و عن أهم أعلام اليونان الذين اشتهروا في هذا المجال. و بينا كيف أن الحقيقة عند السفسطائيين تبنى و تشيد في خضم الصراع و التدافع الاجتماعي، و من ثم كانت عنايتهم كبيرة بالمبارزات الكلامية التي لا تحكمها ضوابط مرجعية موضوعية، و إنما يترك المجال فيها للقدرات الكلامية، و بالتالي يصير الحسم للسلطة، سلطة اللغة و الكلام، ينظر ص20-24.

[2] ينظر رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة، التوجه التداولي الجدلي نموذجا،ص146.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص147

و بذلك توالت الأعمال خلال العقود الأخيرة حول السفسطة، واشتهرت بعض الأبحاث و النظريات أهمها كتاب هامبلين "Hamblin" الصادر في 1970 و المعنـــون "السفســـطات"، و المؤلف المشترك بين وودز و والتـــون "/John Woods و Douglas Walton "الحجـــج : منطق السفسطات" في 1982 و الذي يعتبر توسيعا لمؤلف "هامبلين" و عشرات من الدراسات المنشورة في الدوريات المتخصصة في الحجاج. و في السياق نفسه تأتي مساهمة الباحثين الهولونديين "فـــان إيمـــرن" و" رووب خروتندروســـت" (Van Eemerenو Rob Grootendorest " السفسطات من منظور تداولي جدلي" و التي أصبحت تعد أهم مساهمة نسقية محكمة البناء تتوخى البحث في السفسطات و الاستفادة من التراث الكلاسيكي القديم لهذه الظاهرة في تعزيز الدرس الحجاجي المعاصر[1].

و ينظر أصحاب المدرسة الهولندية إلى هذه الظاهرة الخطابية كفعل من أفعـــال الكـــلام يـــرد في المحاورة النقدية كصورة انزياحية عن المظهر العاقل للسلوك الحواري النقدي[2]. و بـــات بـــذلك مصطلح السفسطة / الحجاج المغالط لا يخلو من مؤلف جامع في مجال الحجاج.

و من ثم يمكننا القول إن منتصف القرن العشرين هو بداية مرحلة الاقتناع بجدوى بنـــاء نظرية [للسفسطات] قادرة على تطوير أدوات فعالة و كافية لتحديد و ضـــبط شـــروط تقـــويم الحجج. خاصة و أن هناك تفاعلات حوارية لا تبتغي التدليل انطلاقا مـــن مقـــدمات صـــادقة و باعتماد مسالك تدليلية سليمة، و إنما ترتكز على التمويه و التغلـــيط و التـــدليس و التلبـــيس و العنف و الإكراه و الاستعلاء و الاستهواء و غيرها من المسالك التي تبتغي تحقيق نتائج يصعب تحصيلها بطرق مشروعة.

[1] ينظر رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة، التوجه التداولي الجدلي نموذجا، ص148.

[2] ينظر حسان الباهي، الحوار و منهجية التفكير النقدي، ص129.

أولا: الحجاج المغالط، مفهومه و مواضعه

1.المفهوم اللغوي و الاصطلاحي للسفسطة

يرى رشيد الراضي أن مصطلح "السفسطة" يقابله في الفرنسية مصطلح "sophisme" و في الإنجليزية "fallacy"، و يفيد لفظ "sophisme" في أصله اللغوي اليوناني الانتساب إلى الحكمة (صوفيا/ الحكمة) إذ تعني "sophos" في اللغة اليونانية الحكيم أو معلم الحكمة.أما السفسطة فتعني نوعا من الحكمة القولية التي يتعين تلقينها و تدريسها، ثم تحولت هذه الكلمة لتكتسب معنى قدحيا تحت تأثير النقد الأفلاطوني و الأرسطي و تحدد معناها في: نوع من الحجج التي يدعي واضعها أنها حجج مشروعة من دون أن تكون كذلك أي أنها نوع من المخاطبة المخادعة المقدوح فيها علميا و أخلاقيا[1].

أما اللفظ "fallacy" ذو الأصل اللاتيني فهو يختلف في مدلوله الحرفي، إذ وجد في معجم Gaffiot أن النعت "Fallax" في اللاتينية يفيد معنى مغلط و خادع، و الاسم المقابل له "fallacia" معناه الخديعة و الحيلة بل و حتى السحر، و تخصص اللاتينية لفظ "fallaciloquus" للدلالة على الخداع الذي يتم بواسطة القول، و منه الفعل "fallo" "faller" الذي يفيد خداع شخص ما و يفيد في سياقات معينة " خيب أمل شخص، و خان العهد، و أخلف الوعد...إلخ.

إن هذا اللفظ يرتبط في أصله الاشتقاقي اللاتيني بمعاني قدحية (الكذب، الخديعة، الحيلة، الغلط...) و هذه المظاهر لها حضور كبير في العلاقات الإنسانية، و تنعكس بوضوح في النشاط القولي، و خاصة في مظهره التحاوري[2].

أما محمد النويري فيرى أن فريق الترجمة الفرنسية، استعمل مصطلح "برالوجيسم" في مقابل المصطلح الإنجليزي Fallacy و هو كما تم ذكره مصطلح من أصل لاتيني "fallacia" و يعني المغالطة و المكر و الخداع و الحيلة.

و الكلمة الفرنسية "Paralogisme" مشتقة من اليونانية "Paralogismos" و هي تتكون من جزئين "para" و تعني "faux- à coté" (مجانب- خاطئ) و "logismos" و تعني "calcul-raisonnement" (حساب- استدلال) فهي تعني إذن حججا خاطئا.

[1] ينظر السفسطات في المنطقيات المعاصرة، التوجه التداولي الجدلي نموذجا، ص143-147

[2] ينظر المرجع نفسه، ص147

و تضيف المعاجم الحديثة فكرة حسن النية مما يجعل من تعريف البرالوجيسم فيها حجاجا خاطئا عن حسن نية. ويكون بذلك مقابلا لمفهوم "sophisme" حيث يبدو اختلال الحجة قائما على سوء النية أو بصفة أدق حيث يحكم سوء النية البنية المنطقية للحجة[1].

أما كريستيان بلانتان فقد دعا إلى اعتماد اللفظ "fallacie "في اللغة الفرنسية للدلالة على السفسطة، و ذلك لما له من أهمية؛ خصوصا صلته باللغة اللاتينية و اشتماله على معنى المغالطة (false,faux، غلط)[2] .

أما النظر في التراث الفلسفي العربي و خصوصا ذاك المتعلق بنقل آثار أرسطو المنطقية إلى العربية فهو يطلعنا على محاولات عديدة لا تخلو من الفائدة في نقل مصطلح "برالوجيسموس" إلى العربية يمثل ذلك ما نقله المترجمون العرب (يحي بن عدي، عيسى بن اسحاق بن زرعة، الناعمي، ابن رشد) للفقرة الأولى من كتاب التبكيتات إلى العربية. و أغلب هذه الترجمات العربية اعتمدت مادة (ض.ل.ل) (تضليلات ، مضلات، مضللات).

و يستعمل ابن رشد مصطلح "المغالطة" و "الحجة المغالطية" و "القياس المغالطي" في معنى مواز لمفهوم البرالوجيسم الأرسطي[3].

إن هذه الكلمات جميعها تلتقي عند مفهوم واحد يراعي غايات المحاجة السوفسوطائية و مقاصدها و هي خداع السامع. مع تفاوت في الإشارة إلى إشكالية العلاقة بين بنية الحجة المختلة منطقيا و مظهرها الذي يبدو سليما.

2. الفرق بين الغلط و التغليط

يميز حسان الباهي في مؤلِفِه "الحوار و منهجية التفكير النقدي" بين الغلط و التغليط، ويرى أن الغلط يتفرع إلى غلط غير مقصود و يسمى غلطا، و مقصود ينبني على التدليس و الإخفاء و التعتيم و التمويه بغاية تضليل المتلقي، و هو التغليط، و قد يكون سفسطة و الكلمة غلط تعني وضع الشيء في غير موضعه، و يجوز أن يكون صوابا في ذاته. و قيل غلط هو تعيا بالشيء فلا تعرف وجه الصواب فيه، و الغلط كل شيء يعيا الإنسان من جهة صوابه من غير تعمد. ونقول غالطه مغلطة و أغلوطة، و المغلطة و الأغلوطة ما يغالط به من المسائل. فالغلط بهذا

[1] محمد النويري، الأساليب المغالطية، مدخلا في نقد الحجاج، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص406

[2] ينظر السفسطات في المنطقيات المعاصرة، التوجه التداولي الجدلي نموذجا، ص178

[3] الأساليب المغالطية، مدخلا في نقد الحجاج، ص 412

المفهوم يعد خطأ غير مقصود و هو غير المغالطة و الأغلوطة التي هي الحجة التي تبدو صحيحة لكنها خطأ قصد بها صاحبها التمويه و التضليل[1].

و صفوة القول أن الغلط استدلال فاسد و لكن لا يقصد منه التغليط بل الغلط، ويكون عن حسن نية، أما التغليط (السفسطة) فهو حجة أو استدلال يظهر بأنه صادق لكنه في الحقيقة ليس كذلك، أي يتخذ ظاهريا صورة استدلال صحيح أو حجة صادقة لكنه في الحقيقة فاسد إن كان استدلالا و كاذب إن كان قضية[2].

3. مفهوم الحجاج المغالط

عرفت المغالطة بأنها حجاج غير صحيح و قيل إنها استدلال فاسد و الآتي بها مغالط أو غالط في نفسه مغالط لغيره، و هناك من وصفها بأنها حجاج لا يمكن أن نقنع به إنسانا متعقلا و متفكرا أو جعله يقبل بنتيجة ما. فالإنسان يقع في مغالطة متى قبل بنتيجة مبنية بطريقة مضللة أو أنه استخدم حجاجا مغالطا بهدف الإقناع.

و تجمع المغالطة ضمن مكوناتها بين ما هو منطقي و لغوي و نفساني و بلاغي، فالمغالطة قياس فاسد، إنها « قياس وهمي غير منتج، يراد به التغليط و إسكات الخصم و إظهار الانتصار عليه بتضليله عن الحقيقة»[3]. و ذلك باستعمال سبل مختلفة و طرق غير مشروعة.

و في الوقت نفسه فإن المغالطة **حجاج مغالط** يقوم على نوع من الإغراء الذي ينجح من خلاله المغالط في أن يخدع الضحية. كما أن استناد المغالطة إلى أخطاء تنسيقية و تدليلية يبرز أن المغالط قد يستغل عدة إمكانات منها ما هو لغوي و منها ما هو خارج – لغوي، بهدف إيقاع بالمخاطب و جعله يعتقد فيما هو أنه ليس هو و فيما ليس هو أنه هو[4].

و يعرف الباحثان الهولونديان "إيمرن" و "خروتندوست" مصطلح الحجاج المغالط/ السفسطة في تصورهما التداولي الجدلي بأنه « أفعال اللغة التي تعوق بوجه كيفما كان حل منازعة ما في سياق المحاورة ... ففي هذا المنظور لا يعني ارتكاب سفسطة/ حجاج مغالط ما إقداما على

[1] الحوار و منهجية التفكير النقدي،ص 165.

[2] المرجع نفسه، ص166.

[3] ينظر محمود يعقوبي، دروس في المنطق، ص 267-271.

[4] الحوار و منهجية التفكير النقدي،ص 166.

سلوك مقدوح فيه أخلاقيا، و لكنه يشكل غلطا من حيث كونه يعيق الجهود التي تبذل من أجـــل حل المحاورة »[1].

إن الحجاج المغالط فعل كلامي سلبي يسعى من خلاله المخاطِب إلى التأثير الذهني في المتلقي و توجيهه إلى عمل ما و دفعه إليه ومن ثم الحصول على النتيجة المتوخاة عن طريـــق اســـتعمال مجموعة من المغالطات.

4.مواضع التغليط

إن سبل التغليط التي اعتمدها السفسطائيون قصد التضليل و التمويه متعددة و متنوعة منها ما هو خاص بالأحوال (خارج-لغوية) و منها ما هو خاص بالأقوال (لغوية)،و منها ما هو خاص بجهة البناء و التدليل، و فيما يلي تفصيل ذلك[2].

1.4 سبل التغليط خارج – لغوية

تتمثل سبل التغليط "خارج –لغوية" في الضوابط المادية و عدم الصدق في القول و عـــدم الإخلاص في العمل، حيث يسعى المغالط إلى أن « يظهر بمظهر مقبول في حين أن ما يبطنه عكس ما يظهره، كما أنه لا يتوارى في استغلال كل الظروف و الفرص التي تتاح لصالحه و لـــو علـــى حساب غيره، فمتى تبين له ضعف ما يكلم به حاول تمريره بكل الحيل الممكنة، و لتحقيق هـــذا يركز اهتمامه على محاوره فيتخذ معه طريقة التهجم عليه بغاية إرباكه و إظهـــاره بمظهـــر غـــير مقبول، أو طريقة الثناء و المدح حتى يستكين له فينقلب عليه، كما أنه يولي اهتمامه جهة الحضور بأن يسعى إلى استعطاف الحاضرين و استدراجهم إما رغبا أو رهبا حتى يصبح كلامـــه مقبـــولا و كلام خصمه غير مقبول، أما عدم الصدق في القول و عدم الإخلاص في العمل فتعدان من أهم صفات المغالط، إذ أنه لا يلتزم بما يقول و من ثم التباين بين أقواله و أفعاله، فقد يقول قولا و لا يعمل به، و قد يسلم بما لا يعتقد فيه و ما لا يصدق به، و مع ذلك يحاول أن يوهم محاوره بأنـــه يعتقد في دعواه، و لتحصيل هذا الهدف يلبس الحق صفة الباطل و الصدق صـــفة الكـــذب، ... و القصد من كل هذا هو الاحتيال و الرياء و البغي بغية الظفر بالخصم، و هو بذلك لا يتـــوخى المناسبة في الكلام و لا يصوغ كلامه بطريقة ينكشف من خلالها كل ما في نفسه من مقاصـــد.

[1] السفسطات في المنطقيات المعاصرة، التوجه التداولي الجدلي نموذجا، ص155

[2] ينظر حسان الباهي، تهافت الاستدلال في الحجاج المغالط، مجلة فكر و نقـــد، المغـــرب، ع61، 2004، (مرجع مذكور).

فالمغالط يستخدم ما هو خارج-لغوي أو يستعين به من أجل الإيقاع بخصمه... فهو يعرض عن الإقناع بالحجة للتهجم على الشخص و النيل منه رغبا أو رهبا .

2.4 مسالك التغليط بالأقوال اللغوية

إن المغالط يستغل كل ما توفره اللغة من إمكانات قصد استدراج المخاطب و استمالته و بالتالي تغليطه، إذ يستند في فعلته إلى آليات تغليطية يضفي عليها صفة الحق أو المشهور كي يوهم المخاطَب بسلامة حجاجه، اعتمادا على مقومات تتعلق بالدرجة الأولى باللغة من خلال خصائصها التركيبية و الدلالية و التداولية، أضف إلى ذلك إمكان استغلاله لمجموعة من الظواهر التي تيسر له هذا الأمر، مثل الاستعارة و التشبيه و الإحالة الذاتية و قابلية انعكاس ألفاظ اللغة الطبيعية، و غيرها من الظواهر القابلة لجعل صور الشبهة تتعدد و تتكاثر أمام المتلقي، إذ يتوسطها لِطمس الحق و طيه، أو خلطها بالباطل، أو استغلال المتشابه قصد النيل من المحكم، و غير ذلك من السبل التي تكشف عن نيته المبيتة و الخبيثة، فالمغالط يستغل البعد البنيوي و الوظيفي للغة لجعل المفهوم يغاير المقصود ، أو يوهم المخاطب بأن الأمر يهم المقصود و غير المقصود معا، و أنه لا فرق في أخذه بهذا المعنى أو ذاك.

3.4 مسلك التغليط من جهة البناء و التدليل

يعد مسلك التغليط من جهة البناء و التدليل أسلوبا و آلية منطقية يستند إليها المغالط ليوهم خصمه من خلالها بأنه رتب أدلته وفق طرق منطقية دقيقة و مضبوطة دون أن يكون الأمر كذلك حقيقة، فقد يعمد إلى طي محل الكذب عن السامع، أو يجعل المقدم تاليا أو التالي مقدما أو يوهم الخصم بأنه بنى القياس على مقدمات صادقة أو مشهورة دون أن يكون الأمر كذلك حقيقة، أو بأن يعمد إلى خرق شروط القياس كأن لا يكون الحد الأوسط واحدا في المقدمتين، أو أن معناه يختلف من مقدمة إلى أخرى أو يجعل أحد الطرفين في مقدمة ما غيره في مقدمة أخرى أو في النتيجة، أو أن يقوم بترتيب المقدمات بشكل لا يراعي شروط اللازم و الملزوم ، أو أن ينقل ما هو صحيح بطريقة القياس فيقدمه و كأنه كذلك استقرائيا، أو العكس أو أن يعمد إلى استحضار التقابل بين القضايا فيقدمه بشكل مغلوط... إلخ .

و صفوة القول إن الغلط في الاستدلال يكون بسبب كذب المادة أو بسبب فساد الصورة، فالغلط المادي يكون بوضع مقدمة كاذبة أو مقدمتين كاذبتين في صورة قياسية صحيحة، و الغلط

الصوري يكون بوضع مقدمتين صادقتين في صورة قياسية فاسدة، بخروجها عن إحـــدى قواعـــد القياس ، و يمكن أن يجتمع الغلط المادي و الغلط الصوري في القياس الواحد[1].

5. الحجاج المغالط في التراث العربي

لقد تضمن التراث العربي الإسلامي مواقف خاصة من الغلط و التغليط و عرضا للوجـــوه السيئة للحوار و التناظر بشكل خاص، يبين ذلك المساهمة الإسلامية الفلسفية القديمة و المســـاهمة النقدية الأدبية.

فأما المساهمة الإسلامية العربية الفلسفية القديمة فقد قدمت الاعتبارات المنطقية (الأرسطية في روحها) على غيرها ، جاعلة منها الفيصل أو المعيار الأساس في تقويم الحوار عامة و المنـــاظرة خاصة، و تمثل مساهمات "أبي نصر الفارابي" أحسن تمثيل للموقف الفلسفي الإســـلامي العـــربي القديم من **الغلط و من التغليط**، فقد وقف الفارابي على الغلط و التغليط في كتابـــه "الأمكنـــة المغلطـــة" أحد مكونات منطقه الذي قرَّب به منطق أرسطو[2].

و يرى "حمو النقاري" أن الغاية التي توخاها "أبو نصر الفارابي" مـــن الاهتمـــام بـــالغلط و التغليط و بمختلف وجوههما هي بيان كيفية اتقائهما و التحصن منهما في حالة النظر المتفـــرد و المتوحد في حالة التناظر مع الأغيار المخالفة، و لا يميز الفارابي بين وجـــوه الغلـــط و وجـــوه التغليط لأنه يَعُدُّ الأمكنة التي يقع فيها الغلط الأمكنة نفسها التي تقع بها المغالطة، يقول الفـــارابي في هذا الأمر: « فينبغي الآن أن نقول في الأمكنة التي منها يغلط الناظر في الشيء و في الأمور التي شأنها أن تزيل الذهن عن الصواب في كل ما يطلب إدراكه، و يخيل الباطل في صـــورة الحـــق، و تلبس على الإنسان موضع الباطل فيما يقصد علمه فيقع فيها حيث لا يشعر.

و هذه الأمكنة بأعيانها هي التي يمكن أن يغالط الإنسان من يخاطبه حتى إن كان مطالبا أو ملزما أوهم أنه طالب و تسلم من غير أن يكون طالب و تسلم، و بها يوهم أنه ألزم و عاند من غير أن يكون عاند في الحقيقة، و إن كان مجيبا أو محاميا أو واضعا أوهم بها أنه سلم من غير أن يكـــون

---

[1] ينظر محمود يعقوبي، دروس في المنطق، ص 267-271.

[2] ينظر حمو النقاري، من منطق مدرسة بور رويال: في سوء النظر و التناظر و وجـــوه الغلـــط و التغلـــيط فيهما،ضمن كتاب التحاجج طبيعته و مجالاته و وظائفه، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة ندوات و مناظرات رقم 134، ص 192.

سلم أو دافع من غير أن يكون قد دافع في الحقيقة. فإنها [الأمكنة] إذا تبينت لنا لم يخف علينا كيف الوجه في التحرز منها عن النظر إما فيما بيننا و بين أنفسنا و إما فيما بيننا و بين غيرنا»[1].

ويرى "الفارابي" أن نقص الإنسان هو السبب في وقوعه ضحية الغلط و التغليط و نقص الإنسان عنده بصفة عامة جهله بالنظريتين الأرسطيتين القياسية و الجدلية[2]، يقول :« هذه المواضع ليست تغلط كل إنسان، و إنما تغلط من كان به نقص. و النقص بالجملة هو:

- أن لا يعرف القياس و أصنافه و لا المقدمات على الجهة التي حددنا.
- أو أن يعرفه لا بأجزاء حدِّه على التمام.
- أو أن ينقصه إحدى تلك القوى الأربع [الآلات الجدلية الأربعة: آلة الاقتضاب، آلة القدرة على تمييز الاشتراك، آلة القدرة على تمييز الفضول، آلة القدرة على إدراك التشابه].
- أو أن تكون تلك القوى بأسرها ناقصة»[3].

و يقرر الفارابي أنه « متى عرفنا القياس و قوينا على تباين ما بين الأشياء لم يقع علينا غلط إذا تأملنا و لا مغالطة إذا خوطبنا »[4].

لقد عمد "أبو نصر الفارابي" إلى تعيين جملة من وجوه الغلط و التغليط مفصلا القول فيها وجها وجها .و تتمثل هذه الوجوه المعتبرة منطقيا في الآتي[5]

-الغلط و التغليط بالمصادرة على المطلوب بنوعيه "البيان الدائر" و " المصادرة مقابل المطلوب".

- الغلط و التغليط في النقلة.
- الغلط و التغليط في اللزوم بنوعيه "اللزوم المستقيم" و " اللزوم بالخلف".
- الغلط و التغليط بتحويل المقصور إلى المطلق.
- الغلط و التغليط بتحويل المطلق و المقيد.

---

[1] الفارابي، كتاب الأمكنة المغلطة، المنطق عند الفارابي، ت رفيق العجم، دار المشرق، بيروت،ص132 .1986

[2] ينظر حمو النقاري، المرجع نفسه، ص192-193

[3] كتاب الأمكنة المغلطة، ص163

[4] المرجع نفسه، ص164

[5] ينظر المرجع نفسه، ص 150-156

- الغلط و التغليط بتحويل الكثير إلى الواحد.
- الغلط و التغليط بالمحمولات العرضية.

أما في مجال النقد الأدبي ، فنجد مساهمات "حازم القرطاجني" في مؤلفه "منـــهاج البلغـــاء و سراج الأدباء" حيث جعل فيه المغالطات قسمين: مغالطات ترجع إلى القول ذاته و مغالطـــات ترجع إلى المقول له؛ أي المتلقي، يقول : « و إنما يصير القول الكاذب مقنعا و موهما أنـــه حـــق بتمويهات و استدراجات ترجع إلى القول أو المقول له، و تلك التمويهات و الاستدراجات قـــد توجد في كثير من الناس بالطبع و الحنكة الحاصلة باعتياد المخاطبات التي يحتاج فيهـــا إلى تقويـــة الظنون في شيء ما أنه على غير ما هو عليه بكثرة سماع المخاطبـــات في ذلـــك و التـــدرب في احتذائها »[1].

فأما القسم الأول من المغالطات؛ فيتمثل في جملة من الحجج التي ترمي إلى الإيقاع بالمتلقي و حمله على الإذعان و الحال أنها لم تستقم حججا صحيحة لذا سماها "حازم القرطاجني" "تمويهـــات" و أما القسم الثاني فيشمل ما يثير به المتكلم متلقيه بوصفه و مدحه و التقرب إليـــه و سماهـــا " استدراجات" و تكون "الاستدراجات" بتهيء المتكلم بهيئة من يقبل قوله أو باستمالة المخاطب و استلطافه له بتزكيته و تقريضه أو باطبائه إياه لنفسه و إحراجه على خصمه حتى يصير بـــذلك كلامه مقبولا عند الحكم و كلام خصمه غير مقبول[2].

ثانيا: أنواع المغالطات الحجاجية في الخطاب السياسي

استثمر الحجاجيون الغربيون الخطاب التقليدي خاصة الأرسطي منه حـــول السفســـطة في استخلاص الأساليب المغالطية و صنفوا بذلك أنواع المغالطات الحجاجية التي يعتمدها المخاطِـــب قصد التضليل و التمويه.

و أستثمر بدوري هذا الإنجاز لبيان تتعدد سبل التضليل و التغليط في الخطاب السياســـي في كتاب الإمامة و السياسة ، خاصة و أن أساليب التضليل تتفاوت بين الجلاء و الخفـــاء، إذ أن المخاطِب السياسي يستغل ما أمكنه من الإمكانات اللغوية و غير اللغوية قصد الدفع بمتلقيـــه إلى الغلط و من ثم الإيقاع به. و فيما يلي أهم هذه المغالطات الحجاجية:

---

[1] منهاج البلغاء و سراج الأدباء، ص63.
[2] ينظر المرجع نفسه، ص64.

1.حجاج القوة

إن حجاج القوة هو حجاج يسعى صاحبه إلى حمل المخاطَب على سلوك معين أو على عمل معين سعيا يستند إلى التهديد. يستمد منه الحجة و يسأل الاقتناع الذي يتخذ في نهاية الأمر شكل الاستسلام[1].

إن إتيان المخاطَب بما أمر به المتكلم أو نهى عنه لا يكون عن اقتناع، كما أن المتكلم لا يعنيه إن كان المخاطَب مقتنعا بما تحقق منه أو لا؛ المهم عنده أن يتحقق ما يرى هو وجوب تحققه.

و يتجه حجاج القوة إلى سلوك المخاطبين ليُكيِّفه وفق كيفية معينة يريدها.أما ما يفكر فيه المتخاطبون و يعتقدونه فإنه ينحط إلى درجة ثانوية. فالمحاجة بالقوة لا تهتم بقناعات المخاطب و لا تلتفت إلى ما يؤمن به و لا يعنيها أن يقتنع بما يطلب منه.

ولقد سعى "وودز" و "واتسن" إلى أن يبحثا عما يمكن أن يتوفر عليه الحجاج بالقوة من تماسك منطقي في إطار آخر غير إطار المنطق الكلاسيكي معتبرين أنه منحى في الحجاج يمكن أن يتعلق بالمنطق الأخلاقي العملي. و بَيَّنا ذلك من خلال تحليلهما للمثال الآتي: "أنا على حق أو أنك لن تأخذ السيارة هذا المساء، إذن فأنا على حق"[2]. لقد سلك الباحثان المسلك التالي في التحليل:

القضية (ك): أنا على حق.

القضية (ب): لا تأخذ السيارة هذا المساء.(حالة من أشياء غير مرغوب فيها)

القضية (ق): أن يكون له الحق (القضية (ق) نفسها غير مرغوب فيها).و معنى ذلك أن الحالة السلبية ينبغي ألا تحصل. و يمثل هذا التحليل الرسم التالي:

(ك) V (ب)   حيث V = أو

ليس (ب)

إذن (ك)

و لما كان أهم ما يسعى إليه الخطاب السياسي هو الانصياع و التسليم؛ أما الاقتناع فإنه يأتي في مرحلة ثانية. فإن المخاطِب السياسي يستعين في بعض الأحيان بالقوة و العنف و الإكراه

---

[1] ينظر الأساليب المغالطية، مدخلا في نقد الحجاج، ص426.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص428.

و استغلال السلطة لتمرير قرارات معينة، مع إجبار المخاطَب على الامتثال للقرارات و الأوامـــر قهرا و كرها، فالحِجَاج بالقوة في الخطاب السياسي هو مغالطة ناتجة عن استخدام العنف.

و يظهر الحجاج المغالط/ الحجاج بالقوة في مجموعة من الخطب و الرســائل و الحــوارات لأمراء المؤمنين و ولاتهم، يأمرون رعاياهم و معارضيهم السياسيين بقبول البيعة أحيانا و نصـــرة الإمام و الطاعة له أحيانا أخرى و إن لم يستجيبوا (الرعايا/ المعارضون السياسيون) فالقتل هـــو جزاؤهم:

جاء في كتاب "الإمامة والسياسة" في ذكر بيعة "الوليد و سليمان ابني عبـــد الملـــك« أن "سعيد بن المسيب" كره أن يبايع لـــ"عبد الملك بن مروان" فلما علم القرشيون بـــذلك أتـــوا "هشام بن إسماعيل" و طلبوا منه أن يكلم "سعيدا" و يخوفه القتل عسى به أن يبـــايع و يجيـــب، فجاءه مولاه (سعيد) فوجده قائما يصلي في مسجده، فبكى مولاه بكاء شـــديدا، قـــال لـــه "سعيد": ما يبكيك ويحك**!** قال:أبكي مما يراد بك. قال له "سعيد" و ما يراد بي، ويحك. قال جاء كتاب من عند "عبد الملك بن مروان" إلى "إسماعيل بن هشام":« **إن لم تبـــايع و إلا قتلتـــك** ، فجئتك لتطهر و تلبس ثيابا طاهرة و تفرغ من عهدك إن كنت لا تريد أن تبايع»[1].

إنّ أمير المؤمنين "عبد الملك بن مروان"و واليه لا يهتمان بقناعة معارضهما السياسي "سعيد ابن المسيب" و المتمثلة في كرهه لبيعة "عبد الملك بن مروان"، و لا يلتفتان إلى ما يؤمن به ، ممثلا في "عدم وجوب تعدد البيعة"؛ ذلك أن سعيدا قال: « لم أكن لأبايع بيعـــتين في الإســـلام بعـــد حديث سمعته عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال: {إذا كانت بيعتان في الإسلام فاقتلوا الأحدث منها}[2]» ،كما أنهما لا يعنيهما أن يقتنع "سعيد" بما يطلب منه، و إنما همهما هو انصياع المعارض لأمرهما و التسليم لهما، كما يبين الرسم التحليلي الآتي:

(ك) V (ب)

ليس (ب)

إذن (ك) حيث:

القضية (ك): البيعة لعبد الملك بن مروان

القضية (ب): القتل هو الجزاء في حالة العصيان

---

[1] الإمامة و السياسة، ص232.

[2] ورد معنى الحديث باللفظ الآتي { إذا بويع لخليفتين، فاقتلوا الآخر منهما}، تلخيص الحبير لابن حجر، دار الفنية المتحدة، ج4، ص43، و ينظر مجمع الزوائد للهيثمي، دار القدسي، ج5، ص198.

كما يتجلى التهديد بالقوة و العنف الذي اعتمدته السياسة الأموية في مجموع الرسائل التي بعثها معاوية بن أبي سفيان آمرا مهددا من خلالها متلقيها بقبول بيعة يزيد و توليه الخلافة بعده:
جاء في رسالته إلى "عبد الله بن عباس": « أما بعد فقد بلغني إبطاؤك عن البيعة ليزيد بن أمير المؤمنين، و إني لو قتلتك بعثمان لكان ذلك إلي، لأنك ممن ألب و أجلب، و ما معك من أمان فتطمئن به، و لا عهد فتسكن إليه، فإذا أتاك كتابي هذا، فاخرج إلى المسجد و ألعن قتلة عثمان و بايع عاملي، فقد **أعذر من أنذر**، و أنت بنفسك أبصر، و السلام » "س37".
و جاء في كتابه إلى "عبد الله بن جعفر" « أما بعد فقد عرفت آثرتي إياك على من سواك و حسن رأيي فيك و في أهل بيتك، و قد أتاني عنك ما أكره، فإن بايعت تشكر و إن **تأب تجبر**، و السلام»"س38".

تُبيِّن كتبُ معاوية بن أبي سفيان مدى تماديه في خرق طرائق الانتخاب الديمقراطي التي عرفتها الخلافة الراشدة، و مدى استغلاله للسلطة في تمرير قراراته كرها و قهرا، و هو بذلك يستند إلى قاعدة أموية شخصية هي حق الحكام في اللجوء إلى القوة و الإرهاب المعنوي حتى يُثبِّتوا أركان دولتهم. يوضح ذلك المخططان التحليليان الآتيان:

مخطط1:

- (ق) ∧ (ك)
- **ليس** (ل)
- **إذن** (ق) ∧ (ك) حيث:

(ق): لعن قتلة عثمان
(ك): مبايعة يزيد بن معاوية
(ل): الإنذار و التهديد

مخطط2 :

- (قَ) V (كَ)
- **ليس** (كَ)
- **إذن** (قَ)

حيث: (قَ): قبول البيعة ليزيد بن معاوية
(كَ): الإجبار في حالة الإباية

و يعد التهديد بالقتل (التصفية الجسدية) الأسلوب المعتمد من طرف أمراء المؤمنين للظفر بالبيعة و من ثم المُلْك بعد نهاية العهد الراشدي و لم يقتصر على المعارضين السياسيين بل شمل حتى الأقارب منهم و هي آية من آيات الصراع السياسي على المنصب/ الإمامة و الخلافة، يظهر ذلك جليا في الحوار الذي جرى بين "عبد الملك بن مروان" - عندما حضرته الوفاة- و خالد و عبد الرحمن ابني يزيد بن معاوية بن أبي سفيان:

عبد الملك بن مروان: أتحبان أن أسألكما بيعة الوليد سليمان.

خالد و عبد الرحمن ابنا يزيد: يا أمير المؤمنين معاذ الله من ذلك.

فأومأ (عبد الملك بن مروان) بيده إلى مصلى كان مضطجعا عليه، فأخرج من تحته سيفا مصلتا.

عبد الملك بن مروان: و الله لو قلتما غير ذلك لضربت أعناقكما بهذا السيف[1].

إن أمير المؤمنين "عبد الملك بن مروان" يمارس السلطة على أنها امتياز شخصي و أن على الناس الاستسلام و الطاعة له، و هو بذلك لا يتوانى قدر أنملة على ضرب الرقاب في تثبيت ملكه:

(ك) V (ق)

إذن (ك)

حيث: (ك):البيعة للوليد و سليمان

(ق): ضرب الرقاب.

كما حث عبد الملك أولاده على اعتماد هذا الأسلوب (التهديد و الجبر) في أخذ البيعة و عدم التواني عن القتل إن استلزم الأمر ذلك، جاء في وصيته لابنه: « إذا أنا مت فاغسلني، و كفني، و صل عليَّ و أسلمني إلى عمر بن عبد العزيز يدليني في حفرتي، و اخرج أنت إلى الناس، والبس لهم جلد النمر، واقعد على المنبر، و ادع الناس إلى بيعتك، فمن مال بوجهه عنك كذا، فقل له بالسيف: كذا، و تنكر للصديق و القريب، و اسمح للبعيد، و أوصيك بالحَجَّاج خيرا، فإنه هو الذي وطأ لكم المنابر، و كفاكم تقحم تلك الجرائم»[2].

لقد ضرب عبد الملك بشروط البيعة و اختيار الخليفة التي اتفق عليها الصحابة و التابعون عرض الحائط و اعتمد فقط في تثبيت الملك على التهديد و القتل، و يرى أنهما الوسيلة الناجعة في

---

[1] الإمامة و السياسة، ص224.

[2] المرجع نفسه، ص 225.

تكييف سلوك المعارضين الكيفية التي يريدها، و أن ما يفكرون فيه و يعتقدونه لا يهتم به، فالقوة و العنف هما السبيل الأوحد في سحق و مَحق المعارضة السياسية.

إن بنود هذه الوصية و ما ورد قبلها من تصريحات الحكام؛ ليست إلا دليلا على السلطة المستبدة التي مارستها السياسة الأموية على رعاياها دون أن تكون هي ذاتها خاضعة للقانون و القانون في نظرها قيد على المحكومين دون أن يكون قيدا على الحاكم، ففي وسعها (السلطة) أن تتخذ ما تشاء من الإجراءات و لو بالتصفيات الجسدية[1].

2.الحجاج الجماهيري/ حجة الجماعة

إن الحجاج الجماهيري هو حجاج يوجه إلى جماعة ما، ينجزه المخاطِب "أ" أمام جمهور "**ب**"بغية إقناعهم بفكرة ما و إثارة حماسهم إليها و تحقيق اقتناعهم لها. يعتمد الاستمالة و الاستدراج بإثارة العواطف و المشاعر و الأحاسيس و الشفقة. و ذاك غاية ما يسعى إليه المُحَاجِج.

فعندما يستجيب الجمهور متحمسا إلى فكرة المخاطِب ، يحقق الخطاب الحجاجي هدفه و بقدر ما يتحمس الناس إلى النتيجة يتزايد توفيق الخطاب الحجاجي و يتعاظم نجاحه[2].

إن الحجاج الجماهيري يتجه إلى جمهور معين يراد حمله على فكرة معينة و المُحَاجِج لا يعنيه أن يبني حجته البناء الذي يمكن أن يصل به إلى حقيقة موضوعية على أساس مقدمات حرص أن تكون صحيحة حتى يصل إلى نتائج يقينية، ذلك أن اهتمام المُحَاجِج منصب كله على ما يضمن اعتناق الجمهور لفكرته و التحمس لها.

و تلاحظ بعض الدراسات أن البعد المغالطي في الحجاج الجماهيري يتمثل في أن خطاب العاطفة في المقدمات لا يتناسب منطقيا مع النتيجة، مما يجعل من العلاقة بين مضامين القضايا في المقدمات و النتيجة علاقة منفصمة. و يبدو أن انفصام العلاقة شرط مهم لقيام الحجة الجماهيرية، ذلك أن العلاقة المنطقية بين المضامين القضوية تحول الحجة إلى نوع آخر من الحجاج.

---

[1] ينظر إمام عبد الفتاح، الطاغية، ص 172.

[2] ينظر الأساليب المغالطية، مدخلا في نقد الحجاج، ص430 و ينظر الحوار و منهجية التفكير النقدي، ص197.

إن غياب العلاقة مهم، و لكنه ليس كافيا ، مع أن العلاقة يمكن أن لا تنعدم تماما، فكثيرا ما تختلط الدعاية بمعلومات صحيحة من شأنها أن تدعم الدعاية و تحقق نجاعتها[1].

ومن هنا تبدو أهمية إثارة العاطفة و إلهاب الحماس في الحجاج الجماهيري. فهو غاية و وسيلة: غاية لأن الحجاج الجماهيري إنما يجري إليه، و وسيلة لأنه يستر غياب الحجاج عند غيابه و يغطي غياب العلاقة بين المضامين عندما تبنى الحجج.

فالمغالطة في الحجاج الجماهيري تكمن في اعتماد الاستمالة و الاستدراج بإثارة العواطف و المشاعر و الأحاسيس و الشفقة. حيث يسعى المحاجج إلى تمرير مواقفه بإثارة العواطف و الأحاسيس انطلاقا من الاستحسان و الاستقباح. كما قد يستغل الظروف التي يمر بها متلقيه ممثلا في الجماعة لتمرير موقف معين[2].

و قد اعتمد المخاطِب السياسي هذا النوع من المغالطات حتى يستميل متلقيه، و يمرر موقفه، و يظهر ذلك جليا في الخطبة التي ألقاها معاوية بن أبي سفيان على أهل الشام يطلب من خلالها البيعة له، و قد استدرجهم إلى هذه النتيجة بتقديمه المقدمات (اللغوية و الخارج-لغوية) الآتية:

- نشر قميص عثمان على المنبر.
- ذكر ما صنعت المعارضة بعثمان (ض) .

لقد عظَّم معاوية (ض) قتل الخليفة المظلوم، و هوّل من أمر هذا الحدث المنكر، حتى انقادت إليه قلوب أهل الشام و ضمائرهم، و إذا هم يُظهِرون من الغضب لعثمان و الطلب بدمه أكثر مما يُظهر، و إذا هم يتعجلونه في النهوض[3]، حيث قالوا: « هو ابن عمك، و أنت وليه، و نحن الطالبون معك بدمه، فبايعوه أميرا عليهم »[4].

إن معاوية استغل نقاط الضعف النفسية لأهل الشام كي يقنعهم بضرورة الثأر للخليفة الشهيد، الذي لقي ربه مظلوما، و من ثم مبايعته بالخلافة، متجاهلا بذلك حقائق الحادثة.

---

[1] ينظر الأساليب المغالطية، مدخلا في نقد الحجاج، ص433.

[2] ينظر الحوار و منهجية التفكير النقدي، ص 197.

[3] ينظر طه حسين، الفتنة الكبرى، علي و بنوه، دار المعارف، القاهرة، ج2، ط14 ، 2003، ص 57-58.

[4] الإمامة و السياسة، ص69-70.

كما تظهر الحجة الجماهرية خاصة في المواقف التي تتطلب تعبئة الناس للقتال، حيث يعمد المخاطِب السياسي إلى إلهاب الحماس و إثارة العاطفة، جاء في خطبة تعبئة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أهل الشام لقتال "علي كرم الله وجهه":

« يا أهل الشام، إنكم قد سرتم لتمنعوا الشام و تأخذوا العراق، و لعمري ما للشام رجال العراق و أموالها، و لا لأهل العراق بصر أهل الشام و لا بصائرهم، مع أن القوم بعدهم غيرهم مثلهم، و ليس بعدكم غيركم، فإن غلبتموهم فلم تغلبوا إلا من قد أتاكم، و إن غلبوكم عاقبوا من بعدكم، و القوم لاقوكم ببصائر أهل الحجاز، و رقة أهل اليمن، و قسوة أهل مصر، و كيد أهل العراق، و إنما يبصر غدا من أبصر اليوم، فاستعينوا بالصبر و الصلاة، إن الله مع الصابرين» "خ14"

إن اهتمام معاوية مُنصَب على ما يضمن اعتناق أهل الشام لفكرته و التحمس لها. فوصفهم بأنهم أهل صبر و نصر و أهل بصيرة و علم و عدل، و هي صفات لهم دون غيرهم، و هو بذلك يشجعهم على المضي في الحرب قصد المحافظة على الأعراض و الأرواح، مستغلا نقاط الضعف النفسية ، حتى يقنع متلقيه أن هذه الحرب هي السبيل الأوحد لرد العدوان على الشام.

3.الحجاج بالسلطة

تتحدد السلطة حسب "وودز" و "واتسن" في أنها شخصية تتمتع بالكفاءة في مجال تخصصها بحيث يمكن أن تتفوق من حيث سلامة تقديراتها في موضوع يتعلق بميدان خبرتها تفوقا يتجاوز ذاك المتاح لشخص عادي تجاوزا دالا.و تتميز بخصيصتين أساسيتين هما:

- صلة الحجة بقائلها فما يثبته مثلا "أ" يختلف أو يتناقض مع ما يثبته "ب"
- ارتباط الحجة بمجال معرفي مخصوص فما يقبل من سلطة علمية لا يقبل منها في مجال آخر[1].

و يعتبر "هامبلن" أن هذا النمط من الحجاج معقول و مشروع؛ مستندا في ذلك إلى نموذج في الاحتجاج بالسلطة هو:

كل ما يقوله "ش" صحيح

"ش" يقول بـ "ق"

إذن " ق"

هذا و يرى سلمون "salmon" أن الاستناد إلى السلطة يجعل الحجة غير سليمة استنباطيا ذلك أن المقدمات فيها يمكن أن تكون صحيحة و النتيجة خاطئة. فالاستدلال في الحجاج بالسلطة ليس

[1] ينظر الأساليب المغالطية، مدخلا في نقد الحجاج،ص424 و ينظر الحوار و منهجية التفكير النقدي، ص230.

استنباطيا أو استقرائيا و إنما هو استدلال محتمل معقول؛ يستمد أهميته من الشخص الذي صاغه؛ و هذا هو موطن المغالطة[1].

و يعد الحجاج بالسلطة من أهم المغالطات التي اعتمدها المخاطِب السياسي حتى يوقـــع متلقيه في شراك المغالطة و من ثم يحمله على الإذعان لفكرته و مُرادِه. هذا ما عمد إليه معاوية في كسب تأييد أهل الشام و الاحتجاج لنفسه بأنه على حق و أن معارضه السياسي "علي رضـــي الله" عنه و أنصاره على خطأ.

لقد استغل معاوية قدوم "عقيل بن أبي طالب" عليه يطلب منه أن يسدد دَيْنَه و يجزل له العطاء بعد أن رفض أخوه الخليفة "علي بن أبي طالب" ذلك، فقال لأهل الشام:

« يا أهل الشام هذا سيد قريش وابن سيدها، عرف الذي فيه أخوه من الغواية و الضلالة فأثاب إلى أهل الدعاء إلى الحق، و لكني أزعم أن جميع ما تحت يدي له، فما أعطيـــت فقربـــة إلى الله و مـــا أمسكت فلا جناح علي....... يا أهل الشام، أعظم الناس من قريش حقا ابن عم النبي صـــلى الله عليه و سلم و سيد قريش و ها هو ذا تبرأ إلى الله مما عمل به أخوه »[2] .

لقد ارتكز معاوية في خطابه على استهواء أهل الشام، إذ أراد أن يبرهن لهم أن خصـــمه على خطأ و الحجة في ذلك خروج أقرب الناس له (علي) إليه (معاوية) وهذه المغالطة تنم على شخصية معاوية في حلمه و رزانته و دهائه، و امتلائه ثقة بنفسه،و سيطرته على أتباعه. يوضـــح ذلك الرسم المنطقي الآتي:

- "هـــ" سلطة موثوق بها
- "ق" ∧ "ك"
- "هـــ" يثبت "ق" ∧ "ك"
- **إذن** "ن" **حيث:**

"هـــ": عقيل بن أبي طالب سيد قرش و ابن سيدها و ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم.

"ق": عقيل بن أبي طالب عرف أن أخاه "علي بن أبي طالب" على ضلالة.

"ك": عقيل بن أبي طالب التحق بمعاوية.

- **إذن** علي كرم الله وجهه على ضلالة و معاوية على حق.(ن/ النتيجة)

[1] الأساليب المغالطية، مدخلا في نقد الحجاج،ص424

[2] ينظر الإمامة و السياسة، ص71

4. مغالطة الاشتباه (الغموض) أو الاشتراك

يرى حسان الباهي أن مغالطة الاشتباه تتم باعتماد ألفاظ مشتركة و غامضة تجعل المخاطب يتردد في إسناد المعنى المقصود. ففيها يعجز المخاطَب عن تفصيل المعاني التي يتوفر عليها اللفظ الواحد، و بالتالي اختيار ما يلائمه. و قد يعود الاشتراك إلى أسباب عدة مثل الاصطلاح و الدلالة و التداول. و هو من أكثر الأساليب التي يعتمدها المغالط للتمويه و التدليس سائلا كان أم مجيبا. ذلك أن الألفاظ متى حرفت أو عدلت أدت إلى اختلاف في التأويل و من ثم إلى الشبهة في الفهم و الإدراك.

و يعود ذلك إلى أن للخطاب مقتضيات عدة تجعل تعابيره جلية و أخرى خفية. و يستخدم المغالط في مثل هذه المقامات حيلا تنتهي بالمخاطب إلى أن يفهم من القول ما يخالف القصد بشكل يفضي إلى تعطيله.

و بهذه الكيفية يصبح الاشتراك نوعا من الحجاج المغالط القائم على الشبهة. إذ تنتج المغالطة باعتماد الاشتراك و الغموض و باستخدام التعتيم والخلط بين الألفاظ و التعابير[1].

يجسد هذا النوع من الحجاج المغالط في الخطاب السياسي الحجة التي قدمها معاوية بن أبي سفيان حتى يدحض حجة عمرو بن العاص.

ذلك أنه لما قُتِل عمار بن ياسر و أوتي برأسه إلى معاوية يُتنازَع فيه، كل يقول: أنا قتلته، « فقال لهما [الرجلان المتنازعان] عمرو بن العاص: و الله إن تتنازعان إلا في النار، سمعت رسول الله يقول م**2**: {**إنما تقتل عمارا الفئة الباغية** }[2] **فقال معاوية:** قبحك الله من شيخ**!** فما تزال تترلق في قولك، أو نحن قتلناه؟ إنما قتله الذين جاؤوا به، ثم التفت إلى أهل الشام فقال: إنما نحن الفئة **الباغية** التي **تبغي** دم عثمان»[3].

إن اللفظ "**الباغية**" ليس في حد ذاته لفظا تغليطيا، ذلك أنه يعبر عن أفعال الخطاب بصيغ متعددة و في سياقات مختلفة، مما جعل معاوية بن أبي سفيان يستغل هذا الأمر قصد التمويه و التضليل، فقد تأول "معاوية" أن "الباغية" هي "**الطالبة**" بدم "عثمان" و أن الذي قتله رضي الله عنه هو الذي جاء به دون مقاتليه، أما "عمرو بن العاص" فقد تأول لفظ "الباغية" بالفئة **الظالمة**

---

[1] ينظر الحوار و منهجية التفكير النقدي، ص182-193.

[2] أحرجه أحمد ابن حنبل في مسنده باللفظ الآتي:{تقتل عمارا الفئة الباغية}، مسند احمد بن حنبل، ج5، ص214.

[3] الإمامة و السياسة، ص103.

أو **المعتدية** و هي تلك العصابة التي حملت على عمار بن ياسر حتى قتلته، إنها طائفة من العسكر و من رضي بقتل عمار كان حكمه حكمها.

لقد نتجت المغالطة في الحوار أعلاه من خلال الاتكاء على المعاني المختلفة للفظة "**الباغية**" التي تتغير و تتبدل حسب السياق و المؤول. مما جعل معاوية بن أبي سفيان يستهوي متلقيه/ أهل الشام داحضا بذلك حجة عمرو بن العاص.

5.مغالطة أخذ ما ليس بعلة على أنه علة

يطلق أيضا على هذا النوع من الحجاج المغالط "أخذ ما ليس بسبب على أنه سبب"، و يتم عند تغييب العلل الحقيقية أو اللجوء إلى الأسباب البعيدة التي لا تفسر على الأقل بصورة مباشرة ما ينوي المُغَالِط تعليله. و يتمثل التغليط في أخذ مقدمة في القياس مع مقدمات تلزم عنها نتيجة كاذبة فيوهم مخاطبَه إن تغافل بأن النتيجة لزمت عن تلك المقدمات[1].

يرى "حسان الباهي" أن هذا النوع من المغالطات يشبه مغالطة التالي التي تتضمن مغالطتي نفي المقدم و إثبات التالي؛ وأن له علاقة بين مجموعة من المغالطات هي:

- المغالطة المتعلقة باستخلاص نتيجة ليست هي النتيجة اللازمة اضطرارا عن المقدمات، بحيث لا توجد أية علاقة بين المقدمات و النتيجة المستخلصة.
- مغالطة إسقاط الشرط، أي باستخدام عبارة مشروطة بعد إسقاط شروطها.
- مغالطة الجهل بالمنفذ أو مغالطة عدم ملاءمة النتيجة للمقدمات، بحيث أن الارتباط بين المقدمات و النتيجة يكون عرضيا فقط[2].

ولقد حاول المخاطِب السياسي في كثير من الأحيان أن يستميل مخاطبَه ويوهمه عبر هذا النوع من الحجاج، ظنـــًّا منه أنه (المخاطَب) سوف يكون غافلا عن إدراك مواضع التغليط، هذا ما قصده "معاوية بن أبي سفيان" عندما أرسل كتابه إلى "علي" رضي الله عنهما يلتمس من خلاله التوقف عن مواصلة القتال: « أما بعد، فإني أظنك أن لو علمت أن الحرب تبلغ بنا و بك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض، و إن كنا غلبنا على عقولنا، فلنا منها ما نذم به ما مضى، و نصلح ما بقي، و قد كنت سألتك ألا يلزمني لك طاعة و لا بيعة، فأبيت ذلك علي، فأعطاني الله ما منعت، و إني أدعوك إلى ما دعوتك إليه أمس، فإنه لا ترجو من البقاء إلا ما أرجو، و لا تخاف من الفناء إلا ما أخاف، و قد و الله رقت الأجناد

---

[1] ينظر الحوار و منهجية التفكير النقدي، ص180.

[2] المرجع نفسه، ص180.

و ذهبت الرجال، و نحن بنو عبد مناف، ليس لبعضنا على بعض فضل، إلا فضل لا يستذل به عزيز، و لا يسترق به حر»[1].

غير أن عليا رضي الله عنه لما انتهى إليه كتاب معاوية دعا كاتبه "عبيد الله بن رافع"، ليكتب جوابا لمراسِله؛ ينم عن إدراكه و تفطنه لحيلة معاوية و لخدعته، و أن النتيجة التي استخلصها "معاوية" ليست لها أية علاقة بالمقدمات الموضوعة، جاء في الجواب:« أما بعد، فقد جاءني كتابك تذكر أنك لو علمت و علمنا أن الحرب تبلغ ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض، و أنا و إياك في غاية لم نبلغها بعد، و أما طلبك إلي الشام، فإني لم أكن أعطيك اليوم ما منعتك أمس، و أما استواؤنا في الخوف و الرجاء، فإنك لست أمضى على الشك مني على اليقين، و ليس بأهل الشام بأحرص من أهل العراق على الآخرة، و أما قولك: إنا ينو عبد مناف فكذلك، و لكن ليس أمية كهاشم، و لا حرب كعبد المطلب، و لا أبو سفيان كأبي طالب، و لا المهاجر كالطليق، و لا المحق كالمبطل، و في أيدينا فضل النبوة التي قتلنا بها العزيز، و بعنا بها الحر، و السلام»[2].

و يمكن من الخطابين أعلاه استنتاج رسم مفصل للقياس الخاطىء/ الفاسد الذي وظفه معاوية قصد التمويه و التضليل:

"ق" ∧ "ك"

إذن "ن" حيث:

"ق"= مقدمة1: معاوية بن أبي سفيان و علي بن أبي طالب ينتميان إلى بني عبد مناف

"ك"= مقدمة2: بنو عبد مناف لا يتفاضل بعضهم على بعض

"ن"= النتيجة: لا فضل لعلي على معاوية و لا لمعاوية على علي.

العلة: لأن كل واحد منهما ينتمي إلى بني عبد مناف

إن المقارنة التي عقدها "علي" رضي الله عنه تبطل نتيجة معاوية التي عمل على استخلاصها في بنائه الاستدلالي لحجته؛كما أنها (المقارنة التشبيهية) تنضوي على مقتضى مفاده أن الخلاف الأساسي بين بني هاشم و بني أمية هو خلاف في الطبائع و الأخلاق؛ فبنو هاشم في الغالب مثاليون أريحيون، و لا سيما من كان منهم وثيق القرابة و الصلة بالنبوة و شجرتها المباركة، و بنو أمية في الغالب عمليون نفعيون، و لا سيما الأصلاء منهم في عبد شمس أبوة و أمومة. و هذا التنافس في الخلائق و المناقب واضح في الجاهلية و الإسلام، فالهاشميون ينصرون الحق، و يتعاونون

[1] الإمامة و السياسة، ص97.

[2] الإمامة و السياسة، ص97.

عليه و يسرعون إلى النجدة، و يتسابقون إلى المكرمات،و يبذلون في ذلك من مالهم و من ذات أنفسهم.

أما الأمويون فليسوا من هذا الطراز؛ لقد تخلفوا في الجاهلية عن حلف الفضول الذي نهض به بنو هاشم و حلفاؤهم من قريش، و تعاهدوا فيه: "ليمنعن القوي من ظلم الضعيف و القاطن من العنف بالغريب، و ليكونن مع المظلوم حتى يؤدوا إليه حقه، و ليأخذن أنفسهم بالتآسي في المعاش، و التساهم في الأموال[1].

لقد كان للهاشميين مجال يحيون فيه و لا يعرفون سواه، فهم منذ جاهليتهم للرياسة الدينية، لذلك طبعوا على ما توحي به من الإيمان و الصراحة و الصدق و العفة و الشرف و الفضيلة و الترفع و الخلائق المثالية، و المزايا الأدبية، و الشمائل الدينية، و الآداب النبوية، و كان لبني عبد شمس شغلهم بالتماس الرياسة الدنيوية و تحصيل المال بالتجارة، مما يدخل في باب المساومات التجارية و السياسية و الخلائق العملية، التي تأصلت فيهم محاسنها و مساوئها، من الحلم و الصبر و التجربة و سعة الحيلة و الدهاء، و من المراوغة و الختل و الجشع و طلب السيادة و السلطان بكل ثمن، و الإقبال على الترف و الرغبة في نعيم الحياة[2].

لقد حاول "معاوية" إذن أن يثبت أن أخلاق بني هاشم هي نفسها أخلاق بني أمية لأنهما ينتميان إلى بني عبد مناف لكن "عليا" وضَّح الفرق في أخلاقهما في الجاهلية و الإسلام، كما أكد "علي" أن غايته تختلف كل الاختلاف عن غاية "معاوية" و أن سبب عدم مبايعة "معاوية" له هو أنه أراد الخلافة لنفسه ليحقق بها حلمه و حلم أمية القديم في السيادة على قريش، بسيادة في الإسلام لا يقاس إليها سيادة في الجاهلية، و أن ذرائعه في الخلافة هي ذرائع وهمية، لا تعجز عن ابتداع أمثالها حيلة بني أمية[3].

---

[1] ينظر محمد طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، العصر السياسي، عصر الدولة الأموية ، دار المعارف، مصر، دط، 1967،ج2، ص13.

[2] المرجع نفسه، ص13.

[3] المرجع نفسه، ص 12.

6. مغالطة قائمة على حجة المجادل (الحجة الشخصية)

تعد الحجة الشخصية أحد أنواع الطرق المعتمدة في إقناع المخاطَب كُرْها، حيث يقوم المتكلم بالتهجم المباشر على الشخص. فيتم التشكيك و الطعن في كفاءاته و سلوكياته و مذهبه و معتقداته و ماضيه و ما إلى ذلك من العوامل التي يمكن بها النيل منه.

إن المتكلم عوض أن يُقنِع بالحجة يلجأ إلى اعتماد أسلوب الطعن في شخص محاوره بذمه و تأنيبه و اتهامه بعدم الإنصاف و النيل منه بوسائل عدة[1].

هذا هو الأسلوب الذي اعتمده "الحجاج بن يوسف الثقفي" في حواره مع الخارجين عليه و على مُلْكِ بني أمية؛ لقد كان هذا الوالي دِرْع "عبد الملك بن مروان" و مِجَنّه و ساعده القوي في كل الشدائد و المحن، نهج نهجه، و اتبع سياسته، من العنف و البطش و القسوة و الجبروت، و قد غلا في ذلك غلوا شديا منكرا.

لقد اعتمد الحجاج بن يوسف الحجة الشخصية في مواقف مشهورة مع عدد من التابعين الذين خرجوا على الدولة الأموية و ناهضوا سياستها و خلعوا طاعة أولي الأمر فيها[2]. يظهر ذلك في مختلف خطبه و حواراته، لعل أشهرها محاورته الجدلية مع "سعيد بن جبير"، جاء فيها:

الحجاج: ما اسمك؟

سعيد:سعيد.

الحجاج: ابن من؟

سعيد: ابن جبير.

الحجاج: بل أنت شقي بن كسير.

سعيد: أمي أعلم باسمي و اسم أبي.

الحجاج: شقيت و شقيت أمك.

يُعد "سعيد بن جبير" من كبار التابعين، الذين ساروا على سنن الهدى، واقتفوا أثر المصطفى، وباعوا الدنيا طلبًا للآخرة. وقد وثقه أهل العلم كافة، حتى قالوا في وصفه: "ثقة إمام حجة على المسلمين" إلا أن "الحجاج بن يوسف الثقفي" في الحوار أعلاه قد عمد إلى النيل من شخصه وذلك بالطعن في نسبه .

[1] ينظر الحوار و منهجية التفكير النقدي، ص198-199.

[2] ينظر الخطابة في صدر الإسلام، العصر السياسي، عصر الدولة الأموية، ج2، ص179.

أما جواب "سعيد بن جبير" فيُظهِر ما عند المعارضة السياسية من ملاينة و مقاومة ظاهرة أو خفية.

كما يظهر هذا النمط من الحِجَاج القائم على حجة المجادل جليا في خطبة "معاوية" عندما قدم من الشام إلى المدينة المنورة على أثر الإنكار على عثمان، حيث أقبل على "عمار بن ياسر" فقال له: «**يا عمار، إن بالشام مئة ألف فارس، كل يأخذ العطاء، مع مثلهم من أبنائهم و عبد لهم،لا يعرفون عليا و لا قرابته، و لا عمارا و لا سابقته، و لا الزبير و لا صحابته، ولا طلحة و لا هجرته، و لا يهابون ابن عوف و لا ماله، و لا يتقون سعدا و لا دعوته، فإياك يا عمار أن تقعد غدا في فتنة تنجلي، فيقال هذا قاتل عثمان، و هذا قاتل علي**»[1] .

إن في هذا القول من المغالطة و التمويه ما فيه، لأن إثبات "معاوية بن أبي سفيان" عدم معرفة أهل الشام سابقة "عمار بن ياسر" في الإسلام هو طعن في شخصه وفي ماضيه و تنقيص من جهاده في سبيل الله و رسوله ومن كل ما بذله فداءا للإسلام.

إن هذا الإنكار لفضل "عمار بن ياسر"هو إنكار للأحاديث الكثيرة التي وردت في فضله، منها قوله علي الصلاة و لسلام:{مليء عمارا إيمانا إلى مُشاشِه}[2]، و قال أيضا:{عمار ما عرض عليه أمران إلا اختار الأرشد منهما}[3]. و عن علي بن أبي طالب، قال كنت جالسا عند النبي فاستأذن عمار بن ياسر فقال النبي: { ائذنوا له، مرحبا بالطيب المُطيِّب}[4].و قوله بالطيب كأنه جبل على الاستقامة و السلامة، ثم زاد الله تعالى ذلك بما أعطاه علم الكتاب و السنة فقيل الطيب المطيب.

إن إنكار فضل عمار و الطعن فيه هو تشكيك في بلائه في سبيل دينه و جهاده ضد الكفر و الشرك ؛ ذلك أن عمارا من السابقين الأولين في الإسلام (أول من أظهر إسلامه)، وأمه سمية

---

[1] الإمامة و السياسة، ص29.

[2] ابن ماجة، سنن ابن ماجة، بشرح الإمام أبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي و بحاشية الإمام البوصيري، حقق أصوله و خرج أحاديثه و رقمه الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ج3،دط، دت، ص98، و "مشاشة" هي رؤوس العظام كالمرفقين و الكتفين و الركبتين، و على هذا يمكن أن يقال بأصل الخلقة، و الله تعالى أراد في عمار بن ياسر ذلك بحيث ملأه منه، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] يعني لما جبل عليه من الاستقامة و السداد، المرجع نفسه، ص98.

[4] المرجع نفسه، ص98

أول من استشهد في سبيل الله ، و قد عذب في الله عذابا شديدا و نال من التعذيب على أيدي المشركين الحصة الكبرى والحظ الأوفر.

لقد استنجد جلادوه بكل عبقريتهم في الجريمة و البغي، فمن الكي بالنار إلى صلبه على الرمضاء المتسعرة تحت الحجارة الملتهبة إلى غطه في الماء حتى تختنق أنفاسه و تتسلخ قروحـــه و جروحـــه، لكن ذلك الهول كله لم يكن ليفدح روح عمار ، و إن فدح ظهره و دغدغ قواه [1].

إن خطاب معاوية بن أبي سفيان و ما فيه من معاتبة و لوم و اتهام يفضح سياسة بني أمية القائمة على اللين و الشدة و الاختلاف باختلاف الدواعي.

هذا،و قد اعتمد الخليفة "أبو جعفر المنصور" هذا النوع من السفسطة حتى يشكك في إنجازات واليه "أبي مسلم الخراساني" و ينتقص من أعماله في سبيل تثبيت دولة بني العباس:

جاء في حوار الخليفة مع "أبي مسلم الخراساني":

أبو مسلم الخراساني: يا أمير المؤمنين، لا يقال مثل هذا لي على حسن بلائي، و ما كان مني.

أبو جعفر المنصور: يا ابن الخبيثة، و الله لو كانت أمة أو امرأة مكانك لبلغت ما بلغت في دولتنا.

لقد طعن الخليفة في كفاءات "أبي مسلم الخراساني" و في ماضيه و ما إلى ذلك من الأعمال التي بذلها،و هو بذلك قد عمل على بتر أهم السمات المميزة لشخص "أبي مسلم الخراساني" و التي أوضح بعضها في كتابه إلى أبي جعفر؛ ذلك أنه هو من وتر أهل الدين و الدنيا في دينهم، و ركب المعصية في طاعة و توطئة سلطان بني العباس،فصار سببا في تعريفهم إلى من كان يجهلهم، كما أوطأ غيرهم العشواء بالظلم و العدوان [2].

7.مغالطة التركيب

يصطلح على هذا النوع من الحجاج المغالط باسم مغالطة تركيب المفصل، و تقع متى أقر شخص بأن الكل يتصف بصفة ما بمجرد أن الأجزاء المكونة لهذا الكل تتصف بالصفة نفسها.

و تنتج المغالطة عندما يريد المحاجج أن يبين أن بعض الخصائص التي تتصف بها عناصر أو أجزاء فئة أو مجموعة ما تسري كذلك على الفئة أو المجموعة ككل. فالمُحاجِج يرمي إلى جعل الكل يتوفر على خصائص معينة فقط لأن أجزاءه تتوفر عليها [3].

---

[1] ينظر خالد محمد خالد، رجال حول الرسول، دار الكتاب العربي، بيروت، ط5، 1987، ص263 .

[2] ينظر الإمامة و الساسة، ص307.

[3] ينظر الحوار و منهجية التفكير النقدي، ص185.

و يتجلى هذا النوع من الحجاج المغالط في خطاب "خالد بن عبد الله القسري" (والي مكة في عهد "عبد الملك بن مروان") الذي وجهه إلى أهل مكة حيث قال: « **و الذي نحلف به و نحج إليه، لا أجده [سعيد بن جبير] في دار أحد إلا قتلته، و هدمت داره، و دار كل من جاوره، و استبحت حرمته. و قد أجلت لكم فيه ثلاثة أيام**»[1].

لقد تعدى الحكم بالقتل من "سعيد بن جبير" إلى من آواه وجيران من آواه، ذلك أن خالد بن عبد الله القسري يبين لأهل مكة بأن الوصف "الخارج على مُلْك الدولة الأموية" لا ينطبق على "سعيد بن جبير" بل ينطبق أيضا على من آواه وجيران من آواه. فالوصف ينطبق على الجميع لأن أحدهم متصف به و العلة في ذلك المجاورة.

لقد انتقل و بشكل مغالط ليوهم متلقي الخطاب بأنه مادام الرجل أيـــًّا كان قد آوى سعيدا فإن جزاءه هو نفس جزاء سعيد بن المسيب؛ و تصدق هذه النتيجة أيضا على جيرانه.

8.المصادرة على المطلوب

تُعرَّف هذه المغالطة بأنها خطأ منطقي يتمثل في المصادرة على النتيجة التي يبتغى الوصول إليها بحيث ترد في إحدى مقدمات الحجة[2].

و يرى حسان الباهي أن هذه المغالطة تنتج عن المقدمات التي تم التسليم بها و ذلك عندما يُدفع بالمخاطَب إلى تبني النتيجة أو النتائج باعتبار أن المتكلم استلزمها من المقدمات التي سُلم بها[3].

و لضبط ماهية الخطأ الذي قامت عليه "المصادرة على المطلوب" و بنيته و خصائصه؛ أسس الباحثان "وودز وَ واتسن" نظريتين تمثلان الاتجاه السائد في تعريفها (المغالطة)، تتمثلان على التوالي في:

1.8 نظرية التعادل

و هي نظرية أقيمت على أساس التكافؤ و مقتضاها أن المغالطة هي حجة دائرية من حيث أنها تنطلق من مقدمة لترسي عند نتيجة تحيل بدورها على المقدمة التي هيأت لاستقامتها نتيجة[4]. أي أن النتيجة متكافئة أو متماثلة مع إحدى المقدمات.

---

[1] الإمامة و السياسة، ص220.

[2] ينظر الأساليب المغالطية، مدخلا في نقد الحجاج، ص436.

[3] ينظر الحوار و منهجية التفكير النقدي، ص178.

[4] الأساليب المغالطية، مدخلا في نقد الحجاج، ص437.

فالمغالطة تقع كلما تم وضع النتيجة التي يراد تحصيلها كمقدمة للحجاج، أو متى تم استعمال صياغتين مختلفتين بهدف إخفاء ورود القضية نفسها كمقدمة و نتيجة الوقت ذاته.

2.8 نظرية التبعية و التعلق/التعالق

يرى أصحاب هذه النظرية أن الحجاج يكون دائريا إذا جاءت المقدمة من حيث صياغتها مفترضة النتيجة التي يجري إليها الاستدلال أو إذا كانت المقدمة تستند إلى النتيجة و تعتمد عليها بحيث لا يمكن القبول بها إلا إذا تم قبول النتيجة[1].

يتحقق إذن الطابع الدوري للحجة كلما اقتضت المقدمة النتيجة، أو متى انبنت مقدمة ما على نتيجة بكيفية تجعل قبول المقدمة يستدعي البدء بقبول النتيجة.

و يرى بعض الدارسين أن نظرية التعادل/ التكافؤ هي حالة خاصة بالنسبة لنظرية التبعية/ التعالق، ذلك أن وضع النتيجة كمقدمة مستترة ليس سوى وسيلة لإدماج قضية تتعلق بالنتيجة ضمن المقدمات، و هذه القضية ليست سوى النتيجة ذاتها[2].

و لم يخل الخطاب السياسي من هذا النوع من الأساليب المغالطية التي اعتمدها المحاور السياسي لإيهام المتلقي بصدق و صحة ما يقول؛ جاء في حوار الحجاج بن يوسف مع التابعي سعيد بن جبير:

الحجاج: أنا قاتلك.

سعيد بن جبير: قد فرغ من تسبب في موتي.

الحجاج: أنا أحب إلى الله منك.

سعيد بن جبير: لا يقدم أحد على ربه حتى يعرف منزلته منه، و الله بالغيب أعلم.

الحجاج: كيف لا أقدم على ربي في مقامي هذا، و أنا مع إمام الجماعة و أنت مع إمام الفرقة و الفتنة؟

سعيد بن جبير: ما أنا بخارج عن الجماعة، و لا أنا براض عن الفتنة، و لكن قضاء الرب نافذ لا مرد له

....

الحجاج: ما يضحك يا سعيد؟

---

[1] ينظر المرجع نفسه، ص438.

[2] ينظر الحوار و منهجية التفكير النقدي، ص178.

سعيد بن جبير: عجبت من جرأتك على الله، و حلم الله عليك.
الحجاج: إنما أقتل من شقَّ عصا الجماعة و مال إلى الفرقة التي نهى الله عنها، اضربوا عنقه.
سعيد بن جبير: فأينما تولوا فثم وجه الله الكافي بالسرائر
الحجاج: لم نوكل بالسرائر و إنما وكلنا بالظواهر.
سعيد بن جبير:اللهم لا تترك له ظلمي، و اطلبه بدمي، و اجعلني آخر قتيل يقتله من أمة محمد.
الحجاج: ما أخاف إلا دعاء من هو في ذمة الجماعة من المظلومين، فأما أمثال هؤلاء فإنهم ظالمون حين خرجوا عن جمهور المسلمين و قائد سبيل المتوسمين[1].

إن قول المحاور "الحجاج بن يوسف الثقفي" : «كيف لا أقدم على ربي في مقامي هذا، و أنا مع إمام الجماعة و أنت مع إمام الفرقة و الفتنة »، في جوهره افتراض المحاوِر صحة ما يسعى إلى إثباته. ذلك أن الملفوظ: "أنا أقدم على ربي" هو نتيجة متكافئة مع المقدمة «أنا مع إمام الجماعة» كما أن قبول المقدمة " أنا مع إمام الجماعة" تستدعي النتيجة « أنا على حق و سأقبل على ربي». و هذه المغالطة لها طاقة حجاجية إذ أنها قادرة على إرباك متلقي الخطاب لو كان هذا الأخير غافلا غير متفطن لأوجه التمويه فيها.

أما قوله: « ما أخاف إلا دعاء من هو في ذمة الجماعة من المظلومين، فأما أمثال هؤلاء فإنهم ظالمون حين خرجوا عن جمهور المسلمين و قائد سبيل المتوسمين» فيعتبر أيضا مصادرة على المطلوب، ذلك أن النتيجة «لا أخاف إلا من هو في ذمة الجماعة من المظلومين» يعتبر مقدمة مستترة و هي تكافىء الملفوظ «سعيد بن جبير ليس في ذمة الجماعة ».لقد عمد الحجاج ابن يوسف إلى إدماج قضية تتعلق بالنتيجة ضمن المقدمات، و هذه القضية ليست سوى النتيجة ذاتها. هذا ما يوضحه الرسم التالي:

نتيجة1: أنا أقدم على ربي	**نتيجة2: ما أخاف إلا من هو في ذمة الجماعة و هو مظلوم**
مقدمة1: أنا مع إمام الجماعة	**مقدمة2: سعيد بن جبير خارج عن جمهور المسلمين فهو هو ظالم**
(نتيجة1= مقدمة1)	**(نتيجة2= مقدمة2)**

[1] الإمامة و السياسة، ص221.

9. الحجاج بالتجهيل

تقوم المغالطة بالتجهيل على إفحام المخاطب انطلاقا من تعجيزه على أن يدلي بما ينفي الرأي المقدم إليه، والمتكلم إذ يقدم رأيا أو يصرح بفكرة يحمل المتلقي على الإذعان لها بدليل أنه لا يملك دليلا ينفيه، « فالمتكلم يؤسس حجته على أساس قاعدة تقول: إذا لم تدل بما ينفي حجتي، فحجتي صحيحة»[1] فمكمن المغالطة في هذا التمشي يتمثل في الخلط بين غياب الحجة المثبتة للقضية و توفر الأدلة النافية لها، إذ غياب الدليل النافي لحجة الخصم لا يعني بالضرورة صحتها[2].

و قد بينت العديد من الدراسات أن الحجاج بالتجهيل يتخذ طابعا معرفيا و آخر جدليا، تفصيلهما فيما يلي:

1.9 مغالطة معرفية

يحدد "وودز" وَ "واتسن" مقتضاها بأنها: " لم يثبت أحد قط أن (ق) خاطئة/صحيحة إذن (ق) صحيحة/خاطئة[3] فإذا كان لا أحد يعرف/ يعلم أن (ق) صحيحة أو خاطئة فلا ينجر عن ذلك أن (ق) خاطئة أو صحيحة، إذ لا يمكن أن تكون ممكنة الصحة أو ممكنة الخطأ مما يجعل الشكليين الآتيين مغالطيين:

الشكل الأول: لا E "ش" / ش ع (ق)

إذن لا(ق)

الشكل الثاني: لا E "ش" / ش ع لا(ق)

إذن (ق)

حيث: (E): يوجد

(ش): شخص

(/): حيث

(ع): يعرف، يعلم

(ق): قضية صحيحة

(لاق): قضية خاطئة

---

[1] ينظر الأساليب المغالطية، مدخلا في نقد الحجاج، ص433.

[2] ينظر سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 135.

[3] ينظر الأساليب المغالطية، مدخلا في نقد الحجاج، ص435.

لا ينتج فقط عن "لا يوجد شخص يعرف/ يعلم أن (ق) صحيحة، خطأ (ق)، كما لا ينتج فقط عن "لا يوجد شخص لا يعلم أن (ق) خاطئة، صحة (ق)، بل من المحتمل استغلال هذا الوضع لاستنتاج أمور أخرى، هذا و يمكن اعتبار الشكلين السابقين مغالطين و غير صحيحين في المنطق المعرفي، لأنه تم تأليف غير مشروع بين النفي العامل "يعرف/ يعلم"[1].

2.9 مغالطة جدلية

و هي مغالطة تقوم على الإنكار أو التشكيك، و تتعلق بضمان الدليل و مقتضاها كالآتي: يفترض نقاشا بين "أ"، و "ب"حول القضية "ق"، يتمسك "ب" بـ (ق) الأمر الذي لا يقبله "أ"، يتشعب الحوار و تتشابك أفنانه، يطلب "ب" من "أ" أن يدلي بحجة تنفي (ق) يرد "أ" أن هذه الحجة لا تتوفر عنده و لكنه لا يجد العناصر الكافية التي ترجح لديه قبول (ق). في هذه الحالة يكون إلحاح "ب" على أن يدلي "أ" بحجة مناقضة لـ (ق) شكلا مغالطيا[2].

و كثيرا ما يلجأ المخاطِب إلى الطلب من محاوره السياسي أن يدقق في القضية السياسية التي يعبر عنها، وذلك بدعمها بأدلة و حجج أقوى

أما ما يمثل المغالطة الجدلية في الخطاب السياسي حوارُ أبي "جعفر المنصور" مع أخيه "أبي العباس":

أبو حعفر المنصور: أطعني و اقتل أبا مسلم، فو الله إن في رأسه لغدرة.

أبو العباس:أي أخي، قد عرفت بلاءه، و ما كان منه.

أبو جعفر: و الله لو بعثت سنورا مكانه لبلغ ما بلغ في ميل الدولة.

أبو العباس: كيف تقتله؟

أبو جعفر: إذا دخل عليك فحادثه، فإذا أقبل عليك دخلت فأتيت من خلفه، فضربته آتي منها على نفسه.

أبو العباس: أي أخي فكيف تصنع بأصحابه الذين يؤثرونه على أنفسهم و دينهم؟

أبو جعفر: يؤول ذلك إلى خير و إلى ما تريد.

أبو العباس: يا أخي إني أريد أن تكف عن هذا.

[1] ينظر الحوار و منهجية التفكير النقدي، ص207.

[2] ينظر الأساليب المغالطية، مدخلا في نقد الحجاج، ص436.

أبو جعفر: أخاف إن لم تتغده يتعشاك.

أبو العباس: فدونكه يا أخي."حو68"

إن "أبا جعفر" يقدم الحجج تلوى الأخرى حتى يقنع أخاه بضرورة قتل "أبي مسلم الخراساني" معتمدا في ذلك على المغالطة الجدلية، حيث ينفي المخاطِب الحجج المدعمة للقضية السياسية التي عبر عنها محاوِره السياسي و ذلك بدعمها بأدلة و حجج أقوى، مثبتا بذلك قوة معرفته و علمه بالأمور السياسية، خاصة و أن أبا العباس لم يدحضها، كما يبنه الرسم الآتي:

- لا E دليل ضد الفرضية (ق1)

إذن (ق1) صحيحة

- لا E دليل ضد الفرضية (ق2)

إذن (ق2) صحيحة

حيث:

(ق1): "لو بعثت سنورا مكانه لبلغ ما بلغ في ميل الدولة" أي ما قام به يستطيع أي شخص القيام به.

(ق2): "إن لم تتغده يتعشاك" أي إن لم تسبق بقتله ، يقتلُك هو، أو يخلعك.



بينت الدراسة خصائص اشتغال آليات الحجاج في الخطاب السياسي في كتاب "الإمامة و السياسة" لابن قتيبة و شرحت أهم أدواته الإجرائية في مدونة تراثية تتسم بتنوع الأسلوب و رقي اللغة و جزالتها و بلاغة الكلام.

أما قبل ، فقد رصدت الدراسة الحجاج بوصفه مفهوما مركزيا و تتبعته في الدرس البلاغي و المنطقي و اللساني، وكشفت تطوره التاريخي من القرن السابع قبل الميلاد إلى القرن العشرين الميلادي؛حيث فصلت القول في كل نظرية حديثة و عرضت ملامح هذه الأخيرة في التراثين الغربي و العربي. و هذه خلاصة مركزة لأهم النتائج المستخلصة من العرض التنظيري .

❖ احتضنت المعارف الثلاث؛ فن الجدل و المنطق و البلاغة نشأة مبحث الحجاج في الفكر اليوناني القديم، و شكلت هذه المجالات الفكرية الثلاثة مفهوم الحجاج، مصادره و أطره، و ظهرت آثار هذه المعارف في المفاهيم التي قدمها أعلام الفكر اليوناني لمبحث الحجاج.

لقد عدَّ "السوفسطائيون" الحجاج فن الكلام الذي يتوخى الإقناع باستخدام الحجج المضللة التي ظاهرها الحق و باطنها الباطل، غايتهم الأساس هي استمالة المتلقي و التأثير فيه و إقناعه بأية وسيلة. في حين قدَّم "سقراط" مفهوما للحجاج من خلال منهجين هما فن السخرية و الاستدلال.أما "أفلاطون" فقد نقل الحجاج من مجال الظن و الاحتمال إلى مجال الحقيقة؛ معتمدا في ذلك على منهج الجدل (فن الحوار).

أما "أرسطو" فقد ساهم في تكريس ثنائية قائمة على التضاد في مفهوم الحجاج، بوضعه لمصنفين مختلفين يتوليانه موضوعا لهما، هما مصنف "الطوبيقا" الذي يوافق النوع الأول من الحجاج و مصنف "الخطابة" الذي يوافق النوع الثاني منه.

فالحجاج عند أرسطو تابع للبرهان من جهة، و للخطابة من جهة ثانية، و يرتبط بالخطابة باعتبارها الفضاء النصي الذي يتجلى فيه الحجاج و يرتبط بالبرهان باعتباره المسار المنطقي الذي يؤسس الحجاج.

❖ بعد أن شهد الدرس الحجاجي ازدهارا في الفترة اليونانية، عانى حالة من الركود على امتداد ما يقرب خمسة عشر قرنا أي من حوالي القرن الثاني الميلادي إلى حدود عصر النهضة، إذ كان اهتمام الباحثين منصرفا في تلك الفترة إلى دراسة الجوانب البلاغية والأسلوبية مع إهمال

واضح للفعالية الحجاجية الاستدلالية، لأن الاعتقاد الذي كان سائدا هو أن النمـــوذج الأمثـــل للاستدلال هو البرهان القائم على مبادئ المنطق وأسس الرياضيات.

هذا الخفوت للدرس الحجاجي في الفكر الغربي كان يوازيه ازدهـــار كـــبير في المجـــال العـــربي الإسلامي،

وظهر الحجاج في هذا التراث مرادفا للجدل و حل محله في الاستعمال و استخدم أحدهما معطوفا على الآخر في مجموعة من المؤلفات في التراث العربي الإسلامي الذي توفر على مجموعـــة مـــن الخصائص التي يتميز بها الخطاب الحجاجي يدل على ذلك علم التفسير و علوم القرآن و علـــم الكلام و آداب البحث و الأعمال الفلسفية المنطقية التي تفاعلت مع المنتوج اليوناني في الجـــدل و الخطابة و السفسطة المنقولة في العصر الذهبي للـــثقافة اليونانية.

كما تجلت مبادىء الحجاج في الدرس البلاغي العربي ، إذ اهتمت البلاغة العربيـــة باســـتراتيجية الإقناع و توفرت على جانب تداولي مهم مرتبط بنظرية الحجاج، و ســـبق معـــرفي إلى بعـــض الإشارات التي تعد اليوم محور الدرسين اللساني و البلاغي الغربيين، حيث تناولت أهم الوســـائل اللغوية و غير اللغوية المؤدية إلى الاستمالة و التأثير و الإقناع.

إلا أن هذا المبحث لم يلق ما يكفي من الاهتمام بعد "الجاحظ" في المستوى النظـــري، بعـــد أن اتجهت الدراسات البلاغية إلى مناح شكلية أخرى، و قد أثَّر هذا الاختزال سلبا على البلاغة، حتى نُسِي جانبها التداولي المرتبط بنظرية الإقناع.

❖ حاول "بيرلمان و تيتيكا" في كتابهما إضفاء بعد عقلي على الحجاج أو الخطابـــة الجديـــدة، إذ أخرجا الخطابة من دائرة الاتهام بالتلاعب بالجمهور على نحو ما فهمها أرســـطو و بعـــض تلامذته من العرب، إلى اعتبارها محاورة يقاسم فيها الخطيب جمهوره أرضـــية تفـــاهم واحـــدة و مقدمات و منطلقات واحدة في الحجاج مثل الواقع و الحقائق و القيم و كيفية ترتيبـــها و مثل المواضع أو الأفكار العامة المشتركة.

❖ تعلق الحجاج عند "مايير" بنظرية المساءلة، و اشتغل الحجاج باعتباره ضـــرورة تـــؤدي إلى نتيجة أو موقف يحمل المتلقي على اتخاذه إزاء مشكل معروض في سياق يوفر للمتخاطبين مـــواد إخبارية ضرورية للقيام بعملية الاستنتاج المتصل بالزوج (سؤال، جواب).

❖ إن الحجاج عند "تولمين" هو حجاج منطقي يستند على المنطق الجيهي لتنظيم الحجـــج في الوظيفة التعليلية، و يحاكي في بنائه الممارسة القانونية كممارسة عقلانية ثابتة، و هذه الآلة لا تهتم بالتفاعلات الخطابية، لأن غايتها بناء نموذج للمنطق العملي.

❖ انحصر اهتمام "غريز " في بناء منطق للخطاب، أكثر من إيجاد نموذج إجرائي لوصف و تفسير الظاهرة الحجاجية. و اتخذ الحجاج عنده سمة النشاط الخطابي الغائي، فخرج من دائرة المنطقي الرياضي، و استدعى منطقا من نوع آخر، هو منطق طبيعي يدمج المقولات البلاغية و يتتبع دور الحجاج في بناء و تنظيم و تحليل الخطاب.

❖ إن الحجاج في "نظرية الحجاج في اللغة" قائم في جوهر اللغة نفسها بصرف النظر عن استخدامها،إنه التمظهر المنطقي للغة دون أي فقدان لخاصيتها التركيبية (أصوات، كلمات، جمل)، فكل قول مهما كانت الغاية منه و الدافع إليه هو قول حجاجي.

❖ سمح انفتاح الباحثين العرب المعاصرين في المغرب العربي الكبير على المشاريع و النظريات و المناهج الغربية إغناء الدرس الحجاجي العربي المعاصر (الفلسفي، البلاغي، اللساني) بوعي علمي دقيق، من خلال التعريف بأهم النظريات الغربية في هذا المجال، و تدشين مباحث جديدة عمقت وعي المهتمين بمبحث الحجاج. كما كشفوا عما يحويه التراث العربي الإسلامي من ملامح النظرية الحجاجية.

أما بعد، فقد كشفت الدراسة عن تنوع النظام الحجاجي في الخطاب السياسي، و بينت بأن هذا الأخير ذو نسيج وظيفي يتمحور حول الوظيفة الحجاجية كوظيفة أساس مسؤولة عن توليد الفعل الخطابي. وأن الخطاب السياسي يتوفر على قدر غير قليل من الآليات الظاهرة و الخفية الباعثة على التأثير و الإقناع. و قد أسفر التحليل اللساني التداولي للخطاب السياسي على النتائج الآتية:

❖ تنوعت أصناف الحوار السياسي و خضعت لمنهج استدلالي حجاجي صارم مكّن المتكلم السياسي من ضمان النتيجة المتوخاة، و من ثم نجاعة خطابه بعد أن عضَّد دعواه بالحجج اللازمة لذلك. و قد تنوعت هذه الحجج بتنوع الصنف الحواري، فأما المنازعة الجدلية السياسية فقد ميزها الحجج شبه المنطقية ممثلة في الحجاج وجه الذات و التبكيت فوق الحجاجي، في حين ميزت حجة الاتجاه و حجة النموذج المشاورة السياسية.

❖ تعد الخطابة السياسية أهم شكل خطابي وضَّح من خلاله المتكلم السياسي آراءه السياسية، معتمدا في ذلك بنية استدلالية حجاجية؛ لإقناع متلقيه تراوحت النتيجة فيها (البنية) بين الظهور و الخفاء.

❖ لم يتوان المرسل في الرسالة السياسية عن تعضيد خطابه بالحجج القوية، كي يتم الإقناع بصواب القضية التي يعرضها و بطلان نقيضها، و قد شكلت الأفعال اللغوية الآتية: الدعوة إلى الطاعة، الدخول في البيعة، الدعوة إلى النصرة، التعبئة للقتال أهم الأفعال الحجاجية في الرسالة السياسية؛ في حين عُدَّ العهد بالبيعة (الاستخلاف) و العهد بالأمان و الاتفاق على الصلح، أهم الأفعال الكلامية في الوثيقة السياسية، و يعد هذا الشكل الخطابي حجة في حدِّ ذاته، لما يتميز به من صفة الرسمية و القوة التنفيذية التي تكفل تحقيق الطمأنينة على الحقوق.

❖ اضطلعت الموجِّهات اللسانية في الخطاب السياسي بوظيفة حجاجية ، حيث سمحت بتوجيه الملفوظ حسب مقاصد المتكلم و متطلبات التلقي، و من ثم توجيه المتلقي نحو فعل ما أو تركه (الإقناع أو الإذعان)، و تمثلت هذه الموجهات في الموجهات اليقينية و الموجهات التقريبية أو موجهات الشك و الموجهات التقويمية.

فأما الموجهات اليقينية فكان هدفها إثبات القضايا المنكرة و حمل المخاطَب على الاقتناع و ترك الشك، و كلما قويت درجة الإنكار ضعَّف المخاطِب عوامل التوكيد ،و قد عُدّ القسم أهم فعل كلامي تأكيدي، و تَحقَّق من خلال مجموعة من العوامل الحجاجية؛ التي حصل إجماع ضمني على عظمتها. فكانت بمثابة قوة في تحقيق قيمة الكلام التأثيرية.

وأما الموجهات التقريبية فقد جعلت الخطاب الذي وردت فيه ذا بعد موضوعي بعث على التصديق و ولَّد الإقناع، و قد وسم المخاطِب السياسي خطابه بالعوامل الحجاجية الآتية: "زعم"، "ظن"، "لعل"، حتى يقنع متلقيه، و من ثم يحقق الغاية المنشودة، فقد استطاع أن يبطل حجج الخصم بوساطة العامل الحجاجي الأول، و أن يوجه المتلقي إلى اتخاذ القرار بوساطة العامل الحجاجي الثاني، و أن يتصور الأحداث و يتوقعها و من ثم توجيه المخاطَب؛ بوسم الملفوظ بالعامل الحجاجي الثالث.

و أما الموجهات التقويمية فقد أكسبت الخطاب السياسي بعدا حجاجيا أظهر و أعمق، مما كان مجردا منها ، و قد مثلتها الموجهات التقويمية الأخلاقية و الموجهات التقويمية غير الأخلاقية، فأما الأولى فحددتها الصفة باعتبارها أكثر استعدادا للتقويم، حيث نهضت المشتقات بدور حجاجي؛ هو توجيه المخاطَب نحو النتيجة المرجوة. و أما الثانية (الموجهات

التقويمية غير الأخلاقية) و المتمثلة في العوامل الحجاجية (قليل،كثير، القلة، الكثرة، المكثر المقـــل، أقرب ، أبعد)، فقد وسمت مجموعة من الملفوظات فجعلتها ضـــمن ســـلم حجـــاجي واحـــد، و حددت بذلك قيمة الملفوظ الموسوم بالنسبة للآخر غير الموسوم.

❖ توفر الخطاب السياسي على نصيب غير قليل من الحجج المغالطة ، التي اعتمدها المخاطِب السياسي قصد التمويه و التضليل، و يعد الحجاج بالقوة أبرز مغالطـــة حجاجيـــة في الخطـــاب السياسي، حيث سعى الخطيب السياسي إلى تحقيق مبتغاه؛ مستعينا في كثير من الأحيان بـــالقوة و العنف "التصفية الجسدية"، مستغلا السلطة و مجبرا المخاطَب على الامتثال للقرارات و الأوامر قهرا و كرها.

❖ لم يعتمد المخاطَب السياسي على الصريح من القول لتوليد الإقناع فحسب، بل عوَّل في كثير من الأحيان على الضمني الكائن على سبيل الاقتضاء أو القول المضـــمر؛ ليحقـــق التـــأثير و الاستمالة و الإقناع، متكئا في ذلك على متلقي الخطاب إلى الاهتداء لهذا الضمني ذي الطاقـــة الحجاجية .

❖ شكل المستوى المعجمي و التركيبي للخطاب السياسي أرضية خصبة لنشأة المقتضيات التي سجنت متلقي الخطاب في وضع ذهني كان فيه الضعيف العاجز الذي لم يتمكن من رفض ما قدَّم له المخاطِب السياسي.

فأما المقتضيات الناتجة عن الوحدات المعجمية للخطاب السياسي و المتمثلة في الأسماء: "الأمـــر الخلافة، الشورى ، الإمامة، الأمير ، الوزير، و الصفات: المهاجرون، الأنصار، التابعون بإحسان، الصاحب، طليق، الطاغية، و الأفعال: لزم، نقض"؛ فقد ساهمت في إنجاح – وبنسب متفاوتـــة– بعض الأعمال اللغوية التي رام المتكلم إنجازها و تحقيقها ، خاصة إذعان المتلقي للفكرة المعروضة.

و أما المقتضى الناشئ عن الاستفهام الحقيقي، فضلا عن السؤال البلاغـــي فقـــد عُـــدَّ عمـــلا حجاجيا، حيث اختص الأول بإجبار المخاطَب على الإجابة وفق ما يرسمه البعـــد الاســـتفهامي الاقتضائي، ونهض الثاني على حمل المخاطَب على الإقرار و الاعتراف بما يعلمـــه المســـتفهِم، فتلزمه بذلك الحجة، و على إنكار أعماله بتوبيخه و تكذيب ما يدعيه، فيخجل و يرتدع.

❖ و لإنْ كان المقام ليس شرطا أساسيا في استخراج المقتضى باعتباره منغرسا في اللغة ذاتها، فإنـــه صاحب مناب في إدراك القول المضمر و إماطة اللِّـــثام عنه. و قد تمظهرت الحجج المعطاة في الأقوال المضمرة في نسقين تواصليين هما: التواصل اللغوي و التواصل غير اللغوي.

فأما الأول فقد مثله المجاز بنوعيه الاستعارة و الكناية، حيث استطاعت الملفوظـات المجازيـة أن تورِّط المتلقي في إنتاج الدلالة بوساطة المقام الذي أُلقيَت فيه، و أن تحملـه علـى اسـتخراج الضمني، و من ثم تحريك همته إلى الاقتناع، من خلال الاستنتاج و العبور بالرابط "إذن"، و أظهر ما كان ذلك في الشكل الكنائي؛ الذي يمكن أن يعد بحق من الخصـائص البـارزة للخطـاب السياسي . أما عالم خطاب المتلقي (الكفاءة المعرفية و العقدية و الثقافية) فقد عُدَّ من أهـم المواضع الحجاجية التي استمد منها المتكلم مادته في صنع الصورة البيانية.

و أما الثاني فمثلته مجموعة من البلاغات غير اللفظية المصاحبة للفظ و المكملة له، و التي خضعت هي بدورها للسيرورة الخطابية، و انطوت على الضمني الذي عوَّل عليه مُنتِج الخطاب في التـأثير و الإقناع. فقد استطاع المخاطِب السياسي أن يستميل غريمه بوساطة حركات جسمية بسـيطة تحمل من الدلالة ما تجعله ينمي حاسة الراحة و الاطمئنان، و أن ينقل معنى التصارع و الاختلاف بحركة تشبيك الأصابع لمتلقيه، و أن يستميلهم فيبعث فيهم الشجن أو يرهبهم فيبعث فيهم الفزع بوساطة الضمني المنطوي في بعـض الإشـاريات كقمـيص عثمـان و السـيف المسـلول.

قائمـــــــــــــة المراجـــــــــــــع

القرآن الكريم، مكتوب و مضبوط على ما يوافق رواية حفص. دار النهضة العربية، بيروت،دت.

أولا: المصدر

ابن قتـــيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري)

الإمامة و السياسة، تحقيق خليل المنصور،دار الكتب العلمية، بيروت ،ج1،ج2، ط1، 2001.

ثانيا: المراجع العربية

الآمدي (**أبو القاسم**)

1. الأحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، دط، 1980.

إبراهيم بن منصور التركي

2. البحث البلاغي عند ابن تيمية، نادي القصيم الأدبي، المملكة العربية السعودية، ط1، 2000

ابن الأثير (ضياء الدين نصر الله)

3. أُسْد الغابة في معرفة الصحابة، ت خليل مأمون، دار المعرفة، بيروت،ج1،ج2،ط1، 1997.

ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري)

4. المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيــق محمــد محــي الــدين عبــد الحميــد، المكتبــة العصرية،بيروت،ج2 1990.

أحمد بن حنبل

5. مسند أحمد بن حنبل،الأجزاء (1،2،3،5،6)، دار الميمنية.

أحمد المتوكل

6. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأمــان، المغرب، دط، .1995

7.قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي- التركيبي، دار الأمــان، الرباط دت، دط.

8. الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985.

إدريس حمادي

9. المنهج الأصولي في فقه الخطاب، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء/ بيروت، ط1، 1998.

الأزهر الزناد

10. الإشارات النحوية، بحث في تولد الأدوات و المقولات النحوية من الأصول الأحادية الإشارية في اللغة العربية، منشورات كلية الآداب و الفنون و الإنسانيات، منوبة، دط، 2005.

عبد الإله سليم

11. بنيات المشابهة في اللغة العربية، مقاربة معرفية، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2001.

عبد الإله الصائغ

12. الخطاب الإبداعي الجاهلي و الصورة الفنية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، ط1، 1997.

البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل)

13. صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، ج1،ج4 ، دط، 1981.

بسمة بلحاج رحومة الشكيلي

14. السؤال البلاغي، الإنشاء و التأويل، دار محمد علي، المعهد العالي للغات، تونس، ط1، 2007.

أبو بكر العزاوي

15. الخطاب و الحجاج، الأحمدية للنشر، المغرب، ط1، .2007

16. اللغة و الحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 2006.

بناصر البعزاتي

17. الاستدلال و البناء، بحث في الخصائص العقلية العلمية، دار الأمان، الرباط، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1999.

تمام حسان

18. البيان في روائع القرآن، دراسة لغية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ج2، ط2، 2000.

توفيق رمزي

19. علم السياسة، مقدمة في أصول الحكم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1957.

جابر إدريس علي أمير

20. منهج السلف و المتكلمين في موافقة العقل للنقل، و أثر المنهجين في العقيدة، مكتبة أضواء السلف، المملكة العربية السعودية، ط1، 1998.

جابر عصفور

21. الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب، دار التنوير للطباعة، بيروت، ط2، 1983.

الجاحظ (عمرو بن بحر)

22. البيان و التبيين، تحقيق و شرح، عبد السلام هارون،دار الجيل، بيروت، ج1، دط، دت.

جبور عبد النور

23. المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط1،دت.

عبد الجليل عبده شلبي

24. الخطابة و إعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1986.

جميل صليبا

25. المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية و الإنجليزية و الاتينية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت،ج1، دط، 1994.

جميل عبد المجيد

26. البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،دط، 1998.

27. البلاغة و الاتصال، دار غريب ، القاهرة، دط، دت.

ابن جني (أبو الفتح عثمان):

28. الخصائص، ت محمد علي النجار، دار الكتاب العربي،لبنان،ج1 ، دط، 2000.

جواد علي

29. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ،دار الساقي، ج1، ط4، 2001.

جون سيرفوني

30. الملفوظية، ترجمة قاسم الحداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 1999.

حازم القرطاجني

31. منهاج البلغاء و سراج الأدباء، ت محمد الحبيب بلخوجة، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط3، 1986.

حسان الباهي

32.الحوار و منهجية التفكير النقدي،إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2004.

33. اللغة و المنطق، بحث في المفارقات، دار الأمان، الرباط، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000.

حسن الصديق

34. المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ط1، 2000.

حسن ضياء الدين محمد عتر

35. الشورى في ضوء القرآن و السنة،دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث، دبي، ط1، 2001

حمادي صمود

36. مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، منوبة، تونس، مجلد XXXIX، 1998.

حمو النقاري

37. من منطق مدرسة بور رويال: في سوء النظر و التناظر و وجوه الغلط و التغليط فيهما،ضمن كتاب التحاجج طبيعته و مجالاته و وظائفه، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة ندوات و مناظرات رقم 134، تنسيق حمو النقاري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2006.

خالد محمد خالد

38. رجال حول الرسول، دار الكتاب العربي، بيروت، ط5، 1987.

الخطيب القزويني

39. الإيضاح في علوم البلاغة، شرح و تعليق محمد عبد المنعم خفاجي ،الشركة العالمية للكتاب، الجزء ج1،1989.

ابن خلدون (عبد الرحمن)

40.مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت،دط، دت.

الخليل بن أحمد الفراهيدي

41. كتاب العين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001.

خولة طالب الإبراهيمي

42. مبادىء في اللسانيات،، دار القصبة، الجزائر ، ط2، 2006.

خير الدين يوجه سوي

43. تطور الفكر السياسي عند أهل السنة، فترة التكون من بدايته حتى الثلث الأول من القرن الرابع الهجري، دار البشير، الأردن، ط1، 1993.

دومينيك مونقانو

44. المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 . 2005

الراغب الأصفهاني

45. مفردات ألفاظ القرآن، ت صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط3، 2002.

عبد الرحمن حجازي

46. الخطاب السياسي، دراسة أسلوبية، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط1، 2005.

عبد الرحمن الميداني

47. ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال و المناظرة، دار القلم ، دمشق،ط7 ،2004.

روبير بلانشي

48. المنطق و تاريخه، من أرسطو حتى راسل، ترجمة خليل أحمد خليل، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، المؤسسة الجامعية للدراسات، لبنان، ط2 ، 2002

ابن رشد (محمد بن أحمد بن محمد)

49. تلخيص الخطابة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، لبنان، دط، دت

50. فصل المقال و تقرير مابين الشريعة و الحكمة من الاتصال، تقديم و تعليق د.أبو عمران الشيخو جلول البدوي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، دط، 1982.

الزبيدي (أبو بكر محمد)

51. تاج العروس من جواهر القاموس،دار صادر، بيروت، الجزء العاشر،دط، دت.

الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله)

52. البرهان في علوم القرآن، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ج2، 1972.

الزمخشري (محمود بن عمر)

53. تفسير الكشاف عن حقائق و غوامض التتريل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي،لبنان،الجزء الرابع، دط، 1947.

السبكي (بهاء الدين أبي حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي)

54. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ت خليل إبراهيم خليل،دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد الأول، (1-2)،دط،دت.

السعيد يقطين

55. من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جمالية الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت، ط1، 2005.

عبد السلام عشير

56. عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل و الحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2006.

السكاكي (أبو يعقوب يوسف)

57. مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000

سيد قطب

58.في ظلال القرآن ، دار الشروق، بيروت ،ط11 ،1985.

سيف الدين طه الفقراء

59. المشتقات الدالة على الفاعلية و المفعولية، دراسة صرفية دلالية إحصائية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2005.

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن)

60. الإتقان في علوم القرآن، عالم الكتب، بيروت، دط، دت.

شكري المبخوت

61. نظرية الحجاج في اللغة،ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، منوبة، تونس، مجلد XXXIX، 1998.

شوقي مصطفى

62. المجاز و الحجاج في درس الفلسفة بين الكلمة و الصورة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2005.

الشوكاني (محمد بن علي بن محمد)

63.فتح القدير ، الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، راجعه يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، مجلد2، ط3، 1997.

صادق الحسيني الشيرازي

64. الموجز في المنطق، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط3، 1981.

الصاوي الصاوي أحمد

65.الخطاب السياسي عند ابن رشد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 2005.

صبري المتولي

66. علم الصرف العربي، أصول البناء و قوانين التحليل، دار غريب، القاهرة ،دط، دت.

صلاح إسماعيل عبد الحق

67. التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، دار التنوير بيروت،ط1، 1993.

الطبري (ابن جرير)

68. مختصر تفسير الطبري، ، تحقيق مروان سوار، دار الفجر الإسلامي،دمشق،ط6،1998.

طه حسين

69. الفتنة الكبرى، علي و بنوه، دار المعارف، القاهرة ، ج2، ط14 ، 2003

طه عبد الرحمن

70. الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء/بيروت، ط1، 2002.

71. في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت، ط2، .2000

72. اللسان و الميزان، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت،ط1، 1998.

ابن عاشور (محمد الطاهر)

73. التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر ، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان ،الجزء الثالث،دط، دت.

عبد العاطي غريب

74.البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني و ابن سنان الخفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993.

عباس محمود العقاد

75. الله جل جلاله، المكتبة العصرية، بيروت، دت، دط.

عزيزة فوال بابتي

76. المعجم المفصل في النحو العربي، ،دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ط1، 1992.

عدنان محمد بن ملحم

77. المؤرخون العرب و الفتنة الكبرى،القرن الأول ، القرن الرابع الهجري، دراسة تاريخية منهجية، دار الطليعة، لبنان، ط2، 2001.

علاء حمروش

78. تاريخ الفلسفة السياسية، دار التعاون للطبع ، القاهرة، ، دط، 1986.

علي الإدريسي

79. في تأسيس الحجاج لدى مفكري الإسلام، الرسالة الجوابية للحسن البصري على رسالة عبد الملك بن مروان نموذج، ضمن كتاب التحاجج، طبيعته، و مجالاته، و وظائفه، منشورات كلية الآداب، الرباط، سلسلة ندوات رقم 134، تنسيق حمو النقاري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2006.

عمر بلخير

80. تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003.

فاروق الأسعد

81. فن الإلقاء العربي الخطابي و القضائي و التمثيلي، شركة الحلبي للطباعة، بيروت، ط2، 1999.

الفخر الرازي (فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين)

82. التفسير الكبير، قدم له الشيخ خليل محي الدين الميس، دار الفكر، بيروت،الجزء الواحد و العشرون، دط، 1995.

عبد القادر المهيري

83 أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، منوبة، تونس، مجلد XXXIX، 1998.

القاضي الجرجاني

84. الوساطة بين المتنبي و خصومه، ت محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي،دار القلم، بيروت، دط، دت.

عبد القاهر الجرجاني

85.دلائل الإعجاز، ت محمد ألتنجي، دار الكتاب العربي، ط1، 2005.

كورنيليا فون راد صكوحي

86. الحجاج في المقام المدرسي، منشورات كلية الآداب، جامعة منوبة ، دط، 2003.

عبد الله إبراهيم

87. الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة، تداخل الأنساق و المفاهيم و رهانات العولمة،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، ط1، 1999.

عبد الله صولة

88. الحجاج: أطره و منطلقاته و تقنياته من خلال "مصنف في الحجاج "الخطابة الجديدة" لبيرلمان و تيتيكا، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، منوبة، تونس، مجلد XXXIX، 1998.

89. الحجاج في القرآن، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، كليـــة الآداب و الفنون، منوبة، دار المعرفة، تونس، ط2، 2007.

ابن ماجة (أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني)

90. سنن ابن ماجة، بشرح الإمام أبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي و بحاشية الإمام البوصـــيري، حقق أصوله و خرج أحاديثه و رقمه الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ج3،دط، دت.

91.صحيح سنن ابن ماجة، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع، الرياض مجلد 1، ط1، 1997.

الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب)

92. الأحكام السلطانية و الولايات الدينية، تحقيق القاضي نبيل عبد الرحمن حياوي،مؤسسة الكتـــب الثقافية، بيروت،دت، دط.

93. أدب الدنيا و الدين، دار الكتب العلمية، بيروت،دت، دط.

محمد بكر إسماعيل

94. قصص القرآن الكريم، من آدم عليه السلام إلى أصحاب الفيل، دار المنار، مصر، ط2، 1997.

محمد التومي

95. الجدل في القرآن الكريم، شركة الشهاب ، الجزائر، دط، دت.

محمد التونجي

96. المعجم المفصل في علوم اللغة، مراجعة إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993.

محمد سالم محمد الأمين الطلبة

97.الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بـــيروت، ط1، 2008.

محمد سعيد إسبر، و بلال جنيدي

98. الشامل، معجم في علوم اللغة العربية و مصطلحاتها، دار العودة، بيروت،ط2، 1985.

محمد طاهر درويش

99. الخطابة في صدر الإسلام، دار المعارف، القاهرة،الجزء الأول، ط2، .1968

100. الخطابة في صدر الإسلام، العصر السياسي، عصر الدولة الأموية، الجزء الثاني، دار المعارف، مصر، دط، 1967.

محمد طروس

101. النظرية الحجاجية، من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1 2005.

محمد العبد

102. العبارة و الإشارة، دراسة في نظرية الاتصال، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2007

محمد علي أبو ريان

103. تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1973

محمد علي الصابوني

104. صفوة التفاسير، الفيصلية، مكة المكرمة، مجلد 1 ،دط،دت.

محمد عمارة

105. الإسلام و فلسفة الحكم، دار الشروق، القاهرة، دط، 1989.

محمد العمري

106.البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، .2005

107. في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري و تطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا، إفريقيا الشرق، بيروت، ط2، 2002.

محمد فتحي عبد الله

108.معجم مصطلحات المنطق و فلسفة العلوم للألفاظ العربية و الإنجليزية و الفرنسية و اللاتينية، دار الوفاء، الإسكندرية،دط، 2002.

محمد أبو الفتوح شريف

109. علم الصرف دراسة وصفية، دار المعارف، القاهرة، دط، 1985.

محمد محمد داود

110. الدلالة و الحركة، دراسة لأفعال الحركة في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة،دار غريب، القاهرة، 2002.

محمد محمد يونس علي

111. علم التخاطب الإسلامي، دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، دار المدار الإسلامي، لبنان، ط1، 2006.

محمد بن معجوز

112. الخلافة في الإسلام، ندوة البيعة و الخلافة، العيون، المملكة المغربية، الجزء الثالث، سبتمبر، 1985.

محمد مفتاح

113. التلقي و التأويل، مقاربة نسقية، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994.

محمد النويري

114. البلاغة و ثقافة الفحولة، دراسة في كتاب العصا للجاحظ،منشورات كلية الآداب، جامعة منوبة، تونس،2003.

محمد يعقوبي

115. دروس في المنطق الصوري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ط2، 1999

محمود عكاشة

116.لغة الخطاب السياسي،دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2005

مسعود صحراوي

117. التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005.

مسلم بن الحجاج (أبو الحسين القشيري النيسابوري)

118. صحيح مسلم، خرّج الأحاديث صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، 2004.

مصطفى أبو شعشع

119. دراسات في الوثائق و مراكز المعلومات الوثائقية، العربي للنشر و التوزيع،القاهرة،دط، دت.

مصطفى النحاس

120. دراسات في الأدوات النحوية، شركة الربيعان، القاهرة،، ط1، 1979.

121.**المعجم العربي الأساسي للناطقين باللغة العربية و متعلميها**، إعداد مجموعة من كبار العلماء اللغويين العرب، بتكليف من المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم.

ابن منظور (جمال الدين)

122.لسان العرب المحيط، إعداد و تصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، دط، دت.

123.**موسوعة الحافظ ابن حجر العسقلاني الحديثية**، جمع و إعداد وليد أحمد الحسن الزبيدي و آخرون،سلسلة إصدارات الحكمة، بيرطانيا، مجلد 6، ط1، 2002.

124.**موسوعة لالاند الفلسفية**، منشورات عويدات، بيروت/ باريس، المجلد الأول A-G ، ط2، 2001

نجيب بن خيرة

125. التاريخ الإسلامي ، تاريخ الخلافة الراشدة، دار الهدى للنشر ، الجزائر ،ط3، 2002.

نصر حامد أبو زيد

126. الخطاب و التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2000.

عبد الهادي بن ظافر الشهري

127. استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004.

هشام الريفي

128. الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، من أرسطو إلى اليوم، منوبة، تونس، مجلد XXXIX، 1998.

أبو هلال العسكري

129. جمهرة الأمثال،حققه و علق حواشيه و وضع فوارسه محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، دار الجيل، بيروت، ج1، ط2، دت.

130.كتاب الصناعتين، ت علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، مصر، دت، ط2.

هيثم سرحان

131. الأنظمة السيميائية، دراسة في السرد العربي القديم، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2008.

أبو الوليد الباجي

132.المنهاج في ترتيب الحجاج، ت عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1987.

وليد قصاب

133. البلاغة العربية، علم المعاني، دار القلم، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1998.

يحي بن حمزة

134. كتاب الطراز، المتضمن أسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز، مراجعة و ضبط و تدقيق، محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995.

ابن يعيش

135. شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دت.

ثالثا: المجلات و الدوريات

إمام عبد الفتاح

1. الطاغية، دراسة لصور الاستبداد السياسي، عالم المعرفة، الكويت، ع183، مارس 1994.

إيف جانري

2. نظريات المحاجة، اكتشاف جديد خصب، ترجمة محمد يحياتين، مجلة اللغة و الأدب ، جامعة الجزائر، ع11 1994.

بول ريكور

3.البلاغة و الشعرية و الهيرمونيطيقا، ترجمة مصطفى النحال، مجلة فكر و نقد ، المغرب، ع1999،16.

حبيب أعراب

4. الحجاج و الاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، عالم الفكر، الكويت،مجلد30، ع1، سبتمبر2001 .

حسن محمد مرزوقي

5.مدخل إلى نظرية الحجاج ،مجلة التربية، البحرين، ع15، 2005.

حسن محمد وجيه

6. مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي و السياسي، عالم المعرفة، الكويت،ع190، 1994.

الحواس مسعودي

7. النصوص الحجاجية، مجلة اللغة و الأدب، جامعة الجزائر، ملتقى علم النص، ع14،ديسمبر 1999 .

الجهشياري (أبو عبد الله محمد بن عبدوس)

8. كتاب الوزراء و الكتاب، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي،تقديم عطية أحمد القوصى، سلسلة الذخائر، ع 126، أكتوبر 2004، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.

رشيد الراضي

9.الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر و ديكرو ،عالم الفكر، الكويت،مجلد 34،ع1، سبتمبر 2005.

10.السفسطات في المنطقيات المعاصرة، التوجه التداولي الجدلي نموذجا، عالم الفكر،الكويت، مجلد 36، ع4، أفريل 2008 .

ر. روبنز

11. موجز تاريخ اللغة عند الغرب، ترجمة أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت، ع 227،نوفمبر 1997.

رويض محمد

12. حول مفهوم الحجاج في الفلسفة، مقاربة فلسفية، لسانية، ديداكتيكية، مجلة فكر و نقد، المغرب، ع 26،2000.

صلاح فضل

13. بلاغة الخطاب و علم النص، عالم المعرفة، الكويت، ع164، 1992.

عز الدين الناجح

14. المفهوم من خلال الملفوظ الإشهاري، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، ع2، 2007.

عبد القادر بوزيدة

15. نموذج المقطع الرهاني أو الحجاجي، ملتقى علم النص، مجلة اللغة و الأدب، جامعة الجزائر، ع12، 1997.

كريستيان بلانتان

16. لغة المحاجة و اللغة الواصفة، ترجمة نصيرة الغماري، مجلة علامات ، المغرب.

ليونيل بلينجر

17. الآليات الحجاجية للتواصل، ترجمة عبد الرفيق بوركي، علامات، المغرب، ع 21، 2004.

محمد الأسعد

18. التنظيمات السياسية و مسألة التواصل السياسي للانتخابات، فكـــر و نقـــد، المغـــرب، ع45، 2002.

محمد سالم ولد محمد الأمين

19.مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تطوره في البلاغة المعاصرة، عالم الفكر،الكويت، مجلد 28، ع3، مارس 2000.

محمد سويرتي

20. اللغة ودلالتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، عالم الفكر،الكويت، مج 28، ع3، 2000.

محمد السيدي

21. إشكال المعنى، من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري، مجلة فكر ونقد، ، المغرب،ع25، 2000.

محمد العبد

22. النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، فصول، ع60، صيف، خريف 2002، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

محمد الولي

23.الاستعارة الحجاجية بين أرسطو و شايم بيرلمان، مجلة فكر و نقد، المغرب، ع61، .2004

24. بلاغة الحجاج، مجلة علامات، المغرب، ع 5، .1996

25.الموضوعات الحجاجية الكبرى في المغرب، مجلة علامات، المغرب، ع19، 2004 .

محمود حيدر

26.مفهوم الحوار في إشكاليات الاختلاف و التواصل ونظام القيم، مجلة الفكر السياسي،دمشق، ع21 ، 2005

27. من المنطق إلى الحجاج، حوار مع الأستاذ أبو بكر العزاوي، حاوره الأستاذ حـــافيظ إسمـــاعيلي علوي،مجلة فكر و نقد، المغرب، ع61، 2004.

والتر أونج

28. الشفاهية و الكتابية، ترجمة حسن البنا عز الدين، عالم المعرفة، الكويـــت، ع182 ، فيفـــري، 1994.

يوسف آيت همو

29. من التواصل إلى التواصل الشعبي، مجلة فكر ونقد، المغرب، ع36، 2001.

رابعا: الرسائل الجامعية

1.أحمد أولاد سعيد، التعبير عن الإرادة السياسية في النظام الإسلامي، الانتخابات أنموذجا ، أطروحة دكتوراه في الفقه و أصوله، قسم الشريعة، جامعة باتنة، 2008.

2. رجب رمضان السيد عبد الوهاب، الخطاب السياسي الغربي مفهومه و سماته، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، القاهرة، 2007.

3. عبد الرحيم العماري، نسق التواصل بالمغرب المعاصر، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2001.

4. صالح بوبشيش، الإمام أبو الوليد الباجي و آراؤه الأصولية، أطروحة دكتوراه في أصول الفقه، جامعة باتنة، 2003.

5. محمد الصالح روان، المعارضة السياسية في الفقه الإسلامي و تطبيقاتها المعاصرة، رسالة ماجستير، معهد الشريعة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1998.

6. مسعود فلوسي، الجدل عند الأصوليين بين النظرية و التطبيق، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2002

خامسا: المراجع الأجنبية

Catherine .Kerbrat .ORECCHIONI.

1. l'implicite, édition Armand colin, Paris, 1986 .

2. L'énonciation:De la subjectivité dans le langage, armand colin, Paris,1980

Emile BENVENISTE.

3. problèmes de linguistique générale. Editions Galimard.1996**.**

4. Le Grand Robert, Dictionnaire de la langue française,Paris,1989

Mariana TUTESCU

5. L'Argumentation, Introduction a l'étude du discours, octobre, 2002.

Xavier PARENT, Pierre LIVET

6. Argumentation, Révision, et Conditionnels in la révision des croyances.univ-provence.fr/livet.

سادسا: المواقع الإلكترونية

إدريس عمراني

1. نظرية النحو الوظيفي،نظرات في البلاغة العربية و النماذج اللسانية الحديثة، مقالات نقدية، القدس العربي،المغرب، 11أفريل 2006. http://www.jehat.com/jehat/ar/janataltaawak/maqalat naqdeya/edrees_omrani.htm

أبو بكر العزاوي

2.لا تواصل من غير حجاج و لا حجاج من غير تواصل، بيان اليوم، المغرب،2006/12/02 http://www.bayanealyaoume.ma

جون سيرفوني

3. اللسانيات و التداولية،ترجمة حمو الحاج ذهبية، مجلة اللسانيات، http://www.aljahidhiya.asso.dz/revues/tebyin-19/allisanyate.htm

حسن عبيدو

4. النظر التأصيلي و الأفق الإبداعي عند طه عبد الرحمن، الحوار المتمدن. www.ahewar.org/debat/show.art.asp?=80021

حسن المودن

5. تقديم كتاب: البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول، برنامج اتحاد كتاب المغرب، المعرض الدولي للكتاب، 13 نوفمبر2006 http://uemnet.free.fr/activites/co/2005-2008/11-02-2006h-m.htm

6.الخطاب الإقناعي في البلاغة العربية، ملخص عن أطروحة دكتوراه الدولة، كلية الآداب، مراكش، جوان 2006، ديوان العرب، دراسات و أبحاث، http://www.diwanalarab.co/spip.php?article5018

رشيد الراضي

7. عن الأصول المنطقية الحديثة للحوار، التصوف الإسلامي ، قضايا و حوارات، http://www.islamic-sufism.com/article.php?id=1698

كمال بسيوني

8. أثر النقد اليوناني في النقد العربي القديم، الجزيرة، السعودية، السنة 11 ، 2002،www.suhuf.net.sa

محمد العمري

9. بلاغة الخطاب السياسي، الهوية و الرسالة، جريدة الاتجاه الاشتراكي، 2007/10/02. http://medlomari.free.fr/discourpo.htm

10. المشروع العلمي بين المأمول و المتاح، 11مارس 2006،www.medelomari.net

محمد الهداج

11. طـــــه عبـــــد الـــــرحمن و المهـــــام العالقـــــة، موقـــــع الشـــــهاب للإعـــــلام، http://www.chihab.net/modules.php

12.الموسوعة العالمية الحرة ويكيبيديا، http://ar.wikipedia.org/wiki

فهرس الموضوعات